الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

مكتبة الصفاء
للشيخ محمد علي دبوز

جمعية التراث

أعمال الملتقى الدولي الافتراضي

الشيخ محمد علي دبوز

رحمه الله

مؤرّخًا وأديبًا ومربّيًا



تنظيم:

مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية

بالتعاون مع:

جمعية التراث

ومكتبة الصفاء للشيخ محمد علي دبوز

الجزء الثاني

يومي الثلاثاء والأربعاء 08 - 09 ربيع الثاني 1442هـ

24 - 25 نوفمبر 2020م

الجمهورية الجزائرية
الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي
والبحث العلمي
جامعة غرداية

كتاب أعمال الملتقى الدولي:
الشيخ محمد علي دبوز
مؤرخا وأديبا ومربيا
- الجزء الثاني -

يومي: الثلاثاء والأربعاء 08-
09 ربيع الثاني 1442هـ /
24-25 نوفمبر 2020م

أعدّ هذا الكتاب للطبع والنشر:
أمين مكتبة الصفاء للشيخ
محمد علي دبوز
أ.صالح محمد علي دبوز

رئاسة اللجنة العلمية:
أ. د. محمد قاسم ناصر بوحجام.
أ. د إبراهيم بحاز.
تنظيم: مخبر الجنوب
الجزائري للبحث في التاريخ
والحضارة الإسلامية
بالتعاون مع: "جمعية التراث"
و"مكتبة الصفاء للشيخ
محمد علي دبوز"

رقم الإيداع القانوني
ردمد: ISSN: 978-9969-9666-3-3
تاريخ الإصدار: أفريل 2026
نشر: جمعية التراث
مكتبة الصفاء للشيخ
محمد علي دبوز
-جميع الحقوق محفوظة-

تتمة محاضرات المحور الثاني

الشّيخ محمد علي دبوز مؤرخا

أسباب توجه الشيخ محمد علي دبوز إلى الكتابة التاريخية وعوامل نبوغه فيها

أ. بشيري نذير
جامعة غرداية

ملخص:

يعتبر الشيخ محمد علي دبوز واحدا من كبار المؤرخين الجزائريين، ومصدرا من مصادر التاريخ الإباضي، حيث حمل على عاتقه عبء كتابة تاريخ الجزائر والمغرب العربي على حد سواء، خاصة بعد الاستقلال حيث شاب التاريخ غموض وإشكالات حيرت القارئ. لقد أدرك الشيخ محمد علي دبوز أهمية الكتابة التاريخية فسار على منهج أنّ الماضي منطلق لبناء الحاضر، وقد عالج الشيخ العديد من الإشكالات التاريخية والمغالطات التي كانت تحاط بغموض تاريخي فيما يخص تاريخ الجزائر والمغرب وقام بتفنيدها، مع إثبات الحقائق التاريخية.

الكلمات المفتاحية:

محمد علي دبوز ـ الكتابة التاريخية ـ عوامل النبوغ ـ التاريخ

Summary

Sheikh Mohammed Ali Dabouz is considered one of the great Algerian historians, and a source of Ibadi history, where he bore the burden of writing the history of Algeria and the Maghreb alike, especially after independence, where the history of ambiguity and question puzzled the reader. Recognizing the importance of historical writing, Sheikh Mohammed Ali Debbouz pursued a methodology that the past was the starting point for building the present.He addressed many historicalquestions and inaccuracies that were surrounded by historical ambiguities regarding the history of Algeria and Morocco, and refuted them, while proved historical facts.

key words

Mohammed Ali Debbouz - historical writing - factors Dexterity - histor

مقدمة:

لقد حظي تاريخ الجزائر بصفة خاصة، والمغرب العربي الكبير بصفة عامة، باهتمام الكثير من المؤرخين والباحثين، حيث سعى كل مؤرخ لفرض نفسه بتقديمه للقارئ مجموعة الحقائق التاريخية الصحيحة في نظر كل مؤرخ، نظرا لما تعرض له التاريخ الجزائري والعربي إلى الكثير من محاولات التشويه والتزييف خصوصا من قبل الفرنسيين. وقد قال عبد الله العروي في وصفه للحقائق التاريخية "أننا لا نستطيع أن نقول كلمة أخيرة في التاريخ". وسيما إن كان تاريخ الجزائر وما يشوبه من تزييف وتحريف. وقد عرفت الجزائر حركة تدوين واسعة، وبرز مؤرخون في مختلف التوجهات والتخصصات، حيث حملوا على عاتقهم عبء كتابة تاريخ الجزائر والمغرب الكبير قبل الاستقلال وبعده، ومن هؤلاء المؤرخين نذكر محمد علي دبوز الذي ما فتئ يدخر جهدا في كتابة التاريخ إلا سخره، وهذا إن دل فإنما يدل على عمق فكر الرجل، وسعيه لإبراز الحقائق التاريخية من خلال مناهجه في الكتابات التاريخية وأكبر دليل كتابه تاريخ المغرب الكبير.

من خلال هذه الورقة البحثية نسلط الضوء على الأسباب التي دفعت الشيخ محمد علي دبوز للتوجه للكتابة التاريخية، وكذلك

العوامل التي كانت سببا في نجاحه، فنطرح إشكاليتنا كالآتي:

ماهي أسباب توجه الشيخ محمد علي دبوز إلى الكتابة التاريخية؟ وماهي أبرز عوامل نبوغه فيها؟ وهل كان للشيخ هدف أراد الوصول إليه من خلالها؟

محاور المداخلة:

ـ أولا: المولد والنشأة

ـ ثانيا: أسباب الكتابة التاريخية

ـ عوامل النبوغ

أولا : محمد علي دبوز المولد والنشأة

نسبه ومولده :

هو محمد بن الحاج علي بن عيسى بن حمو بن داود بن محمد بن داود بن منصور بن إبراهيم دبوز، وداود الثاني هو الذي هاجر من جنوب المغرب الأقصى وحط الرحال في جبل عمور وجبال بني راشد ومنها إلى غرداية، والمعروف عن أجداده أنهم من كبار بلدة

بريان وهم رؤساء عشيرتهم النشاشبة وأولاد يونس[1].

ولد الشيخ محمد علي دبوز ببريان 1337هـ في فيفري 1919م[2]، وفي رواية أخرى سنة 1918م[3]، والده الحاج علي عُرف عنه أنه أول معلم له في الحياة، فقد سهر على الاعتناء به وغرس العادات الجميلة وحثه على طلب العلم والدين منذ نعومة أظافره، أما والدته السيدة عائشة بنت يحي فقد كان يضرب بها المثل في الجد والحزم، وورث منها ابنها هذه الخصال لا سيما الحزم، وكان لها دور كبير في توجيه سلوك ابنها[4].

نشأ الشيخ محمد علي دبوز بمسقط رأسه ببلدة بريان في أحضان أسرة محبة للعلم والعلماء والدين، وكبقية أهل ميزاب حرص والده الحاج علي على غرس القيم الدينية والإسلامية الفاضلة في ابنه وأورثه حب العلم والعلماء.

---

1 - إبراهيم بيوض، **حياة وآثار الشيخ محمد علي دبوز**، عالم المعرفة، الجزائر، 2013، ص 16.

2 - خير الدين شترة، **معجم أعلام خريجي الجامع الأعظم بتونس**، ج3، منشورات الشؤون الدينية والأوقاف الجزائر، 2015م، ص 462.

3 - محمد ناصر، **محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي في كتابة التاريخ**، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، (د.س)، ص 09.

4 - خير الدين، شترة، **الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة(1900-1956)**، ط2، دار كردادة، الجزائر، 2013، ص 462.

وحرصا منه على الوفاء بنذره عمل الحاج علي[1] على غرس حب العلم والعلماء في ابنه، فعند بلوغه الخامسة من عمره اخذ مبادئ دراسته الأولى على رأسها القرآن الكريم وتعلم مبادئ القراءة والكتابة على يد السيد الحاج إسماعيل – أحد عزابة المسجد- الذي عينه له والده، وفي جوان 1928م التحق بالمدرسة الوحيدة في البلدة، وفيها أخذ مبادئ العلوم الدينية والعربية على يد الشيخ صالح بن يوسف أبسيس، وتوسعت في محمد علي دبوز بوادر النبوغ والذكاء فأولى الشيخ صالح اهتماما كبيرا به، ودام تلميذا بين يديه إلى غاية سنة 1934 أين شد رحاله إلى معهد الشيخ بيوض[2].

ولأن القرآن هو أساس كل العلوم الدينية واللغوية وشرط أساسي لدخول معهد الشيخ بيوض، انكب الشيخ محمد علي دبوز على حفظه فاستظهره وعمره ثلاثة عشر سنة، وبحلول سنة 1934م، مكَّنَه تحصيله العلمي من أن يلتحق بمعهد الحياة في القرارة[3]، وفيه درس على يد

1 - رزق الحاج علي بالعديد من الأولاد ولم تكتب لهم الحياة، ودفعه حب العلم والعلماء أن ينذر نذرا إن رزقه الله ولد أن يهبه للدين والعلم وقد حقق الله أمنيته، (ينظر: محمد علي دبوز، **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، المطبعة التعاونية، الجزائر، 1965،ص 26.

2 - خير الدين شترة، المرجع السابق، ص 462.

3 - محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، **معجم أعلام الإباضية (من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر)**، ج2، عالم المعرفة، الجزائر، (2009م)، ص 387.

الشيخ بيوض الذي تعرق بشخصيته وصار مثله الأعلى هو وطلبة المعهد وذلك لقوة شخصيته وشدة تأثيره العلمي والروحي والخلقي في الطلبة، كما درس على يد الشيخ عدون والحاج محمد بن حمو الناصر، وكان مثالا للطالب المُجد فدرس علوم التفسير، الحديث وشرحه، أصول الفقه والأدب العربي، والنحو والبلاغة والأخلاق والمطالعة[1].

2- رحلاته:

أ- الرحلة إلى تونس :

ومع تعلقه بطلب العلم ارتحل الشيخ محمد علي دبوز إلى تونس سنة 1942م، لكي يستزيد في طلب العلم ويواصل دراسته في الزيتونة والمعهد الخلدوني والمدرسة الصادقية[2]، فقد كانت تونس مقصدا لطلبة العلم لنهضتها وتنوع أساليب التربية والتعليم فيها، وذلك بتأييد من الشيخ بيوض رغم رفض والده لذلك.

غامر الشيخ دبوز مع جماعة من الطلبة بالسفر إلى تونس دون

---

1 - خير الدين شترة، **معجم أعلام خريجي الجامع الأعظم**، المرجع السابق، ص 462.

2 - تم إنشائها في عهد الصادق باشا من طرف خير الدين باشا لتعليم اللغة العربية والعلوم الإسلامية وبعض اللغات الأوربية وفتحت أبوابهاعام 1875م، ينظر : خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، المرجع السابق، ص ص 444-446).

جواز سفر، وكان أول تلميذ من معهد الحياة يصل تونس[1]، ثم توافدت عليها البعثات العلمية الميزابية[2] من معهد الحياة، مكث في تونس سنتين بين معاهدها ومكتباتها خصوصا المكتبة العبدلية والخلدونية والعطارين، فنهل من كتبها في مختلف العلوم كالفلسفة والشريعة والأدب.

ب- الرحلة إلى مصر :

ولشدة حبه للعلم والرغبة في مواصلة مساره الدراسي وتحصيله العلمي وتنمية زاده المعرفي، سافر الشيخ محمد علي دبوز إلى مصر حاضرة الثقافة آنذاك ومقصد العلماء وطلاب العلم والحرب العالمية الثانية قائمة سنة 1944م، لما فيها من جامعات ومعاهد وما تحتويه من كبار الأساتذة والمفكرين من أمثال : طه حسين، زكي مبارك، أحمد

---

1 - التحق به صديقه عيسى بن الحاج عمر بوحجام في جوان 1943م، والحاج محمد بن ابراهيم مرموري في سبتمبر من نفس السنة فتكونت بهم البعثة البيوضية، ينظر : إبراهيم بيوض، المصدر السابق، ص 34.

2 - هي الرحلات والبعثات العلمية التي كانت قاعدتها ومنطلقها وادي ميزاب وتعود إلى سنة 1914م، أما بعثات معهد الحياة فتعود إلى ما بعد 1942م، ينظر : عبد الرزاق عطلاوي، **أعمال المؤتمر الدولي التاسع حول إسهامات البعثات العلمية في النهضة العلمية والفكرية الجزائرية بين 1900م إلى 1954 البعثات الجزائرية إلى جامعة الزيتونة أنموذجا**، الجزائر، 2013م، ص 09. وكذلك ينظر : محمد علي دبوز، **أعلام الإصلاح في الجزائر : الشيخ محمد علي دبوز حياته وآثاره** : ج3، عالم المعرفة، الجزائر، 2013م، ص 146.

أمين عباس محمود العقاد، أنور الجندي وغيرهم...، سافر مشيا على الأقدام عبر ليبيا التي كانت مسرحا للحرب متنكرا في زي أعرابي، ووصلها بعد مسيرة تسعة وعشرين يوما[1].

التحق الشيخ دبوز بجامعة القاهرة، ورابط بدار الكتب المصرية قارئا ووجد فيها مبتغاه فأصبح الكرسي رقم (61) باسمه، وتخصص في علم النفس، التاريخ والأدب ونال كفايته منها.

بعد مرحلة التكوين الجيد أنهى الشيخ دبوز رحلته العلمية التي سعى فيها لتطوير معارفه العلمية وتوسيعها، عاد إلى مسقط رأسه أين حظي باستقبال عظيم، وأقيم له حفل كبير وفرح به أهله وأصدقائه خصوصا أستاذه الشيخ بيوض كونه من الأوائل ممن نال شهادة جامعية، (وإن لم تكن رسمية)، وما فتئ أن عُيّن الشيخ دبوز مدرسا لمادتي الأدب والتاريخ، وساهم بقسط وفير في تطوير برامج الدراسة بالمعهد بإضافة مواد علم النفس والتربية والمنطق وتاريخ المغرب

1 - وعن كيفية سفره ذكر ابنه بيوض إبراهيم أنه تنكر في زي الأعراب لكي يرافق إحدى القوافل التجارية المتجهة إلى مصر عبر الصحراء الليبية، ينظر: إبراهيم بيوض، المصدر السابق، ص 35.

الكبير[1]، فكان نعم الأستاذ ونعم الوالد لتلاميذه، مخلصا في رسالته - يحرص تلاميذه على طلب العلم، كما كان يراقبهم داخل وخارج المعهد ويهتم بأخلاقهم وحتى هندامهم، وقضى في تربية النشء وتكوين الأجيال إلى أن توفي رحمه الله آخر شهر جوان 1981م[2].

3- وفاتـــه :

وعن وفاته يقول الحاج داود نجار ودّعت الجزائر يوم الجمعة الماضي 13 نوفمبر 1981، أحد مؤرخيها المجتهدين وروادها البارزين، الذين سعوا بكل عزم وحزم وعصارة فكرهم كتابة حقائق وتاريخ الوطن الجزائري والمغرب العربي الكبير تاركينها في متناول الأجيال الصاعدة لمعرفة حقائق أجدادها الماضية[3]".

وقد كرّس الشيخ حياته في البحث والتنقيب والكتابة لتصحيح التاريخ، وترك لنا بذلك سجلا حافلا من التراث الفكري تمثل في كتبه

---

1 - محمد صالح ناصر، **مشايخي كما عرفتهم**، دار الريام، الجزائر، 2008م، ص ص 159-160.

2 - يوسف الواهج، "**في ذكرى العالم الجليل والمؤرخ محمد علي دبوز**"، **جريدة الحوار**، ع 720 ،يوم الثلاثاء 28 ديسمبر 2010م، ص 20.

3 - الحاج داود النجار، "**المؤرخ محمد علي دبوز في ذمة الله**"، **جريدة الشعب**، ع 5616، يوم الأربعاء 18 نوفمبر 1981م، ص7.

الثلاث بمختلف أجزائهم، وله الكثير من المقالات في مجلة الشباب والبصائر... كما ترك العديد من الوثائق والرسائل والمخطوطات التي لازالت إلى اليوم في مكتبته –مكتبة الصفاء- بمسقط رأسه ببريان[1].

توفي الشيخ محمد دبوز يوم الجمعة 13 نوفمبر 1981م، في بريان وعمره 63 سنة، فهو لم يتوقف عن العطاء حتى وافته المنية بعد اشتداد مرض العضال أقعده الفراش فكانت وفاته رزية عظمى لميزاب والجزائر والعالم الإسلامي كله، ووري التراب يوم السبت بحضور جمع غفير حضره العلماء والمشايخ وتلاميذه والسلطات المحلية وبكاه أصدقاؤه وطلبته[2].

ثانيا : أسباب الكتابة التاريخية عند محمد علي دبوز

حظيت الفترة المعاصرة بجانب كبير من اهتمام الشيخ محمد دبوز، بحيث خص هذه الفترة بدراسة معمقة ووافية في مجالات النهضة الثقافية، الفكرية والتربوية مسلطا بذلك الضوء على نهضة الجزائر بمختلف أدوارها، كما أن الدافع للتعجيل بكتابة تاريخ هذه الفترة هو الإسراع في استقاء مادتها المحفوظة في صدور الشيوخ

1 - نفسه، ص7.

2 - الحاج داود النجار، "**المؤرخ محمد علي دبوز في ذمة الله**"، المصدر السايق، ص 20.

والعلماء المسنين وممن كتبوا في مجال النهضة، ومنعهم خوفهم من الاستعمار من إبراز ما كتبوه فأنتج بذلك عملا فكريا ضخما اعتمد على المحفوظات من صدور المشايخ وعلماء الإصلاح[1].

ومما لاشك فيه أن من الدوافع التي جعلت محمد علي دبوز يخوض غمار التأليف في مجال التاريخ – خاصة بعد أن أُسندت له مهمة تدريس مادة تاريخ المغرب الكبير وعدم وجود كتاب في هذا التخصيص على المنهج الذي يحقق النتائج التربوية من التاريخ، هي تلك المغالطات والأكاذيب التي أراد بها مؤرخو الاستعمار... حيث يقول "... عزمت أن أكتب شيئا في تاريخ المغرب الكبير بأسلوب أدبي، وتحليل فلسفي، وببحث علمي نزيه يليق لمطالعة مثقفينا، ويكون مرجعا ومصدرا لجامعاتنا ومدارسنا، ويصفي أبواب تاريخ المغرب التي كدرتها ودنستها أكاذيب الملوك القدماء، ودعايات المستعمرين، فصارت خطرا على المغرب، ومنبعا للسموم التي تكدر صفاءه وتفرق جماعته وتمكن الحساد والدساسين في بث التفرقة والشقاق في مغربنا الحبيب"[2].

---

1 - نور الدين حاطوم، "**تاريخ الجزائر على ضوء جديد**"، **مجلة الجندي**، ع 754-755، الثلاثاء 12 تموز 1966، ص 23.

2 - محمد عل دبوز، **تاريخ المغرب الكبير**، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2010، ج2، ص 28.

كما أشار إلى استغلال المستعمر للدعايات الملكية لتشويه صورة المغرب وفي هذا الصدد يقول "...وترى أولئك المستعمرين يستغلون تلك الأكاذيب الملكية ليسودوا صفحة مغربنا المشرقة..."[1]، ومن خلال تطرقه لتاريخ المغرب بأقطاره الأربعة – مع استثناء الصحراء الغربية لأنه لم يتطرق إليها في كتاباته-، أراد الشيخ دبوز أن يهدم كل ما تعرض له تاريخ المغرب الكبير من طرف الاستعمار من تشويه وتزييف وظلم، محاولا بذلك تغيير الحقيقة حول تاريخ المغرب الكبير فقال "...فكان لابد من إزالة تلك الأخطاء من تاريخ المغرب لكي لا يقع فيه أبناؤنا ومؤلفونا في المستقبل[2]".

ويمكن أن نحصر الأسباب التي استنتجناها في مسيرة الشيخ في ثلاثة أسباب هي : التاريخ تربية – التاريخ عبرة- التاريخ وعي الشعوب.

أـ التاريخ التربية :

حسب التاريخ أنّه يحفزنا ببيئة اجتماعية راقية من أجدادنا، فنعاشرهم فيكون نتاجها التأثر بأخلاقهم وطباعهم وسلوكياتهم وحتى آرائهم ونظراتهم للحياة، وذلك يكون بالإطلاع على تراثهم وما تركوه

1 - نفسه، ج2، ص 07.

2 - نفسه، ج2، ص 33.

من آثار أدبية وفكرية "... فنصل الدرجة الراقية التي كان عليها الأجداد ونكون مثلهم في العزة والإباء، وفي الطموح والمحاولة، وفي العمل والكد، وفي الإخلاص والإتقان وفي العمل لله..."[1].

فالبيئة الاجتماعية لها تأثير كبير في الفرد وتساهم في بناء شخصيته، فسرعان ما يتطبع الفرد بطابع الوسط الذي يعيش فيه، ويكتسب صفاته ومقوماته من عقائد وأعراف وتقاليد وطرق تفكير.

لذا فإن للبيئة الاجتماعية دور كبير في صناعة شخصية الطفل وسلوكه، والفرد المسلم في المجتمع الإسلامي يجد البيئة الصالحة المناسبة واستقامة شخصيته، لذلك دعا الشيخ إلى إيجاد بيئة مناسبة، وذلك بالاعتناء بالتاريخ في البيوت والمدارس والمجتمعات، واختيار القدرة التي تكون من الشخصيات العظيمة كالرسول والأنبياء والصحابة، واختيار المواقف المشرفة من الفعل الإنساني عموما لتكون قدوة للطفل "... فنجعله بيئة للتلميذ ينغمس فيها، ويشغف بها ويعاشرها بالقراءة اللذيذة والدرس العميق..."[2].

1 - محمد علي دبوز، **تاريخ المغرب الكبير**، المصدر السابق، ج2، ص 13.

2 - محمد بوحجام، "**المؤرخ الجزائري محمد علي دبوز في ذكراه السادسة**"، **مجلة النهضة العمانية**، ع 363، (09/12/1987)، ص 35.

لم يكن التاريخ عند الشيخ دبوز غاية في حد ذاته، بقدر ما كان وسيلة إلى غاية أبعد وأعمق، فهو وسيلة تربوية تهدف إلى الوصول للغايات السامية التي آمن بها ووسيلة ناجحة تعيين الأجيال على السير على الطريق الذي رسمه الأجداد، ولكي يتحقق النهج الذي أراده الآباء يجب عليهم الاستفادة من هذه الوسيلة وتحميلها للأجيال لتحقيق الأهداف المرجوة[1]، وهو ما أكد عليه من خلال الكثير من العبارات :

"إن التاريخ أكبر عامل في التربية الخلقية..."، "... إن التاريخ أجدى في التربية وفي غرس الأخلاق الحسنة"، "إن التاريخ أكبر عامل في التربية الخلقية وأقوى سبب يخلق الأخلاق العظيمة في النفوس. والأخلاق العظيمة هي أساس رقي الإنسان في عقله وفي جسمه فهي التي تستنبع كل المزايا وتقضي على تفوقنا في كل النواحي ! فهي الغاية التي يجب أن نستهدفها في التربية، ونقصدها في مدارسنا وفي بيوتنا وفي مجتمعنا، ونعتني بها في كل درس، وفي كل عمل..."[2].

---

1 - محمد بن قاسم ناصر بوحجام، "**الذكرى العاشرة لوفاة شيخنا الفاضل محمد علي دبوز**"، **مجلة العقيدة**، رجال وتاريخ، الأربعاء 13 جمادى الأولى 1412هـ الموافق لـ 27 نوفمبر 1991، ص 19.

2 - محمد بوحجام، **مفهوم التاريخ عند محمد علي دبوز**، نشر جمعية التراث، القرارة، الجزائر، د.س، ص 30.

ب ـ التاريخ عبرة :

يقول الله تعالى : "لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يومنون"[1].

لم يكن مفهوم التاريخ عند الشيخ دبوز مركزا على الجانب التربوي فقط، بل تعداه إلى أكثر من ذلك... إلى الاعتبار والاتعاظ بالتاريخ.

فالتاريخ عنده ليس مجرد سرد للأحداث وذلك للوقائع وتاريخ حدوثها، بل إنه كما يقول "للقدوة الحسنة والموعظة والمعرفة، فإذا خلا من هذه القشور لا نفع فيه، وكلام غث لا فائدة منه[2]".

فالشيخ دبوز ركز على توظيف الماضي لاستخلاص العبر والدرس، وحذرنا من مغبة الوقوع في الأخطاء، لذلك ركز على كتاباته على التنبيه بضرورة الاقتناء بالأنبياء والرسل والصحابة... شأنه شأن العديد من المؤرخين ممن دعوا إلى الاتعاظ بالتاريخ، وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون "أعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب، جم الفوائد شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين في الأمم من

1 - سورة يوسف، الآية 111.

2 - محمد بوحجام، **مفهوم التاريخ عند محمد علي دبوز**، المرجع السابق، ص 42.

أخلاقهم، والأنبياء في رسلهم والملوك في دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك، لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا[1]".

كما دعا محمد دبوز إلى وجوب الاتعاظ بالتاريخ، وأن نستلهم من تاريخنا ما يدفعنا إلى الأمام، وذلك بالوقوف على أخطاء الآباء والأجداد حتى لا تتكرر. يقول في هذا الصدد "... فيجب أن نقف على هفوات الأجداد وما أثار الأعاصير عليهم، فنصوره للأحفاد ونحذرهم منه، ونفتح عيونهم على ما أوحى بدولنا القديمة من أمراض، كالانغماس في الحضارة، والركون إلى الراحة، والاتصاف بالأنانية، وبالعصبية القبلية والمذهبية، وبالحسد الذي هو أم الخبائث كلها، وهو الذي أودى بدولنا الإسلامية، وشق جماعة المسلمين فداخلها سوس الاستعمار ورتع فيها ذباب أوروبا، وطمعت فيها كل الحشرات الضعيفة[2]".

إن الناشئة مرهفة الحس شديدة التأثر قوية التفاعل، لهذا حمَّل الشيخ كل من يتولى مهمة التربية مسؤولية كبيرة، في تلقين التاريخ الصحيح والتحذير فيما وقع فيه الأجداد وبذلك فإن الشيخ يقر

1 - عبد الرحمان ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، دار الفكر، دط، 2001م، ج1،ص 13.

2 - محمد علي دبوز، **تاريخ المغرب الكبير**، المصدر السابق، ج2،ص 21.

ويؤكد على أن الإفادة لا تتم من التاريخ إلا إذا أخذنا العبرة من الماضي.

وأعطى لنا الشيخ مثالا بارزا في كتاباته عن القدوة الحسنة والاتعاظ وبعث الاعتزاز بالماضي، بما ذكره عن مصلحي الجزائر فقال "كتابة تاريخ مشايخنا أعلام الإصلاح إحياء لهم في نفوس الأمة فتقتدي بهم وتزداد انتفاعا بهم..."[1].

كما أنّ التاريخ لا يدرس عفويا بل لابد أن تتحقق في مُدرس التاريخ بعض الصفات والتي منها:

- يجب أن يُدرس بأسلوب علمي وروح خطابية عالية كي تصل إلى المستمع بأسلوب مشوق.
- يجب على دارس التاريخ أن يكون ملما بالأفكار والأخبار، وأن يتعمق فيها بالشرح والتفصيل، وأن لا تكون نقلا حرفيا بسرد اللسان، فكلما كانت هناك إثارة وحماسة في الشرح والتفصيل كلما رسخت

1 - محمد علي دبوز، **أعلام الإصلاح في الجزائر**، محمد علي دبوز **حياته وآثاره**، ، عالم المعرفة، الجزائر، (2013م)، ج2، ص 11. ويقول أيضا "أن التاريخ للقدوة، يعرف الخلف طريق السلف فيتبعونه، ويعرفون المقدمات التي توصلهم إلى النتائج الحسنة، والأسباب التي نجح بها شيوخهم وآباءهم، وأجدادهم فيأخذون بها"، ينظر : محمد علي دبوز، **أعلام الإصلاح في الجزائر**، المصدر السابق، ص 138.

المعلومة في عقول المستمعين والدارسين.

- أن يمتلك الكفاءة العلمية والثقافة الواسعة، إلى جانب قدرته على التعبير والعمل والتحليل والاستنباط[1].
- يجب على المؤرخ أن تكون له شخصيةَ قوية، وزاد علمي يؤهله أن يعوض المادة بالاطلاع والقراءة. من أجل ذلك يرى الشيخ أنه لا يجب أن يستند التاريخ لمن كان شخصيته علمية محضة[2].

ج ـ التاريخ وعي الشعوب :

يؤكد هذه النظرية من خلال قوله "إن التاريخ أكبر عامل لبناء الأمم ونهضة الشعوب وهو من الوسائل الكبرى في التربية الحسنة[3]"، إذن فهو عامل مهم في بناء الوطنية، باعتبارها حاجة ضرورية وهامة تشعر الفرد بقيمة الروابط المشتركة بينه وبين أفراد المجتمع، وتقوية شعور الانتماء للوطن "وبذلك يكون التاريخ نفعا خالصا للأمة سبب وحدة ومحبة تجعلها كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا[4]"، ودعا

---

1 - محمد علي دبوز، **تاريخ المغرب الكبير**، ج2، المصدر السابق، ص 21.

2 - محمد بوحجام، "**المؤرخ الجزائري محمد علي دبوز في ذكراه السادسة**"، المرجع السابق، ص 36.

3 - محمد علي دبوز، **تاريخ المغرب الكبير**، ج2، المصدر السابق، ص 16.

4 - محمد بوحجام، **مفهوم التاريخ عند محمد علي دبوز**، المرجع السابق، ص 47.

إلى ضرورة الاعتناء بتاريخ الأجداد باعتباره عاملا مؤثرا في الأفراد واعتماده كوسيلة تربوية.

كما أكد على أهمية العناية بالتاريخ وضرورة إطلاع الأجيال على ماضي الآباء والأجداد والتاريخ الحافل، ضاربا المثال بالأوربيين، فيقول "إن الأوربيين قد عرفوا آثار القصص التاريخية للعظماء في بناء الأخلاق العظيمة... فاعتنوا بتاريخ أجدادهم وعظمائهم، فأبرزوه في أسلوب قصصي جذاب، يجعل الناشئة تغرم به، وتستغرق في قراءته، وتنتبه كل التنبه إليه، فيتأثرون بأجدادهم العظماء، ويحافظون في أمتهم على تقاليدهم الحسنة التي هي سبب عظمتها وبقائها1". فيما وعى الأوربيون وعرفوا أهمية وتأثير التاريخ في الناشئة، سعوا لمنع المغرب العربي عن معرفة تاريخ أجداده، يقول "لهذا حرّم الاستعمار اللاتيني على المغرب أن يعرف تاريخ أجداده، لأن تأثرنا بهم يقتضي أن نثور عليه، فندفع ما يكدر حياتنا ويدنسها وينتنها إلى البحر، ونصفي حياتنا وأوطاننا من المرارة والسموم التي ألقاها البحر إلينا!!"2.

ومن خلال كتاباته أراد الشيخ دبوز تنبيه الأجيال إلى تلك

1 - نفسه، ص 52.

2 - محمد علي دبوز، **تاريخ المغرب الكبير**، ج2، المصدر السابق، ص 16.

الانحرافات الخطيرة التي كانت ولا تزال تطال التاريخ، في سبيل هذه مقومات الهوية الوطنية والعربية، يظهر ذلك جليا من خلال عرضه لمآسي الماضي والانتقادات الموجهة للأجيال السابقة داعيا إلى أخذ العبرة منها.

كما كان له اهتمام بالماضي، من خلال تسليطه الضوء على شعوب وأقوام لطالما تعرضت للظلم في كثير من الكتابات، فمثلا نجد من المواضيع التي تطرق إليها الشيخ موضوع البربر ووصف لنا-كما مر بنا- مدى الظلم الذي تعرضوا له عبر التاريخ –لاسيما في نسبهم وعلاقاتهم بالضفة الشمالية للمتوسط-، فحاول من خلال كتاباته تصحيحها مبرزا الحقيقة التاريخية كما هي لا كما حول البعض من المؤرخين تصويرها حسب رأيهم، متبعا بذلك الموضوعية والنزاهة العلمية في تصويب الحقائق.

وكذا تناوله لموضوع نهضة الجزائر وأهم أعلام الإصلاح ممن ساهموا في بناء الشخصية الوطنية، فقد كان يهدف من خلالها إلى إبراز الدور الكبير لهؤلاء المصلحين في الدفاع عن مقومات الأمة والوقوف في وجه المستعمر.

ويمكن إجمالا أسباب الكتابة عند الشيخ على سبيل المثال لا على سبيل الحصر في :

- تصحيح التاريخ الجزائري القديم والحديث من المغالطات التاريخية الاستعمارية.
- الوقوف في وجه المستعمر بالقلم والكتابة لإبراز التاريخ بشكل صحيح بكل خصائصه ومقومات الهوية الجزائرية.
- رفع اللبس عن التاريخ المغاربي قبل الإسلام بدراسة معمقة لإبراز الحقيقة التاريخية وكشف الغطاء عن الأكاذيب المفرضة لا سيما من المستعمرين والمستشرفين.
- إبراز حقيقة النهضة الجزائرية بمختلف أدوارها من أجل إعطاء صورة واضحة للجزائريين عن ماضيهم العريق[1].

التعريف برجال الجزائر وأهم جهودهم الإصلاحية وإسهاماهم في سبيل المحافظة عن الشخصية الجزائرية، واعتبار ذلك أساس التقدم والرقي والازدهار (الهوية الصحيحة والتمسك بها هي أساس الشخصية القوية التي هي أساس أي تطور ورقي2.

كثرة الدراسات الاستعمارية حول التاريخ المغاربي وغياب الجرأة والإرادة لدى الكثير من المؤرخين العرب، ممن كانت كتاباتهم مجرد

1 - محمد بوحجام، **مفهوم التاريخ عند محمد علي دبوز**، المرجع السابق، ص67

2 - نفسه، ص69

اجترار لما كتب في كثير من كتب أخرى كان إبراز حافز له لخوض غمار التأليف التاريخي عن تاريخ المغرب العربي خصوصا وعلماء الإصلاح وجهودهم[1].

ثالثا – عوامل النبوغ في الكتابة التاريخية للشيخ محمد علي دبوز

إنّ عوامل النبوغ في كل فن نابع من عقل صاحبه، كذالك الحال بالنسبة للشيخ محمد علي دبوز، فقد كان الشيخ واسع الفكر، سريعة البديهة، من هنا يمكننا حصر هذه العوامل في عاملين رئيسين هما:

أ ـ المنهج المتبع:

إن معرفة المنهج التاريخي للشيخ دبوز مهم جدا للباحث، وهذا ما سأحاول الكشف عنه من خلال ذكر المنهج المتبع في كتاباته ومعالجته للأحداث التاريخية ومختلف القضايا التاريخية، ويمكن إجمال ذلك في مايلي:

- نزعته التاريخية والوطنية جعلته يتطلع لأن يكون التاريخ عامل وحدة تجمع بين شعوب الأمة
- اعتماد منهج الأسلوب الأدبي والفلسفي البسيط لكي يزاوج فيه بين

1 - محمد بوحجام، **مفهوم التاريخ عند محمد علي دبوز**، المرجع السابق، ص63

الأدب والتاريخ[1].

- معايشة الأحداث والإحاطة التائج من الوقائع والحوادث لتنبيه أذهان الطلاب.

- تركيزه على استخلاص التائج عن طريق طرح الإشكالات التي توصله إلى الحقيقة التاريخية.

- تأثره بشيوخه في معهد الحياة، إضافة على دراسته في تونس ومصر واحتكاكه بآدابها، استفاد منها في تكوين منهجية علمية أكاديمية اعتمد فيها على المنهج العلمي التحليلي الفلسفي لمعالجة الأحداث التاريخية.

- الإسهاب في عرض التاريخ والتفصيل فيه، ليعطي فكرة واضحة عن من يكتب عنهم أو يقرأ لهم يقول "... ولا يدرون أن كتابة هذا التاريخ عمل صعب كل الصعوبة رواية وتدوينا، وتحقيقا، وتأليفا، فلو كان الإيجاز جائزا فيه لكنت من المؤثرين له، لأستريح من عناء طويل، يرهق الأبدان، و يذيب المخ والعيون..."[2].

- الصدق، الحماس، الوضوح، الموضوعية، الخيال، العاطفة، عناوين الكتابة التاريخية عند الشيخ محمد علي دبوز.

- ركز في كتاباته على إعادة كتابة تاريخ الجزائر والمغرب الكبير من

---

1 - محمد ناصر، **محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي في كتابة التاريخ**، المرجع السابق، ص 33.

2 - محمد علي دبوز، **أعلام الإصلاح في الجزائر**، المصدر السابق، ج3، ص 139.

أجل محاربة المدرسة الاستعمارية وأكاذيبها.

- اعتبر الشيخ دبوز أن الكتابة وسيلة تربوية سامية وهدف تثقيفي نبيل، تهدف إلى تربية الجوانب الأساسية في شخصية النشء المسلم في مختلف الجوانب الدينية الوطنية وحتى العلمية[1].

ب ـ القيمة المعرفية للكتابة التاريخية عند الشيخ محمد علي دبوز :

شكلت كتابات الشيخ محمد علي دبوز تراثا فكريا ضخما، ومراجع هامة بالنسبة للتاريخ الجزائري، لأنه أرّخ فيها للصفحات الخالدة في التاريخ بإعادة تصحيحها من الشوائب، بأسلوب أدبي راق وممتع، متبعا منهجا علميا ملتزما بالموضوعية التاريخية، متجردا من الذاتية، مع التعدد في الطرح للعديد من القضايا التاريخية، وسأكتفي بذكر هنا بضع الآراء مما قيلت عن كتبه:

ويقول يحي معمر "... إن تاريخ المغرب الكبير كتاب تاريخ، ولكن المؤلف سكن فيه حرارة دمه ونبضات قلبه وعصارة روحه وأجيج عاطفته، هذه العاطفة التي تزخر بالحب وتزخر بالبغض وتزخر بالاحتقار..."[2].

---

1 - محمد علي دبوز، **أعلام الإصلاح في الجزائر**، المصدر السابق، ج3، ص 159.

2 - علي يحي معمر، "**تاريخ المغرب الكبير**"، **مجلة الآداب**، ع 07، تموز –يوليه- 1964م سنة 12، ص 38.

ويقول أنور الجندي "تعد موسوعة تاريخ المغرب الكبير من الأعمال الكبيرة الدلالة على قدرة الجزائريين في ميدان الفكر كقدرتهم في ميدان الحرب، حيث يقوم مؤرخ باحث كالأستاذ دبوز بكتابة أكثر من خمسة آلاف صفحة، مستعرضا فيها تاريخ هذه الأجيال مراجعا كل ما كتب في هذا الصدد كاشفا عن عشرات الحقائق التي شوهها المؤرخون والكَتّاب..."[1]، ويضيف "... والحق أن الأستاذ محمد علي دبوز عالم مجاهد يشق طريقا وعرًا وينشئ عملا غير مسبوق، ومن أجل هذا كانت المشقة البالغة التي يلقاها في سبيل جمع معلوماته... فجاء كتابه شاهدا بالجهد الضخم الذي بذله، في سبيل الكشف عن هذا الدور الذي قام به المفكرون في الجزائر..."[2].

أثنى نور الدين حاطوم عن الشيخ دبوز باتخاذه هذه الخطوة الجريئة بتاريخه لتاريخ المغرب الكبير يقول "... ولعل ما يقال في الأستاذ دبوز أنه كان من السباقين الأوائل إلى عرض تاريخ المغرب الكبير كوحدة تامة لها ظروفها ومقومات حياتها... فإن أقل ما يمكن

---

1 - أنور الجندي، **مفكرون وأدبا من خلال آثارهم**، دار الإرشاد، بيروت، لبنان، (دس)، ص 248.

2 - محمد علي دبوز، **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، المصدر السابق، ج1، ص 93.

أن يقال في هذا الصدد أن الأستاذ دبوز كان شجاعا في تأليفه وانطلاقه وهو يستحق كل ثناء وتقدير على هذا الفتح الذي فتحه في تاريخ المغرب العربي وتعريف أبناء العروبة والإسلام"[1].

وحول كتابه نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة يضيف "وفي اعتقادنا أن هذا العمل العظيم يعالج الكثير من جنبات الحياة الجزائرية التي مازلنا نجهلها أو لا نعرف عنها إلا القليل، فلقد سد به ثغرة وأنار سبيلا وأوضح مجهولا[2]".

يقول د محمد ناصر "ستظل هذه المؤلفات إلى جانب مادتها الغزيرة معينا ثراء من الأدب العربي الغض والأسلوب السلس المبين، فهو من القلة القليلة من المؤرخين المعاصرين الذين يكتبون التاريخ بأسلوب أدبي راق ويستنطقون حوادثه، متفاعلين معها، مستنبطين أبعادها معايشين لها بكل خلجة من خلجات نفوسهم، وبكل خفقة من خفقات قلوبهم[3]".

ويقول د محمد ناصر بوحجام "إن شيخنا حسب رأيي قد وُفق

---

1 - نور الدين حاطوم، **تاريخ الجزائر على ضوء جديد**، مجلة الجندي، عدد 754-755، الثلاثاء 12تموز، 1966، ص.

2 - نفسه، ص 23.

3 - محمد ناصر، **محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي في كتابه التاريخ**، المرجع السابق، ص 07.

إلى حد معين في رسم الطريق لمن يأتي بعده كي يسير في نهجه... ويربط الأجيال بالناصع من تاريخهم، حتى يعتزوا بشخصيتهم التي حاول الاستعمار طمسها[1]".

والحق أن الشيخ دبوز، أولى اهتماما كبيرا للتاريخ الإسلامي جمعا وتدريسا وفي هذا الصدد تقول الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) "...والحق أن الأستاذ (تقصد الشيخ الدبوز) استطاع أن يجلو لنا هذا الجانب بأوفى ما يكون من إيضاح وتفصيل، وجمع لنا الحشد الكثير من أخبار ومرويات مبعثرة في مئات من المصادر قليل منها معروف متداول وأكثرها مما لا سبيل إليه بمشقة لا يحتملها سوى الخاصة من الباحثين[2]، وتقصد به ما أخذه من صدور الثقاة وما اطلع عليه من مخطوطات غير منشورة.

ويقول محمد عطية الأبرشي "... والحق أن الكتاب بأجزائه الثلاثة ليس في حاجة لمن يقدمه، فمادته غنية كل الغنى، تدل على سعة الاطلاع، وتعمق في البحث وراء الحقيقة... وإني واثق بأن هذا الكتاب بأسفاره الثلاثة الضخمة سيجد مكانة في كل بيت عربي وكل

1 - محمد بوحجام، **مفهوم التاريخ عند محمد علي دبوز**، المرجع السابق، ص 26.

2 - محمد صالح ناصر، **مشايخي كما عرفتهم**، المرجع السابق، ص 195.

مدرسة عربية، وسيصبح مصدرا للمعاهد العلمية في المغرب..."[1].

الخاتمـــــــــــــة :

من خلال ما تطرقت إليه في هذه الورقة البحثية المتعلقة بالكتابة التاريخية عند محمد علي دبوز وعوامل نبوغه فيها، توصلت إلى مجموعة من الاستنتاجات منها :

- عالج الشيخ في كتاباته التاريخية العديد من القضايا التي طالما طالتها الأباطيل ولادعاءات المغرضة محاولا بذلك إبراز الحقيقة التاريخية كما هي وبطريقة موضوعية.
- شكل التاريخ اهتماما كبيرا لدى الشيخ دبوز، كما أنّ مفهوم التاريخ عنده هو وسيلة تربوية تساعد على تربية الناشئة ووسيلة للاتعاظ تساهم في تقديم التاريخ الصحيح للأبناء.
- ظهر محمد علي دبوز بمنهج جديد تميز به عن غيره من المؤرخين، زاوج فيه بين الأسلوب الأدبي والتاريخي وهذا ما برز بشكل كبير في مؤلفاته.
- لقد أثرى الشيخ محمد دبوز المكتبة الجزائرية والعربية بالعديد من المؤلفات القيمة التي لازالت تشكل مراجع هامة للمؤرخين في

1 - محمد علي دبوز، **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، المصدر السابق، ج1، ص 94.

مختلف الفترات التاريخية.

- كان الشيخ دبوز من الذين نادوا بإعادة كتابة التاريخ بموضوعية، وتصحيحه من المغالطات التي تشوبه، وبعث التاريخ الصحيح للأمة لإحياء أمجادها في نفوس الناشئة.
- لقد أولى الشيخ محمد علي دبوز اهتماما كبيرا بإعادة كتابة تاريخ المغرب الكبير الذي طالما طالته الأباطيل الكاذبة، فأخرج لنا بذلك عملا ضخما يعد مرجعا أساسيا لتاريخ المغرب.
- ظهر الشيخ محمد علي دبوز مؤرخا طويل النفس نذر نفسه لكتابة التاريخ الصحيح وهو ما برز في مؤلفاته التي حملت في طياتها الكثير من الحقائق التاريخية.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

1 ـ عبد الرحمن ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، ج1، دار الفكر، دط، 2001م.

2 ـ إبراهيم بيوض، **حياة وآثار الشيخ محمد علي دبوز**، عالم المعرفة، الجزائر، 2013.

3 ـ محمد علي دبوز، **أعلام الإصلاح في الجزائر**، محمد علي دبوز

حياته وآثاره، ، ج2، عالم المعرفة، الجزائر، (2013م).

4 ـ ـــــــــ، **تاريخ المغرب الكبير**، مؤسسة تاوالت الثقافية، ج2، 2010.

5 ـ ـــــــــ، **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، المطبعة التعاونية، الجزائر، 1965.

المراجع:

1 ـ الجندي أنور، **مفكرون وأدبا من خلال آثارهم**، دار الإرشاد، بيروت، لبنان، دس.

2 ـ بوحجام محمد بن قاسم ناصر، **مفهوم التاريخ عند محمد علي دبوز**، نشر جمعية التراث، القرارة، الجزائر، د.س.

3 ـ خير الدين، شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة(1900-1956)، ط2، دار كردادة، الجزائر، 2013،

4 ـ شترة خير الدين، **معجم أعلام خريجي الجمع الأعظم بتونس**، ج3، منشورات الشؤون الدينية والأوقاف الجزائر، 2015م.

5 ـ ناصر محمد، **محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي في كتابة التاريخ**، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، (د.س).

6 ـ ناصر محمد صالح، **مشايخي كما عرفتهم**، دار الريام، الجزائر، 2008م، ص ص 159-160.

المجلات:

1 ـ النجار الحاج داود، "**المؤرخ محمد علي دبوز في ذمة الله**"، **جريدة الشعب**، ع 5616، يوم الأربعاء 18 نوفمبر 1981م.

2 ـ الواهج يوسف، "**في ذكرى العالم الجليل والمؤرخ محمد علي دبوز**"، **جريدة الحوار**، ع 720 ،يوم الثلاثاء 28 ديسمبر 2010م.

3 ـ بوحجام محمد بن قاسم ناصر، "**المؤرخ الجزائري محمد علي دبوز في ذكراه السادسة**"، **مجلة النهضة العمانية**، ع 363، (09/12/1987).

4 ـ بوحجام محمد بن قاسم ناصر، "**الذكرى العاشرة لوفاة شيخنا الفاضل محمد علي دبوز**"، **مجلة العقيدة**، رجال وتاريخ، الأربعاء 13 جمادى الأولى 1412هـ الموافق لـ 27 نوفمبر 1991.

5 ـ حاطوم نور الدين، "**تاريخ الجزائر على ضوء جديد**"، **مجلة الجندي**، ع 754-755، الثلاثاء 12 تموز 1966.

الملتقيات:

1 ـ عطلاوي عبد الرزاق، **أعمال المؤتمر الدولي التاسع حول إسهامات البعثات العلمية في النهضة العلمية والفكرية الجزائرية بين 1900م إلى 1954 البعثات الجزائرية إلى جامعة الزيتونة أنموذجا**، الجزائر، 2013م،

قراءة في كتاب تاريخ المغرب الكبير (الجزء الأول أنموذجا)

للشيخ محمد علي دبوز ر- حمه اللّٰه –

أ. تشيش نبيل
جامعة الوادي

مقدمة:

سوف نتطرق في هذه الورقة البحثية إلى قراءة في كتاب تاريخ المغرب الكبير، الجزء الأول لصاحبه محمد علي دبوز رحمه الله، وقد بدأنا الحديث عن كل ما يتعلق بالجانب الظاهري للكتاب، أوردنا فيه الاسم الكامل للمؤلف والعنوان، وحجم الكتاب ودار النشر والطبعة وغيرها، ثم تناولنا الجانب الباطني المهم من خلال ترجمة للمؤلف، وبعدها وضعنا ملخص عام حول محتوى الكتاب، ثمّ حاولنا تحليل أفكار وأسلوب الكاتب ومنهجه، مبرزين أهمية وقيمة هذا المرجع، وفي الأخير خلصنا إلى مجموعة من الاستنتاجات .

أ / الدراسة الظاهرية:

1- الاسم الكامل للمؤلف: محمد علي دبوز

2- عنوان الكتاب: تاريخ المغرب الكبير- الجزء الأول -.

3- عدد الصفحات: 476 صفحة.

4- الحجم :متوسط.

5- الناشر: دار عالم المعرفة - حي باحة 02، فيلا رقم 07، تماريس، المحمدية، الجزائر.

6- الوصف الخارجي للكتاب:

- نوع الورق: جيد، الطبعة الأولى 2013.

- الغلاف: مجلد (لون الغلاف بني والكتابة الأصفر الذهبي).

-الأبعاد: الطول: 24.5سم، العرض : 17.5سم، السمك: 2.5 سم

-الواجهة الأمامية:

1- تمت كتابة العنوان كما يلي :

عبارة " تاريخ المغرب الكبير" كتبت في الأعلى و بخط كبير نسبيا في إشارة إلى التاريخ العريق للمغرب الكبير و باللون الأصفر الذهبي مما يعطي دلالة رمزية إلى الافتخار بهذا التراث والتاريخ المجيد.

2- احتوت الواجهة الأمامية على اسم المؤلف بالإضافة إلى تحديد الجزء (الأول)، وفي الجزء السفلي منها كتبت دار النشر و اسم الدولة

3- اسم المؤلف " محمد علي دبوز حياته وآثاره " كتب في أعلى الواجهة الأمامية و في الوسط

و بخط رقيق حروفه، في إشارة إلى وجود مؤلفات أخرى للشيخ .

- الواجهة الخلفية: كتب في أسفلها " صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة في إطار الصندوق الوطني لترقية الفنون والآداب، باللون الأصفر الذهبي دائما.

- الواجهة الجانبية: ضمت اسم المؤلف و عنوان الكتاب ورقم الجزء الدار الناشرة للكتاب.

7- محتوى الكتاب: ضم الكتاب عشرة عناصر مرقمة من 1 إلى 10 في شكل فصول.

8- قائمة البيبليوغرافيا:

- عبد الرحمن بن خلدون : العبر في ذكر المبتدأ والخبر .

- محمد علي دبوز : محاضرات في تاريخ المغرب (ألقاها في معهد الحياة الثانوي بالجزائر في سنة 1369/1949هـ - 1950م).

- مبارك بن محمد الميلي : تاريخ الجزائر في القديم والحديث (الجزء الأول).

- أحمد صفر : مدينة المغرب العربي .

- أحمد توفيق المدني : قرطاجنة في أربعة فصول .

- عثمان الكعاك : موجز التاريخ العام للجزائر .

- توفيق الطويل : قصة الكفاح بين روما وقرطاجنة .

- محمد علي دبوز : تاريخ المغرب الكبير (الجزء 2 و 3).

- حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب .

- عبد الله بن عبد العزيز البكري : المسالك والممالك .

- أبو عبد الله ياقوت الحموي : معجم البلدان .

- لمونتسكيو: برهان البيان في اكتمال واختلال دولة الرومان، ترجمة حسين بن الجبيلي .

- هـ.ا.ل. فشر : تاريخ أوربا في العصور القديمة، ترجمة إبراهيم نصحي، ومحمد عواد حسين .

- هـ.ا.ل. فشر : تاريخ أوربا في العصور الوسطى، ترجمة محمد مصطفى زيادة، والسيد البازة العريني .

- بطرس البستاني : دائرة المعارف للبستاني .

- أحمد الاسكندري : الوسيط في الأدب العرب وتاريخه

9/ الفهارس :

أ/ فهرس موضوعات الجزء الأول (من الصفحة 456 إلى 470).

ب/ فهرس للأعلام حسب الترتيب الأبجدي (من الصفحة 471 إلى غاية الصفحة 473).

ج/ فهرس القبائل والشعوب، أيضا مرتب ترتيبا أبجديا الصفحة 474.

د/ فهرس الأماكن مرتب ترتيبا أبجديا (من الصفحة 475 إلى الصفحة 476).

ب/ الدراسة الباطنية:

تعريف بالمؤلف:

ولد الشيخ محمد علي بن عيسى دبوز ببريان 1337ه/في فيفري 1919م، والده الحاج علي الذي رزق بالعديد من الأولاد ولم تكتب لهم الحياة، فدفعه حب العلم والعلماء إلى أن ينذر نذرا، إن رزقه الله بولد يهبه للدين والعلم فحقق السميع العليم أمنيته [1]،عرف عنه أنّه أول معلم له في الحياة فقد سهر على الاعتناء به تربية وعلما منذ نعومة أظافره، ووالدته السيدة عائشة بنت يحي، يضرب بها المثل في الجد والحزم، فورث منها ابنها هذه الخصال وكان لها دور كبير في

[1] محمد علي دبوز، نهضة الجزائر وثورتها المباركة، ج1،عالم المعرفة، الجزائر، 2013، ص26.

توجيه سلوكه [2]، كانت نشأته بمسقط رأسه ببلدة بريان، حيث حرص والده على غرس القيم الدينية والإسلامية وحب العلم، وفي جوان 1928م التحق بالمدرسة الوحيدة في البلدة، والتي تعلم فيها على يد شيخه صالح بن يوسف أبسيس وذالك إلى غاية 1934م حينما شدّ رحاله إلى معهد الشيخ بيوض، حفظ القرآن وسنه لا يتجاوز ثلاثة عشر سنة، حيث كان حفظ القرآن الكريم شرطا أساسيا لدخول معهد الحياة في القرارة[3] فدرس علوم التفسير والحديث وشرحه، بالإضافة إلى أصول الفقه والأدب العربي والنحو والبلاغة[4] .

دراسته خارج الجزائر :

1/ تونس:

ارتحل الشيخ محمد علي دبوز إلى تونس سنة 1942م، ومن المعلوم أنّ الرحلة في طلب العلم هي ديدن ومنهج العلماء، فتونس كانت قبلة طلبة العلم من مشارق الأرض ومغاربها لوجود الزيتونة والمعهد الخلدوني فيها، وكان العالم الإسلامي يعيش فترة الاستعمار الأوربي، فالجزائر كانت مستعمرة فرنسية، ومع ذالك سافر الشيخ

[2] خير الدين شترة، معجم أعلام الجزائر خريجي الجامع الأعظم بتونس، الجزء 3، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف الجزائر، 2015م، ص462.

[3] محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، معجم أعلام الإباضية (من القرن الأول الهجري إلى العصر الحالي)، ج2، عالم المعرفة الجزائر،2009م، ص 387 .

[4] خير الدين شترة، المرجع السابق، ص 462.

مع مجموعة من الطلبة من دون جواز سفر، فبالرغم من صعوبة الظروف تمكن من الوصول إليها، وكان أول تلميذ من معهد الحياة يصل إلى تونس فنال الشرف وكانت فترة مكوثه بها حوالي سنتين يتنقل بين معاهدها ومكتباتها فنهل من كتبها مختلف العلوم[1] .

2/ مصر:

واصل الشيخ محمد علي دبوز رحلته في طلب العلم خارج الوطن، فكانت وجهته بعد تونس هي مصر لما فيها من جامعات ومعاهد، وصل إليها عبر ليبيا بعد 29 يوما من المسير متنكرا مخاطر بنفسه في أحد جبهات القتال خلال الحرب العالمية الثانية، وشهدت مصر في تلك الفترة بروز العديد من المفكرين والعلماء من بينهم عباس محمود العقاد و أحمد أمين، زكي مبارك وطه حسين وغيرهم، فالتحق بجامعة القاهرة ورابط بدار الكتب المصرية قارئا فوجد مبتغاه وأصبح الكرسي رقم (61) باسمه، وتخصص في علم النفس، والتاريخ والأدب، عاد إلى مسقط رأسه أين حظي باستقبال عظيم، فأصبح مدرسا في معهد الحياة، وقضى في تربية النشء وتكوين الأجيال [2] إلى أن وافته المنية في يوم الجمعة 13 نوفمبر 1981م في بريان وكان عمره حينئذ 63 سنة، بعد مرض عضال أقعده الفراش، ووُريَ التراب يوم السبت بحضور جمع غفير من كل أطياف المجتمع

[1] إبراهيم بيوض، حياة وآثار الشيخ محمد علي دبوز، عالم المعرفة، الجزائر، 2013، ص 34.

[2] محمد صالح ناصر، مشايخي كما عرفتهم، دار ريام، الجزائر، 2008، ص ص 159 ـ 160.

علماء ومشايخ وسلطات وشعب .[3]

مؤلفاته:

1. موسوعة تاريخ المغرب الكبير في ثلاثة أجزاء

- كتاب نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة

- كتاب أعلام الإصلاح في الجزائر:

وله عدة تآليف ومخطوطات تاريخية وأدبية ونقدية وتربوية منها : تاريخ الدولة العثمانية ...الخ وأيضا عدة مسرحيات تاريخية واجتماعية، وله مقالات عديدة في جريدة البصائر وغيرها .

ملخص عام حول محتوى الكتاب:

قبل المحتوى جعل المؤلف إهداء لشهداء الجزائر الذين ضحوا بالغالي والنفيس من أجل أن تحيا الجزائر مسلمة، ولأجل أن يحيا المغرب الكبير، في إشارة إلى وحدة هذا القطر، ثمّ بعدها تقديم الأستاذ الكبير محمد عطية الإبراشي كبير مفتشي اللغة العربية والدين سابقا في مصر وأستاذ التربية وعلم النفس السابق بدار العلوم، الذي أدلى بشهادته حول الكتاب، وأثنى على جهود المؤلف وإخلاصه للوطن وللعروبة، ثمّ بعد ذلك كلمة الكاتب الذي شرح بعض

[3] يوسف الواهج، " في ذكرى العالم الجليل والمؤرخ محمد علي دبوز، جريدة الحوار، ع 720، (يوم الثلاثاء 28 ديسمبر 2010م)، ص 20.

التفاصيل حول الكتاب ككل والجزء الأول على وجه الخصوص، فكان دافعه في ذالك حب الوطن، وفي الأخير تقدم بالشكر لكل من ساهم في هذا الإنجاز .

الفصل الأول: المغرب الكبير حدوده وأقسامه وطبيعته

افتتح الشيخ محمد علي دبوز هذا الفصل بالبسملة و قسّمه إلى ثلاثة عناصر هي : حدود المغرب، وتعرض فيها إلى الحدود السياسية المتعارف عليها في هذا العصر الحديث، فمن جهة الشرق قرية السلوم في غرب الإسكندرية، والمحيط الأطلسي من جهة الغرب وفي الشمال بحر العرب ومن جهة الجنوب بلاد السودان، وهي نفسها حدوده في القديم، إلا شرقا فإنّه يمتد إلى غرب الإسكندرية فليس هناك حد طبيعي يفصل المغرب عن مصر مثل البحر الذي يفصله عن أوربا، أو الصحراء الكبرى التي تفصله عن السودان، فالمصريون القدامى هم أبناء عمومة البربر، ثم تطرق إلى أصل التسمية التي أطلقها الفاتحون الأوائل لبلاد المغرب وهي تختلف عن التسمية القديمة، وذكر أقسامه الثلاثة : الأدنى والأوسط والأقصى، وأرجع هذا التقسيم إلى عهد عبد الملك بن مروان في آخر القرن الأول للهجرة، واستدّل في ذالك على أنّ المغرب فتح في عهده، وبعد ذلك ذكر المناطق والحدود في العهد القديم .

الفصل الثاني: السكان الأصليون للمغرب

بدأ المؤلف حديثه عن أوّل من سكن المغرب وهم من أبناء يافث (هو أحد الأصول الثلاثة للبشر وهم أبناء نوح عليه السلام) والدليل على ذالك الآثار الموجودة في أنحاء المغرب (المنازل ...) ثم تكلّم عن عيشة السكان وحياتهم البدائية، ودينهم الوثني، حيث أوجز معيشة السكان في حوالي خمسة أسطر ذكر لباسهم والأكل والمسكن وطريقة عيشهم، ثمّ فصّل في دينهم وسمّاه " دين بسيط على حسابهم " وأنهى هذا العنصر أو الفصل بالحديث عن دخول جنس أكبر للمغرب ذاب فيه السكان الأولين القادمين من المشرق، هذا الجنس هو البربر وفي الختام تساءل عن أصل البربر وحقيقتهم، موطن قدومهم إلى المغرب .

الفصل الثالث: البربر أصلهم وشخصيتهم.

أشار الكاتب إلى موطن البربر الأول وسبب انتقالهم إلى المغرب، فذكر أنّهم كانوا في الشام (مع أبناء عمهم فلسطين)، انتقلوا للمغرب بسبب الحروب والفتن التي جرت بين أبناء العمومة وكان ذلك في العصر الحجري وقبل ميلاد المسيح عيسى عليه السلام لمدة لا تقل عن ثلاثين قرنا ونقل هذا من كتاب البربر للأستاذ عثمان الكعاك ووصفهم بالجنس الكريم، ازدهرت بهم البلاد ويعود أصلهم إلى أبناء مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام ونفى أن يكونوا من أبناء يافث كما يدّعي المستعمرون، ولا من أبناء سام كما ادّعى الكثير منهم، ونقل هذا عن بن خلدون في كتابه العبر " الجزء السادس

"، ثم تطرق إلى سبب تسمية الأمازيغ بربرا وقال : أنّ كلمة الأمازيغ تعني الأشراف، أمّا العرب فقد أطلقوا عليهم البربر لسببين :

1/ لغة البربر التي لا يفهمها العرب.

2/ نسبهم إلى جدّهم بربر بن تملأ بن مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام .

جعل عنوانا في أعلى صفحة جديدة " أقسام البربر": ينقسم البربر إلى فرعين عظيمين هما البرانس والبتر .

1/ البرانس : نسبة إلى برنس .

2/ البتر : هم أبناء مادغيس ويلقب بالأبتر .

وهما أخوان من نسل مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام، وبعدها ذكر أقوال ابن خلدون في المسألة في كتابه العبر، فذكر أنّهم أمّة واحدة ذات أصل واحد امتنّ الله عليهم بالإسلام واختلطوا بالمسلمين الفاتحين الأولين وبمن انتقل إليهم من القبائل العربية وهذا نتج عنه أن صار المغرب إسلاميا آخى بين الشعوب بمزيج من الدماء البربرية والعربية وقال بأنّ البربر هم الشعب الوحيد الذي رحّب بالشعب العربي المسلم .

ذكر في العنصر الموالي والذي عنونه بمواطن الشعوب البربرية في المغرب الكبير، فوجد أنّه من الصعب تحديد أماكن الشعوب

البربرية في المغرب خاصة بعد الفتح الإسلامي مبررا ذالك بأنّ كل الشعوب كانت أمّة واحدة فاختلطت المدن والقرى، مثل زناتة وهوارة وصنهاجة ونفوسة، قال بأننا نراها في المغرب الأدنى في طرابلس ثمّ نجدها في المغرب الأوسط أي الجزائر، وفي المغرب الأقصى أيضا .

قسّم الكاتب البربر إلى مدنيين يسكنون القرى، يبنونها حسب طبيعة المكان بحيث تقاوم الحر والبرد والرحّل الذين يسكنون الخيام المصنوعة من الوبر والصوف، أمّا لباسهم فاشتهرت القشّابية المعروفة في المغرب إلى وقتنا الحالي وضرب مثالا بالمجاهدين في الثورة الجزائرية الذين كانوا يلبسونها ويفضلونها على السترة العسكرية الأوربية لمزاياها، بالإضافة إلى البرنس الذي يكسب صاحبه مهابة فأهل الجبال يميلون إلى القشابة وأهل الصحاري إلى البرنس، أمّا المرأة فكانت ترتدي في كل الفصول (الحايك) الذي لازال إلى اليوم في ليبيا وجنوب تونس وفي وادي مزاب جنوب الجزائر .

وصف الكاتب لغة البربر بالممتازة، حيث لازال يتكلم بها الثلث من سكان المغرب الكبير اليوم وهي قريبة من لغة قدماء المصريين، وهي لغة سلسة مرنة من خصائصها الابتداء بالساكن عكس اللغة العربية وذكر بعض المفردات مثل:(تزليت) والتي تعني الصلاة ففيها الاسم والفعل والحرف كالعربية تماما إلّا أنّ اللهجات تختلف من منطقة إلى أخرى كاللهجة الميزابية التي أحبوها وتمسكوا بها كغيرهم .

أمّا دينهم فهو وثني جاءوا به من الشرق، وكانوا يعتقدون وجود إله يدبر هذا الكون يتجلى لهم إلههم في المظاهر لذلك يعبدونها واسم (آمون) الذي يظهر في الكبش الأقرن وبعض الحيوانات الأخرى والكواكب كالمصريين تماما، ومن معتقداتهم كره ضرب القط ...الخ، والقرابين، ثم انتشرت المسيحية في البربر كما دخلت المغرب وكذلك اليهودية، ولمّا جاء الإسلام آمنوا به وكانوا أكثر تمسكا به قولا وعملا .

أمّا نظامهم الاجتماعي كان بسيطا بحيث لا ملوك ولا أمراء، فكل قرية تحكم نفسها عند مجلس فيه رئيس و أعضاء ينتخبون (نظام يدل على الديمقراطية وحب البربر للحرية)، وبعد ذلك أصبحوا ممالك وصار لهم ملوك نتيجة الحياة المعقدة التي كانوا يعيشونها، فالقرطاجيون هم أوّل من أخرج البربر من البداوة إلى الحضارة .

أشار الكاتب إلى الأسرة البربرية ومكوناتها، حيث كانت متماسكة احترمت فيها المرأة ومجدت كل تمجيد ولا تزال إلى اليوم في كل المغرب .

أمَا عن شخصية البربر، فالبربري جميل الخلقة وقوي البنية ذو وجه معتدل، فبدأ بوصف الجسد (البشرة والشعر والطول)، ثم انتقل إلى الحديث عن أخلاقهم فهم شعب كريم وشجاع كالعرب تماما وهم يحبون النظام ويكرهون الفوضى ويتمسكون بشخصيتهم

وتقاليدهم الحسنة .

الفصل الرابع: الدولة البونيقية 814 – 146 ق. م.

بدأ الكاتب حديثه عن الفنيقيين وحضارتهم العريقة فهم أول من مسح عن البربر بداوة العصر الحجري، أمّا أصل التسمية فهو يعود إلى وطنهم فنيقيا وهي قطعة من الشام وهم أمة سامية من ولد كنعان بن عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام فهم إخوة العرب، كانوا بارعين في التجارة وبناء الأساطيل والمراسي البحرية التي لاتزال شاهدة إلى اليوم عن تلك الحضارة، أمّا لغتهم فهي لغة سامية هي أخت العربية والعبرية، أمّا دينهم فهم كالبربر يعبدون أشياء كثيرة، منها الشمس ويسمونها بعل وهو أكبر آلهتهم، كانت لهم علاقة طيبة مع البربر، تسمى عاصمة الفنيقيين صور انتقلوا إلى المغرب لما رأوا فيه من مقومات .

إنّ تمسك البونيقيين بدينهم الوثني الذي ورثوه من أجدادهم، وذلك باعتقادهم وجود إله خالق لهذا الكون ومدبره يرمزون إليه بتماثيل يقدسونها ويقربون إليها مختلف القرابين، بالإضافة إلى عبادتهم إله البربر (عمون)، ومن آلهتهم بعل حمون وتانيت بينيبعل وملقراط واشمون، فدينهم سبب قوتهم، فانعكس هذا التدين على جوانب اقتصادية واجتماعية، ازدهرت البلاد خاصة في التجارة والصناعة والفلاحة وحتى العمران وبعض العلوم، أمّا حضارتهم والتي

ورثوها من أصلهم وهي الحضارة الفينيقية إضافة إلى اختلاطهم بالأمم الأخرى جعلهم في حال عظيمة من الرّقيّ والجمال، فحجّ إليهم عشّاق الحضارة والرفاهية من أمم كانت سبّاقة في الحضارة كالإغريق والرومان أمّا لغتهم فهي لغة الفينيقيين مضافا إليها الكثير من الكلمات البربرية ولهجتها، فألفوا الكتب ولعلّ من أبرزها كتاب (ماقون) في الفلاحة والذي ترجمه الرومان وعملوا به، واعتبر الكاتب أنّ الأدب كان ضعيفا في اللغة البونيقية من وجهة نظره لأنّهم كانوا يحبون التجارة والصناعة التي شغلتهم أكثر من غيرها، ويرجع الكاتب أسباب ضعف البونيقيين إلى حب المال وعكوفهم على جمعه ما جعلهم ينغمسون في البذخ والملاذ .

الفصل الخامس: الدول البربرية الكبرى(240 ق.م ـ 40م)

تحدث الكاتب عن تمسك البربر في عهودهم الأولى بنظام اللامركزية وحبّهم للحرية، فقد استمروا قرونا على نظام القبيلة، ولاختلاطهم بالدولة البونيقية جعلهم يتطلعون إلى الحضارة والخروج من البداوة، فكانت نوميديا الشرقية سبّاقة إلى الرقي والتقدم من جهات المغرب الأخرى (موريطانيا الشرقية وملكها صيفاقس، موريطانيا الغربية وجبتولية).

يشير المؤلف إلى دعاوى المؤرخين الأوربيين الباطلة واحتقارهم للدول البربرية القوية وزعمهم أنّ الرومان استولوا على المغرب كلّه

خلال الحروب البونيقية الثانية، يتصرفون في أمره ويولون على عروشه من يشاءون، في المقابل تجاهل هؤلاء الدول البربرية الكبرى، وكأنّ المغرب استسلم للرومان، وأنّ البربر أمّة ضعيفة لا شأن لها، ولا يذكر هؤلاء أنّه وبعد وفاة فرمينة حوالي سنة 158 ق.م توحدت نوميديا وموريطانيا الشرقية ضدّ الرومان وجعلوا من مصينيسا ملكا عليهم لينقذ المغرب كله من الرومان الذين يزرعون الفتن في البلاد ويريدون احتلالها .

أشار المؤلف إلى موقع نوميديا والتي كانت مجاورة لإفريقيا حيث نشأت دولة البونيقيين، وكانت عاصمة النوميديين هي مدينة قرطة (قسنطينة)، وتسمى أيضا سيرتا نشأت في القرن الثالث قبل الميلاد، وبها العديد من الممالك منها مملكة نار فاس الكتامي وهو من زعماء النهضة في نوميديا ومملكة غولة بن نار فاس الذي سعى إلى توحيد المغرب ولم يفلح في ذالك إلّا أنّ ابنه ماصينيسا حقق أمنية أبيه بعد وفاته، لكنه لم يخلفه في الملك بل صار الملك لعمّه دلقاص لأنه هو الأسَنّ ثمّ ابن عمّه قابوصة وفي الدرجة الثالثة مصينيسا .

وصف الكاتب الفوضى في نوميديا بعد وفاة الملك غولة، ونتج عنه ظهور العديد من الثورات كثورة مزوطيل الذي استولى على الملك، وفي أثناء رجوع مصينيسا من الأندلس قضى على مزوطيل وأتباعه رغم دعم هذا الأخير من طرف صيفاقس، ليتولى القائد العظيم مصينيسا

الحكم بين 202 – 148 ق.م، يوغرطة بن منستابعل 119 – 104 ق.م.الذي وحد يوغرطة الممالك البربرية، واعتنى بالجيش والأسطول وبكل ما يسعد الدولة ويقويها، وبعدها تولى يوبا الأول ثم يوبا الثاني الذي تولى الحكم في نوميديا الشرقية، وبعدها نوميديا الغربية والموريطانيتين الشرقية والغربية.

الفصل السابع: ولاية بطليموس

بعد وفاة يوبا الثاني خلفه ابنه بطليموس، سمّاه أبوه اسما إغريقيا دلالة على تأثر يوبا الثاني بالحضارة الإغريقية فثار عليه البربري الغيور على قومه تقفاريناص، الذي كان ينبذ الرومان وأتباعهم رغم أنّه كان جنديا رومانيا إلاّ أنّ غيرته على المغرب جعلته يدخل في حروب معهم إلاّ أنّه لقي حتفه وانتهت ثورته، وبالرغم من أنّ بطليموس كان سببا في القضاء على هذه الثورة إلاّ الإمبراطور الروماني بقاليقولا عزم على قتله وجعل حكم المغرب مباشر فحيكت ضده مؤامرة من أجل التخلص منه في حفلة في روما، حيث استدعي لها ثمّ سجن وقتل سنة 40 ق.م فاستولى الرومان على الموريطانيتين، الشرقية سميت قيصرية والغربية الطنجية، واصل بعض البربر حروبهم وثوراتهم على الرومان إلاّ أنّها لم تغير من الواقع شيئا، فكان بطليموس هو آخر بربري يحكم في المغرب .

الفصل الثامن : الممالك البربرية في موريطانيا الغربية (125 ق .م . 23م)

نشأت الممالك البربرية في موريطانيا الغربية شمال المغرب، وكانت عاصمتها طنجة، وأول ملوكها هو بوكار الذي مدّ مصينيسا بجند لإخماد ثورة مزوطيل سنة 206 ق.م، ثم تولى الملك بوكوس الأول سنة 114 ق.م، هذا الأخير الذي غدر بيوغرطة وسلّمه للرومان، وبعد وفاته اقتسم ابنا بوكوس مملكته ...، ويصف لنا الكاتب أنّ كل هؤلاء الملوك ما عدا بوكار جبناء ذوي أطماع وحسد لجيرانهم وهذا ما ساهم في انقراض الدولة البربرية الكبرى.

الفصل التاسع : أسباب انقراض الدولة البربرية الكبرى

يتحدث المؤلف عن أسباب انقراض الدولة البربرية الكبرى التي عاشت نحو ثلاثة قرون حين كانت تعيش الهدوء والهناء الطويل، والانغماس في الملاذ والشهوات ما انعكس سلبا فيما بعد، إلاّ أنّ هذا لم يمنع من وجود فترات عز وقوة تمجد البربر كفترة مصنيسا و يوغرطة، أمّا السبب الرئيسي في ضعفها وانقراضها هو تحاسد أبنائها كما عرجنا عليه سابقا، ويحدد المؤلف عمر الدولة البربرية كدولة مستقلة استقلالا تاما عن الرومان هو 194 سنة من سنة 240 ق.م على سنة 46 ق.م .

الفصل العاشر : العهد الروماني في المغرب

يبتدئ العهد الروماني من سنة 146 ق.م وينتهي في سنة 430م، يشبّه الكاتب الرومان قديما على أنّهم كانوا كأمريكا أو روسيا في هذا الزمان، فقد استعمرت الأمة الرومانية كل من جاورها من الدول، وكل من سكن البحر الأبيض المتوسط من الشعوب، فهم أمة لا يتحاسد أبناؤها ولا يتنازعون فبهذا الاتحاد تغلبوا على شعوب كانت أكثر منهم عددا وأقوى في الشجاعة, وأمهر في الفروسية .

تعددت دوافع الرومان إلى احتلال المغرب، لعلّ أبرزها محاولتهم منع نشوء دولة قوية تزاحمهم في البحر الأبيض المتوسط، فتمكنوا من الاستيلاء على افريقية خلال العهد الجمهوري في سنة 146ق.م، وعلى نوميديا في سنة 46 ق.م في أواخر عهد الجمهورية، وموريطانيا الشرقية والغربية سنة 33 ق.م، واستعصت عليهم جيتولية وهي الصحراء التي كان دائما ما يفر إليها أبطال البربر كيوغرطة الذي اتعب الرومان بحرب العصابات وتموقعه في الصحراء.

اعتمد الكاتب على مرجع مدينة المغرب العربي للأستاذ أحمد صفر ليصف لنا نظام الرومان السياسي والإداري في المغرب، فقد قسّم الإمبراطور قيصر أغسطس العالم الروماني إلى قسمين من الولايات : الولايات السيناتورية والتي منها افريقية وساحل طرابلس لأنّها احتلت في العهد الجمهوري والولايات الإمبريالية والتي منها نوميديا

والموريطانيتان، وقد قسّم الرومان المغرب إلى أربعة أقسام هي، افريقية ومعها ساحل طرابلس إلى سرت وسموها البروقنصلية وعاصمتها عوتيقة، وتغيرت العاصمة إلى قرطاجنة لمّا جددوا بنائها في سنة 120 ق.م، وإلى نوميديا التي كانت عاصمتها تتغير بحسب الأحوال السائدة فيها، وكانت في الغالب قرطة وإلى موريطانيا القيصرية وهي الشرقية وعاصمتها يول أو شرشال، وإلى موريطانيا الطنجية وهي الغربية وعاصمتها طنجة .

يتحدث الكاتب عن حكم الرومان للمغرب وأنّه كان عسكريا إلاّ أنّ الإدارة كانت حكيمة، حيث ينقل عن الأستاذ صفر قوله : أنّ النظام الإداري يمتاز بصفتين أولهما المرونة، والثانية إشراك الأهالي في الأمور الإدارية، ثم يعرج بنا الكاتب إلى الحديث عن الحاميات العسكرية في بلاد المغرب من حيث العدد والفرق والأسطول وغير ذلك من الأمور العسكرية التي أولى لها الرمان الأهمية القصوى، لأنّ البربر يكرهونهم ويعتبرونهم محتلين غاصبين لأرضهم .

كان البربر قبل احتلال الرومان لبلادهم يعيشون أغنياء، فكانت أراضيهم زراعية بامتياز وهي أكبر باب لثروتهم وكانت أراضي المغرب في القديم تنقسم إلى قسمين، أراضي أميرية وأراضي القبائل البربرية، وعند استيلاء الرومان على بلاد البربر أصبح هؤلاء عبيدا في أرضهم فأثقلوا بالضرائب وسخروا في الفلاحة والأعمال الشاقة ومنهم من جنّد إجباريا في الجيش الروماني .

تناول الكاتب أيضا مسألة غاية في الأهمية، وهي تسامح الرومان الديني في البداية واحترامهم دين البربر وأوثانهم التي يعبدونها، وبعد ظهور الدين المسيحي الصحيح الذي يدعو إلى العدل والمساواة والأخوة، فانتشر في كثير من أنحاء العالم، ووصل روما ومنه إلى المغرب في القرن الثاني الميلادي اعتنقه البربر خاصة سكان المدن الذين رأوا فيه أنّه وسيلة للتخلص من ظلم الرومان ،وهذا ما دفع بهؤلاء لمحاربة المسيحية التي أصبحت خطرا يهددهم، ولكن ذالك لم يدم طويلا بمجيء قسطنطين المسيحي الديانة واعتلائه عرش روما سنة 312 فأصبح دين الدولة الرومانية هو المسيحية، ولكن العجيب في الأمر هو البربر نبذوا المذهب الأرثوذوكسي الكاثوليكي واعتنقوا المذهب الدنتوسي الذي يخالفه، حيث نشأ هذا المذهب في أول القرن الرابع في شمال أوراس، كان الغاية منه تحرير المغرب فدخل البربر في معارك طاحنة مع روما، ولماّ جاء نور الإسلام فاعتنقه معظم البربر لسماحته وكانوا أكثر تمسكا به من الأمم الأخرى، وأيضا كانت الديانة اليهودية موجودة في المغرب سيما في جبال آوراس، من أجل معاكسة دين المستعمر، أماّ بالنسبة لتأثر البربر بلغة الرومان وأدبهم وحضارتهم فقد نبذوها إلّا القليل منهم بحكم المعاملات والاختلاط بالرومان .

الفصل الحادي عشر : عهد الوندال في المغرب (430م ـ 534م)

يعود أصل الوندال إلى القوط وهم أبناء عمومة الجرمان النازحين من

شمال أوروبا، كان استقرارهم في جنوب الأندلس، وكما رأينا أنّ سبب قدومهم إلى المغرب لمّا استعان بهم الوالي بونيفاس لمّ ثار على ملكة روما بلاصيديا في سنة 427، ملكهم يدعى جنسريق وهو مؤسس دولة الوندال، أمضى معاهدة مع روما حين تولى الملك في نوميديا الشرقية تعهد فيها ألا يتجاوز حدود طبرقة، ولكنّه كان ينتظر الفرصة للانقضاض على الرومان وإخراجهم من المغرب بمساعدة البربر الذين يسعون إلى نفس الغاية فكان لهم ذلك، وتمكن الملك الوندالي من احتلال روما فأصبح الوندال يحكمون المغرب كله واستحسن البربر سياسة جنسريق خاصة عدم تدخله في شؤون البربر الداخلية وقلل من الضرائب، فانتفع الناس بذلك، إلى أن توفي الملك جنسريق سنة 477 م، وبعده لم يسلك أبناؤه وأحفاده الذين ورثوا ملكه طريقة، فتوالت الثورات عليهم، ما جعل البربر يقومون بإنشاء ممالك كمملكة هوارة ولواتة في شرق طرابلس ومملكة آلطاوة وصافار في جبال تلمسان وقد أنعشت هذه الممالك الأمة البربرية وصار شعارها أرض البربر للبربر وواصلت الممالك البربرية الجديدة حروبها على الوندال من أجل استعادة المغرب، وهذا ما تحقق في سنة 534 م .

الفصل الثاني عشر : العهد البيزنطي بالمغرب (534م ـ 647م)

البيزنطيون هم امتداد للرومان لا يفرق بينهما إلّا اختلاف العاصمة، ويشير الكاتب إلى قول المؤرخ الكبير ه.أ.ل.فشر الذي يعتبر

قسطنطين ابنا غير شرعي لضابط روماني، فلمّا مات أبوه تولى هو حكم الإمبراطورية الرومانية سنة 360م، كان غيورا على الدولة فأراد إصلاحها وإنشاء عاصمة جديدة تنسب إليه كما تنسب روما إلى روملوس، والإسكندرية إلى الإسكندر فاختار بيزنطة عاصمة له لأنّها تتوسط بين الشرق والغرب فسميت القسطنطنية .

من المؤكد أنّ ثورات البربر أضعفت الروم ولكنّها لم تستطع إخراجهم نهائيا من المغرب، ولكنّ هذا الضعف كان في صالح المسلمين الفاتحين الأولين لإفريقيه، ولولا انضمام البربر النصارى إلى جرجير لاستطاع عبد الله بن سعد أن يقضي على الروم في مدة وجيزة.

لقد كان فتح مصر من طرف القائد عمرو بن العاص سنة 20ه بداية انطلاق لفتح بلاد المغرب وطرد الروم منها فكان فتح برقة وطرابلس على التوالي في سنتي 22 و 23 ه، كان قائد الرومان في هذه الفترة هو جرجير الذي جمع جيشا كبيرا من الروم والبربر فصوّر لهم بأنّ المسلمين محتلين يجب التصدي لهم، ولكن القائد البطل عبد الله بن سعد تمكن من الانتصار عليهم وقتل جرجير في سنة 28 هجرية، وأعاد سيدنا حسان بن النعمان فتح بعض الحصون وجحور الروم.

نقد الأفكار والأسلوب:

- يعتبر الكتاب المدروس مرجع هام بالنسبة لتاريخ المغرب القديم، إذ جمع فيه المؤلف جملة من المراحل التاريخية الهامة في بلاد المغرب.

- اعتمد منهجه على الأسلوب الأدبي والفلسفي البسيط، حيث زاوج فيه بين الأدب والتاريخ ما جعل التوصيف غير مخل.

- اتبع المؤلف طريقة التتبع الزمني للغزو الاستعماري و اقتصر على أحداث الغزو و المقاومة أي الفعل و رد الفعل، والتفصيل في الكثير من ثورات البربر المهمة .

- يعاب على المؤلف عدم اهتمامه بتقنية التهميش في توثيق المادة العلمية بشكل واسع، بالإضافة إلى اعتماده على عدد قليل من المراجع.

- عدم وجود خاتمة للكتاب و هو خلل من الناحية المنهجية، بالرغم من أنّه يجعل لكل فصل خلاصة وخاتمة الكتاب بأجزائه الثلاثة موجودة في الجزء الأخير منه.

- اعتمد المؤلف على تجزئة الموضوع إلى عناوين رئيسية و أخرى فرعية لتسهيل وتقريب الفهم والتوضيح.

- اختلاف في التسمية روما إذ يكتبها أحيانا "رومة " كما هو الحال في الصفحة 364.

- في نهاية كل عنصر أو فصل يضع خلاصة له، وبعدها مباشرة يطرح سؤال عن العنصر أو الفصل الموالي كي يجيب عنه، وينتقل من الكل إلى الجزء، فيشعر القارئ بالتناسق في الموضوع وتتبع الأحداث، وهذا أسلوب بديع وشيق، يجعل القارئ لا يمل .

- اعتمد المؤلف على خريطة واحدة وهذا غير كاف لمثل هذه مواضيع، بالإضافة لعدم إدراج جداول إحصائية توضيحية لكثير من المعلومات والأرقام التي ذكرها، مع أنه ذكر العديد من الصور لأبطال البربر أو الآثار التي لازلت شاهدة على تلك الحقبة وهذا مهم .

- لم يتغاض المؤلف عن الدعاوى الباطلة من بعض المؤرخين الأوربيين ومن سار على نهجهم من المغاربة في كثير من المسائل التي حاولوا من خلالها تشويه هذا التاريخ المجيد، وفي نفس الوقت يدحضها بالأدلة، وهذا يدل على أنّ الكاتب كان واسع الإطلاع .

- أعطى الكاتب مساحة كبيرة للتكلم عن أصل البربر وعلاقتهم بالعرب ببلاد المغرب ،لأنّ هذه المسألة متجددة دائما ما يكثر النقاش عنها خاصة في الجزائر والمغرب العمومي، وهذا له دلالة كبيرة تنم عن بعد النظر عند المؤلف.

أهمية و قيمة الكتاب:

ـ اجتمعت في الشيخ محمد علي دبوز مجموعة من الصفات جعلته

علما من أعلام الجزائر .

-الكتاب هو إضافة و إثراء للمكتبة المغاربية والعربية عموما فيما يخص التاريخ المغاربي القديم.

- ركّز المؤلف على الجانب السياسي والعسكري بالدرجة الأولى في هذه الدراسة حيث أنّه تطرق إلى ثورات البربر وذكر العديد من الثوار البربر الأبطال الذين واجهوا الاستعمار الروماني والوندالي والبيزنطي لفهم أسباب الهزيمة و التي تكمن في عدم إتحاد هذه الثورات إلّا أنّه لم يهمل الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والدينية وبدرجة أقل الثقافية، فالكاتب جمع كل هذه الفترة في كتاب واحد.

- رغم أنّ المساحة الزمنية للدراسة واسعة جدا، من العصر الحجري إلى الفتح الإسلامي و مع أنّ المساحة المكانية هائلة و هي شمال إفريقيا، لذا فقد تميز الكتاب بالتركيز الشديد لكي يستطيع القارئ استيعاب الأحداث على امتدادها الشاسع في حيز كتاب واحد.
. كان مؤرخا موهوبا, أولى اهتماما بالغا لدراسة تاريخ المغرب الكبير، فهو ابن الجزائر البار الذي دافع بالقلم والعلم عن هذه الأمة البربرية المسلمة الجزائرية المغاربية من خلال التنقيب عن الحقائق التي حاول الأوربيون ومن سار على نهجهم تشويهها والانتقاص من هذا التاريخ المجيد، وفي هذا يقول الأستاذ محمد ناصر بوحجام " إنّ شيخنا حسب رأيي قد وفق إلى حد بعيد في رسم الطريق لمن يأتي بعده كي

يسير في نهجه ... ويربط الأجيال بالناصع من تاريخهم حتى يعتزوا بشخصيتهم التي حاول الاستعمار طمسها " [1] .

ويقول الأستاذ الكبير محمد عطية الإبراشي " والحق أنّ الكتاب بأجزائه الثلاثة ليس في حاجة إلى من يقدمه فمادته غنية كل الغنى تدل على سعة الإطلاع وتعمق في البحث وراء الحقيقة للوصول إلى الحق والحق وحده، كما تدل على المجهود الكبير الذي بذله في تأليفه وتخليصه من الأكاذيب التي دسها الكتّاب من المستعمرين ..."[2] .

ويقول أنور الجندي " تعد موسوعة تاريخ المغرب الكبير من الأعمال الكبيرة الدالة على قدرة الجزائريين في ميدان الفكر كقدرتهم في ميدان الحرب، حيث يقوم مؤرخ باحث كالأستاذ دبوز بكتابة أكثر من خمسة آلاف صفحة مستعرضا فيها تاريخ هذه الأجيال مراجعا كل ما كتب في هذا الصدد كاشفا عن عشرات الحقائق التي شوهها المؤرخون والكتاب..."[3] .

وأثنى نور الدين حاطوم على الشيخ دبوز فيما يخص كتاب

---

[1] محمد بن قاسم ناصر بوحجام، مفهوم التاريخ عند محمد علي دبوز، جمعية التراث، القرارة، الجزائر، (د. س)، ص 26.

[2] محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، ج1، ط1، عالم المعرفة، الجزائر، 2013، ص 05.

[3] أنور الجندي، مفكرون وأدباء من خلال آثارهم، دار الرشاد، بيروت، (د.س)، ص 248.

تاريخ المغرب الكبير بقوله : " ... ولعل ما يقال في الأستاذ دبوز أنّه من السباقين الأوائل إلى عرض تاريخ المغرب الكبير كوحدة تامة لها ظروفها ومقومات حياتها ...فإنّ أقل ما يمكن أن يقال في هذا الصدد أنّ الأستاذ دبوز كان شجاعا في تأليفه وانطلاقه وهو يستحق كل ثناء وتقدير على هذا الفتح الذي فتحه في تاريخ المغرب العربي وتعريف أبناء العروبة والإسلام "[5].

- كما أثنى العديد من العلماء والباحثين المعاصرين وغير المعاصرين للشيخ محمد علي دبوز على مسيرته العلمية الحافلة من خلال آثاره التي تبقى شاهدة على أحد كبار أعلام الجزائر .

خاتمة:

ومن خلال ماسبق عرضه يمكن استخلاص ما يلي :

ـ إن شخصية الشيخ محمد علي دبوز المؤرخ فريدة من نوعها في الطرح من خلال منهج جديد تميز به عن غيره من المؤرخين مزج فيه الأدب بالتاريخ ما جعله مدرسة قائمة بحد ذاتها ينهل منها طلبة العلم ويقتبسون من معانيها الأصيلة التي تتمسك بكل ما هو أصيل وتتطلع إلى مستقبل مشرق.

ـ لقد آمن محمد علي دبوز المؤرخ بفكرة وحدة المغرب العربي

[5] نور الدين حاطوم، تاريخ الجزائر على ضوء جديد، مجلة الجندي، ع 754 ـ 755، الثلاثاء 12 تموز 1966، ص 22.

وشخصية البربري المسلم المغاربي الذي يعيش جنبا إلى جنب مع أخيه العربي منذ القدم، دافع عن ثوابت ومقومات هذا الوطن ودحض الأباطيل والإدعاءات المغرضة من بعض المؤرخين الأوربيين ومن تبعهم من المغاربة الذين حاولوا أن يفرقوا بين أبناء الأمة الواحدة وهو ما تجلى بوضوح في هذا الكتاب.

ـ كان العلامة محمد علي دبوز مخلصا لوطنه ويعتز بالانتماء إليه ولشهدائنا الأبرار وللمغرب العربي ككل ولأجل ذالك وهب نفسه للعلم والفكر الذي به تنهض الشعوب والأمم .

قائمة المصادر والمراجع

1) بابا عمي محمد بن موسى وآخرون، معجم أعلام الإباضية (من القرن الأول الهجري إلى العصر الحالي)، الجزء الثاني، عالم المعرفة الجزائر،2009م .
2) بوحجام محمد بن قاسم ناصر، مفهوم التاريخ عند محمد علي دبوز ،جمعية التراث، القرارة الجزائر.
3) بيوض إبراهيم، حياة وآثار الشيخ محمد علي دبوز، عالم المعرفة، الجزائر، 2013.
4) الجندي أنور، مفكرون وأدباء من خلال آثارهم، دار الرشاد، بيروت.
5) حاطوم نور الدين، " تاريخ الجزائر على ضوء جديد " مجلة الجندي، عدد 754 ـ 755، (الثلاثاء 12 تموز 1966).

6) دبوز محمد علي، تاريخ المغرب الكبير، الجزء الأول، الطبعة الأولى، عالم المعرفة، الجزائر، 2013.
7) شترة خير الدين، معجم أعلام الجزائر خريجي الجامع الأعظم بتونس، الجزء الثالث منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2015م
8) ناصر محمد صالح، مشايخي كما عرفتهم، دار ريام، الجزائر، 2008.
9) الواهج يوسف، " في ذكرى العالم الجليل والمؤرخ محمد علي دبوز، جريدة الحوار، عدد 720، (يوم الثلاثاء 28 ديسمبر 2010م)، ص 20.

الشيخ محمد علي دبون والتأريخ للحركة الإصلاحية بالجزائر ووادي مزاب

د. بالحاج ناصر
جامعة باتنة1

ملخص:

يعتبر الشيخ محمد علي الدبوز أوّل من شرع في التأريخ للحركة الإصلاحية بوادي مزاب، حيث نقل بدقّة دوافع "النهضة" أو "الحركة الإصلاحيّة" في الجزائر عموما ووادي مزاب تحديدا، حيث تطرّق إلى العوامل الداخليّة وكذلك الخارجيّة التي أدّت إلى بروز المصلحين.

سنحاول في هذه المداخلة الوقوف على أهمّ تلك العوامل كما نقلها الشيخ الدبوز، وكذلك سنحاول الوقوف على أبعاد الحركة الإصلاحية الاجتماعيّة، الثقافيّة، والسياسيّة، دائما من خلال كتابات الشيخ باعتباره أحد أعلامها ومن أقرب المصادر إليها، كما سنسعى إلى طرح بعض الأسئلة التي يفرضها البحث اليوم عن تاريخ الإصلاح بوادي مزاب.

مقدمة:

عاد الشيخ الدبوز إلى أصول الحركات الإصلاحية في تاريخ الجزائر في القديم والحديث ثمّ المعاصر، حيث توقّف عند محطّات التجديد والثورة في تاريخ الجزائر كلّه، وصولا إلى النهضة الفكريّة والاجتماعيّة التي قام بها المصلحون في مطلع القرن العشرين، ليقف مطوّلا عند دور العوامل الداخليّة والخارجيّة في ظهور الحركة الإصلاحيّة، وهو ما ركّزنا عليه في هذه المداخلة مع التطرق إلى أبعاد النهضة في المجالات الثقافيّة-الاجتماعيّة والاقتصاديّة، ثم السياسيّة.

كما ربط الشيخ محمد علي دبوز الإصلاح بالنهضة التي شهدتها الجزائر في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية على الخصوص، فلم يكن من سبيل إلى تحقيق هذه النهضة دون القيام بالإصلاح حيث يقول في هذا الشأن: "والنهضة بِنت الإصلاح وثمرته (...) وإذا قلنا النهضة قلنا الإصلاح" (دبوز، 2013 أ، ج1، ص7).

- **دوافع "النهضة" و"الإصلاح" في الجزائر عموما ووادي مزاب خصوصا:**

يقول الشيخ الدبوز ما يلي: "وقد توسّعتُ في العوامل التربوية التي كوّنت عبقريّة أعلام الإصلاح في الجزائر وخلقهم العظيم، لأنّ التاريخ للقدوة الحسنة والموعظة والمعرفة، فإذا خلا من هذه فهو قشور لا نفع فيه، وكلام غثّ لا فائدة منه، إنّ الحديث عن العوامل

التربويّة العظيمة التي كوّنت الشخصيّة العظيمة في أعلام الإصلاح من أهمّ ما يجب أن يعتني به المؤرّخ لهم، لأنها أسرار خفيّة تنسى، لا يستطيع الاهتداء إليها جميع الناس وإن كانوا علماء. أمّا جهادهم فخالد في آثارهم المرئيّة فيستطيع هذا الزمان والأجيال المقبلة أن تعرفه. ثم إن بيان العوامل التربويّة التي كوّنت أعلامنا هو الذي يجعلنا نأخذ بها فيكون لأمتنا دائما مثلهم" (دبوز، 2013 أ، ص15).

دراسة عوامل نجاح نهضة الآباء والأسلاف ضروريّ لفهم أسباب النجاح في أيّة حركة نهضويّة تُراد، لأنّ النجاح يُقاس بحسب الظروف التي كان فيها العمل: "إنّ زماننا أكثر علما وغنى، ولكن أجدادنا على ضعفهم في هذه أحسن منّا في الأخذ بالتربية الإسلامية في أولادهم، فاستطاعوا أن يحققوا للأمة ما لم نستطع" (دبوز، 2013 أ، ص15).

فسّر الشيخ الدبوز الركودَ الذي أصاب الجزائر والبلاد المغاربية ككلّ بالتعب من العمل الذي قامت به في بناء الدول بدءا من الدولة الرستمية ووصولا إلى الدولة الزيانية ومعاصرتيها الحفصية والمرينية، حتى "ابتدأ النوم يخامر جفونها، وبدا عليها ضعف الشيخوخة، فطمعت فيها أروبا الصليبيّة الناهضة" (دبوز، 2013 أ، ص15).

ثم يذكر الشيخ دور العثمانيّين في تحرير السواحل المغاربية عموما والجزائرية خصوصا حيث يقول: "ولكن الله أتاح للجزائر

والمغرب دولتنا العثمانيّة الإسلاميّة العظمى في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، فبسطت جناحها الحنون على الجزائر والمغرب وتونس وليبيا، فجددت شباب الجزائر والمغرب، فدحر أعداء دينه. وطهّر شواطئه منهم فاستأنف بناءه وسيره، في طريق الحضارة الإسلاميّة الزاهرة، وعاودته في ظل دولته العثمانية المباركة الميمونة أيامه الغرّاء، وعهوده السعيدة، فصارت الجزائر دولة قويّة زاهرة. بدينها وعلمها وأخلاقها الإسلاميّة العظمى. فكالت الضربات القاصمة لأعدائها الصليبيّين، ولبست شبابها الجديد بفضل العثمانيّين الأقوياء الميامين الذين لابسوها مُلابسة الربيع للشجرة الذابلة فتورق وتزهر، وكان للعثمانيّين خيرا وبركة للجزائر والمغرب والأمم الإسلامية كلها، فلولاهم لنال الصليبيون العتاة فيها أغراضهم وجعلوها أكلتهم".

لم يتوقّف الشيخ عند محاسن وأفضال العثمانيّين على الجزائر مثلما كان دأب كتاب المدرسة الوطنية الذين مجّدوا العثمانيين وتجاوزوا عن سلبيّاتهم والمآخذ على سياستهم في البلاد، بل تطرّق كذلك إلى مساوئ حكمهم وركود البلاد في عهدهم، ممّا هيّأ للاستعمار أسباب الاستيلاء على البلاد.

اعتبر الشيخ الدبوز أنّ ما زاد من حالة البلاد المتخلّفة هو دور الاستعمار في التجهيل وقتل أسباب الإصلاح، حيث "أضعف الدين في النفوس ونشر الفساد في المجتمع، وعمد إلى العقيدة الإسلاميّة التي هي أصل الدين في النفوس فأفسدها بشتّى وسائله، بتجهيل

الناس، وغلق المعاهد العلميّة، ومنع العلماء الصالحين من الوعظ في المساجد، ومطاردتهم وعزلهم لكي لا يؤثّروا في العامة، وينشروا عِلمهم وصَلاحهم في المجتمع".

ومن جهة أخرى ركّز الشيخ على الدور السلبي الذي لعبه بعض الطرقيّين الذين كانت إدارة الاحتلال تشجّعهم، حيث: "أعان الاستعمار الصليبي المفسدين (والمرابطين الجهلة) شيوخ الطرق الصوفيّة الضالّة المدجّلين بكل الوسائل لتكون العامة في قبضتهم، يفسدون عقيدتها الدينية، ويربتون عليها لتنام، ويحدون لها في طرق الضلال والجهل والجمود والخمول لتستمرّ فيها.

(...) وكان هؤلاء الجهلة المدجّلون الذين يتظاهرون بالتصوّف أكبر أعوان الاحتلال على الجزائر، وأفظع الشرور التي تسلّطت عليها، لقد خدَّروها فطال نومها، ومزقوا شملها فلم تتّحد ضدّ عدوّها. وكانوا يمسكونها باسم الدين في طريق الجمود والخمول والضلال فاستمرّت فيه زمنا طويلا، وهم الذين حاربوا المصلحين وكانوا عليهم نارا، وهم الذين كانوا يغرون العامة الجاهلة بالمصلحين ويقولون إنّهم أعداء الدين، مبتدعون، تجب محاربتهم والقضاء عليهم" (الدبوز، 2013 أ، ج1، ص19).

طبعا لم يقصد الشيخ كلّ الزوايا في الجزائر بل: "الفاسدة التي انحرفت عن طريق الزاوية وأغراضها الحسنة" أو ما أسماه: "الزوايا

الاستعمارية"، حيث أشاد بالدور التاريخي للزوايا "الصالحة" في الجزائر، التي هي "معدن العلم والهداية، وأوتاد العلم والصلاح، ومنبع اليقظة والنهضة، وهي خير وبركة على الجزائر والمغرب في كثير من عهوده".

نلاحظ هنا استعمال الشيخ لمصطلح النهضة عند حديثه عن الزوايا، حيث اعتبر الزوايا منبع النهضة في البداية، وفسّر هذا لاحقا حيث قال بأنّها: "أنشأت لنا علماء كانوا أعلام الإصلاح في الجزائر"، وضرب أمثلة لذلك: "فالشيخ البشير الإبراهيمي تعلّم في زاوية سيدي ابن علي بن شريف في شلاطة بجبال القبائل"، وكذلك الزاوية التي درّس فيها لاحقا "زاوية سيدي الحوّاس في جنوب سطيف (...) وعندما أنشأ مدرسته العصريّة العربية الحرة في مدينة سطيف في عام 1924 أعانته هذه الزاوية المباركة ماديّا واستمرّت على إعانتها. والشيخ العربي التبسي ابن الزاوية، ختم القرآن في زاوية خنقة سيدي ناجي (...)".

ولعلّ أهمّ ما قامت به هذه الزوايا هي المحافظة على أهمّ عوامل الانتماء إلى الإسلام وهو القرآن الكريم "ولعلّ الزوايا هي المعاهد الوحيدة التي تعتني بتحفيظ كتاب الله هذا في شمال الجزائر ولولاها لضاع إنّ فضلها عظيم، نسأل الله أن يحفظها ويعينها".

"الطرقية الاستعمارية" كانت "مِعولا للدين في أيدي الاستعمار

(...) سلاحه وربيبته، وجنده المخلص الذي حارب به الدين والإصلاح في الجزائر والمغرب" (الدبوز، 2013 أ، ص20- 21).

ويعتبر هذا من أهمّ مجالات الإصلاح في الجزائر، حيث جعلت الحركة الإصلاحيّة من أهمّ أهدافها تحرير الدين الإسلامي من تحكّم الاستعمار عليه بطريقة غير مباشرة، أي بتوعية الناس وتحريرهم من اتّباع الطرقيّة الضالّة.

لم يعتبر الشيخ أنّ الاستعمار هو سبب وجود داء التخلّف والجهل في البلاد، بل بيّن كيف كان يستثمر فيه ويزيده استفحالا بما يخدم مصلحته، مثل ما فعل مع استغلاله للخلاف المذهبي، حيث اعتبر الشيخ أنّ الاستعمار قد استغلّ العصبيّة المذهبيّة التي ورثها المسلمون من زمن الصراعات القديمة (الدبوز، 2013 أ، ص27).

أكثر من ذلك فقد اعتبر الشيخ أنّ الاستعمار هو سبب استيقاظ الجزائر من سباتها: "كانت الجزائر قد دخلت في هرمها في القرن العاشر الهجري لما استولى عليها الأتراك، وأصابها الإعياء الشديد فنامت نومها العميق (...) إنّ الجزائر قد نامت ثلاثة قرون كاملة، وفي القرن الثالث عشر غزاها الاستعمار فاستفاقت. إنّ الاحتلال الفرنسي للجزائر عملية جراحيّة فظيعة، ولكنّها نفعتها، لقد استفاقت من نومها فابتدأت نهضتها في آخر القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي" (الدبوز، 2013 ب، ج1، ص 44- 45).

أي أنّ التحدّي الاستعماري الذي فُرِض على الجزائريّين هو الذي دفعهم للبحث عن سبل المواجهة، "ففاقت الجزائر فتمسّكت بدينها ولغتها، وفتحت معاهد جديدة لإحيائها، واعتنت بالتربية الدينيّة في الشباب الذي يريد الاستعمار مسخه برذائله ومدارسه" (الدبوز، 2013 ب، ج1، ص 45).

- **البعد الثقافي للحركة الإصلاحية في الجزائر عموما ووادي مزاب خصوصا**

تعكس كتابات الشيخ الدبوز البعد الثقافي للحركة الإصلاحية بشكل واضح، فبالنسبة لقضيّة التعليم مثلا تطرّق إليها الشيخ في مواضع عديدة من كتبه، حيث يبيّن في كتاب أعلام الإصلاح خطورة ولوج أبناء الجزائريّين إلى المدارس الفرنسيّة "قبل أن يحصّنوا بالدين، وتغرس فيهم العقيدة الإسلامية". والنتيجة المتوخّاة من هذا أن يرى أولئك أنّ التعليم العربي واللغة العربيّة لغة القرآن هي لغة التخلّف: "فوصفوا العربية لتلاميذهم الجزائريّين في المدارس بكل ما يمليه عليه حقدهم على الدين وجهلهم بالعربية فأنشؤوا طائفة من الجزائريين على روحهم ينظرون إلى دينهم ولغتهم العربية وإلى حضارتهم الإسلامية كلها بنظرة الاستعمار" (الدبوز، 2013 أ، ج1، ص 28- 29).

هذا ما دفع بالحركة الإصلاحية إلى إنشاء المدارس العصرية، حيث كان التعليم الذي ينشر أهم وسيلة لتحرير الأمة مستقبلا من

الاستعمار وأنصاره: "كان أعداء الإصلاح الكثيرون في ذلك العهد في وادي مزاب يرون مدارس المصلحين العربية الإسلامية العصرية الحرة ألدّ أعدائهم لأنها ستقضي على الفساد وأهله" (الدبوز، 2013 أ، ج5، ص 25).

وقبل الحديث عن المصلحين تطرّق الشيخ الدبوز في الجزء الأول من كتاب نهضة الجزائر الحديثة إلى بدايات الإصلاح بوادي مزاب مع المشايخ في كلّ قصور وادي مزاب وخاصّة مع قطب الأئمة وشيخه من قبله ضياء الدين الثميني، فقد توالت أعمال وحركات المشايخ عبر السنين حتى وصل إلى مطلع القرن العشرين والحركة التي قادها مشايخ على رأسهم الشيخ ابراهيم بن عمر بيوض، والذين رفعوا لواء محاربة الجهل والتخلف، حيث قال عنهم: "لقد قضى الشيخ بيوض وعلماء الإصلاح وحزب الإصلاح في ميزاب بجهادهم هذا على مرض خطير في الأمة هو قاسمة الظهور للأمم، ما أصيبت به إلا وأسخط الله عليها فتعيش كلّ حياتها في الذل والشقاء وكل بلاء، وهذا المرض هو الزهد في العلم، سيما على العربية والدين، والإدبار عنه، والاكتفاء منه بالنزر القليل الذي لا يثقف العقول فتصحّ (...)" (الدبوز، 2013 أ، ج5، ص 27).

ذلك أنّ المزابيّين وبحكم تخوّفهم من التعليم الفرنسي من جهة، وضعف حالتهم الاقتصادية من جهة أخرى، وكذلك كون أغلبهم تجّارا في الشمال، فقد كانوا يخرجون أبناءهم من الدراسة حديثا

للاستعانة بهم في التجارة، وهو ما أضرّ بهم كثيرا حيث لم يسايروا تحوّلات الزمن، وابتعدوا عن المشاركة في المجالات الإدارية والسياسية والاقتصادية في البلاد الجزائرية عموما، وفي مزاب خصوصا.

ولعلّ التجربة التونسيّة التي أنجبت لمزاب والجزائر زعماء مصلحين ووطنيّين وصحفيّين بارزين على غرار الشيخ عبد الحميد بن باديس، وأبي اليقظان وغيرهما، كانت المحفّز الأساسي للمزابيين لفتح المدارس العربية العصرية، وكانوا سبّاقين في ذلك، فبعد التجربة التي كانت لهم في مدينة تبسة حيث أجهضت مدرسة الصديقيّة بعد مدّة قصيرة من نشأتها على يد عباس بن حمانة ومعاونيه من أنصار الحركة الإصلاحية بمزاب الحاج بكير العنق وأخيه الحاج عمر، افتتح معهد الحياة سنة 1921، حيث أصبح يستقطب أبناء البلاد الجزائرية من كلّ الأقطار، من المناطق الصحراويّة على غرار وادي ريغ، وكذلك أبناء الشمال على غرار الأوراس.

كما كان من نتائج البعثات العلمية إلى تونس، أن شهدت الجزائر ووادي مزاب إنشاء المدارس العصرية ذات التعليم العربي، معهد الحياة بالقرارة في 1925، والمدارس في كلّ من: العطف سنة 1925، غرداية في 1928، وبريان في 1928، والقرارة في 1931، ثم بنورة ومليكة ...، وفي التلّ أنشأ المزابيّون مدرسة في غليزان في 1929، ثم في قالمة عام 1930. (الدبوز، 2013 أ، ج3، ص260- 266).

وعند حديثه عن ضرورة الاستفادة من التعليم الفرنسي، تطرّق الأستاذ إلى أهمية إصلاح التعليم كوسيلة أساسية لتخريج أعمدة الأمة وزعمائها المستقبليّين لما رأوه من تفوّق وتطوّر فكريّ لدى خريجي البعثات العلمية إلى تونس حيث تلقوا بها التعليم العربي العصري فضلا عن العلوم العصرية باللغة الفرنسية التي فتحت لهم الآفاق.

عند التأريخ للشيخ بيوض وحركته الإصلاحية تطرّق الأستاذ إلى نقطة هامّة جدّا، وهي دعوته إلى "تعليم الأبناء في المدارس الفرنسية"، حيث كان المزابيون مقاطعين لها و"فرّوا منها فرارهم من الطاعون وكل الأمراض القتالة" (الدبوز، 2013 ب، ج5، ص33).

لكن الحركة الإصلاحية رأت أن تأخذ بوسائل العصر من أجل التمكن من شؤونها المختلفة ولا يكونوا تحت رحمة غيرهم. "لما تولى الشيخ بيوض قيادة الإصلاح في وادي مزاب في وسط العشرينات، ورجعت إلى مزاب وبلاد الشمال الأفواج الأولى من البعثة المزابية العلمية التي كونها الشيخ أبو اليقظان والشيخ إبراهيم اطفيش، والشيخ محمد الثميني في تونس الخضراء (...) اشتد بهم ساعد الإصلاح، ووجد منهم المصلحون وقائدهم الشيخ بيوض الأعضاء المتينة فيما يجاهدون فيه من خلق وعي الأمة في باب التعليم العصري العربي الإسلامي منه والفرنسي".

"وكان الشيخ بيوض وحزب الإصلاح في مزاب يعتقدون أن الأبناء

إذا غرست فيهم العقيدة الدينية في بيوتهم ومدارسهم العربية الحرة (...) فلا تستطيع المدارس الفرنسية أن تضرّهم بشيء في الدين والخلق".

"وفي وسط العشرينات دعا الشيخ بيوض وحزب الإصلاح الأمة إلى تعليم أبنائهم في المدارس الفرنسية، فإن فيها علوم الحياة الضرورية في كل ميادين الحياة، سيما التجارة التي هي حرفة أغلب المزابيين، وفيها اللغة الفرنسية التي هي لغة الإدارات كلها في الجزائر، ومن لم يحسنها لا يستطيع قضاء مصالحه، والدفاع عن حقوقه، ثم إنها لغة العلم، فمن أتقنها يستطيع دراسة العلوم الحديثة كلها وهو ما ينبغي للجزائر ليكون لها علماء فحول في مختلف العلوم، وهذه اللغة الفرنسية لا يستطيع المصلحون تعليمها في مدارسهم لمنع الحكومة، وضيق وقتها، وعدم وجود المدرسين الأكفاء من أبناء الأمة لتدريس اللغة الفرنسية" (الدبوز، 2013 ب، ج5، ص33- 34).

مع مرور الزمن ازدادت أهمية تدريس المزابيين لأبنائهم، حيث إن الوظائف في الإدارات كانت تشترط الحصول على الشهادات، وهو ما كان يفتقر إليه أبناء المزابيين، حيث "خلا الجو لطائفة من أذناب الاستعمار، فتولت الوظائف في كل الإدارات الحكومية في مقر الحكومة العسكرية في غرداية وفي البريد وغيرها. (...) وابتلي وادي مزاب من هؤلاء الموظفين الحاقدين أذناب الاستعمار بالبلاء الشديد، لقد كانوا شرا على المسلمين من الحكام العسكريين الطغاة الصليبيّين"

(الدبوز، 2013 ب، ج5، ص34).

وعليه كان المصلحون يحثّون على تعليم الأبناء في المدارس الفرنسية : "لابدّ أن تحصل طائفة كبيرة من أبناء الأمة الطاهرين الأصفياء المخلصين على الشهادة الابتدائية من المدارس الفرنسية لتحتل جماعة منهم مختلف الإدارات الحكومية في مزاب".

ليس هذا فحسب بل كان على المزابيّين، وكذلك إخوانهم الجزائريّين، أن يرفعوا من سقف طموحاتهم، حيث يكمل الشيخ فكرته قائلا: "وطائفة توجه إلى المدارس الثانويّة الفرنسيّة لتنتقل منها إلى الجامعات الفرنسية، فتدرس الطب، والصيدلة، والقانون والتجارة سيما المحاسبة فتتحرر الأمة من غطرسة الأطباء اليهود الفرنسيّين وغشهم، وعدم نصحهم مع المرضى المسلمين، وكذلك في باب الصيدلة والمحاماة والمحاسبة، يعمر بها هذه الثغور في مزاب كلّها أبناء المصلحين الصالحين الأصفياء النزهاء" (الدبوز، 2013 ب، ج5، ص34).

- **البعد الاقتصاديّ والاجتماعيّ في الحركة الإصلاحيّة:**

يقول الشيخ الدبوز: "كان الاستعمار قد أغلق أبواب الكسب الكبيرة في وجوه الجزائريّين وخصّ بها أبناءه، وقصرها على نفسه، وحرم الجزائريّين من ميادين الرزق الكبرى التي تبني أخلاقهم، وتذهب عنهم الخصاصة، وعوّدهم البطالة، وفتح لهم أبواب الفساد الخلقي

ودفعهم إليها دفعا بكلّ وسائله، فتسلّط الفقر على المسلمين، والفقر مع خلوّ النفس من الدين سبب كلّ الجرائم، وأمّ كلّ الموبقات، فانتشر الزنا، وانعدمت الغيرة من نفوس الآباء والأزواج الفاسدين، وكثرت الجرائم والفتن وحبّ السطو والانتقام" (الدبوز، 2013 أ، ص 26- 27).

تبيّن هذه الفقرة بوضوح مكانة وأهميّة المجال الاقتصاديّ في الحركة الإصلاحيّة، حيث أنّ تحسين الوضعيّة الماديّة للمجتمع يعتبر أهمّ أسس الإصلاح الاجتماعيّ، وحسب الشيخ فإنّ قِوام الإصلاح الاقتصادي هو الإصلاح الاجتماعي: "إنّ النهضة العلميّة والاجتماعيّة هما أساس النهضتين السياسية والاقتصاديّة" (الدبوز، 2013 ب، ج1، ص 46)، حيث لابدّ من الشروع أوّلا في إصلاح العقيدة وتنوير العقول قبل الشروع في الإصلاح السياسي والاقتصادي.

وهذه النهضة العلمية والاجتماعية هي تلك التي قام بها العلماء في كلّ أقطار البلاد الجزائريّة: "إنّ الجزائر والحمد لله لم تخل بعد الاحتلال من العلماء من العاملين (...) إنّ العلماء الذين حاربوا الاستعمار وشاركوا في نهضتها الحديثة كثيرون لا نستطيع أن نذكرهم كلّهم" (الدبوز، 2013 ب، ج1، ص 46).

بالنسبة للبلاد الجزائرية عموما فقد كان الشيخ بيوض يشجع المزابيين لولوج تجارة الجملة لمنافسة اليهود الذين استأثروا بها،

وذلك "باقتباس الأساليب العصرية الحديثة الراقية في التجارة لتكون متاجر المسلمين كمتاجر الأوروبيّين أو أحسن في النظام والنظافة، والسعة، والعمارة، وحسن المعاملة، وفي الأمانة والنشاط، وشدّة الحبّ للعمل وإتقانه" (الدبوز، 2013 أ، ج5، ص 59- 60).

أمّا بالنسبة لوادي مزاب فقد "دعا الشيخ بيوض وعلماء الإصلاح الأمة إلى إنشاء الشركات الضرورية لعمارة الوطن، والاعتماد على النفس في تعمير وادي مزاب وجنوب الجزائر، فإنّ مزاب بلاد إسلاميّة ليس فيها المعمّرون الفرنسيّون فتأبه بها الحكومة فتجهّزها بأسباب العمارة وبلاد الجنوب أغلبها صحراء جدباء في ذلك العهد لا يأبه بها المستعمرون".

كانت النهضة الاقتصادية وإعمار البلاد اقتصاديا إحدى أهمّ ركائز الحركة الإصلاحية، وكنتيجة لدعوات الشيخ بيوض "وفي أوّل الثلاثينات آزر السيد عيسى بن عمارة خبزي المستقرّ في مدينة بسكرة السيد حمّة قريشي في إنشاء حافلة كبيرة وشاحنة للنقل (...) وعمرت القرارة ومزاب بما ينقل إليها" (الدبوز، 2013 أ، ج5، ص 61- 62). ولما تعثرت الشركة خلال الحرب العالمية الثانية وانسحاب السيد حمة قريشي، ساهم أعلام الحركة الاصلاحية ومنهم الشيخ بيوض في هذه الشركة، وواصلت سيرها. على غرار هذه الشركة كانت شركة "السيد عبد الله بن الحاج صالح بوكامل وعمارته للوطن، وجدواه العظيمة على جنوب الجزائر بحافلات نقل الركاب وشاحنات حمل البضائع

التي اتخذها فوصلت الجلفة والأغواط بوادي مزاب، فتنفس أهل الجنوب الصعداء وذهب عنهم الهمّ والتعب والذلّة". وكذلك الأمر مع الشركة الإسلامية التي أنشأها الشيخ بيوض مع الفاضل عيسى بن عمارة خبزي لكسر احتكار المعمّرين للمياه الجوفيّة، وبالتالي "لم يكن الشيخ بيوض داعية لإنشاء الشركات الإسلامية لعمارة الوطن بدروسه فحسب، بل كان بعمله في ذلك أسوة حسنة للناس يقتدون به" (الدبوز، 2013 أ، ج5، ص 63).

1- البعد السياسيّ في الحركة الإصلاحية:

من المعلوم أنّ أعلام الحركة الإصلاحية بوادي مزاب قد كانوا معارضين للسياسة الاستعمارية، وكان هذا من نتائج تكوينهم الفكري والسياسي الذي تلقوه في تونس على الخصوص، ويبين الشيخ دبوز ذلك عند حديثه عن نتائج البعثات العلمية إلى تونس، حيث تطرق إلى دور هذه البعثات في تخريج شباب واع بالواقع السياسي للجزائر، فبعد عودتهم مباشرة من تونس كانوا ينخرطون في المجال التعليمي والاجتماعي ومواجهة إدارة الاحتلال وأعوانها: "خاض خريجو البعثة التونسية في العشرينات والثلاثينات إلى زمن الاستقلال، ومعهم خريجو معهد الحياة، والمدارس العربية الحرة، والمصلحون في مزاب، خاضوا جميعا كالبنيان المرصوص المعارك الضارية ضد الاستعمار العسكري الصليبي الفرنسي في جنوب الجزائر، وضد القياد الفاسدين الذين جعلهم الاستعمار له أذناب العقارب المسمومة (...)

وكان خريجو البعثة التونسية من جنود المقدمة البواسل في معارك الإصلاح ضد الفساد والجهل والجمود والاستعمار" (الدبوز، 2013 أ، ج3، ص263). ويضيف الشيخ بخصوص المشاركة السياسية لطلبة البعثة المزابيين في النضال الوطني الجزائري: "فإنّ البعثة العلمية البيوضية في تونس الخضراء قد أتاح الله لها ميدانا أوسع في تونس تدربت فيه على الجهاد والنضال، وهو جبهة التحرير الوطني الجزائرية، لما نشأت هذه الجبهة المباركة في تونس انخرط فيها طلبة البعثة البيوضية كلهم (...) وكان رئيس ناحية الطلبة في جبهة التحرير هو محمد بن عمر العساكر رئيس البعثة البيوضية في تونس، انتخب لكفاءته وإخلاصه، فقام بشؤون هذه الرئاسة أحسن قيام، وكان هو وزملاؤه محل احترام وإعجاب الطلبة الجزائريّين في جبهة التحرير (...) وكان محمد بن عمر العساكر أيضا هو المسؤول عن شؤون الطلبة الجزائريّين في وزارة التربية في الحكومة الجزائرية في تونس (...) وكان طلبة البعثة البيوضية كلّهم أعضاء في اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين في تونس" (الدبوز، 2013 أ، ج3، ص276).

أمّا منطلقات نهضة الجزائر واستفاقتها سياسيّا فقد تطرق إليه الشيخ الدبوز من خلال تطرقه -ولو بشكل مقتضب- لدور الأمير خالد بن الهاشمي بن الأمير عبد القادر الجزائري والذي كان له أنصار من بني مزاب على غرار الأخوين محمد وإدريس بن يحي باعامر من مليكة. كما نضيف أيضا والد الفرقد سليمان بوجناح الذي كان تاجرا

في المدية (الفرقد، 1973). ولخّص الشيخ برنامج الأمير في كونه: "كلّ ما يرجع بالخير عل المسلمين (...) وكان يهيئ الجزائر للثورة العاجلة، فأراد أن يقطف الثمرة قبل أن يغرس الشجرة". ونتوقف هنا عند هذه الجملة، حيث كان مسلك الأمير محمودا بخوض العمل السياسي والانخراط في المجالس المنتخبة، لكن استعجال النتائج وتصعيد المواجهة، وبالخصوص في ظروف البلاد آنذاك، عجّلت بوقف مسار الأمير. بالمقابل كان منهج الحركة الإصلاحية وزعيمها الشيخ بيوض يقوم على الانخراط في المجالس النيابية عن طريق نوّاب متشبعين بالوطنية للدفاع عن حقوق الجزائريين، وهو ما فعله الشيخ بيوض شخصيّا حيث بلغ المجلس الجزائري ممثلا عن وادي مزاب ومدافعا عن مصالحه. لكن ما لم يجب القيام به هو الاستعجال والمواجهة التي كانت ستؤدي لا محالة إلى وأد المسار والمسعى الإصلاحي السياسي. ربّما هذا الاختلاف في منهج العمل السياسي في الجزائر عموما وفي مزاب خصوصا، هو ما جعل الشيخ الدبوز لا يفصّل الحديث في دور وطنيين من مزاب على غرار الفرقد سليمان بوجناح، وابراهيم غرافة، ومفدي زكريا الذي تحدّث عنه بشكل مقتضب في بعض المواضع (الدبوز، 2013 أ، ج3، ص235).

هذا الأخير أي مفدي، قام بدور كبير في رأب الصدع الذي أصاب المجتمع الجزائري في قضية "مقاطعة التجار المزابيين" من طرف إخوانهم الجزائريين في بعض مناطق الوطن خلال الثورة

التحريرية، كما تمّ التنسيق بين الشيخ بيّوض وأعلام الحركة الإصلاحية في الجزائر لوقف هذه الدعاية، وهي كما هو معلوم من أعمال أتباع الحركة المصاليّة انتقاما من المزابيّين الذين رفضوا دعمها مقابل الوقوف مع جبهة التحرير الوطني، وعن هذه القضية يكشف تقرير أمن العاصمة بتاريخ 27 جوان 1955 أنّ "زعيم الإصلاحيين [الشيخ بيوض] والسيد حجوط [1] مسؤول المحافظين، قد اتّفقوا على الاعتماد على العلماء [الجمعية] ، التنظيم الوحيد، إلى هذا اليوم، الذي تدخّل لصالحهم، والذي منع بشكل قطعي تقديم أي مساعدة

[1] - إبراهيم بن بلحاج، حجُّوط "(و:1314هـ / 1897م ــ ت: 22 محرم 1382هـ / 24 جوان 1962م)، من وجهاء بني يسجن. كان رئيسًا لجماعة الميزابيين بالجزائر العاصمة، وعيّن أمينا للمال في إدارة المدرسة الجابرية ببني يسجن؛ وله دور هام في الإصلاح العام بها. تولَّى رئاسة .«جمعية التعاون العام»، التي تأسَّست بالجزائر العاصمة سنة 1937م؛ وهدفها الأساسي هو الدفاع عن مصالح الميزابن في الشمال الجزائري.

وهو من أبرز الشخصيات الوطنية الذين أنشؤوا الاتِحاد العام للعمال الجزائريين مع عيسات إيدير عام 1374هـ /1956م. عند اِندلاع الثورة التحريرية قام بأعمال جليلة في خدمة القضية، وألقي عليه القبض، فتعرَّض لأبشع أنواع التعذيب، حتَّى استشهد. وفي العاصمة نهج سمِّي باسمه تخليدًا لذكراه، وكذا في بني يسجن". أنظر:

مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر (قسم المغرب الإسلامي)، جمعية التراث –غرداية–/ دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط2، 1421هـ/ 2000م، الترجمة رقم: 15.

من المزابيين إلى الحركة الوطنية [MNA]"1 .

ومن المعلوم أنّ الحركة الإصلاحية في الجزائر قبل هذه الحادثة كان من أهم نتائجها بالنسبة للمزابيين الإباضيين، هو المساهمة في تصحيح النظرة الخاطئة اتجاههم، والتي تقوم أساسا على الخلافات المذهبية التي وقعت في القرون الأولى للإسلام (Merad, 1999, p.195).

وعن منهج الأمير خالد، ووجهة نظر الشيخ الدبوز فيه نقتبس الفقرة التالية التي تبيّن موقفه بوضوح: "حدّثني الشيخ ابراهيم اطفيش، وكان عضوا إداريا في حزب الدستور: أن الزعيم الثعالبي أرسله ثلاث مرات إلى الأمير خالد في الجزائر ليعرض عليه اتحاد حزبه، وحزب الدستور واتباع خطة واحدة في الجهاد، وكانت خطة الشيخ الثعالبي أكثر حكمة، وكان أقوى شخصية وأدهى، فاجتمع به في العاصمة الجزائر فأبى الأمير خالد إلا طريقته الصارمة التي عجّلت بالقضاء على جهاده" (الدبوز، 2013 ب، ج2، ص30).

---

[1] - A.N.O.M., 4I15, MNA en clandestine, de la Commune Divisionnaire, Chef de la Police des Renseignement Généraux du District d'Alger J. M. Gonzalez, Alger Le: 27 Juin 1957.

وللمزيد عن الموضوع أنظر مقالنا: مزاب والشيخ بيوض في عيون الإدارة الاستعمارية الفرنسية خلال الثورة التحريرية، في مجلة الحياة، العدد 22، أوت 2017.

تطرّق الشيخ الدبوز في نفس السياق أي العمل السياسي للحركة الإصلاحية في الجزائر ووادي مزاب إلى العوامل الخارجية التي دفعت بالحركة أو بالنهضة في الجزائر، حيث تناول تأثير الحرب العالمية الأولى ومشاركة الجزائريّين فيها حيث "شاهد الجند الجزائري في أوروبا كيف يرغم الأوروبيون بالموت في سبيل الحرية والعزة والكرامة، ورأوا تسابقهم في العلم والخلق وأسباب القوة" (الدبوز، 2013 ب، ج2، ص 32).

كما تطرّق إلى نهضة مصر والمشرق العربي وأثرها على المغرب عموما والجزائر ومزاب خصوصا، ومدى تأثير أفكار الشيخ محمد عبده ورشيد رضا، وفي هذا الصدد يقول: "كان للشيخ محمد عبده وللشيخ رشيد رضا من الأثر العميق في نفوس أهل الجزائر ما لم يكن لغيرهما من علماء الدين المصلحين في المشرق (...) وقد سلك علماء الجزائر الذين قادوا نهضتها طريق الشيخ محمد عبده في الإصلاح الديني، وتطهيره من الخرافات، وقاموا بواجب النصح والإرشاد وتطهير المجتمع". كما تناول التأثير الكبير والهام للأخبار الصحفية لحركات كلّ من مصطفى كمال، وجهاد الليبيّين في طرابلس الغرب، وكذلك ثورة عبد الكريم الخطابي، وثورة الأمير عبد الملك الجزائري، وأخيرا أثر العلماء المهاجرين في تونس خصوصا (الدبوز، 2013 ب، ج2، ص 36- 43). ومن هؤلاء الشيخ صالح بن يحي وأثره في كل من تونس والجزائر، حيث كان "أمتن عضد للشيخ عبد

العزيز الثعالبي (...) وقد أنفق جلّ أمواله الكثيرة في مؤازرة حزب الدستور فمات فقيرا يرحمه الله، وكان يتمنّى أن تتقوّى الحركة الوطنيّة في تونس، فتفيض على الجزائر والمغرب فتكون الأقطار الثلاثة: تونس والجزائر والمغرب جبهة واحدة ضدّ الاستعمار فتنال استقلالها، هذا هو أمله" (الدبوز، 2013 ب، ج2، ص44). وكذلك الشيخ ابراهيم أبي اسحاق اطفيش في تونس ثم في مصر.

اهتمّ الشيخ الدبوز كثيرا بمجال الصحافة، فمن المعروف أنّ المزابيّين كانوا من أوائل الداعمين للصحافة والصحف في الجزائر في بداية القرن العشرين، وكذلك الحال مع الصحف التونسيّة حيث كانوا يدعمون ماديّا كلّ الصحف المعارضة، والتي كانت تنقل أخبار المشرق، وكانت الصحف التونسيّة تصل سرّا إلى مزاب من طرف الشيخ صالح بن يحي على غرار جريدة تونس الشهيدة للشيخ عبد العزيز الثعالبي (Bruno, 1988, p 69- 70).

خاتمة

يعتبر الشيخ والأستاذ محمد علي الدبوز بحقّ أوّل مؤرّخ للحركة الإصلاحيّة بوادي مزاب خصوصا، ومن أوائل مؤرخي الحركة الإصلاحية في الجزائر عموما، حيث تحمل كتاباته أبرز التفاصيل والحيثيّات التي يحتاجها الباحث حول تطوّر الحركة الإصلاحية

بوادي مزاب، فإن لم يفصّل تجده قد لمّح وأشار إلى مختلف جوانب الحركة، وعليه يمكن أن نوجز الركائز التي قامت عليها الحركة الإصلاحية في الفقرة التي نقلها الأستاذ الدبوز في الجزء الخامس من أعلام الإصلاح: "وكان أوّل درس للوعظ ألقاه الشيخ بيوض في مسجد القرارة الحاشد، فدعا فيه إلى إنشاء الشركات الإسلامية لتعمير الوطن، وإلى التعليم العصري العربي والفرنسي، وتولّي الوظائف الحكوميّة لمنفعة المسلمين، قد وقع في عام 1924 بعد تولّيه مشيخة مسجد القرارة بشهور" (الدبوز، 2013 أ، ج5، ص 63).

كان حرص الشيخ الدبوز كبيرا على ضرورة التأريخ للحركة الإصلاحية بوادي مزاب، وذلك بغرض حفظ تاريخها من جهة، ولإعطاء مزاب مكانه في التاريخ الوطني الجزائري والذاكرة الجماعية للجزائر المستقلة (Jomier, 2015: 21). وبفضل تلاميذ الشيخ الدبوز فقد تواصل مسار تدوين تاريخ الحركة الإصلاحية على غرار كل من الدكتور محمد بن صالح ناصر، وكذلك الدكتور محمد بن قاسم ناصر بوحجام حيث قاموا بدور كبير على مستوى الكتابة الجامعية (Jomier, 2015: 38)، ليأتي دور جمعية التراث التي تقوم بدور كبير جدّا في مواصلة رسالة الشيخ الدبوز بنشر الأعمال التي تؤرّخ للحركة الإصلاحية، ووادي مزاب، والتاريخ الإباضي عموما.

قائمة المصادر والمراجع

الدبوز محمد علي، (2013 أ)، أعلام الإصلاح في الجزائر، 5 أجزاء،

عالم المعرفة.

الدبوز محمد علي، (2013 ب)، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، 5 أجزاء، عالم المعرفة.

الفرقد سليمان بوجناح، (1973)، مقابلة شخصية مع الأستاذ أحمد فرصوص، إجابة على أسئلة د.محمد ناصر، بالجزائر العاصمة، يوم: 23 سبتمبر 1973.

الأرشيف الوطني الفرنسي (أكس-مارسيليا)، العلبة الأرشيفية رقم 4I15

مجموعة مؤلفين، (2000)، معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر (قسم المغرب الإسلامي)، ط2، جمعية التراث –غرداية–/ دار الغرب الإسلامي، لبنان.

بالحاج ناصر، (2017)، مزاب والشيخ بيوض في عيون الإدارة الاستعمارية الفرنسية خلال الثورة التحريرية، مجلة الحياة، العدد 22، جمعية التراث، غرداية- الجزائر.

Bruno Ch.D., (1988), La propagande anti-française au M'zab au début des années 1920, Mémoire de maitrise d'histoire, Université de Provence Aix-Marseille.

Jomier Augustin, 2015, Un réformisme islamique dans l'Algérie coloniale, Oulémas ibadites et société

du Mzab (c. 1880-c. 1970), Mémoire présenté en vue de l'obtention du grade de Docteur de l'Université du Maine sous le label de L'Université Nantes Angers Le Mans.

Merad Ali, (1999), Le réformisme musulman en Algérie de 1925 à 1940, Essai d'histoire religieuse et sociale, 2ème Edition, Editions El-Hikma, Alger.

التاريخ والتربية عند الشيخ محمد علي دبوز

أ.د. إبراهيم بكير بحاز
أ. علي دبلاوي
جامعة غرداية

الملخص:

تتطرق هذه الدراسة للتاريخ والتربية، وتوضح العلاقة بينهما من خلال ما يقدمه التاريخ للتربية، وكيف يمكن استثمار الماضي وتجاربه المختلفة في التربية وتحقيق وحدة ونهضة المجتمع المغاربي في إطاره العربي الإسلامي انطلاقا من تاريخه، وهذا وفق منظور الشيخ محمد علي دبوز.

الكلمات المفتاحية: محمد علي دبوز - التاريخ - التربية

The present study deals with history and education showing the relationship between them through what history offered or did for education and how can the past and its various experiences be invested in education and a chieve the urvion and the awakening of the maghrebian society in its Arabica islamic frame

on the basis of its history and this is in accordance with the view of cheikh Mohamed Ali Debbous.

Key words: Mohamed Ali Debbous – history – education

يعد الشيخ محمد علي دبوز من كبار المؤرخين الجزائريين، الذين ساهموا في إثراء المكتبة التاريخية الجزائرية والمغاربية، عالج في كتاباته العديد من الإشكالات وفند الكثير من المغالطات التاريخية، تعددت دوافع وغايات الكتابة التاريخية عند الشيخ محمد علي دبوز، فالتاريخ عنده يحمل بعدا أعمقا، فهو وسيلة تربوية هادفة لغرس الأخلاق الحسنة، التي تعد أساس رقي الإنسان وتطوره، وسنتطرق في هذه الورقة البحثية للغايات والأهداف التربوية للتاريخ عند محمد علي دبوز، ودور التاريخ في تقويم السلوك الفردي والاجتماعي وغرس القيم الأخلاقية.

1-العلاقة بين التاريخ والتربية ونهضة الأمم

1-1- التاريخ والتربية:

يقول ابن خلدون عن التاريخ: "اعلم أن فن التاريخ فن غزير المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية إذ هو يوقفنا على أحوال الماضي من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم

وسياستهم، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا"[1]، يبرز قول ابن خلدون أهمية التاريخ والفائدة من دراسته من خلال الاعتبار بأحوال الماضين والاقتداء بسِيرِهم، وبالأخص في مجال الأخلاق والسياسة، فابن خلدون يبرز الأخلاق كقيمة مستمدة من التاريخ بل هي أول ما يجب أن يستنبط من التاريخ.

ومن هنا تبرز الأهمية التربوية للتاريخ والتي أدركها الشيخ محمد علي دبوز وصرح بها: "إن التاريخ أكبر عامل في التربية الخُلقية، وأقوى سبب يخلق الأخلاق العظيمة في النفوس، والأخلاق العظيمة هي أساس رقي الإنسان في عقله وفي جسمه"[2]، ويقول أيضا: "إن التاريخ أكبر عامل لبناء الأمم ونهضة الشعوب، وهو من الوسائل الكبرى في التربية الحسنة"[3] من خلال ما سبق يظهر أن التاريخ وسيلة للتربية، والتربية أساس النهضة والتقدم، ومن هذا المنطلق كان حرص الشيخ وإصراره على الاهتمام بالتاريخ، وتقديمه للأجيال: "...وهو قبل هذا الغذاء الصحيح اللازم لناشئتنا وأمتنا والوسيلة لتربية

[1] - عبد الرحمان ابن خلدون: المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد وافي، دار النهضة، مصر، ط7، ج2، 2014، ص291.

[2] - محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2010، ج2، ص8.

[3] - نفسه:ص10

المجتمع، وتوجيهه إلى المثل العليا"[1].

إن الشيخ محمد على دبوز الذي عايش الفترة الاستعمارية، أدرك مخططات المستعمر الرامية لسلخ الجزائريين عن هويتهم ومبادئهم ومثلهم وتربيتهم تربية غريبة عن معتقدهم وقيمهم، بل أن المستعمر نجح في مسخ شخصية البعض منهم، والذين انقطعت صلتهم عن تاريخهم وغلب عليهم الظن أنهم أبناء البيئة الفرنسية، فعمل الشيخ على استحضار البيئة الحقيقية للناشئة من خلال التاريخ واستمداد القيم التربوية منها وفي هذا الصدد يقول: "التاريخ يحفنا ببيئة اجتماعية راقية من أجدادنا فنعاشرهم، فنتأثر بأخلاقهم ونتطبع بطباعهم، ونحس بوجدانهم....فيكون وجدانا لنا يذكي فينا الحماس لمثلهم العليا فنعمل لتحقيقها"[2] .

1-2-التربية وأهدافها:

تسعى التربية الحديثة إلى تحقيق تكوين شامل للإنسان في جميع جوانب شخصيته، الفكرية الأخلاقية والوجدانية والجسمية، فهذه الجوانب متكاملة فيما بينها ولا يمكن إهمال أحدها على حساب الآخر: "فالإنسان جسد إلى جانب كونه عقلا وخُلقا"[3]، وحتى يكون

---

[1] - محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2010، ج1، ص4.

[2] - محمد علي دبوز:المرجع السابق، ص10.

[3] - عبد الله عبد الدائم: التربية عبر التاريخ، ط5، دار العلم للملايين، لبنان، 1984، ص508.

الفرد عنصرا فعالا في مجتمعه، فالتربية الحديثة تراعي البيئة المحيطة بالفرد وتعده للمساهمة فيها: "وتكوينه تكوينا روحيا قادر على أن يرفع المستوى الثقافي والمعنوي للجماعة التي ينتسب إليها"[1].

تسعى التربية الإسلامية لإسعاد الفرد والأسرة والمجتمع، من خلال القيم التي تحقق التكامل والتوازن في شخصية الفرد الذي هو أساس المجتمع، وهذا الفرد إذ تجرد من أخلاقه وإن كان متعلما فسيكون معول هدم لهذا المجتمع: "فالعلم والإرادة ما لم يُؤطرا بإطار الإيمان والأخلاق فإنهما حتما سيجلبان الدمار والهلاك"[2].

إن التصور الحديث للتربية نجده في الفكر التربوي الذي دعا إليه الشيخ محمد على دبوز، فلم يهمل الجانب الفكري والأخلاقي والوجداني والجسمي في التربية، وهو ما وضحه في الجزء الثاني من مقدمة كتابه تاريخ المغرب الكبير[3]، ومما لاشك فيه أن الشيخ وضع تصور للجيل الذي ينهض بالأمة في تلك المرحلة العصيبة التي كانت نتيجة للاستعمار ومخلفاته.

1-3-التربية ونهضة الأمة:

---

[1] - نفسه: ص 619.

[2] - حسين بن علي الحجابي: مفهوم التربية الإسلامية، سلسلة التربية الإسلامية، ع5، السعودية، 1423ه، ص30.

[3] - محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق،ج2، ص7-16.

ترتكز التربية على الأخلاق التي هي سبب ومؤشر لرقي الإنسان الحضاري: "والأخلاق العظيمة هي أساس رقي الإنسان في عقله وفي جسمه"[1]، وبالعكس فغياب الأخلاق مؤشر على التهاوي الحضاري وانتهاء العمران وقد وضح هذا ابن خلدون في دراسته لمراحل تطور الدول: "وإذ تأذن الله بانقراض الملك من أمة حملهم على ارتكاب المذمومات، وانتحال الرذائل وسلوك طريقها....ولا تزال في انتقاص إلى أن يخرج الملك من أيديهم"[2].

ويشرح ابن خلدون ما يؤدي إليه انتشار الأخلاق الذميمة ، كاتباع الهوى والبعد عن الحق من تشتيت لشمل الأمة والعكس: "إن القلوب إذ تداعت إلى أهواء الباطل والميل إلى الدنيا حصل التنافس وفشا الخلاف، وإذا انصرفت إلى الحق ورفضت الدنيا والباطل وأقبلت على الله اتحدت وجهتها، فذهب التنافس وقلّ الخلاف، وحق التعاون والتعاضد واتَّسَع نطاق الكلمة لذلك فعظمت الدولة"[3]ض .

فمن نتائج حسن الخلق، التأليف بين القلوب وجعلها على قلب رجل واحد وهذا بدوره يؤدي لعظمة الأمة، وهي الرؤية التي كان يحملها محمد علي دبوز ويطمح لتطبيقها العملي من أجل النهوض

[1] - محمد علي دبوز:تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج2، ص8.

[2] - عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ص500-501. أنظر عبد الأمير شمس الدين: الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق، ط1، دار اقرأ، بيروت، 1984، ص92-93.

[3] - نفسه: ص 519.

بالأمة الإسلامية، وقد وضح هذا في كتابه تاريخ المغرب الكبير: "الأُخوة الإسلامية والعروبة التي توحد العالم الإسلامي والعربي وتجعله صفا واحدا متراصا لا تصدعه المنافسات والشحناء ولا تفرقه المذاهب الهدامة التي يكيد بها الأعداء لديننا الحنيف ولا يُضيِّق نطاقه القوميات الضيقة التي يوحي بها الاستعمار إلى الضعفاء من أبناء أمتنا ليبثوا التفرقة بين المسلمين ويجزئوا أمتنا الإسلامية....ويصرفونا عن أمتنا....رابط يجعلنا جسما واحدا مترابط الأعضاء متراص الصفوف"[1].

وعليه فالشيخ محمد علي دبوز يدعو إلى نبذ سيئ الأخلاق من شحناء ومنافسة هدامة أو تعصب لرأي أو لمذهب وينبه إلى مكائد الاستدمار وسعيه لضرب الأخلاق الإسلامية الراقية، التي تدعو للتعاون والتضامن والوحدة وتجعل من العالم الإسلامي جسدا مترابط الأعضاء ومتراص الصفوف.

2- ما يقدمه التاريخ للتربية:

2-1-القيم:

من التاريخ نستلهم القيم من تجربة من سبقنا، لذا يضرب لنا المولى عز وجل الأمثال في القرآن الكريم من قصص الأنبياء: "...فنرى

[1] - محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج2، ص6.

صبر أيوب، وعفة يوسف، ويقين إبراهيم، ونسك عيسى، وعظمة محمد صلى الله عليه وسلم فيعوضنا الله من تلك القصص التي هي تاريخ للأنبياء ما لا نجده في بيئتنا، ويكمل بيئتنا الاجتماعية بذلك التاريخ"[1] فالتاريخ يستحضر بيئة من سبقنا من الأنبياء والصحابة والتابعين والصالحين وما حوته من مثل نتطلع إليها في حاضرنا، كالصبر واليقين والنسك والعفة، ومن القيم الأخرى التي نجدها في التاريخ العزة والإباء والطموح والتضحية والإخلاص والشجاعة[2] وهذا ما سعى الشيخ لإبرازه من خلال كتابه تاريخ المغرب في كل مراحله.

2-2-القدوة والنموذج:

يقول الشيخ محمد علي دبوز: "إننا نستطيع اختيار العصور الزاهرة، والشخصيات العظيمة كالرسول صلى الله عليه وسلم، والصحابة والتابعين والسلف الصالح من أئمتنا ورؤساء دولنا وكبار علمائنا، ونختار من التاريخ كل ما هو حسن فنجعله بيئة للتلميذ ينغمس فيها، ويشغف بها ويعاشرها بالقراءة اللذيذة والدرس"[3].

من التاريخ نستحضر نماذج العصور والشخصيات التي تمثل

---

[1] - نفسه: ص10

[2] -. محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ج1، ص4-5.

[3] - محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ج1، ص4-5.

صفحات مشرقة من تاريخنا في جميع مراحله، بداية من رسولنا صلى الله عليه وسلم ومن الصحابة والتابعين والسلف والزعماء وقادة الثورات والعلماء والمصلحين من أمتنا في المشرق والمغرب، وهذا يثير حماس الناشئة ويسعون للتشبه بهم فيزداد تأثرهم بأجدادهم لأنهم جزءٌ منهم، لذا كان حرص الشيخ وتنبيهه بعد استقلال دول المغرب لكتابة تاريخ ثوراته المتفرقة ضد المستعمر وتقديم قادتها نماذج للاقتداء ببطولاتهم وفي هذا الصدد يقول عن كتابة ثورة عبد الكريم الخطابي: "...ننتفع به في تربية النشء والمجتمع وتركة نفيسة للمغرب، كان يجب أن نحافظ عليها، بكتابة عدة كتب في ثورة الأمير وثورات المغرب الوطنية الأخرى نتناولها من كل جهاتها، ويخلد أبطالها بدراسة شخصياتهم، وإقامتها مُثُلاً عُليا في الغيرة والإخلاص"[1].

2-3-الاعتزاز بالهوية والانتماء:

من نتائج العولمة تفكك الروابط الأسرية بين أفراد الأسرة الواحدة، وتفكيك المجتمع بإضعاف الانتماء إليه ورفض مبادئه ومقوماته واستبدالها بما هو دخيل، كما تسعى العولمة إلى تفكيك وحدة الأمة الإسلامية بجعل المجتمعات الإسلامية وحدة قطرية معزولة عن بعضها غارقة في همومها، وتظهر علامات التفكك هذه على أفراد المجتمع الذين يفتقدون حس الانتماء لهذا المجتمع بل

[1] - عبد الكريم بكار: بناء الأجيال، سلسلة تصدر عن مجلة البيان، ط1، الرياض، 2002، ص52-53.

يشعرون أن لا صلة لهم به[1].

ويهدف التاريخ إلى الاعتزاز بالهوية والانتماء العربي الإسلامي، بمفهوم أوسع بعيدا عن المفهوم الضيق للقوميات والأحزاب والمذاهب والعرق وبدون تمييز وإهمال للأقلية، فمكونات المغرب هي كل متكامل مزجها التاريخ ضمن رابطة الإسلام القاسم المشترك الأكبر، وقد حاول المستعمر أن يجرد أبناء المغرب الكبير من شخصيتهم بتحطيم مقوماتها كالدين واللغة وهذا من خلال تشويه التاريخ لقطع صلة الناشئة بتاريخهم وتقديم هذا التاريخ في صورة: "مصبوغة بالدماء، ودهره مملوء بالدموع وأن الذلة والفقر والخوف هو ما كان يخيم عليه"[2]، وهكذا كانت خطة المستعمر لتربية جيل منسلخ عن مبادئه وقيمه.

لقد نبه الشيخ دبوز إلى ما يخطط له الاستدمار من وراء تزييفه للتاريخ: "ومن أكاذيب المستعمرين الذين لم يألوا جهدا في استغلال تلك الدعاية.....فيبعدوا ناشئتنا عن تاريخ أجدادهم فيسهل صبغهم بما يريدون، وتجريدهم من شخصيتهم الإسلامية والعربية كما يشاؤون"[3]، ويظهر هذا في المقررات الدراسية التي وضعها الاستعمار وبالأخص في مرحلة الابتدائي، حيث التلاميذ الصغار الذين يسهل

---

[1] - عبد الكريم بكار: بناء الأجيال، سلسلة تصدر عن مجلة البيان، ط1، الرياض، 2002، ص52-53.

[2] - محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج2، ص4.

[3] - نفسه، ص3.

الإيحاء إليهم، والتأثير فيهم[1]، لذا دعا الشيخ إلى الاهتمام بالتاريخ وتنقيته وتمحيصه واستغلاله في تعزيز الانتماء للأمة الإسلامية لدى الناشئة بدلا من أن يستغله المستعمر في تدمير شخصية أبنائنا وتجريدها من مقوماتها، وقد وضح الشيخ ما يجب أن يتصف به مُدرس التاريخ من حماسة تؤثر على متلقيه فتعزز روح الانتماء لديهم وتزيد من تمسكهم بمقومات هويتهم.

2-4-الثقة بالنفس:

يكتسب الفرد من التاريخ الثقة بالنفس، فإنجازات من سبقونا تزيد من القوة والعزيمة مما يؤثر في النفوس ويزيدها حماسة ويدفعها إلى السعي لاستعادة الماضي المجيد وليس هذا بالمستحيل، فكيف ذلك؟ وهنا يجيبنا الشيخ محمد علي دبوز: "أما أجدادك...أبناء بيئتك الطبيعية التي لا تتبدل وفي دمائك وراثتهم تلك الوارثة التي انحدرت إليك منهم....ففيك من عوامل القوة والنجاح أكثر مما فيهم فتثق بنفسك، فتسلك طريقهم فتصل ما وصلوا"[2]، والشيخ في هذا القول يبين كيف نستطيع أن نحقق ما حققه الأجداد وبتفسير علمي ذلك أننا نحمل جينات العز والمجد الموروثة عن الأجداد، هذا العز والمجد ليس حكرا على جنس دون آخر.

---

[1] - نفسه، ص3.

[2] - محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج2، ص9.

ويحذرنا الشيخ من كل من يسعى لتثبيط عزائمنا، وأن ما وصلت إليه بعض الشعوب لا يمكننا بلوغه بحجة: "أنهم من جنس قد يُخيل إليك أنه أرقى من جنسك، وعلى وراثة كونت فيهم مواهب خاصة قد لا تخلقها فيك وراثتك فلا يطمح المرء كل الطموح فيصل غاياتهم، ولا يثق بنفسه كل الثقة فيسير في طريقهم، ويتغلب على عقباتهم فيصل مثل ما وصلوا"[1]

الخاتمة:

إن اهتمام الشيخ محمد علي دبوز بالتاريخ لم يقتصر على تفنيد المغالطات والتشويه الذي مس تاريخ المغرب، بل بين أسباب هذا التشويه وأهدافه ومنها جعل هذه الأمة تعيش مبتورة عن ماضيها تبحث عن حقيقتها، لذا كانت دعوة الشيخ إلى ربط الماضي بالحاضر وأخذ العبرة من تجارب من سبقونا وإسقاطها على واقع الأمة وما تعانيه، لقد رأى الشيخ أن تجاوز عقبات الحاضر في تلك الفترة واستشراف المستقبل لا يتم إلا من خلال العودة للماضي وتمحيصه وجعله قاعدة انطلاق.

لقد تبنى الشيخ مشروع نهضة منطلقه التاريخ، يستمد منه القيم والحوافز والعبر، وأساسه الناشئة التي تُبنى وتُشَبع بقيم أسلافها وتاريخهم المشرق في كل فتراته، وتقديم نماذج من تاريخنا تكون

[1] - نفسه، ص9.

قدوة للناشئة.

إن الشيخ محمد علي دبوز أراد أن يبعث مجتمعا متقدما أخلاقيا وماديا ووفيا لمبادئه وقيمه ومحافظا على هويته، بعيدا عن الانغماس في الحضارة والركون للراحة.

الأعلام المحليون في كتابات الشيخ محمد علي دبّوز
"أعلام بلدة العطف نموذجا"

د . إلياس الحاج عيسى
جامعة تيارت

ملخص:

تعتبر مؤلفات محمد علي دبّوز معجما حقيقيا لأعلام الإصلاح في منطقة مزاب خاصة والجزائر عامة، ونخصّ بالذكر مؤلفيه "نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة" و"زعماء الإصلاح". سنسعى من خلال هذه الورقة البحثية إلى تقديم مجموعة من الأعلام المحليين المغمورين والتعريف بهم وإبراز دورهم الإصلاحي؛ فقد أحصينا 35 علماً من بلدة العطف "تجنينت" خصّص الشيخ لبعضها بحثاً مستقلاً مثل شخصية سليمان بن حاجو، أول قاضي للمحكمة الشرعية الإباضية ببلدة العطف وقاضي محكمة بريان، والبعض الآخر أفرد لها فقرات مستقلة في كتبه مثل شخصيتي بكلي الحاج عمر بن حمّو وباباعمي حاج احمد بن موسى، وأخرى يبدو أنه لم يصل إلى معلومات كافية حولها مثل الشيخ حاج إبراهيم محمد بن بهون، وأخرى أقل تأثيرا ذكرها بشكل

مقتضب مع ندرة المعلومات المتوفرة حولهم مثل بن يوسف داود بن باسعيد وحاج عيسى إبراهيم بن حاج محمد. ونسائل بالمناسبة عن مصادر الشيخ دبّوز في إنجاز هذه التراجم، وعن دلالة حضور هؤلاء الأعلام تحديداً دون غيرهم في مؤلفاته.

الكلمات المفتاحية: محمد علي دبّوز؛ العطف؛ الأعلام؛ رواد الإصلاح؛ بكلي سليمان بن حاجو.

مقدمة:

كانت بلدة العطف العلمية، حاضرة في مؤلفات محمد علي دبوز، ممثلة في علمائها القدامى منذ نشأتها، ثم قدم لنا نموذجا لعالم هو من أبرز تلاميذ الشيخ أطفيش، ثم تحدث عن مرحلة الإصلاح في العطف وتأسيس جمعية النهضة، ومنها عدّد بعض أعلام الإصلاح

سنتّبع في هذا البحث دراسة الأعلام على طريقة معجم أعلام الاباضية بكتابة الاسم قبل اللقب وترتيبهم حسب الحروف الهجائية، وسنتّخذ من حضورهم في مؤلفات الشيخ الدبّوز منطلقا للتعريف بهم والإشارة إلى المراجع التي ترجمت لهؤلاء الأعلام. لقد أحصينا خمس وثلاثون علماً في مؤلفات محمد علي دبّوز. ويبدو واضحا أن مكانة هؤلاء الأعلام متفاوتة، تختلف من علم لآخر حسب المساهمة والمكانة

والتأثير والآثار. وبحثنا لن يتوسع في الترجمة المفصّلة للأعلام. حسبنا أن نحيل القارئ إلى مراجع خارجية لمن أراد التوسع والاستزادة والتفصيل، وفي اعتقادنا أن هذه الطريقة تنسجم وتتناسق مع هدف الشيخ في التأليف حولهم؛ إذ نرجّح أن المعلومات خانته في الوصول إلى ترجمة وافية حول كل الأعلام. ونركّز على المراجع التي اهتمت بهذه الشخصيات بحيث تساعد كل مهتم بالرجوع إليها.

بلدة العطف في مؤلفات محمد علي دبوز

عرّفها قائلا: "يسميها الأدباء العطفاء، وهي أول المدن نشأة في وادي مزاب في أول القرن الخامس هجري ومن المدن المزابية السابقة إلى الإصلاح والنهضة الحديثة"[1]. لكن يبدو أن الكاتب وقع في لبس تاريخي عندما ربط هجرة المزابيين إلى منطقة مزاب بالقرن الخامس هجري، وجعل من سقوط الدولة الرستمية أولا ثم من خراب سدراتة، منطلقا لهجرة من أسماهم بالمزابيين. في حين أن كتب السير الاباضية وغير الاباضية مثل كتاب ابن خلدون يؤكدون على وجود قبائل بني مصاب أو بني مصعب في بلاد الشبكة قبل سقوط سدراتة وقبل سقوط الدولة الرستمية. ومعروف أنها من قبائل زناتة التي استوطنت

[1]- دبّوز. محمد علي، زعماء الإصلاح في الجزائر، ج4، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة-الجزائر، ط1، 1980م، ص.112

المنطقة قبل التاريخ المشار إليه. وما يؤكد هذا اللبس أن المؤلف عندما أشار إلى قيام العطف كأولى مدن الوادي، أقرّ بوجود قرى قبلها وحولها، هي: أوخيرة وأغرم نولاوال وأغرم نتلزضيت، وقال أنها كانت من مراكز المعتزلة وأنها تعرضت للتخريب وورثتها العطف، ويقول أن تأسيس العطف كان في بداية القرن الخامس الهجري سنة 402هـ.[1] ألم يتساءل المؤلف عن طبيعة السكان الذين سكنوا القرى الثلاث قبل تأسيس العطف!

يقدم لنا المؤلف مدلول كلمة العطف، فيقول: "وسميت العطف لأنها في جبل في منعطف الوادي لا يراها المرء من بعيد، ولكن تظهر له فجأة إذا انعطف مع الوادي."[2] وهي من التعريفات حول أصل كلمة "العطف" ونلاحظ غياب الاسم المحلي للبلدة "تجنينت" في كتابه، الذي اعتدناه في أغلب الدراسات التي تتطرق لتاريخ البلدة. وتعبّر كتابات الشيخ دبوز التاريخية عن توجه عرفته الجزائر في فترة الاستعمار وبعد الاستقلال مباشرة، جعل الأولوية لإبراز البعد الإسلامي والعربي للجزائر، باعتبارهما الجانبان اللذان عمل الاستعمار على طمسهما قدر المستطاع.

---

[1]- دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج1-المطبعة التعاونية-ط1-1965م، ص.161.

[2]- نفسه، ص.161.

فجاءت كتاباته وكتابات مؤرخو الإصلاح من أمثال الشيخ مبارك الميلي وعبد الرحمن الجيلالي خادمة للجزائر العربية الإسلامية. وكان الالتفات إلى الأبعاد الطوبونيمية (علم أسماء الأماكن) والأنثروبونيمية (علم أسماء الأشخاص) آنذاك مما لم تعهده بعد المدرسة التاريخية العربية.

مصادره في إنجاز التراجم

تبدو علاقة الشيخ الدبوز بالشخصيات العطفاوية التي ترجم لها محدودة، وربما كانت أكثر شخصية استقى منها معلوماته عن أعلام العطف، هو الشيخ عبد الرحمن بكلّي، من دون منازع؛ إذ تنحصر مصادر الشيخ دبوز في الكتابة عن أعلام العطف فيما تركه الشيخ عبد الرحمن بكلي من مخطوط، وكل الشخصيات التي أفرد لها ترجمة موسّعة كان مصدرها البكري، فقد أحال أثناء ترجمته لشخصية عمر بن حمو بكلي إلى مخطوط بعنوان "تاريخ الشيخ الحاج عمر بن حمو بكلي" بقلم الشيخ عبد الرحمن بن عمر بكلي، وكان معتمده في تحرير الترجمة.[1] لذلك تبدو بعض الشخصيات التي اقتصر ذكرها على الاسم فقط مجهولة عنده، وإنما اكتفى بنقل أسمائهم عن الشيخ عبد الرحمن، وهو ما ينطبق على المجموعة التي أسّست أول مدرسة عصرية في العطف سنة 1932م.

[1]- دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها الباركة، ج2-المطبعة العربية-الجزائر-ط1-1971م، ص.148

وعن خطبتي الشيخ عبد الرحمن التي ألقاها سنة 1944 في بريان واحدة عند استقبال الشيخ بيوض، قال بشأنها: "أما خطبة الشيخ عبد الرحمن بن عمر التي ألقاها في حفل الاستقبال فتفضّل هو بإرسالها إلي."[1] وعن الخطبة الثانية عند وداع الوفد، قال كذلك: "وقد تفضّل الشيخ عبد الرحمن فأرسل إلي هذه الخطبة أيضا بخطّه."[2] وبالعودة إلى آثار البكري المطبوعة، وجدنا في مقتطفاته نموذجا للأسئلة التي كان يطرحها عليه الشيخ دبوز، ففي إحدى الصفحات نقرأ: "أسئلة للشيخ محمد علي دبوز عن نهضة العطف طلب مني الإجابة عنها."[3] من الواضح أن المؤلف قد استفاد من ميزة الشيخ عبد الرحمن في الاهتمام بالكتابة والتوثيق، على خلاف زعماء آخرين رافقوا الشيخ بيوض ورووا للمؤلف ما شاهدوه بشيء من التفصيل أحيانا وشحّ في المعلومات أحيانا أخرى، فإن جل المادة التاريخية التي استقاها المؤلف عن جولة الشيخ بيوض في قرى الوادي كانت من وزيره الشيخ عدّون، لكن شحّة المعلومات في مرحلة بريان، جعلت المؤلف

---

[1]- دبوز، زعماء الإصلاح في الجزائر، ج4، ص.176

[2]- نفسه ص.188

[3]- البكري. الشيخ عبد الرحمن بن عمر بكلي، مقتطفات من مذكرات البكري، جمع وإعداد وتقديم ابنه: عبد الوهاب بكلي، نشر مكتبة البكري، العطف-غرداية-الجزائر، 2015م، ص.642-644

يعاتب شيخه بأدب ولطف قائلا: "وكأن الشيخ عدون-حفظه الله وأبقاه-قد أدركه التعب، فآثر الراحة في بريان، فأغمد يراعه، فنام نوم الساري أرهقه السرى."[1] ولم يخف أسفه لعدم توثيق رواد الإصلاح لمسيرتهم بكل تفاصيلها في الشمال والجنوب، فقال عن دروسهم وخطبهم ومواعظهم: "لو سجلت لكانت ثروة عظمى، وغنما كبيرا للجزائر والعالم الإسلامي."[2]

ولم يمكنه الاعتماد على خطب الشيخ سليمان لأنها كانت مرتجلة وبنت تلك اللحظة، ففي خطبة العطف، قال المؤلف: "فتقدم الشيخ سليمان بن الحاج داود (أحد زعماء الإصلاح في مزاب ورئيس المصلحين في مدينته العطفاء، فوقف في مرتفع أمام الجماهير المتراصة، فارتجل خطابا حماسيا رائعا باللغة العربية الفصحى."[3] أورد خلاصته نقلا عن الشيخ عدون دائما. وكذلك خطب الشيخ سليمان في بني يسجن "خطبته الارتجالية النارية الطويلة التاريخية."[4]

ولم يمكنه الاستفادة أيضا من خطب الشيخ بيوض نفسه، فقد أقرّ هذا الأخير للمؤلف عندما سأله عن أساليبه في الخطابة: "فإني ارتجل

---

[1]- دبوز، زعماء الإصلاح، ج4، ص.176

[2]- نفسه، ص:193

[3]- نفسه، ص.112

[4]- نفسه، ص.173

خطبي ارتجالا ولا أكتبها" وتأسف الشيخ لعدم وجود آلات التسجيل عندما كان يلقي خطبه في الثلاثينات والأربعينات والخمسينات فضاعت الكثير من الخطب والدروس والمحاضرات، واعترف أن يده ثقيلة في الكتابة. وكان الشيخ بيوض يعتزّ بذاكرته وبالفتوحات الإلهية التي تجعله لا يحضر خطبه في الغالب، ثم هي تأتي متسلسلة مقنعة قوية. ومن أجمل ما قاله في هذا المجال: "إنني أكره القراءة في وقت الخطبة أو الدرس من الصفحة أمام السامعين. كل شيء أعدّه في الرأس وأشرع في الخطبة. لا أطأطئ برأسي إلى القرطاس لأقرأ وأبصار السامعين شاخصة إليَّ، إن هذا يثقل عليَّ كثيراً.[1]

وبدا واضحا أن الشخصيات التي اهتم بها دبوز هي الشخصيات التي اهتم بها من قبل الشيخ البكري، وكان البكري يخصّص حيزا مهما لأعلام بيته وعشيرته لاهتمامه ولاحتكاكه ولعلمه المسبق بهم. لذلك ظهرت شخصيات أخرى بشكل باهت، على الرغم من أنها تستحق تدقيقا وتفصيلا، مثل شخصية حاج إبراهيم محمد بن بهون.

وتشير بعض الصور الموجودة في كتب الشيخ دبوز إلى أنه قام بجولة إلى قصور وادي مزاب، منها صور للمسجد العتيق في العطف وصورة لميضأتها، وصورة لخادم المسجد وهو يضع خشبة في موقد حديدي

[1]- نفسه، 195، 197، 199

يجعل مراجل الماء الساخن تحتفظ بحرارتها.[1] ولم نعثر وسط تلك الصور على واحدة مثلاً، تجمع بين المؤلف وبين إحدى الشخصيات التي ترجم لها.

أعلام الإصلاح في العطف:

كان حضور أعلام العطف في كتابي "زعماء الإصلاح الجزء الرابع"، وكتاب "نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة في أجزائه: الأول والثاني والثالث". واختلفت المناسبات والسياقات التي كتب فيها المؤلف عن هذه الشخصيات.

قدم فقرة عنوانها علماء العطف جعل فيها سبعة من علماء البلدة الأوائل على رأسهم ابراهيم بن مناد وأبي عبد الله محمد بن بكر،[2] مثلما وضع فقرات أخرى لأعلام القصور الأخرى. وفي مرحلة نهضة مزاب الحديثة وبعد التوسع في شخصية القطب العلمية اختار الحديث عن بعض تلامذته فكان منهم الشيخ الحاج عمر بن حمو بكلي.[3] بعد ذلك انتقل إلى نهضة الإصلاحيين وتحدث عن جمعياتهم ومدارسهم، فخصص حيزا لجمعية النهضة من العطف وأورد بشأنها مجموعة من

[1]- دبوز، نهضة الجزائر، ج1، ص.170، 172

[2]- دبوز، نهضة الجزائر، ج1، ص.252

[3]-دبوز، نهضة الجزائر، ج2، ص.147-150

الأعلام المؤسسين للجمعية، واختار شخصية الشيخ أحمد بن الحاج موسى باباعمي نموذجا لزعماء الإصلاح في العطف.[1] وفي الجزء الثالث ركّز المؤلف على معهد الحياة ودوره في نهضة مزاب، وعن مجالات نشاطه، وعن قدماء التلاميذ وذكر المتفوقين والمتميزين منهم، فذكر من العطف شخصية الشيخ حاج إبراهيم محمد بن بهون، وهي ترجمة مهمة لكنها باهتة ومختصرة،[2] والغالب أن المؤلف لم تصله معلومات كافية عن محمد بن بهون الذي توفي في سن الشباب.

إبراهيم بن مناد (ق.6هـ/12م)

وضعه المؤلف ضمن علماء العطف الأوائل.[3] ولم يزد عن ذكر اسمه، واللافت حول هذه الشخصية أن الرواية الشفوية تتناقلها باستمرار، وربما كان مصلاّه الكائن في أسفل منحدر سور البلدة من جهة باب العسّة بهندسته المعمارية المتميزة سببا إضافيا في رسوخ اسمه في الذاكرة الجماعية لسكان البلدة على مرّ السنين والقرون، والغريب أن لا أحد من مصادر السير والتراجم الاباضية ذكره بالاسم

---

[1]- نفسه، ص.242-247

[2]-دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج3-المطبعة العربية-الجزائر-ط1-1969م، ص.185

[3]- دبوز، نهضة الجزائر، ج1، ص.252؛ أنظر ترجمته في: جمعية التراث، معجم أعلام الاباضية. قسم المغرب، ج2، عالم المعرفة، ط.خاصة، الجزائر، 2009م، ص. 33

ماعدا مصدر لا يزال مخطوطاً، هو "تسمية بعض مشايخ الوهبية" من تأليف مغربي إباضي مجهول في نهاية القرن السادس أو بداية القرن السابع هجري. ذكره ضمن أعلام بني مصعب قائلا: "وأما بنو مصعب فقد نسيت أن أذكرهم في زناتة هم منهم، باعبد الرحمن الكرثي، وإبراهيم بن مناد، ومسعود فهؤلاء كلهم علماء فقهاء."[1]

إبراهيم بن حاج محمد. حاج عيسى (1898-1954م)

قدّمه المؤلف كواحد من مؤسسي جمعية النهضة، ووصفه أنه "كان ورعا مخلصا، صافي الطوية كل الصفاء، حسن العشرة كريما مضيافا، مسارعا إلى الخير، مشغوفا بالإصلاح والنهضة، شجاعا لا يبالي في الله لومة لائم، وكان من العزابة في العطفاء. توفاه الله في عام 1954م عن 55 عاما يرحمه الله."[2] وهي من الشخصيات التي تنتظر اهتماما أكبر ومجمل ماهو متوفر حولها ترجمة مقتضبة وضعتها لجنة التربية لعشيرته آل الحجاج سنة 2000م،[3] وأخرى مهمة لكنها مختصرة

---

[1]- الشماخي. أبو العباس أحمد بن سعيد (ت.928هـ/1521م)، سير المشايخ، تح: محمد حسن، (ملحق: مجهول، تسمية بعض مشايخ الوهبية، ملحق سير الشماخي، ص.233)

[2]- دبوز، نهضة الجزائر، ج2، ص.244؛ وانظر الصورة الجماعية لمؤسسي الإدارة الأولى لجمعية النهضة، ص.245

[3]- لجنة التربية، عشيرة آل الحجاج بالعطف، الحفل التكريمي لأبناء العشيرة، السنة الدراسية 99/98، عيد الفطر 2000م، ص.11-12

من الشيخ محمد سعيد كعباش في كتابه جيل النهضة والإصلاح.[1]

إبراهيم بن يحي. حاج أيوب (القرادي) (1923-1989م)

كان من طلبة معهد الحياة النشطاء ومن المبدعين في مجلة الشباب، وفيها تفتّقت موهبته الشعرية فكان من المشاركين فيها رفقة ثلة من الطلبة الذين بلغوا مراتب عالية في الأدب العربي منهم علي يحي معمر والأخضر السائحي وصالح خرفي وصالح بن إبراهيم باجو ومحمد بن صالح ناصر وغيرهم.[2] شارك في الحفل الذي أقيم في العطف على شرف الشيخ بيوض ووفد الإصلاح في 27 سبتمبر 1944م، رفقة مشاركة طلبة الحياة من العطف وهم إبراهيم بن الحاج محمد باباعيسى ويحي بن الحاج إبراهيم ومسعود باباعمر. وألقى قصيدة بالمناسبة بين فصول مسرحية بلال، ووصفه قائلاً: "وألقى الشاعر الأديب إبراهيم بن يحي القرادي قصيدته."[3] ويعتبر الشيخ القرادي من رواد حركة التجديد والإصلاح في العطف ومن رواد إحياء التراث في منطقة مزاب، لكنه مقلّ في التأليف رغم بداياته

---

[1]- كعباش. محمد بن إبراهيم سعيد، جيل النهضة والإصلاح في العطفاء. بلد النضال والكفاح، نشر جمعية النهضة، العطف-غرداية-الجزائر، 1431هـ/2010م، ص.27-28

[2]- دبوز، نهضة الجزائر، ج3، ص.140؛ أنظر ترجمته في: جمعية التراث، معجم أعلام الاباضية، ج2، ص. 34-35

[3]- دبوز، زعماء الإصلاح، ج4، ص.121

القوية في مرحلة شبابه، فقد غلب عليه العمل الاجتماعي، وربما كان كتابه "رسالة في بعض أعراف وعادات وادي مزاب" وكتاب آخر جمع فيه تلميذه وصديقه محمد ناصر مقالاته وأشعاره هي الآثار الوحيدة له.[1] بالإضافة إلى محاضرات ألقيت بمناسبة تأبينه سنة 1990م، كان أهمها محاضرة الشيخ كعباش.[2]

أحمد بن الحاج موسى. باباعمي (1910-1971م)

من الشخصيات التي أفرد لها الكاتب ترجمة وافية ويبدو أنه استفاد من ترجمته المنجزة في ملحق السير ومن رصيد الشيخ البكري، بالإضافة إلى معلوماته الشخصية؛ إذ كان من معاصريه ومعاشريه. وهو من تلاميذ البعثة المزابية إلى تونس في العشرينات، التي كان على رأسها الشيخ أبو اليقظان، وكان من أحسن من أنجبتهم

---

[1]- أنظر: القرادي. الحاج أيوب إبراهيم بن يحي (1923-1989م)، رسالة في بعض أعراف وعادات وادي مزاب، تح: حاج امحمد يحي بن بهون، نشر جمعية النهضة، العطف-غرداية-الجزائر، ط1، 2009م؛ محمد ناصر، الشيخ القرادي. حياته وآثاره، نشر جمعية النهضة-العطف-غرداية-الجزائر، ط1، 1990.

[2]- كعباش. محمد بن إبراهيم سعيد، الشيخ الحاج أيوب إبراهيم القرادي. رجل الإصلاح والقيم والمبادئ، محاضرة مرقونة ألقيت في مهرجان التأبين للفقيد المرحوم يوم 8 شوال 1410هـ 3 ماي 1990 بالعطف؛ أنظر كذلك: نفسه، جيل النهضة والإصلاح، ص.120-142؛ وانظر كذلك كلمة تأبينية للشيخ كعباش، (تحت عنوان: الخاتمة السعيدة)، صرخات على مسرح المجتمع، نشر جمعية النهضة، العطف-غرداية-الجزائر، (د.ت)، ص.59-62

البعثات العلمية المزابية إلى تونس، علما وعملا وصلاحا. ويجمع كل من عرفه وعاشره من أساتذة ومشايخ وأصدقاء وزملاء وتلاميذ على تميزه بخصال لا تتوفر عند أقرانه. منها أنه كان ورعا شديد الغيرة على الدين الإسلامي، صافي الطوية، يحب الناس ويحبونه ويحترمونه، حسن العشرة، بشوشاً، وكان مشغوفا بالعلم والقراءة ومجالسة العلماء والاستفادة منهم، متواضع جدا، وكان حفاظا للقرآن قوي الذاكرة

كان من الدعاة الأكفاء المخلصين الصرحاء الشجعان، لا يبالي في الله لومة لائم، وكان عظيم التأثير في الخاصة والعامة إذا وعظ أو خطب لفصاحته وإخلاصه وصدقه. بالإضافة إلى كونه من أبرز عزابة العطف وإمام مسجدها العتيق، زاهد في الدنيا كريم مضياف لا يمسك مالاً. وأضاف الشيخ دبوز أنه "من أحسن رجالات الجنوب الذين أنجبتهم النهضة الحديثة."

كلف بالتربية والتعليم في مدينة غيليزان في سنة 1929م واستمر هناك إلى صيف 1934م، وخلف هناك رجالا عديدين مثقفين صالحين، ثم انتقل في سنة 1935 إلى قسنطينة وزاول التدريس في مدرسة الهدى الحرّة واستمر فيها إلى غاية سنة 1942م

خلال تلك الفترة كانت قد فرضت عليه الإقامة الجبرية في بلدته

العطف رفقة بعض رجال الإصلاح لعدم التزامهم بالأوامر الفرنسية فيمنع الزيارة عن الشيخ بيوض في القرارة، وبعد سنة 1942 استقر ببلدته وواصل جهاده العلمي بمدرسة النهضة منذ نشأتها إلى سنة 1968م، يجمع بين الجانب التعليمي وبين دروسه المسجدية، إلى أن توفاه الله في مدينة الجزائر في يوم الجمعة 25 ربيع الثاني 1391 هـ/ 18 جوان 1971 عن 61 عاماً. ودفن بمسقط رأسه في اليوم الموالي وحضرت جنازته الوفود من مزاب وأبّنوه وبكاه الإصلاح. وهو من مؤسسي الإدارة الأولى لجمعية النهضة[1]

كان الشيخ الحاج أحمد ضمن المتدخلين في حفل العطف الذي أقيم على شرف وفد الإصلاح، وكان حينها مثلما وصفه المؤلف "ثم قام الشيخ أحمد بن الحاج موسى باباعمي المعلم والمدير لمدرسة العطف العربية الحرّة التي أنشأتها الجمعية الإصلاحية في العطف، فزاد بالترحيب بالشيخ بيوض ورفقائه وبالضيوف، ثم استعرض تلاميذ مدرسته، فقرأ بعضهم سوراً مما حفظوه من القرآن الكريم، وبعضهم ما حفظوه من الحديث النبوي، والبعض الآخر بعض محفوظاتهم من الأدب العربي، بإلقاء فصيح موافق مؤثر، وأنشدوا أناشيد بألحان شجيّة، ثم مثّل طلبة معهد الحياة من العطف رواية

[1]- دبوز، نهضة الجزائر الحديثة، ج2، ص.245-246

(بلال بن رباح) للشيخ محمد العيد."[1]

وللتوسع حول شخصية الشيخ الحاج احمد، يمكن العودة إلى الكتاب الذي نشرته جمعية النهضة عنه سنة 2009، الذي يضم كلمات في حقه قيلت من طرف الشيخ بيوض والشيخ أبو اليقظان ومحاضرة للشيخ كعباش وخطبة تأبين للأستاذ الحاج عمر ملال، وقسم يضم نماذج من كتاباته، وقسم ثالث فيه بعض المقتطفات من كلماته وخطبه.[2]

أحمد بن موسى بن محمد الشهير بالشيخ الميغر (حي في: 970هـ/1562م)

وضعه المؤلف ضمن علماء العطف الأوائل وهو حفيد ابي عبد الله محمد بن بكر حسب المؤلف، وهو أول من أنشأ داراً للتعليم في العطف، وهو يقصد بالتأكيد الشيخ الميغر، وأضاف أن عزَّابة العطف لازالوا يزورون هذه الدار بعد صلاة العيد مباشرة إحياء لذكرى هذا العالم العامل واعترافا بجميله.[3] وتبدو معلومات المؤلف

---

[1]- دبوز، زعماء الإصلاح، ج4، ص.121؛ انظر حول ترجمته: جمعية التراث، معجم أعلام الاباضية، ج2، ص.52

[2]- جمعية النهضة، الداعية المرشد ومضات ومقتطفات. الشيخ الحاج أحمد بن الحاج موسى باباعمي (1910-1971م)، نشر جمعية النهضة، العطف-غرداية-الجزائر، 1430هـ/2009م.

[3]- دبوز، نهضة الجزائر، ج1، ص.252

هنا مقتبسة مما جمعه أبو اليقظان في ملحق سيره، ومما نقله عنه معجم الأعلام.[1]

أحمد بن أيوب (حي في: 1080هـ/1669م)

ومن أسرة أبي عبد الله، أحمد بن موسى وضعه وقد جعله المؤلف ضمن علماء العطف الأوائل. والمعلومات حوله محدودة وقليلة. وهي في مجملها مستقاة مما جمع أبو اليقظان، منها أنه نسخه للكتب منها الكشاف للزمخشري، وقد ذيلها برسالة في تنزيه المولى عز وجل، ونسخة في تفسير هود بن محكم الهواري. كما اشتهر عنه حفر الآبار، حتى أنه أنشأ بعض البساتين بالقرب من القصر، هي اليوم تحمل اسمه.[2]

أحمد بن بكير. اسماوي (1909-1987م)

اكتفى المؤلف بتقديمه ضمن الصورة الجماعية التي تضم الإدارة الأولى والمؤسسة لجمعية النهضة سنة **1945م**،[3] إذ يعتبر من

---

[1]- أنظر: أبو اليقظان. إبراهيم بن عيسى حمدي، ملحق لسير الشماخي. من رجال 950 هـ إلى رجال 1350 هـ، مخطوط، ص. 27؛ جمعية التراث، معجم أعلام الاباضية، ج2، ص. 52-51

[2]- دبوز، نهضة الجزائر، ج1، ص.252؛ أنظر كذلك: أبو اليقظان، ملحق السير، ص. 49؛ جمعية التراث، معجم أعلام الاباضية، ج2، ص. 73-74

[3]- دبوز، نهضة الجزائر، ج2، ص.245

مؤسّسيها وهو من أعيان بلدة العطف ومن مثقفيها الثقافة العربية والفرنسية، كانت له تجارة نشطة وناجحة في الحراش بالعاصمة، وكان محله في الحي الأوروبي من مراكز الثورة في العاصمة التي اتخذتها لجنة التنسيق والتنفيذ من مقرات اجتماعاتها. باشر رفقة الشيخ سليمان بن داود إجراءات شراء قطعة أرض في ناحية العالية بالعاصمة لتكون وقفا للجماعة الإباضية، وهي من الشخصيات التي تستحق البحث.[1]

أحمد بن يحي. بكلي (1910-1980م)

كان ركيزة أول مدرسة عصرية في العطف والتي تأسست سنة 1932م، قال عنه المؤلف: "وكان فيه شخصية العلم الممتازة، وكان مخلصا، وهو من أكبر أسباب ازدهارها." وكان من طلبة معهد الحياة النشطاء ومن المبدعين في مجلة الشباب، وفيها تفتّقت موهبته الشعرية فكان من المشاركين فيها رفقة ثلة من الطلبة الذين بلغوا مراتب عالية في الأدب العربي منهم علي يحي معمر والأخضر السائحي وصالح خرفي وصالح بن إبراهيم باجو ومحمد بن صالح ناصر وغيرهم. ثم انضم إلى المجموعة المؤسسة لأول إدارة لجمعية النهضة.[2]

---

[1]- أنظر: كعباش، جيل النهضة والإصلاح، ص.115-116

[2]- دبوز، نهضة الجزائر، ج2، ص.243، 245؛ ج3، ص.140

شارك في الحفل الذي أقيم في العطف على شرف الشيخ بيوض ووفد الإصلاح في 27 سبتمبر 1944م، وألقى خطابا لم يذكر المؤلف محتواه بين فصول مسرحية بلال واكتفى بوصف الأستاذ أحمد بن الحاج يحي.[1] وقد أنجزت حوله دراسة وافية نشرتها جمعية النهضة سنة 2009، ومحاضرة قيمة للشيخ كعباش.[2]

أيوب بن قاسم (ق.10هـ/16م)

وضعه المؤلف ضمن علماء العطف الأوائل.[3] وباقي المعلومات حوله نجدها في ملحق السير للشماخي، ومنها وضعت ترجمته في معجم الأعلام، اشتهر أنه من مشايخ العطف وأنه حريص على اصلاح ذات البين، ودفع في سبيل ذلك حياته في وارجلان، فدفن في المكان الذي أخذ اسمه "مقبرة أيوب بن قاسم المعروفة محليا باسم بايوب أوقاسم، وبها مصلى للجنائز.[4]

حاجو بن الحاج سليمان. بكلي (1907-1981م)

---

[1]- دبوز، زعماء الإصلاح، ج4، ص.121

[2]- جمعية النهضة، المعلم الرائد. الشيخ أحمد بن الحاج يحي بكلي (1910-1980م) حياته وآثاره، نشر جمعية النهضة، العطف-غرداية-الجزائر، ط1، 1430هـ/2009م؛ كعباش، جيل النهضة والإصلاح، ص.61-77

[3]- دبوز، نهضة الجزائر، ج1، ص.252

[4]- أبو اليقظان، ملحق السير، ص.13-14؛ جمعية التراث، معجم أعلام الاباضية، ج2، ص.67

اكتفى المؤلف بتقديمه ضمن الصورة الجماعية التي تضم الإدارة الأولى والمؤسسة لجمعية النهضة سنة 1945م،[1] وهو ابن الشيخ بكلي سليمان بن حاجو أول قاضي لمحكمة العطف. وقد غلب على حياته الجانب التجاري فكانت له تجارة واسعة لبيع الأقمشة بالجملة في العاصمة. ولم يشغله ذلك عن الاهتمام بشؤون بلدته فكان من مؤسسي جمعية النهضة وعيّن أمينا للمال. وكان يسدّد أجور المعلمين قبل إتمام عملية جمع التبرعات، وهو الذي سخّر المحل الذي آوى مدرسة الهداية في العاصمة. وكانت له مشاركة فعالة في الثورة بإمداده الثوار بالقماش الخاص باللباس العسكري، وتعرض بسبب ذلك للاعتقال والاستنطاق سنة 1959م، وكان منزله في البلدة مركزا للقيادة العسكرية للمنطقة الخامسة من الولاية السادسة حتى الاستقلال. ساهم بماله في مشاريع البلدة فقد اشترى دورا بجوار المسجد العتيق للتوسعة، وتبرع بأرض في ناحية باهيمان لبناء مصلى وفرع لمدرسة النهضة، وارض أخرى بناحية باحيو موسى لبناء مقرا جديدا لعشيرته "أولاد عبد الله" وكانت له مساهمة مالية ثقافية تمثلت في تمويل طباعة متن كتاب النيل للشيخ الثميني وكتاب قواعد

[1]- دبوز، نهضة الجزائر، ج2، ص.245

الإسلام للشيخ الجيطالي اللذان حققهما الشيخ البكري.[1]

حمو بن باحمد. بكلي (حي في: 1884م)

هو والد الشيخ الحاج عمر بن حمو، وصفه المؤلف أنه "من علماء العطف ومصلحيها، وكان شيخ مدينة العطف يأمر وينهى بيده ولسانه، يرهبه المفسدون ويهابه الحكام الظالمون، وكان من زعماء وادي مزاب، وقد اختاروه لقيادتهم في أزماتهم الشديدة مع أعدائهم، ففرجها بأصالة رأيه وشجاعته، وكان النصر لهم. وقد أورث ذكاءه وشجاعته ودينه لابنه وأنعشها فيه بتربيته الإسلامية، ووجهه إلى العلم فنشأ كما يريد والده صلاحا وحبا للعلم."[2] ويمكن إضافة أنه من تلاميذ الشيخ عبد العزيز الثميني وأنه آخر من تولّى إمامة الدفاع.[3]

حمو بن صالح. اسماوي (1905-1949م)

اكتفى المؤلف بتقديمه ضمن الصورة الجماعية التي تضم الإدارة الأولى والمؤسِّسة لجمعية النهضة سنة 1945م،[4] واشتهر أنه من دعاة الإصلاح الأقوياء ومن مشجعي البعثات العلمية إلى القرارة ومن

---

[1]- كعباش، جيل النهضة والإصلاح، ص.80-81

[2]- دبوز، نهضة الجزائر، ج2، ص.147-148

[3]- جمعية التراث، معجم أعلام الاباضية، ج2، ص.125-126؛ أبو اليقظان، ملحق السير، 120-138؛

[4]- دبوز، نهضة الجزائر، ج2، ص.245

رواد التعليم العصري في البلدة سنة 1932م، وهو ممّن ينتظر اهتماماً أكبر، وما أنجز عنه من دراسات قليل جدّا، منها ترجمة من لجنة التربية في عشيرته "آل الحجاج" وترجمة مهمة لكنها مقتضبة من الشيخ كعباش.[1]

داود بن باسعيد. بن يوسف

ينتمي إلى طبقة تلاميذ الشيخ أطفيّش، وهو من أركان الإصلاح في العطف في عهد الشيخ الحاج عمر بن حمو بكلي. كان أحد أعضاء حلقة العزابة البارزين في المسجد العتيق، واضطلع بمهمة الآذان.[2] وهو والد الشيخ سليمان بن داود.

داود بن يوسف (حي في: 626هـ/1228م)

وضعه المؤلف ضمن مجموعة علماء العطف الأوائل، وهو حفيد الشيخ أحمد بن أيوب.[3] وربما هو داود بن يوسف الذي أقام إمامة الدفاع في مزاب ضد بني غانية رفقة شخصيات مزابية أخرى، وحسب معجم الأعلام فهو ينتمي إلى بني يزليتن من مغراوة.[4]

---

[1]- لجنة التربية، عشيرة آل الحجاج بالعطف، الحفل التكريمي لأبناء العشيرة، السنة الدراسية 99/98، عيد الفطر 2000م، ص.7-8؛ كعباش، جيل النهضة والإصلاح، ص.59-60

[2]- دبوز، نهضة الجزائر، ج2، ص.150؛ كعباش، جيل النهضة والإصلاح، ص.148-149

[3]- دبوز، نهضة الجزائر، ج1، ص.252

[4]- جمعية التراث، معجم الأعلام، ج2، ص.146

سليمان بن حاجو . بكلي (1848-1933م)

ذكره المؤلف بشكل مقتضب في كتابه "نهضة الجزائر-الجزء الثاني-1971م" ثم خصّه بمحاضرة مستقلة بعد عشر سنوات ألقاها خلال فعاليات الأسبوع الثقافي الثالث لمدينة بريان سنة 1981م، فهو من أعلام العطف القلائل الذين حظوا ببحث مستفيض من طرف الشيخ محمد علي دبّوز.[1] وصفه أنه من أركان الإصلاح في العطف، وكان معاصرا للشيخ الحاج عمر بن حمو بكلي، وهو من تلاميذ الشيخ أطفيّش البارزين، وهو ممن ألزمهم القطب بتولي مهمة القضاء سنة 1882م، عندما أسّست السلطات الاستعمارية المحاكم الشرعية الاباضية في قصور مزاب السبع. تولى مهمة القضاء مدة ثلاثين سنة منها بضع سنوات في بريان. ويعتبر من أحسن القضاة علما وورعا وذكاء وحزما، خلف الشيخ الحاج عمر بن حمو في دروس الوعظ بعد وفاته بالمسجد العتيق. ولم تنقطع زيارة الشيخ لبريان بعد نهاية مهمة القضاء فيها، فكان يزورها في العشرينات والثلاثينات، ويلقي فيها دروسه ومواعظه وفتاويه، ويكتب لهم وصاياهم، وهو فوق ذلك اشتهر بمداواة الأمراض العقلية. أشار المؤلف أن الشيخ سليمان بن

[1]- دبوز محمد علي، الشيخ سليمان بن حاجو في العطف وبريان، محاضرة مرقونة ألقيت بمناسبة الأسبوع الثقافي الثالث لمدينة بريان، 1981م، ص:1-16

حاجو كان صديقا لعائلته تحبّه وتكنّ له كل إجلال، وهو بدوره يحبها حبا شديداً.[1] وهي من دلالات الاهتمام بشخصية سليمان بن حاجو، بالإضافة إلى تولّيه القضاء في مدينة بريان مدينة المؤلف، وأنه كان صديقا حميما لعائلة المؤلف مثلما صرح هو بنفسه، ولذكرى القاضي في نفس المؤلف تأثير كبير، إذ يقول: "وقد جلست إليه مراراً وأنا طفل فحفظني أدعية نافعة، وزودني بنصائح غالية ولا زلت أجد لمواعظه ولمنظره الجليل وهو في لباسه الديني بين كتبه أثراً عميقاً في نفسي."[2]

سليمان بن الحاج داود. بن يوسف (1906-1992م)

كان من المنطقي أن يحظى الشيخ سليمان بن داود بن يوسف بنصيب وافر من كتابات محمد علي دبوز، باعتباره رمز من رموز الإصلاح في العطف ومزاب والجزائر، ذكره في البداية كأحد التلاميذ البارزين للشيخ إبراهيم بن بكير حفار، رفقة تلاميذ متميزين من قصور أخرى منهم الشيخ محمد بابانو والشيخ إبراهيم بن بنوح متياز والشيخ يوسف بن بعمور.[3]

---

[1]- دبوز، نهضة الجزائر، ج2، ص.150.

[2]- دبوز، نفسه، ص.150؛ ويمكن التعرف أكثر عنه في: أبو اليقظان، ملحق السير، ص.187-189؛ جمعية التراث، معجم الأعلام، ج2، ص.199.

[3]- دبوز، نهضة الجزائر، ج2، ص.146.

وأكثر المحطات التي تحدث فيها عنه، كانت بمناسبة الزيارة التاريخية للشيخ بيوض لقصور مزاب سنة 1944م بعد رفع الإقامة الجبرية عنه، وهي الزيارة التي خصص لها المؤلف حيزا هاما من كتابه زعماء الإصلاح في الجزائر في جزئه الرابع، وبرّر اهتمامه بتلك الزيارة قائلاً: "لأن لهذه الرحلة أثراً كبيرا في الإصلاح ونشاط المصلحين ذلك النشاط الكبير في جهادهم لبناء الأمة من وسط الأربعينات إلى عهد الاستقلال، وهي دليل على قوة الإصلاح في ذلك العهد، وعلى انتشاره الواسع في مدن مزاب." وحظي الشيخ سليمان بثناء الشيخ بيوض أثناء زيارته للعطف، فقال عنه: "...بفضل هؤلاء الجنود الذين أمامي، وأولئك الابطال أمثال الشيخ سليمان بن الحاج داود الذين أعانوني، وأمدوني بقوتهم، فهم أعضادي اليمنى، وكاهلي القوي، لولاهم ما استطعت النهوض بأعباء الجهاد الثقيلة، وهم أجنحتي، لولاهم ما استطعت أن أطير، فلهم المنّة عليَّ، ولهم الفضل، أدامهم الله وأكثر أمثالهم."[1]

كان الشيخ سليمان من مرافقي الشيخ بيوض في هذه الرحلة، وكان هو الخطيب الأول في العطف، مستقبلا وفد الإصلاح في 26

[1]- دبوز، زعماء الإصلاح، ج4، ص.111، 115، 191

سبتمبر 1944م،[1] ولجرأته زاد خطبة في بني يسجن على الرغم من الجو المشحون الذي صاحب الزيارة، ووصف الشيخ الدبوز خطبة الشيخ سليمان قائلاً: "وخطب بعده الشيخ سليمان بن الحاج داود خطبته الارتجالية النارية الطويلة التاريخية ذكر فيها محاربة أعداء الإصلاح للمصلحين الأولين في عهد القطب ومن قبله، وصبّ قوارعهم عليهم." وبعد قرى مزاب الخمس رافق الشيخ سليمان الشيخ بيوض إلى بريان على رأس وفد العطف المدعويين، وقد خصّه الشيخ عبد الرحمن بالمدح رفقة زعماء الإصلاح الآخرين، فقال: "سليمان بن الحاج داود لسان شباب الأمة، وترجمان إحساسها في الدوائر العليا."[2] وبعد الزيارة بسنة واحدة تأسست جمعية النهضة بالعطف وكان الشيخ سليمان من أعضاء الإدارة الأولى لها.[3]

سليمان بن عبد الله المرزوقي (ت:929هـ/1522م)

وضعه المؤلف ضمن مجموعة علماء العطف الأوائل.[4] ولم

---

[1]- دبوز، أعلام الإصلاح، ج4، ص.111، 115، 191

[2]- دبوز، نفسه، ص.172-173، 178

[3]- دبوز، نهضة الجزائر، ج2، ص.245، جمعية التراث، معجم الأعلام، ج2، 200-202؛ كعباش، الشيخ العبقري المرحوم السيد: الحاج سليمان بن الحاج داود ابن يوسف 1906-1992م، محاضرة (مرقونة) ألقيت بمكتبة النهضة، العطف-غرداية-الجزائر، 1428هـ/2007م، ص:1-9.

[4]- دبوز، نهضة الجزائر، ج1، ص.252

يقدم معلومات إضافية. وربما كانت ترجمته عند أبي اليقظان هي الوحيدة، ومنها نقل معجم الأعلام. فهو سليمان بن عبد الله المرزوقي (ت:929هـ/1522م) له جوابات في الدفاع عن المذهب الإباضي، وهي موجودة حسب أبي اليقظان.[1]

صالح بن الحاج أحمد. اسماوي

من رواد التعليم في العطف وممن ساهم في إنشاء أول مدرسة عصرية حرة للتربية الإسلامية والتعليم في الجنوب في سنة 1932م، ثم سارعت مدن مزاب لإنشاء مثلها، وللعطفاء فضل السبق إلى هذا وأجر المقتدى به.[2] والمعلومات حوله تبدو منعدمة في مختلف المراجع التي اهتمت بأعلام العطف.

صالح بن الحاج بكير. بكلي

من رواد التعليم في العطف وممن ساهم في إنشاء أول مدرسة عصرية حرة للتربية الإسلامية والتعليم في الجنوب في سنة 1932م، ثم سارعت مدن مزاب لإنشاء مثلها، وللعطفاء فضل السبق إلى هذا

[1]- أبو اليقظان، ملحق السير، ص.9-10؛ جمعية التراث، معجم الأعلام، ج2، ص.206

[2]- دبوز، نهضة الجزائر، ج2، ص.243

وأجر المقتدى به.[1] وهو كذلك من الشخصيات التي لم نجد حولها معلومات إضافية، وربما احتاج الأمر إلى السؤال من جديد وتجميع المعلومات حول هؤلاء الأعلام.

صالح بن الحاج عمر. حاج عيسى (1908-1981م)

اكتفى المؤلف بتقديمه ضمن الصورة الجماعية التي تضم الإدارة الأولى والمؤسسة لجمعية النهضة سنة 1945م،[2] وكان من المناصرين الأوفياء للحركة الإصلاحية ولزعيمها الشيخ بيوض، حيث هنأه بمناسبة نجاحه في انتخابات 1947م، وتعرض للإقامة الجبرية بعد زيارته للشيخ بيوض في إقامته الجبرية بالقرارة من دون رخصة، ورث حبّه للعلماء من والده الحاج عمر بن بلحاج الذي أنفق من ماله الكثير في سبيل طبع عناوين عديدة من كتب الشيخ اطفيش. وأثناء الثورة تعرض متجره لهجوم من عناصر المنظمة السرية الفرنسية O.A.S وإصابته رصاصات لكنها لم تقتله.[3]

---

[1]- دبوز، نفسه، ص.243؛ لم يرد اسمهما ضمن المؤسسين لهذه المدرسة في قائمة وضعها الشيخ كعباش، أنظر كتابه: العطف: تاجنينت. أم القرى الميزابية في ذكراها الألفية، طبع ونشر جمعية ألفية العطف-غرداية-الجزائر، 1996م، ص.105-106

[2]- دبوز، نهضة الجزائر، ج2، ص.245

[3]- كعباش، جيل النهضة والإصلاح، ص.84-85؛ كعباش، العطف: تاجنينت أم القرى، ص.90.

صالح بن الحاج محمد. بن لولو (1905-1978م)

اكتفى المؤلف بتقديمه ضمن الصورة الجماعية التي تضم الإدارة الأولى والمؤسسة لجمعية النهضة سنة 1945م،[1] وكان قبل ذلك مساهما ومساناداً لمدرسة الشيخ بكلي أحمد بن الحاج يحي في الثلاثينات. ثم تولى أمانة المال في جمعية النهضة سنة 1954م، بعد وفاة حاج عيسى إبراهيم بن الحاج محمد، حيث أُنشئ الجناح الأول للمدرسة في عهده سنة 1955م.[2]

عبد الرحمن بن عمر . بكلي (1901-1986م)

الشيخ عبد الرحمن بكلي المشهور بالبكري شخصية إصلاحية بامتياز، ذكره الشيخ الدبوز في أكثر من محطّة، ذكره باعتباره من تلاميذ الشيخ الحاج عمر بن حمو بكلي وهو عمّه في نفس الوقت.[3] لعل أهمها حين كان على رأس أهل بريان وهم يستقبلون الشيخ بيوض ورفاقه من الإصلاحيين في 3 أكتوبر 1944، ثم أورد المؤلف خطاب الشيخ عبد الرحمن كاملا وصفه بأنه خطاب بليغ عن لسان الجمعية الخيرية، وهيآت المدينة كلها، وأهالي بريان كلهم، رحب فيه

---

[1]- دبوز، نهضة الجزائر، ج2، ص.245

[2]- كعباش، جيل النهضة والإصلاح، ص.55-56

[3]- دبوز، نهضة الجزائر، ج2، ص.150

بالشيخ بيوض وبين مكانته السامية في النفوس وذكر بعض مناقبه.[1] وكان من تاثير زيارة الشيخ بيوض أن بادرت الجماعات الإصلاحية إلى تأسيس جمعيات ثقافية للنهوض بالتعليم وتحديث أساليبه، وعلى رأسها العطف وجمعيتها النهضة التي تأسست سنة 1945م فكان الشيخ عبد الرحمن ضمن ثلة من أعلام العطف الذين بادروا إلى تأسيس الجمعية وعضو الإدارة الأولى لها.[2]

يقول دبوز عن البكري: "والشيخ عبد الرحمن من علماء الجزائر البارزين، ومن أقطاب الإصلاح وقادته في وادي مزاب، وتمتاز خطبه وما يكتبه بالتفكير المنطقي، والتزام الحقيقة، والايجاز في العبارة، لا تستبد به العواطف في خطبه فيجمح به وجدانه، ولا يستوحي خياله فيقرر غير الحقيقة." ويقدم لنا على لسان الشيخ بيوض معلومات مهمة عن سبب انتقال الشيخ البكري إلى بريان، فقال: "وهي التي آوت الشيخ عبد الرحمن بن عمر الذي ضاقت به بلدته، وعرفت بريان مقامه العظيم، ألم يكن الأولى به مسقط رأسه العطفاء. ولكن أراد الله أن يكون بريان أول من يحظى بالشيخ، وبدروسه

[1]-دبوز، زعماء الإصلاح، ج4، ص.178

[2]- دبوز، نهضة الجزائر، ج2، ص.245

القيمة، وجهاده الكبير."[1]

وشخصية البكري ثرية في عطائها، ترك لنا آثاراً جليلة وثّق من خلالها حياته وهي بمثابة شهادة على عصره (القرن العشرين).[2]

عدّون بن بكلّي حاج محمد

من رواد التعليم في العطف وممّن ساهم في إنشاء أول مدرسة عصرية حرة للتربية الإسلامية والتعليم في الجنوب في سنة 1932م، ثم سارعت مدن مزاب لإنشاء مثلها، وللعطفاء فضل السبق إلى هذا وأجر المقتدى به.[3]

عمر بن حمو. بكلي (1837-1922م)

ولد في بلدة العطف سنة 1253هـ/1837م، والدته هي "مسعودة بنت الحاج مسعود التقية الفاضلة، ضاعفت بوراثتها الزكية وراثة زوجها في الابن وكانت له في التربية وحسن التوجيه مثله."[4] وهي المرأة الوحيدة من العطف التي ذكرها الشيخ دبوز. ووالده هو حمّو

---

[1]- دبوز، زعماء الإصلاح، ج4، ص.180-181، 182

[2]- جمعية التراث، معجم الأعلام، ج2، ص.249-253؛ كعباش، جيل النهضة والإصلاح، ص.105-114

[3]- دبوز، نهضة الجزائر، ج2، ص.243؛ كعباش، العطف: تاجنينت أم القرى الميزابية، ص.105

[4]-دبوز، نهضة الجزائر، ج2، ص.148

بن باحمد بكلي "من علماء العطف ومصلحيها، وكان شيخ مدينة العطف يأمر وينهى بيده ولسانه، يرهبه المفسدون ويهابه الحكام الظالمون، وكان من زعماء وادي مزاب، وقد اختاروه لقيادتهم في أزماتهم الشديدة مع أعدائهم، ففرجها بأصالة رأيه وشجاعته، وكان النصر لهم. وقد أورث ذكاءه وشجاعته ودينه لابنه وأنعشها فيه بتربيته الإسلامية، ووجهه إلى العلم فنشأ كما يريد والده صلاحا وحبا للعلم."[1]

نشأ الحاج عمر بن حمو بالعطف وهو من أسرة علم وشجاعة وفضل، أخذ نصيبه من العلم في صغره فحفظ القرآن وأتقن مبادئ اللغة العربية على يد والده، ثم وجهه إلى بني يسجن وأتم دراسته على يد شيوخها: الشيخ الحاج اسعيد بن يوسف، والشيخ محمد بن سليمان بن دريسو، والشيخ محمد بن يوسف أطفيّش الذي لازمه طويلا. فقد كان من تلاميذه البارزين ومن بطانته وساعده الأيمن في جهاده، والقطب من جهته يحبه حبا شديدا ويعتدّ به، وكلما ألم به أمر أرسل إليه يستدعيه من العطف. لقد كانت بدايته تنبأ بمستقبل عالم في العلوم الشرعية واللغوية والحساب والفلك، وهبه الله ذاكرة قوية يحفظ القاموس المحيط، حافظ للأنساب، سواءً أنساب القبائل العربية

[1]- دبوز، نفسه، ص.147-148

في الصحراء، أو بأنساب وعشائر مزاب. وهو كذلك أديب مرح عذب النكتة، وله علاقات ودية وحميمية مع القبائل البدوية وزعاماتها يزورهم ويزورونه، ومن خلال هذه الصفة يكون الحاج عمر بن بلحاج ممّن ساهم في اختزال مسافة الجفاء بين بني مزاب وقبائل البدو في الصحراء. لكن غلب الطابع الاجتماعي واهتمامه بنشاطه التجاري والفلاحي، ولكثرة اجتماع الناس إليه، انقطع عن التأليف فبقي علمه محفوظا في صدره ولم يدوّن منه إلاّ النزر اليسير مما حفظته الرواية الشفهية.[1]

يعتبر شيخ بلدة العطف ثم شيخ وادي مزاب، فاختير لرئاسة مجلس أمّي سعيد. كان في واجهة المطالبين بحقوق مجتمعه، وكان له دور بارز في رفض التجنيد الإجباري الذي فرضته السلطات الاستعمارية سنة 1912م، وهي المعركة التي استمرت 34 سنة وانتهت بإعفاء المزابيين من التجنيد سنة 1946. وللشيخ يد بيضاء في ثورة أولاد سيدي الشيخ التي انطلقت سنة 1864م، وكان يمدهم بالسلاح والبارود وهو يحظى عندهم بمقام واحترام.[2] تولى مهمة الوعظ والإرشاد في مسجد أبي سالم سنة 1303هـ خلفا لوالده، ثم في

[1]-دبوز، نفسه، ص.147-150

[2]- دبوز، نفسه، ص.149؛ كعباش، العطف: تاجنينت أم القرى الميزابية، ص.80-81

المسجد العتيق، وكان ضمن كوكبة بثها القطب في قصور الوادي تعمل على إصلاح المجتمع، ثم دفع ضريبة جهاده الاجتماعي بأن استهدفه الحكام العسكريون فنفوه إلى سجن تعظميت في سنة 1915م، ثم زادوا عليه إقامة جبرية في الأغواط. وقضى في ذلك ثلاث سنوات. عاد الشيخ الحاج عمر إلى التدريس في معهده الذي خصّصه للدراسة الابتدائية والثانوية في بلدته، وتخرج على يديه ثلة من الأعلام الذين واصلوا نهضة القطب ورعوها، منهم الحاج محمد بن مسعود باباعمي، والحاج مسعود بن إبراهيم قباض، والشيخ يوسف بن بكير حمو اعلي، والشيخ عبد الرحمن بن عمر بكلي.[1] توفي في يوم الجمعة آخر ذي الحجة 1340هـ/13 أوت 1922 عن سبع وثمانين سنة.

عمر بن عيسى. حاج امحمد (1884-1973م)

قدمه الشيخ دبوز كواحد من رواد التعليم في العطف وممن ساهم في إنشاء أول مدرسة عصرية حرة للتربية الإسلامية والتعليم في الجنوب في سنة 1932م، وصفه المؤلف رفقة السيد عمر بن محمد شراح بأنهما "من الشجعان الثابتين المخلصين الذين قارعوا الاستعمار ودافعوا عن النهضة وحقوق الأمة الأخرى، وطالبوا بإلغاء التجنيد

[1]-دبوز، نهضة الإصلاح، ج2، ص.149-150؛ كعباش، العطف: تاجنينت أم القرى الميزابية، ص.80-81

الإجباري، فبلغوا مرادهم، وجنت الأمة من جهادهم خيرا كثيرا."[1] وهي شخصية محورية في تاريخ العطف ومزاب في الفترة المعاصرة، اشتهر بشجاعته الاجتماعية والسياسية، كان مفوّض الأمة المزابية للدفاع عن حقوقها أمام الهيئات الاستعمارية، وخاصة في قضية التجنيد الاجباري. وحسب معجم الأعلام فإن المؤلفات التي تنسب إليه هي من أفكاره ومن تأليف الشيخ أبي اليقظان.[2]

عمر بن عيسى بكلي (ت. قبل 1971م)

هو والد الشيخ عبد الرحمن بن عمر "البكري". من رواد التعليم في العطف وممن ساهم في إنشاء أول مدرسة عصرية حرة للتربية الإسلامية والتعليم في الجنوب في سنة 1932م،[3] وهو ممن سعى إلى إلغاء التجنيد الإجباري رفقة شخصيات أخرى.[4]

محمد بن باحمد بن يوسف أولاد حاجو: قائد البلدة (1884-1955م)

لم يذكره المؤلف بالاسم وقد نقل مشاهد الاستقبال نقلا عن الشيخ عدّون شريفي، ذكره بلقبه الوظيفي ضمن المستقبلين لوفد

[1]- دبوز، نهضة الجزائر، ج2، ص.243

[2]- جمعية التراث، معجم الأعلام، ج2، ص.310-311

[3]- دبوز، نهضة الجزائر، ج2، ص.243

[4]- جمعية التراث، معجم الأعلام، ج2، ص.311

الإصلاح،[1] وبالنظر إلى تاريخ الزيارة 26 سبتمبر 1944م فإن قائد بلدة العطف كان السيد أولاد حاجو محمد بن باحمد بن يوسف. الذي عيّن قائدا للبلدة يوم 24 جوان 1938م، ثم سمي قائد القواد في 1947م. ولا يمكن الجزم إن كان حضور القائد لمراسيم الاستقبال كان من منطلق وظيفته التي تحتم عليه استقبال وفد مهم قدم إلى العطف، أو أنه من المتحمسين للإصلاح ولزعمائهم. ثم إن القائد حضر وليمة الغذاء التي نظمت على شرف وفد الإصلاح في إحدى المنازل، وكان مما أثاره الشيخ بيوض في هذا اللقاء، ضرورة الإكثار من هذه الاجتماعات ولمّ شمل مكونات المجتمع وتجاوز الخلافات الجزئية والحساسيات الشخصية، ثم ضرب مثلاً بالمكونات الحاضرة قائلا: "ونرى مثل هذا الاجتماع الجامع لهذه الطبقات: العزابة والهيئة الدينية، والقايد وأعضاء البلدية، والأساتذة المثقفين، وأعيان المدينة الآخرين وعامتها." والمعروف عن الشيخ بيوض أنه يتحدث في خطبه من وحي الواقع، وكأنه يتعمد ويشير إلى حساسيات بين قيادات البلدة واختلاف وجهات النظر. ويبدو أن القايد كان حاضرا في حفلة يوم الأربعاء 27 سبتمبر 1944م، فعندما انتهى الحفل بخطاب آخر للشيخ بيوض كان من بين الذين شكرهم: العزابة والقايد والضمان والمجلس

[1]- دبوز، زعماء الإصلاح، ج4، ص.112

البلدي والأعيان.[1]

محمد بن بهون. حاج ابراهيم (1912-1951م)

كان من المؤسسين لجمعية النهضة ومن أعضاء الإدارة الأولى لها.[2] شارك في الحفل الذي أقيم في العطف على شرف الشيخ بيوض ووفد الإصلاح في 27 سبتمبر 1944م، وألقى خطابا لم يذكر المؤلف محتواه بين فصول مسرحية بلال واكتفى بوصف الأستاذ محمد بن بهون.[3] وصفه الشيخ دبوز قائلا: "الأديب المخلص البطل الأستاذ محمد بن بهون حاج إبراهيم من خريجي معهد الحياة الأولين البارزين وأبناء البعثة البيوضية، وهو من مدينة العطفاء، يمتاز بالذكاء الوقّاد، وصفاء الطويّة، والحب الشديد للعلم، له قلم ولسان. كان من الدعاة الكبار المخلصين الشجعان الناجعين للنهضة. تولى التدريس والإدارة في مدرسة النهضة بمدينة العطفاء سنين كثيرة، توفي في رجب 1371هـ/14 ماي 1951م عن عمر 41 سنة رحمه الله."[4]

---

[1]- دبوز، زعماء الإصلاح، ج4، ص.116، 128؛ وللتعرف أكثر عن قواد العطف، أنظر: حاج اسعيد يوسف، تاريخ بني مزاب. دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، (د.ن)، غرداية-الجزائر، ط4، 1438هـ/2017م، ص.177-178

[2]- دبوز، نهضة الجزائر، ج2، ص.244، 245

[3]- دبوز، زعماء الإصلاح، ج4، ص.121

[4]- دبوز، نهضة الجزائر، ج3، ص.185

يبدو من خلال الأوصاف التي منحها المؤلف لمحمد بن بهون أنه يستحق ترجمة مفصّلة، ويرجّح أن المؤلف أعوزته المصادر والوثائق فلم يصل إلى شيء ذي بال عن هذه الشخصية المتميزة. ولحسن حظ الأجيال في العطفاء أن الشيخ كعباش كان من أنجب تلاميذه فحفظ فضل شيخه عليه، وأنجز ترجمة وافية عنه.[1]

محمد بن حنّي. هيبة (1905-1991)

اكتفى المؤلف بتقديمه ضمن الصورة الجماعية التي تضم الإدارة الأولى والمؤسسة لجمعية النهضة سنة 1945م،[2] وتولّى رئاستها سنة 1967م خلفا للشيخ سليمان بن داود، واستمر في رئاستها إلى وفاته سنة 1991م، وربما كانت الجمعية بمكتبها الجديد (1967) أول جمعية تحصل على الاعتماد في المنطقة.[3]

محمد بن عبد الله. أبو عبد الله

وضعه المؤلف ضمن علماء العطف الأوائل، جاء من جبل نفوسة فحلّ بالعطف، وهو عالم جليل.[4] وهو من الأعلام الذين لا

---

[1]- كعباش، الشيخ الحاج إبراهيم محمد بن بهون (1912-1951م)، محاضرة (مرقونة) ألقيت بمناسبة عيد الثورة المباركة، العطف-غرداية-الجزائر، 1407هـ/1986م؛ ص:1-26.

[2]- دبوز، نهضة الجزائر، ج2، ص.245

[3]- كعباش، جيل النهضة والإصلاح، ص.145-146

[4]- دبوز، نهضة الجزائر، ج1، ص.252

تتوفر حولهم معلومات إضافية، وكنا نعتقد أنه ربما يكون عبد الله بن يحي (ق.7هـ/13م) أحد مشايخ العطف الذي قام بإحياء السنن وسير العزابة، وتبرع بقطعة أرض لتكون مقبرة لسكان البلدة وهي المعروفة إلى الآن باسم "مقبرة باعبد الله"[1] لكن المسألة تحتاج إلى تحقق؛ إذ يظهر اختلاف في تركيب الأسماء.

محمد بن عمر شرّاح. بوبكر (1892-1980م)

قدمه الشيخ دبوز كواحد من رواد التعليم في العطف وممن ساهم في إنشاء أول مدرسة عصرية حرة للتربية الإسلامية والتعليم في الجنوب في سنة 1932م، ثم سارعت مدن مزاب لإنشاء مثلها، وللعطفاء فضل السبق إلى هذا وأجر المقتدى به، وصفه المؤلف رفقة السيد عمر بن عيسى حاج محمد بأنهما "من الشجعان الثابتين المخلصين الذين قارعوا الاستعمار ودافعوا عن النهضة وحقوق الأمة الأخرى، وطالبوا بإلغاء التجنيد الإجباري، فبلغوا مرادهم، وجنت الأمة من جهادهم خيرا كثيرا." وزاد أنه ممن له تجارة في الشمال ومن أنصار نادي الترقي ومن أصدقاء الشيخ الطيب العقبي، وكان من

[1]- أنظر: جمعية التراث، معجم الأعلام، ج2، ص.279

مؤسسي جمعية النهضة وعضو الإدارة الأولى لها.[1]

محمد بن مسعود. باباعمي (1879-1927/10/27م)

من تلاميذ الشيخ الحاج عمر بن حمو بكلي ومن خريجي معهده، يقول المؤلف: "وترك للإصلاح تلاميذ كثيرين عاملين، منهم المصلح الخير العظيم السيد الحاج محمد بن مسعود باباعمي وغيرهم ممن كونهم عمليا."[2] ومن رواد التعليم في العطف في بداية القرن قبل تأسيس جمعية النهضة، والتي كانت جمعية خيرية، وصفه المؤلف: "كان مثقفا خيرا مخلصا كريما بالـغ السخاء، شجاعا ورعا شديد الغيرة على الدين والوطن، شديد الحب للعلم وأهله، ذا رأي سديد، طماحا يريد التقدم والتجدد، قل ما يوجد مثله في خصائصه، توفي في عام 1927م عن 48 سنة في أزهى شبابه ونشاطه في جهاده، فخسرت النهضة والجزائر بوفاته خسارة كبرى يرحمه الله."[3]

ذكره المؤلف مرة ثانية ووصفه بالمصلح الكبير الخيّر، وقد شهدت داره الفسيحة الحفلة التي أقامتها جمعية الإصلاح في العطف على شرف الشيخ بيوض ومن معه في مساء يوم الأربعاء 9 شوال

---

[1]- كعباش، جيل النهضة والإصلاح، ص.78-79؛ جمعية التراث، معجم الأعلام، ج2، ص.390-391؛ دبوز، نهضة الجزائر، ج2، ص.243، 245

[2]- دبوز، نهضة الجزائر، ج2، ص.149

[3]- دبوز، نفسه، ص.242

1363هـ/27 سبتمبر 1944م. ويصف دبوز ذلك الجو على لسان الراوي "الشيخ عدون" بالقول: "وبعد صلاة العشاء والعَشاء ذهبنا إلى الحفلة التي تقام للشيخ بيوض في دار المصلح الكبير الخير المرحوم السيد الحاج محمد بن مسعود باباعمي، وهي دار فسيحة،[1] أقيمت الحفلة في الطابق الأول منها حيث جعل المسرح في ناحية منه، وكانت فيه مقاعد للضيوف الذين دعوا للحفلة من مدن مزاب كلها فأسرعوا إليها، فامتلأ بهم الطابق الأول على سعته، وكانوا يتجاوزون المائة والخمسين، أما أكثر أهل العطف فإنهم يطلّون من الطابق الثاني الأعلى."[2]

مسعود بن إبراهيم. سعيد قباض (1852-1918م)

من تلاميذ الشيخ اطفيش في بني يسجن ومن تلاميذ الشيخ الحاج عمر بن حمو بكلي في العطف، تخصص للتربية والتعليم والإصلاح الاجتماعي، وكان من أركان النهضة في العطف.[3] وصفه أبو اليقظان بالعلم الورع التقي، قليل القول كثير العمل، من قدماء تلامذة الشيخ أطفيش. وكان إماماً وشيخاً في المسجد العتيق، وقد

[1]- الحديث هنا عن منزل محمد بن مسعود باباعمي وليس عنه شخصيا، فهو قد توفي في 1927م

[2]- دبوز، زعماء الإصلاح، ج4، ص.121

[3]- دبوز، نهضة الجزائر، ج2، ص.149-150

أدركه أبو اليقظان يدرس عند الشيخ اطفيش كتاب مغنى اللبيب، كانت له دروس خاصة يلقيها في بيته، مؤلفه الوحيد: "ردٌّ على من عارض التصلية خلال التلاوة." أين توجد نسخة منه في مكتبة آل فضل ببني يسجن.[1]

مسعودة بنت الحاج مسعود، والدة عمر بن حمو. بكلي

هي المرأة الوحيدة من العطف التي ذكرها المؤلف، ولم تذكر لذاتها وإنما جاءت في سياق الحديث عن شخصية الحاج عمر بن حمو بكلي، فجاء ذكر والدته "مسعودة بنت الحاج مسعود التقية الفاضلة، ضاعفت بوراثتها الزكية وراثة زوجها في الابن وكانت له في التربية وحسن التوجيه مثله."[2] ولا نكاد نجد ترجمة لها في أي مرجع من المراجع

يوسف بن بكير . حمو علي (1887-1984م)

ترجمة مقتضبة أوردها عنه الكاتب، رغم مسيرته الطويلة؛ إذ كتب أنه من تلاميذ الشيخ اطفيش في بني يسجن ومن تلاميذ الشيخ الحاج عمر بن حمو بكلي في العطف، تخصص للتربية والتعليم

---

[1]- أبو اليقظان، ملحق السير، ص.185-186؛ جمعية التراث، معجم الأعلام، ج2، ص.416.

[2]-دبوز، نهضة الجزائر، ج2، ص.148

والإصلاح الاجتماعي، وكان من أركان النهضة في العطف.[1] والحقيقة أن الأبحاث حول شخصية الشيخ يوسف قليلة ولا تفي بالغرض، ماعدا ترجمة وضعها زميله الشيخ إبراهيم أبو اليقظان في ملحق السير،[2] وكلمة تأبينية في يوم جنازته من طرف الشيخ محمد سعيد كعباش بعنوان: "شيخ البلد في ذمة الله"[3]، وترجمة جمعها الباحث كروم الحاج أحمد في كتيّب سنة 1995م،[4]

قراءات ودلالات

-تبدو معلومات المؤلف حول ظروف الاستقرار في المنطقة يشوبها النقص واللبس؛ إذ أهمل سكان القرى القديمة قبل ظهور القرى السبع المشهورة، بسبب انتماءهم للمذهب المعتزلي، مما أوقعه في الخلط بين الوجود القديم لقبيلة بني مصاب الزناتية في المنطقة وبين تمذهبها بالمذهب الاباضي، فأصبح بداية المذهب في المنطقة بالنسبة له تعني بداية وجود السكان وفي هذا خلل واضح.

---

[1]- دبوز، نفسه، ص.150

[2]- أبو اليقظان، ملحق السير، ص.353-356

[3]- كعباش، صرخات على مسرح المجتمع، ص.37-39

[4]- كروم أحمد بن حمو (جمع وتنسيق)، العلامة الجليل الشيخ: يوسف بن بكير حمو على (1887-1984م). حياته وآثاره، نشر جمعية الأمل للتربية والثقافة، العطف-غرداية-الجزائر، 1415هـ/1995م

-كان المؤلف دقيقا في ترجمته لزعماء الإصلاح في منطقة مزاب وفي الوطن الجزائري، لكنه لم يكن دقيقا في التاريخ الوسيط وعمد إلى العموميات، وهذا لا يفهم منه أن المؤلف مختص في التاريخ الحديث فقط، فللشيخ الدبوز مجلدات مشهورة في تاريخ المغرب الاسلامي

-تحدث الكاتب عن الأسر العلمية في العطف، وذكر أسرتين الأولى هي أسرة مؤسس حلقة العزابة أبي عبد الله، فقد ذكر أحد أحفاده، ثم قال: "وأسرة ابي عبد الله أنشأت علماء كثيرين في العطف، منهم الشيخ أحمد بن أيوب، والشيخ داود بن يوسف حفيده."[1] وأثناء ترجمته لشخصية عمر بن حمو بكلي، قال عن أسرته آل بكلي: "وكانت أسرته (آل بكلي) أسرة الذكاء والعلم والشجاعة والفضل وحب الخير، أنجبت للجزائر جماعة من العلماء والمصلحين في القديم والحديث.[2] وعن نفس الشخصية نبّه المؤلف إلى ظاهرة توارث العلم داخل الاسر العلمية، وحرص الأبوين على استمرارية العلم ونمائه في ذريتهما فقال عن والده حمو بن باحمد بكلي: "وقد أورث ذكاءه وشجاعته ودينه لابنه وأنعشها فيه بتربيته الإسلامية،

[1]- دبوز، نهضة الجزائر، ج2، ص.252

[2]- دبوز، نفسه، ص.147

ووجهه إلى العلم فنشأ كما يريد والده صلاحا وحبا للعلم."[1] وأشار إلى تأثر الزوجة بالزوج والتأثير في الابن بالقول: "مسعودة بنت الحاج مسعود التقية الفاضلة، ضاعفت بوراثتها الزكية وراثة زوجها في الابن وكانت له في التربية وحسن التوجيه مثله."[2]

-باعتبار الشيخ دبوز معلما من معالم تيار الإصلاح، فإن أعلام تيار المحافظين كانوا غائبين كليا في كتاباته، وربما التمسنا العذر المنهجي للمؤلف عندما وضع عناوين لكتبه تبيّن وتوضّح أنه يكتب لتيار دون آخر، مثل عنوان: "زعماء الإصلاح في الجزائر" أو عنوان "نهضة الجزائر الحديثة" وعلى منواله سار بعض علماء الإصلاح في تآليفهم، مثل تأليف الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش "جيل النهضة والإصلاح في العطفاء بلد النضال والكفاح" إذ جمع كلمتي "الإصلاح" و"النهضة" اللتان خصّصا لهما الشيخ دبوز كتابين مستقلين. كما أن حالة الاستقطاب السائدة آنذاك قد ألقت بضلالها على كتاباته فيشير مرات إلى شدّة الصراع الفكري، وربما وصل الأمر إلى توظيف مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم ومواقف الصحابة في ثباتهم على المبدأ ومواجهة المشركين، فيقوم بإسقاطها على جهود

[1]- دبوز، نفسه، ص.147-148

[2]-دبوز، نهضة الجزائر، ج2، ص.148

زعماء الإصلاح في موجهة تيار المحافظين. والأمثلة أكثر من أن تحصى في هذا المجال، نجدها في أغلب خطب الإصلاحيين، وهي موجودة كذلك في معسكر المحافظين. وتعتبر ظاهرة استدعاء المرجعية الدينية الأصلية ممثلة في عهد الرسول والصحابة وتوظيفه في الصراع الفكري في العالم الإسلامي مشرقا ومغربا قديما وحديثا، من مميزات الذهنية العربية الإسلامية التي تعيش وتحيا على وقع المقدّس.

-بالعودة إلى أهم المراجع التي اهتمت بأعلام العطف، تبيّن أن سبعة عشر(17) علما من مجموع الأعلام (35) الذين ذكرهم الشيخ دبوز، موجودون في معجم الأعلام. وأربعة عشر(14) موجودون في كتاب جيل النهضة والإصلاح للشيخ كعباش، بالإضافة إلى اهتمام من الشيخ أبو اليقظان في ملحق السير ومن الشيخ عبد الرحمن "البكري" في كتبه العديدة، وخاصة كتاب "مقتطفات من مذكرات البكري".

خاتمة:

تعتبر كتابات الشيخ محمد علي دبوز مهمة للباحث في شؤون الحركة الإصلاحية الوطنية أو المحلية في مزاب. وأبان الشيخ عن إحاطة واسعة بشؤون الإصلاح ومسيرتها، بالنظر إلى معاصرته لها

وتبنيه لأفكارها وتشبعه بمبادئها وتعاطفه مع زعمائها. وكتاباته مهمة للباحث في فن التراجم، دليلنا في ذلك أن بلدة صغيرة مثل العطف كانت ممثلة في مؤلفاته بأكثر من ثلاثين علما. ومؤكد أن مناطق أخرى من مزاب والجزائر ممثلة بمجموعة كبيرة من الأعلام

تعبر كتابات الشيخ دبوز عن توجه إصلاحي، يطغى عليه الاهتمام بالبعدين العربي والإسلامي في الفترة الوسيطة، والاهتمام بالتيار الإصلاحي في الفترة المعاصرة مع غياب شبه كلي لأعلام التيار المحافظ. وربما كانت شخصية الشيخ يوسف هي الاستثناء؛ إذ يمكن القول أنها تقع موقعا وسطا بين الإصلاحيين والمحافظين. وظهر أن مصدر المعلومات للمؤلف كانت من عند الشيخ عبد الرحمن "البكري"، وربما من ملحق سير أبي اليقظان، أو من رواية الشيخ عدّون الذي كان شاهدا على زيارة الشيخ بيوض لبلدة العطف ومرافقا له. فكانت الشخصيات المعروفة عند هؤلاء هي التي حظيت باهتمام أكبر. بالمقابل ظهرت شخصيات أخرى نحسب أنها تستحق اهتماماً مماثلاً، لم يجد المؤلف من يدعّمه بالمعلومات حولها، فكانت تراجمهم باهتة، ونخص بالذكر الفقيه حاج إبراهيم محمد بن بهون.

لملء ذلك الفراغ كانت استعانتنا بمراجع أخرى، من أهمها المحاضرات التي أنجزها وألقاها فضيلة الشيخ كعباش معرّفا

بشخصيات إصلاحية في مناسبات مختلفة، ومن ثمّ ضَمِّها في كتاب "جيل النهضة والإصلاح" الذي يعتبر بحق مرجع أساسي للانطلاق في دراسة أعلام العطف في الفترة المعاصرة. وبقينا على الرغم من ذلك عاجزين عن تقديم تراجم وافية حول بعض الأعلام، آملين أن نوفق مستقبلا في التعريف بها وبغيرها من اعلام العطف القدامى والمعاصرين.

المراجع:

- البكري. الشيخ عبد الرحمن بن عمر بكلي، مقتطفات من مذكرات البكري، جمع وإعداد وتقديم ابنه: عبد الوهاب بكلي، نشر مكتبة البكري، العطف-غرداية-الجزائر، 2015م
- دبّوز. محمد علي، أعلام الإصلاح في الجزائر، ج4، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة-الجزائر، ط1، 1980م.
- الشيخ سليمان بن حاجو في العطف وبريان، محاضرة مرقونة ألقيت بمناسبة الأسبوع الثقافي الثالث لمدينة بريان، (ص:1-16)، 1981م
- نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، (ج1-المطبعة التعاونية-ط1-1965م)، (ج2-المطبعة العربية-الجزائر-ط1-1971م)، (ج3-المطبعة العربية-الجزائر-ط1-1969م)

- جمعية التراث، معجم أعلام الاباضية. قسم المغرب، ج2، عالم المعرفة، ط.خاصة، الجزائر، 2009م.
- جمعية النهضة، الداعية المرشد ومضات ومقتطفات الشيخ أحمد بن الحاج موسى باباعمي 1910-1971م، نشر جمعية النهضة، العطف-غرداية-الجزائر، 2009م.
- المعلم الرائد. الشيخ أحمد بن الحاج يحي بكلي (1910-1980م) حياته وآثاره، نشر جمعية النهضة، العطف-غرداية-الجزائر، ط1، 1430هـ/2009م
- حاج اسعيد يوسف، تاريخ بني مزاب. دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، (د.ن)، غرداية-الجزائر، ط4، 1438هـ/2017م.
- القرادي. الحاج أيوب إبراهيم بن يحي (1923-1989م)، رسالة في بعض أعراف وعادات وادي مزاب، تح: حاج امحمد يحي بن بهون، نشر جمعية النهضة، العطف-غرداية-الجزائر، ط1، 2009م
- كروم أحمد بن حمو (جمع وتنسيق)، العلامة الجليل الشيخ: يوسف بن بكير حمو علي (1887-1984م). حياته وآثاره، نشر جمعية الأمل للتربية والثقافة، العطف-غرداية-الجزائر،

1415هـ/1995م

- كعباش. محمد بن إبراهيم سعيد، جيل النهضة والإصلاح في العطفاء. بلد النضال والكفاح، نشر جمعية النهضة، العطف-غرداية-الجزائر، 1431هـ/2010م
- الشيخ الحاج إبراهيم محمد بن بهون (1912-1951م)، محاضرة (مرقونة) ألقيت بمناسبة عيد الثورة المباركة، العطف-غرداية-الجزائر، 1407هـ/1986م؛ ص:1-26.
- الشيخ الحاج أيوب إبراهيم القرادي. رجل الإصلاح والقيم والمبادئ، محاضرة (مرقونة) ألقيت في مهرجان التأبين للفقيد المرحوم يوم 8 شوال 1410هأ 3 ماي 1990 بالعطف
- الشيخ العبقري المرحوم السيد: الحاج سليمان بن الحاج داود ابن يوسف 1906-1992م، محاضرة (مرقونة) القيت بمكتبة النهضة، العطف-غرداية-الجزائر، 1428هـ/2007م، ص:1-9.
- صرخات على مسرح المجتمع، نشر جمعية النهضة، العطف-غرداية-الجزائر، (د.ت)
- لجنة التربية، عشيرة آل الحجاج بالعطف، الحفل التكريمي لأبناء العشيرة، السنة الدراسية 99/98، عيد الفطر 2000م، ص.11-12

- العطف: تاجنينت. أم القرى الميزابية في ذكراها الألفية، طبع ونشر جمعية ألفية العطف-غرداية-الجزائر، 1996م
- مجهول، تسمية بعض مشايخ الوهبية، ملحق في كتاب: الشماخي. أبو العباس أحمد بن سعيد (ت.928هـ/1521م)، سير المشايخ، تح: محمد حسن، ص.233
- ناصر محمد، الشيخ القرادي. حياته وآثاره، نشر جمعية النهضة-العطف-غرداية-الجزائر، ط1، 1990.
- أبو اليقظان. إبراهيم بن عيسى حمدي، ملحق لسير الشماخي. من رجال 950 هـ إلى رجال 1350 هـ، بحث مرقون.

المرأة الإباضية من خلال كتاب المغرب الكبير للشيخ محمد علي دبوز (قراءات وتحليل)

د. بكير بوعروة
أ. عوف سليمان
جامعة غرداية

المقدمة:

الشيخ محمد علي دبوز قامة علمية مميزة، فله مؤلفات تاريخية عديدة، ومن بين كتبه المشهورة نجد كتاب: تاريخ المغرب الكبير؛ وهو كتاب موسوعي ففيه كتب عن بلاد المغرب الكبير من أقدم العصور إلى الوقت المعاصر، وتناول فيه بإسهاب تاريخ المغرب الكبير وتطوره في مختلف المجالات الثقافية والسياسة والاقتصادية.

وقد استرعى انتباهنا أن الشيخ تناول بكثير من التفصيل أوضاع المرأة الإباضية في تاريخ المشرق العربي، ودورها في قيام الدولة الرستمية ببلاد المغرب الكبير، وهو ما ساقنا إلى الاهتمام بالموضوع وقراءة واستقراء وتحليل ذلك في هذه الورقات فكان عنوانها:

المرأة الإباضية من خلال كتاب المغرب الكبير للشيخ محمد على دبوز قراءة وتحليل

ولذلك فإن الإشكال المطروح الأبرز في هاته المداخلة هو:

مواقف المرأة الإباضية من خلال فكر وقلم الشيخ دبوز –رحمه الله-

وللإجابة على الإشكال اعتمدنا في بحثنا على الخطة التالية:

1) المرأة الإباضية في المشرق الإسلامي وفيها العناصر الآتية:

-تضحية النساء المجاهدات في سبيل الجمهورية الإسلامية

-حماس المرأة وإخلاصها وتضحيتها في دولة أبي الخطاب

-مشاركة المرأة الإباضية المشرقية في النضال لنصرة الإمامة الإسلامية

-سعيدة المهلبية أنموذجا:

2) المرأة الاباضية في بلاد المغرب الكبير:

-صلاح وسعادة المرأة في الدولة الرّستمية

-سبب الحسن والبهاء والجاذبية في المرأة

-المرأة الإباضية وتعلقها بالمساجد

3) أمهات الأئمة الرُّستميين:

- أصل ام عبد الرحمن وزوجها

- أم أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم ونسبها

- أم الإمام عبد الوهاب بن أفلح ووراثته الحسنة من أخواله.

- صفات أم أبي حاتم

4) مواقف الكاتب من أبرز القضايا في مؤلفه

- موقف الشيخ محمد علي دبوز من العصبية والقبلية والعنصرية

- آماله في المرأة المغربية

الخاتمة.

واعتمدنا على منهجية تاريخية وتحليلية نقدية، وتوصلنا في

النهاية إلى نتائج مختلفة وتوصيات هامة.
نص المداخلة:

1): المرأة الإباضية في المشرق الإسلامي:

1-1): تضحية النساء المجاهدات في سبيل الجمهورية الإسلامية

كانت النسوة الإباضيات اللائي ينصرن الإباضية ودعوتهم في العراق مؤمنات بقضيتهن بشكل كبير، وقد وصل بهن الأمر إلى أنهن كن يتبرعن بالأموال والحلي للإمام أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري الذي كان يجمع الرجال والدعاة والأموال لقيام الدولة الرستمية، وأيضا كان يفعل ذلك للمساهمة في دعم ثروات إخوانه من الإباضية والتي كانت ناشبة ضد المستبدين ببلاد المشرق، فكانت النساء خير نصير للنظام الجمهوري الشوري عكس الملكي المتسلط- وكن يتمنين رجوعها من أجل إحياء الدين، ونشر العدل بين كل المسلمين.

ومن ذكاء أبي عبيده وبُعد نظره أنّه لمّا ثار عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه على الأمويين في أيام مروان بن محمد الجعدي، أرسل إلى الإباضية في العراق ليستنصر بهم ضد بني أمية، لكن أبا عبيده رفض، لعلمه بأسرار الصراع على الحكم وتغير الناس بعد القعود على الكرسي، خاصة وأنّ الأخير يرى نفسه أولى

بالملك بسبب الحديث الشريف الوارد في غدير خم[1]، وكان يجزم بأن انتصاره هو انتصار لنفسه ولصالحه فحسب[2]، ولكنه على النقيض من ذلك فهو لم يتردد في دعم ثورة طالب الحق اليمني ضد العدو المشترك لهم من الأمويين[3].

1-2): حماس المرأة وإخلاصها وتضحيتها في دولة أبي الخطاب:

كان كل الإباضية رعايا أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري؛ مستعدين للموت دفاعا عن دولتهم، وكانت المرأة التي تجرعت ويلات الأمويين ومن ثمة العباسيين من أصحاب النزعة

---

[1] حديث غدير خم: " من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه" وهذا خلال الموت، ويتنفس الأنفاس الأخيرة من حياته. محمد صادق النجمي. أضواء على الصحيحين ترجمة: يحيى كمالي، مؤسسة المعارف الاسلامية. 1419 ه، پاسدار اسلام، ج:2 ص 26.

[1] ومن أجل تأكيد ذلك فإني سوف أروي الوقائع المؤسفة التالية عن الثائر عبد الله بن الحسن: ففي عام251ه روي إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بمكة، فقتل الجند وجماعة بن أهل مكة، وأخذ ما كان حمل لإصلاح العين من المال وما كان في الكعبة وما في خزائنها من الذهب والفضة والطيب وكسوة الكعبة، وأخذ من الناس نحواً من مائتي ألف دينار، ونهب مكة، وأحرق بعضها ثم رجع إسماعيل إلى مكة في رجب، فحصرهم حتى تماوت أهلها جوعاً وعطشاً ثم رحل ... إلى جدة فحبس عن الناس الطعام، وأخذ أموال التجار وأصحاب المراكب.....، ثم رجع إلى جدة فأفنى أموالها. للمزيد أنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري تاريخ الامم والملوك، ج:1 بمطبعة " بريل " بمدينة ليدن في سنة 1879م، ج7، ص 493. وانظر أيضا: الإباضية مجد التاريخ وتاريخ المجد للمنصور.

[3] دبوز، تاريخ المغرب، ص: 158.

الملكية أو كما يصفهم الشيخ محمد علي دبوز بالملوكيين، بينما يصف الثائرين بالجمهوريين، وهي التي قاست هتكهم للحرمات وعدم تقيدهم بالدين ما جعلها أكثر تحمسا من الرجال للثورة ضد هؤلاء الملوكيين، حتى أنهن زغردن من كل قلوبهن لما ولدت دولة ابن الخطاب "الجمهورية"، وكن مستعدات للتضحية بكل عزيز وغال من أجل الدفاع عن دولتهن الناشئة، وكن ينفخن الحماس في قلوب الأزواج والأبناء، ويرين أنه من العار أن يوجد من لا يملك سلاحا يعده للدفاع عن دولته، وأنه من المعيب من لا يحسن أساليب القتال ويكون فارسا في الحروب في سبيل الدولة الرستمية الناشئة.

من المهم الإشارة هنا إلى الأذى القاسي الذي مارسه بعض الولاة والحكام ضد سكان المغرب الإسلامي، وسياسات المغارم والضرائب الجائرة، ولعل من أبرز الوثائق في هذا المضمار رسالة البربر لهشام المؤثرة والحزينة، وهي تضم في طياتها تظلما غير مقبول خاصة في جانب المرأة المحلية التي تعرضت لأذى كبير[1].

[1] لما اشتد ظلم الولاة خرج ميسرة المطغري إلى هشام بن عبد الملك مع آخرين فطلبوا الإذن فصعب عليهم فأتوا الأبرش وزير هشام بن عبد الملك فقالوا: أبلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يغزو بنا وبجنده فإذا أصاب نفلهم دوننا وقال: تقدموا وأخر جنده فقلنا: تقدموا فإنه ازدياد في الأجر ومثلكم كفى إخوانه. ثم إنهم عمدوا إلى ماشيتنا فجعلوا يبقرونها على السخال يطلبون الفراء الأبيض لأمير المؤمنين فاحتملنا ذلك، ثم إنهم سامونا أن يأخذوا كل جميلة من بناتنا فقلنا: لم نجد هذا في كتاب ولا سنة ونحن مسلمون، فأحببنا أن نعلم عن رأي أمير المؤمنين ألهم ذلك أم لا؟ قال: نفعل فلما طال عليهم ونفذت نفقاتهم كان وجههم إلى إفريقية فخرجوا على عامل هشام فقتلوه واستولوا على إفريقية. للمزيد أنظر: تاريخ

لقد كان هذا سببا أن لكل رجل وكل امرأة في دولة أبي الخطاب يتقدم حماس لها ونشاط في أبنائها وغراما للموت في الذود عنها وكان كل رجل منهم يشتري سلاحا ويستعد بالتدريب على فنون القتال، ويتعلم أساليب الحروب ويرى أحسن أوقاته هي التي يقضيها في هذا التدريب وكان يربون الخيل ويعودونها الصبر والجلد والسرعة وكل ما يجعلها تقوم بهم في الحروب التي يخوضونها في شجاعة وإيمان[1]، وتاريخ البربر مليء بالنضال الطويل المرير مع الحكام المحتلين من الإغريق والرومان والبيزنطيين.

1-3) مشاركة المرأة الإباضية المشرقية في النضال لنصرة الإمامة الإسلامية:

وفي العهود الاسلامية، شاركت المرأة في هذا النضال والجهاد لإحياء الإمامة الإسلامية، فلم يكن أثر أبي عبيدة مقتصرا على الرجال بل كان في النساء أيضا، فلقد مهّد الإسلام المرأة الاباضية فبرزت شخصيتها في المجتمع، وأخذت حظها من العلم، وكان منهن العالمات، وشاركت الرجل في جهاده السياسي، فكان الكثير منهن يتخذن بيوتهن المستورة التي لا يتطرق إليها الشك مقرا للثوار، فلم يلاحظها الجواسيس ولا الشرطة التي ظلت تفتش عنهم ، فكانوا يعقدون فيها الاجتماعات، ويخبئون فيها الأسلحة والأموال

الطبري 4، ص: 254-255، وانظر الكامل ج:3، ص: 45. التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا (1/ 54). موسى لقبال، تاريخ المغرب الكبير.

[1] محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تاوالت الثقافية، ج:2،2010، ص: 250.

التي يجمعونها للثورات ومن هاته الثورات نجد:

1) ثورة طالب الحق، 2) ثورة أبي حمزة المختار في العين والحجاز، 3) ثورة أبي حاتم الملزوزي، 4) ثورات الإباضية الأخرى على الظلم في المغرب[1].

1-3-أ): سعيدة المهلبية أنموذجا:

سعيدة المهلبية زوجة عبد الله بن الربيع (خال العباس) كما يلقب[2]، وقد كان زوجها عبد الله وابن له -من زوجة غير سعيدة- من المناصرين المتحمسين للدولة العباسية ولخليفتها المنصور (ت:158هـ/775م)، وكان للابن جاريتين إباضيتين أمازيغيتين، وكانت أحدهما تسمى سعيدة، وكانت تكلمه في السياسة وشؤونها، وظلت تقنعه بمنطقها وحماسها بالحجة المقنعة حتى اقتنع بكلامها ودخل في حزبها، بل لقد صار يحضر المجالس الاباضية السرية، حتى في دار أبيه العباسي بغير علم والده –طبعا-[3].

لقد كانت جاريتاه من أصل غير عربي، وكانتا يبغضن التعصب للجنس، والتعصب ضد غير العرب، وكانتا يبغضان سياسة التفريق بين المسلمين، وهم الذين خلقهم الله أمة واحدة وكانتا تأملان في اليوم الذي تستوي فيه المعاملة بين المسلمين، ويحترم

---

[1] دبوز، تاريخ المغرب، ص: 210.

[2] مج مؤلفين، معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب) لجمعية التراث 1/ 272.

[3] معجم أعلام الإباضية (قسم المشرق) لمجموعة باحثين (ص: 61)، الشماخي، كتاب السير، ص: 109.

التقوى والورع والاستقامة، لا اللون، ولا الجنس، ولا المال، ولا المظاهر البراقة، وهذا استنباطا وتطبيقا لروح الدولة الاباضية التي جعلت من أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة -الأسود البشرة- رئيسا وارتضوه إمامهم وهذا دليل على عدم العصبية لدى الاباضية، وكأنه تطبيق لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (عليكم بالسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة)[1]، مع العلم بأن الصراع لم يكن بربريا عربيا بل كان حضاريا والدليل هو الصراع الجديد القيسي اليمني العربي البحت الذي عانى منه المشرق والمغرب جميعا[2].

لقد نشطت سعيدة في إيجاد دار يجتمع فيها الاباضية بالليل، وكان يحضرها ابن الربيع العباسي، وقد دخل مجالسهم، وعرف المشايخ بوجوههم ومنازلهم وأسمائهم، وفي يوم بدا له أن يعتق واحدة من الجاريتين يريد أن يتزوجها فأبت عليه، وقالت الحمد لله الذي نجاني منك، فغضب عليها، ثم أعتق أخرى لينظر ما تفعل، فلما أتم عتقها كررت فعل صاحبتها، فقال لهن: إنما خدعتماني حتى أدخلتماني في دينكما، فلما أعتقتكما وأردت إكرامكما بأن أتزوجكما(أتخدكن زوجات لا كما كنتن جوارى سريات) أبيتن فغضب فانتقم بأن كتب إلى أبي جعفر المنصور بأسماء المشايخ

[1] مسلم، الصحيح، رقم: 1298.

[2] ابن عذارى، البيان المغرب، تح: س كولان، ليفي بروفنسال، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009، ج:1، ص: 50.

ومجالسهم، وكتب بأن سعيدة يجتمع عندها الإباضية في سرداب لها في دارها فلما قرأ أبو جعفر المنصور الكتاب دفعه إلى عبد الله أبو الربيع، والد الواشي الوضيع فلما قرأه، رد عليه: ابني قد جن، فقال أبو جعفر: فأرسل إليه طبيبا يداويه قال: لا أحب أن أشهره ولكن ابعث لي الأدوية، وستر أمره خوفا من فضيحة الناس إذا فشا في علمهم بأن سعيدة جارية الأمير المعتقة إباضية، لا بل أن الإباضية يجتمعون في دار ابن الربيع، وهو دليل على قوة الإباضية ونفوذهم وهنا يميل إليهم الناس، فستره المنصور الداهية، وسكت عنه.

2): المرأة الاباضية في بلاد المغرب الكبير

2-1): صلاح وسعادة المرأة في الدولة الرستمية

كانت المرأة في الدولة الرستمية متربية في بيوتهن، ومتكونة في مدارسها الرشيدة، وكل ذلك بفضل توجيهات آبائهن وأزواجهن، وأيضا بهاته الدروس المسجدية التي تملأها بأسباب الصلاح، لقد كانت بهذا صالحة، مثقفة العقل يسيطر عليها دينها وعقلها لا غرائزها وأهواؤها كبنات المدارس الاستعمارية.

لقد كانت المرأة في الدولة الرستمية مثلا للصلاح والثقافة والإسعاد لزوجها، يحتفظ في ظلهن بكل سعادة وهناء وتفيض الديار بهن بكل أنس ومحبة ونعيم وحضارة، ويفتحن باستقامتهن وإخلاصهن وحبهن للزوج والأسرة أبواب البركات، والخيرات

والنجاح في كل الميادين، ويجعلن الحياة تبتسم للزوج[1].

2-2): سبب الحسن والبهاء والجاذبية في المرأة

إن الشخصية مع قوة الأنوثة وحياء الدين الذي هو رأس الجمال وسبب الفتنة والبهاء في المرأة، فكانت نظراتهن يفيض منها مع سحر الأنوثة وصفاء الإخلاص ونور الدين وجمال الوفاء والمحبة وهو أعظم شيء تجمل به المرأة في العيون وأكبر حيلة وأحسن أنواع الجمال الذي تأسر به قلب الرجل وتستأثر به، ويعلل ذلك بأنه: إشراق الدين وبريق الإخلاص والوفاء والمحبة هذا السحر الساحر وهذا الجمال الرائع.

2-3): المرأة الإباضية وتعلقها بالمساجد

كانت النساء يحضرن الدروس في المساجد، وكن يتقاطرن في وقت الصلاة إلى أقرب مسجد منهن فيصلين جماعة، ويحضرن الدروس بين الصلوات، وينقلنه في وجدانهن وعقولهن لمنازلهن، فيعرفه ويشعر بروحه كل من لم يستطع الذهاب إلى المسجد من ربات البيوت، ويعلمونه لأطفالهن فيصطبغون به.

كان في كل مسجد من مساجد الدولة قسم خاص للنساء يفصله عن قسم الرجال جدار محرم يستر النساء، ولا يحجب عنهن صوت المدرس، وتلاوة الإمام ولا زالت هذه السيرة الإسلامية الحميدة في مساجد وادي مزاب بجنوب الجزائر إلى اليوم، فترى في

[1] دبوز، تاريخ المغرب، ص: 360.

كل مسجد قسما خاصا بالنساء يمتلئ بهن في وقت الصلاة، وفي الدروس الحية للتفسير، الحديث، سيرة الرسول، والخلفاء الراشدين وفي الأخلاق وفي الأمراض الاجتماعية كلها خاصة بعد المغرب.

ويضيف ويصف الشيخ دبوز ذلك بعين المؤرخ المتحمس فيقول: وإنك ترى النساء يتشربن الدروس في حرارة وحماس وانتباه كما تتشرب الزلابية الساخنة العسل من الإناء الذي تغمس فيه، فتراهن والحمد لله حلاوة لأزواجهن، يسعدنهم، وصلاحا وطهرا للمجتمع، وترى الأزواج بصلاحهن، وثقافة عقولهن في نعيم وهناء وفي طمأنينة وسعادة.

ثم يستشهد بالشماخي فيذكر النساء في مسجد من مساجد جبل نفوسة الذي كان ضمن الدولة الرستمية، ويذكر ولع العلامة الشيخ أبي زكرياء يحي بن الخير الجناونى[1] بالبحث والاستقصاء والاطلاع، وقال ومما ذكر عنه أقام عند أبي الربيع مدة طويلة في مسجد إبناين ومن عادة نفوسة أن يجعلوا سترة على الصف الآخر من المسجد وذلك في جميع مساجدهم يدخله النساء لسماع العلم وللصلاة ليكون بينهن وبين الرجال حجابا فلما اراد الانصراف من عند شيخه والموادعة قال أمهلونى حتى أدخل خلف السترة لأراه لعلي

[1] صاحب الكتب المفيدة ، منها كتاب الوضع ، أبو نصر فتح بن نوح صاحب القائد المقيدة في الوعظ والحكم والشرائع والتوحيد. اللمعة المضيئة في تاريخ الإباضية لبلحاج قشار، ص: 46.

أسأل عنه"[1]. و واضح بأن ذلك لأنه لا يعرف ما فائدة الستار ولا يسمع أصواتا من خلفها لحشمتهن ووقارهن.

3): أمهات الأئمة الرستميين

3-1): أصل ام عبد الرحمن وزوجها

يطرح الشيخ دبوز إشكالية عن جنسية أم عبد الرحمان بن رستم هل هي فارسية جاء بها أبوه من فارس أم عربية تزوجها في المدينة؟، ويرد بحكمة كما يلي:

إن بهرام كان مولى لعثمان بن عفان[2]ﷺ، فإنه أقام طويلا في المدينة وولد له رستم بها، واتخذها دار سكناه ومحل إقامته فإن أمه حتما ستكون عربية من أهل الجزيرة، أما إذا كانت دار إقامته في فارس فإن أم عبد الرحمن لابد أن تكون فارسية، حيث إن اسم عبد الرحمن يدل على على تمكن رستم في الإسلام وعلى تعربه فاختار له هذا الاسم، حيث إن فارس لما ولد عبد الرحمن كانت قد تعربت، وكان الإسلام يخلع عليها حلة العربية القشيبة، فظهر ذلك في أسماء أبنائهم.

ثم يضيف بأن الجمال القوي الذي كان يتصف به عبد الرحمن، وتحمس والدته للحكم (اللاَّملكي) لصالح الحكم

---

[1] الشماخي، كتاب السير، ص: 536.

[2] بهرام وبهرام هو مولى عثمان بن عفان وهو بهرام بن بهرام جور بن شابور بن باذكان بن شابور ذي الأكتاف ملك الفرس. ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، ج:3، ص 202.

(الجمهوري) جعلها تختار زوجة لابنها عبد الرحمن من قبائل بني يفرن الزناتية البربرية[1]، وليس من الأسر العربية في القيروان.

إن كل هاته المعطيات جعلت المؤلف يظن بأن أمه فارسية، أما أبوه فهو من الأمازيغ، حيث أنه لو كان عربيا من بني سام لأثَّر في زوجته العربية فتجنح إلى ما جنح إليه أغلب العرب في اختيار عربيات وفي اختيار زوجة من جنسها، فلقد عرضت عليه بربرية فهي غير متعصبة ومتمسكة بالدين، وبخصائص البربريات الكريمة، وهو ما جعلها تمتزج بالبربر أكثر وتراهم قوامها وعشيرتها.

بل إن أمه قد دلت ابنها عبد الرحمن على قبلة الثورة: أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة كما قال بعض المؤرخين، فسافر إليه وتعلم منه حتى صار من أقطاب الرستميين[2]، ويستشهد الكاتب بما قاله الشماخي في ذلك الأمر: "فلما سمع عبد الرحمن ما سمع من سلمة بن سعد[3] وتعلق قوله بقلبه فطلب ذلك قال له رجل من أهل الدعوة إن أردت هذا الأمر الذي كلفت به فعليك في البصرة برجل عالم فيها يقال له:

---

[1] أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ج: 3، 1978، ص: 523.

[2] عبد الرحمن تركي، نشأة الإباضية بالمغرب العربي دارسة تاريخية ومذهبية، ص: 6.

[3] بنو سلمة بن سعد بن علي بن راشد بن سادرة بن تزيد بن جشم بن الخزرج، والخزرج قد تقدم نسبه عند ذكره وليس في العرب سلمة بكسر اللام سواهم، قال: والنسبة إليهم سلمى بفتح اللام، منهم أبو قتادة الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمه البرا بن معرور، وجابر بن عبد الله الأنصاري الصحابي وجماعة كثيرة غيرهما من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين شهدوا بدراً. نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب،ج1، ص 100.

أبو عبيدة مسلم من أبي كريمة تجد عنده ما تطلب" وقيل بل أمه هي التي قالت له ذلك[1].

ويستمر الشيخ المؤرخ في الاستشهاد والاحتجاج لرأيه فيقول: لقد كان الجو قاتما في الزمن الذي نقدره لزواج عبد الرحمن وهو عهد عبيد الله الوالي ابن الحباب في (عصر الولاة)، وقد كان البربر في كل مكان يستعدون لثورتهم على الأمويين الذين احتقروهم وعسفوهم وجاروا عليهم، وكانت الهوة سحيقة بين القيروان التي تناصر الملوك الأمويين وبين المغرب الثائر الذي يعادي الأمويين المستبدين وأنصارهم، فالمهم هنا أن أم عبد الرحمن ما كانت لتصاهر آل يفرن - المشهورون بثرواتهم وعدائهم للأمويين- إلا إذا كان لها داع من دمها أو زوجها[2].

3-2): أم أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم ونسبها

ماذا عن نسب أفلح بن عبد الوهاب؟

إن أباه هو عبد الوهاب، وكان خلوقا ذكيا كما كان ابنه كذلك، فأما أمه فلم يذكر لنا المؤرخون عنها شيئا، ولعلها يفرنية زناتية فلا شك أنها بربرية، وكذلك زوجته حيث يفترض الشيخ عن حرصها أن تزوج ابنها عبد الوهاب من قبيلتها، ومن بنات قومها، فهذا هو طبع

[1] أبو العباس أحمد بن سعيد الشماخي، السير، (طبعة حجرية)، المطبعة البارونية، القاهرة، مصر، 1301هـ، ص: 124.

[2] دبوز، تاريخ المغرب، ص: 280.

النساء، وما تؤثره كل امرأة هو أن تزوج ابنها من قومها ومن بنات عشيرتها، سيما اللائي يعتددن بأنفسهم كالبربر، الذين ينزعون إلى الاستقلال وعدم الاختلاط، ويستشهد بقول الشماخي في السير:" ومنهم جارون ابن القمرى[1] عامل الامام عبد الوهاب وصهره وهو زناتي"، فالظاهر أن جارون بن القمري هو جد الإمام أفلح من أمه، وأن أمه زناتية كأم عبد الوهاب.

3-3) أم الإمام عبد الوهاب بن أفلح ووراثته الحسنة من أخواله.

لقد كانت أم الامام عبد الوهاب بربرية من بني يفرن الزناتة، فبنو يفرن قبيلة من شعب زناتة، ويتصفون بالشجاعة وبالعزة والإباء وبالاعتداد النفسي لا ينامون على الضيم، ولا يرضون بالهوان ولا يسكتون على الظلم، ويحبون المعالى، طماحون إلى الذرا في كل الأشياء، وقد امتزجت الدماء البربرية بالدماء الفارسية في الامام عبد الوهاب، وورث خصائص أبيه الفارسية وخصائص أمه البربرية فكان فضا في قوة الشخصية وفي الذكاء والشجاعة و قوة البنيان[2].

وكان الإمام عبد الوهاب كما ورد في جمال الشخص من أبيه وقوة البنيان وطول القامة من أخواله، فذكر أبو زكرياء في كتابه :" أن للإمام عبد الوهاب مسجدا (بتلات) كان يصلي فيه ويلقي دروسه أيام اقامته في الجبل قال ابو زكريا:" وفي مسجد الامام بلاطة يتكئ عليها

[1] الشماخي، كتاب السير، ص: 203.

[2] دبوز، تاريخ المغرب، ص: 400.

إذا جلس تساوى رأسه، وهي اليوم (في آخر القرن التاسع) تحادي رأس الواقف[1]، فكان على صورة رائعة زادت في شخصيته ونباهته، ولفت اليه العيون، إن أباه في جماله وفي ذوقه الفارسي، وفي طموحه الملوكي، وأمه في حبها لوحيدها والبربر في كثرة الجمال عندهم، كل هذه تفرض أن تكون أم عبد الوهاب جميلة وبهية.

ويمكن أن نلاحظ بأن الشيخ المؤرخ لم يواصل ذكر أمهات الأئمة الآخرين كأبي بكر، وأبي اليقظان محمد ولكن ما ذكره مهم كثيرا على العموم.

3-4): صفات أم أبي حاتم

كانت أم أبي حاتم تسمى غزال، وكانت كما قال ابن الصغير من أحب نساء أبي اليقظان إليه، قد امتلكت قلبه بقوة شخصيتها، وبصفاء طويتها وحسن قيامها بالبيت، فكونت لأبي اليقظان فيه جو الجنة الذي ينسيه هموم الرئاسة، ويستريح فيه من أتعاب الإمامة، وكانت لحزمها كما قال ابن الصغير:"مالكة لأمور أبي اليقظان وحشمه"[2].

وكانت غزال إلى قوة شخصيتها و ذكائها، وثقافتها النسوية، وحسن قيامها بالدار، وبراعتها في إدارته، وحياء الدين الذي يسطع في محياها، ويورثها نورها وإشراقها فتكون به نجمة متلألئة، لا

[1] الشماخي، كتاب السير، ص: 159.

[2] ابن الصغير، أخبار الإئمة الرستميين.

زجاجا مصبوغا يمسح، وخدودا تنصل من مساحيقها كما ينصل الحذاء الذي يخوض في وحل الشارع من طلائه، وجود النساء المتفرنجات المبرقشة الخالية من حياء الدين، وحشمة الأنوثة.

كانت(السَتْ)غزال إلى هذه الخصائص النفسية، جميلة بارعة الجمال، فاستطاعت أن تملك الشيخ فمال إليها، فكان طفلها المدلل، وحبيبها الأثير.

وحقيقة لا أدرى من أين جاء بكل هاته الصفات الجميلة هل هو تحليل لقول ابن الصغير المصدري أم أنه نزع الأدباء وبحار الشعراء التي فيها يهيمون[1].

4): مواقف الكاتب من أبرز قضايا مؤلفه

4-1) موقف الشيخ دبوز من العصبية والقبلية والعنصرية:

إن القارئ لما كتبه الشيخ المؤرخ قد يسوقه تأويله إلى فهم التعصب أو الإقصاء من الشيخ خاصة باختيار زوجات بربريات والثورات المتعاقبة على الملوكيين وما شابه، وهو الشيء الذي جعل الشيخ يكتب في كل مرة مستعيذا من العصبية المنتنة، فيؤكد فيما يلي أن الثورة لم تكن ضد عرق أو دين بقدر ما كانت ضد حكام طاغين، إن البربر يتمسكون بالدين فطهرهم الاسلام من العصبية وفتح صدورهم لكل المسلمين فامتزجوا بهم امتزاج الماء بالماء، والانفاس

[1] دبوز، تاريخ المغرب، ص: 519.

بالأنفاس في قبلات الحب العميقة والنغمة بالنغمة في ترنيم الأوتار الموسيقية، فصاروا يحترمون في المرء دينه وصلاحه واستقامته ويقدمونه لعلمه وكفاءته لا يتعصبون لعرقهم ولا يتحيزون لحسب المرء ونسبه في اختيار الرؤساء والموظفين لدولتهم لذلك اختاروا الامام عبد الرحمن بن رستم، إماما للدولة الرستمية، وهو فارسي ومن المشرق لا من المغرب.

4-2): آماله في المرأة المغربية

لعل من المهم الإشارة هنا إلى بغضه الشديد للمسترجلات من النساء اللائي أدرك بعضهن حيث يلومهن على العادات الاستعمارية في الزينة والتبرج، وهو في كل هذا يسعى لإظهار شخصية المرأة الرستمية الطاهرة مقارنا مفتخرا مؤرخا، فيقول:

ليت مغربنا الكبير وهو يتمنى الحياة الهنيئة السعيدة ويريد أن يكون أكبر دولة إسلامية ترجح بها كفة المسلمين في كل الميادين، يوقن بأن ذلك يكون بالمرأة الصالحة المثقفة التي يعمر الدين الإسلامي العظيم جوانب نفسها، ويورثها كل ثقافة وصلاح ويورث المجتمع منها والدولة كل طهر وقوة، فيرضى عنها.

ويشن الغارة تلو الغارة على النساء الوضيعات فيقول: بأن هذا الجمال الفطري خلت منه النساء المتفرنجات المتمثلات اللائي سلختهن المدارس الفرنسية في مغربنا من دينه وحياء الدين وروعته وأخلاقه العظمى، وزادتهن السينما الخليعة الهدامة والأغاني المخنثة

المائعة، والقصص الماجنة المسمومة، والمجلات المتهتكة، ومفاسد الحضارة الأوروبية التي تطلقها أوروبا المستعمرة علينا معشر المسلمين وهي اشد فتكا من مدافعها وقنابلها فتنسف الدين وكل قوة في نفوسنا، وتفسد المرأة أصل آلامه ومعدنها فأضحى اولئك المتفرنجات المبتذلات الجاهلات طعاما نتنا وبيلا ذا وخامة مبتذلا، وصارت عيونهن ووجوههن القاسية وان غرقت في المساحيق لا يفيض منها الا ما يفيض من وجه الذئبة التي لا تحسن إلا في الافتراس.

الخاتمة:

استخدام الكاتب لمصطلحات عصرية لتقريب الرؤية من قبيل: الجمهوريين للمؤمنين بأن الملك للجميع ...ولو: كان عبدا حبشيا على رأسه زبيبة....: عكس الملوكيين الذين يحصرون الحكم في طائفة معينة ومثل ذلك الأمويين والعباسيين وحتى العلويين والشيعة، كما استخدم مصطلحات مباشرة مثل: الديموقراطية، وهذا لتوضيح آرائه ومواقفه التي كتبها في قالب متحمس جدا وثورة حتى النخاع.

النساء الإباضيات الثائرات لم يكن أمازيغيات فحسب، بل كن من مختلف الأعراق وبالمبدأ عربيات، حيث أن الثورة انتقلت تحت ظروف القهر المسلط للأمويين وهو ما ولد لدى الناس قبولا وكانت كلها إسلامية ولم نسمع عن ثورة مسيحية، فهي ثورة لتصحيح الأوضاع الراهنة باسم الاسلام تحديدا.

لقد حضرت لكل المؤتمرات من الشيخ أطفيش والشيخ

كعباش ومفدي زكرياء وغيره ولا زلت أرى تواضع مؤلفاتي أمام العمالقة من المؤلفين، ، فالكتب الهامة المطبوعة للشيخ دبوز، وأيضا فهارسه لمخطوطاته الغير مطبوعة في مختلف المجالات كبيرة جدا وغنية جدا وثرية ودسمة جدا.

لعل ثورة البربر وحماس الشيخ في مؤلفه يبررها ما فعله الخليفة العادل الخامس عمر بن عبد العزيز الأموي في وقف الفتوحات، وأيضا قولته الشهيرة: "بعثت هاديا ولم أبعث جابيا".

تظهر قوة شخصية الكاتب الكبيرة من خلال دفاعه المستميت عن آرائه ولغته المتينة القوية ووصفه الدقيق، ورغم استغراقه في الإطناب أحيانا، فإن معلوماته غاية في الأهمية والقيمة التاريخية.

ثورته على المتفرنجات، إذ شن عليهن مختلف الحملات في الكثير من المرات، وكان يقارنهن بالمرأة الاباضية التقية الورعة الأشرف والأزكى منها.

-التوصيات:

لابد من عرض فهارس المخطوطات الكبيرة جدا على الطلبة لدراستها في بحوثهم وجعلها مادة لمذكرات التخرج في الدراسات العليا وما قبل التدرج، وذلك من أجل الاهتمام بالتراث المحلي الجزائري بدل اجترار التراث المشرقي المدروس أصلا والمعروف جله تقريبا، فالأقربون أولى بالدراسة والمنطقة ينقصها الكثير من البحث والتدقيق والنقد والتحقيق في تراثها.

دور الأم في تربية العلماء عند الشيخ محمد علي دبوز

أ. الحاج أحمد حمو كروم
مؤسسة الشيخ عمي سعيد
غرداية

منذ أن خلق الله الإنسان واستعمره في الأرض تقاسم الرجل مع المرأة أدوارهما في رعاية الأسرة لصناعة الإنسان الصالح في المجتمع.

وعندما جاء الإسلام أرشد المرأة إلى دورها في الحياة كما أرشد الرجل إلى دوره في الحياة فأصبح بينهما تكامل وتعاون إيجابي يفيد أحدهما الآخر لتنشئة أجيال صالحة.. وإذا أهمل أحدهما دوره في المجتمع صارت الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية غير متوازنة.

ومن العلماء المؤرخين الذين انتبهوا إلى أهمية هذا الدور التكاملي بين الرجل والمرأة الشيخ محمد علي دبوز (1919-1981) فقد أرّخ للدول والشخصيات في جميع المراحل.. ولكنه لم يأل جهدا في إبراز دور المرأة البربرية والعربية في رعاية شخصيات مرموقة وآثار أمهاتهم في الوصول بهم إلى أعلى المراتب العلمية والاجتماعية.

ومشاركة مني في الملتقى الدولي حول الشّيخ محمد علي دبوز

مؤرخا وأديبا ومربيا، اخترت أن أشارك بمداخلة موسومة بعنوان: «**دور الأم في تربية العلماء عند الشّيخ محمد علي دبّوز**».

وتندرج هذه المداخلة في المحور الثالث من الملتقى وهو «**الشيخ محمد علي الدبّوز مربّيا ومعلّما**»، وبالضبط في النقطة الرابعة منه: «**الرسالة التربوية والتعليمية في أعماله وآثاره**».

ولتوضيح فكرة الشيخ في الموضوع قسمت المداخلة إلى ثلاثة مباحث أساسية هي:

عرّفت في المبحث الأول بالكلمات المفتاحية، مثل: مفهوم التربية والعلماء.

وأما المبحث الثاني فقد عرّفت فيه بالشّيخ محمد علي دبّوز وجهاده في التربية والتّأليف.

وفي المبحث الأخير بيّنت فيه أهميّة دور الأم في تربية العلماء وبيّنت نماذج من هؤلاء الأعلام.

وختمت ذلك بتوصيات تفيد الباحثين والباحثات، والمصادر التي اعتمدت عليها هي: تآليف الشيخ محمد علي دبّوز مثل «تاريخ المغرب الكبير » وكتاب «نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة» وكتاب «أعلام الإصلاح في الجزائر».

وأما المراجع فإنها تتمثل في كتاب «مشايخي كما عرفتهم» للدكتور

محمد ناصر، وكتاب «حياة وآثار الشيخ محمد علي دبّوز» للأستاذ إبراهيم بيوض محمد علي دبّوز، وكتاب «الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا» لأنور الجندي.

وأرجو أن أكون موفقا في الاختيار والعرض كما أنكم موفقون في التنظيم والعروض الفكرية العالية. والله من وراء القصد وهو حسبي ونعم الوكيل.

المبحث الأول: تعريفات أساسية:

قبل أن أشرع في البحث يجدر بي أن أعرّف الكلمات المفتاحية لتحديد المفاهيم وضبط المصطلحات وهي ثلاث كلمات: التربية والعلماء والمرأة.

المطلب 1: مفهوم التربية:

في اللغة: التربية كلمة مشتقة من مادة «ربى»[1] يربي بمعنى نشأ كما في قوله تعالى: " أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا " [الشعراء: 18]، وفي معناها الزيادة والنّمو في قوله تعالى: " وَمَا ءَاتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِتُرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ الله " [الروم: 39]، ومنه قوله ﷺ: «**إنّ الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبه كما يربّي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل**»[2] حديث.

---

1 – ابن منظور: لسان العرب مادة «ربى»

2 – رواه البخاري: 1410/ مسلم 1014 عن أبي هريرة

في الاصطلاح: يعرّف العلماء مصطلح «التربية» على معان مختلفة.

يقول جميل صليبا: «التربية هي تنمية الوظائف النفسية بالتمرين حتى تبلغ كمالها شيئا فشيئا[1]». ويعرّفها أيضا بتعريف آخر قائلا: «التربية هي تقوية ملكات الولد وتنمية قدراته وتهذيب سلوكه حتى يصبح صالحا للحياة في بيئة معيّنة»[2].

وأما إسماعيل قباني فإنه يعرّفها بقوله: «إن التربية هي مساعدة الإنسان على تحقيق ذاته حتى يبلغ أقصى كمالاته المادية والروحية في إطار المجتمع الذي يعيش فيه»[3].

وأما الدكتور داود بورقيبة فإنّه يعرّف «التربية» بمعنى آخر أوسع وهو قوله: «التربية هي عملية لإحداث تغيرات مرغوب فيها في سلوك الفرد من أجل تطور كامل لشخصيته في جوانبها الجسمية والروحية والعقلية والانفعالية والاجتماعية»[4].

مما لا شكّ فيه أن مصطلح التربية هو مصطلح قديم قدم الإنسان لأن التربية مطلوبة أساسا لتنظيم حياة الفرد والجماعة في جميع أطوارها الخاصة والعامّة. إلا أن هذا المصطلح ورد عبر القرون الماضية بألفاظ

---

1 – جميل صليبا: المعجم الفلسفي ج1 ص 266.

2 – جميل صليبا: المرجع نفسه.

3 – نقلا عن الدكتور داود بورقيبة: منهج التربية المثالية ص 4.

4 – داود بورقيبة: منهج التربية المثالية ص 4.

مختلفة عن هذه العبارة وتؤدي نفس المعنى مع فروق طفيفة منها مثلا: الأخلاق والتهذيب والتأديب والتزكية.

ويقوم بعملية التربية كل من يؤثر في سلوك الإنسان مثل الوالدين لقوله تعالى: " وَقُلْ رَبِّ اِرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا " [الإسراء 24].

والأنبياء يؤدبهم الله تعالى لقوله ﷺ: «**أدّبني ربّي فأحسن تأديبي**»[1].

وأحسن المربّين هما الوالدان والمعلّمون لقوله ﷺ: «**أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال: حبّ نبيئكم، وحبّ أهل بيته، وقراءة القرآن، فإنّ حملة القرآن في ظلّ الله يوم القيامة يوم لا ظلّ إلّا ظلّه مع أنبيائه وأصفيائه**»[2].

المطلب 2: مفهوم المرأة:

في اللغة: المرأة مفرد جمعه نساء ونسوة أي لا مفرد له من لفظه[3]. قال تعالى: " وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي المَدِينَةِ اِمْرَأَةُ العَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَّفْسِهِ "[يوسف: 30]. وقال تعالى: " يَا نِسَاءَ النَّبِيءِ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ "[الأحزاب: 32].

في الاصطلاح: المرأة هي الكائن البشري العاقل المؤنث الذي يخالف

1 – رواه ابن السمعاني آداب الإملاء والاستملاء ص 01

2 – أخرجه السيوطي في الفتح الكبير رقم: 487 ج1 ص 57.

3 – الزيات وغيره: المعجم الوسيط مادة «نسوة» و «نسي».

الرّجل لقوله تعالى: "وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى "[آل عمران: 36]. وهناك من يسميها حواء باعتبار الاسم الأول للمرأة الأولى التي عمرت الأرض مع أبينا آدم عليه السلام. والمرأة هي التي خلقها الله بصفات تخالف صفات الذّكر وهي:

1) ضعف البنية الجسمية
2) قوة العاطفة النفسية
3) وجود الرحم يحمل الولد
4) وجود الثديين لأداء وظيفة الرضاعة
5) وجود الدورة الشهرية عند عدم الولد
6) ضعف الشجاعة وكثرة الحياء.

المرأة التي يقصدها البحث هي التي تكون أمّا أو أختا أو جدّة أو بنتًا أو زوجة للرجل في جميع مراحل حياته وخاصة المرأة التي ترعى الولد في مرحلة الطفولة والنمو الجسمي والفكري وترافقه ليكون رجلا صالحا أو عالما متمكنا.

المطلب 3: مفهوم العلماء:

في اللغة: العلماء جمع عالم مشتق من علم يعلم علمًا. والعلم هو الإدراك والمعرفة لحقائق الأشياء. قيل: العلم يقال لإدراك الكلي والمركب،

والمعرفة تقال: لإدراك الجزئي والبسيط[1].

في الاصطلاح: العالم هو الإنسان العاقل الذي تمكن من ناصية علم من علوم الشريعة أو الحياة مثل علم أصول الفقه أو علم الرياضيات، مثل أنشتاين وابن الهيثم[2].

والعلماء الذين يعنيهم البحث، هم الرجال أو النساء الذين تمكنوا في علم من العلوم، خاصة علوم الشريعة وعلوم التربية والدعوة، مثل: مالك[3] بن نبي والشيخ عدون شريفي،[4] وتلميذه بكير أرشوم،[5] أو باباز مامه سليمان[6].

المبحث الثاني: الشيخ محمد علي دبّوز وجهاده في التربية والتأليف.

المطلب 1: مولده ونشأته:

ولد الشيخ محمد علي دبّوز سنة 1337هـ/1919م في مدينة بريان ولاية غرداية جنوب الجزائر. ونشأ في أحضان والديه معززا مكرما. وتلقى منهما التربية الكافية في الدين والعلم و الأدب..

---

1 – الزيات وغيره: المعجم الوسيط مادة «علم»

2 – الرزكلي: كتاب الأعلام ج6 ص 83.

3 – عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر ص 282.

4 – د. محمد صالح ناصر: مشايخي كما عرفتهم ص 300.

5 – جمعية التراث: معجم أعلام الإباضية ج2 ص 192 رقم 206.

6 – اعوشت وكروم: مسلمات صالحات في روضة الإيمان ص 139.

أبوه هو حاج علي بن عيسى دبّوز أحد أعيان جماعة التجار بقسنطينة، ومن مؤسسي جمعيتها الخيرية، توفي سنة 1969م.

أمّه هي السيدة دبّوز عائشة بنت يحي، كانت مثالا للجدّ والحزم والعمل الدؤوب إلى حين وفاتها سنة 1973م[1].

المطلب 2: تعلمه و مشايخه[2]:

أ) بريان: تلقى تعليمه الابتدائي بمسقط رأسه عند الشّيخ صالح بن يوسف بسيس. ثم انتقل إلى القرارة.

ب) القرارة: واصل دراساته الثانوية في معهد الحياة عند الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض، والشيخ سعيد شريفي – رحمهم الله –، وقاسم بن الحاج سعيد بسيس وعمر بن صالح أداود وغيرهم..

ج) تونس: حوالي سنة 1942م سافر إلى تونس العاصمة ليواصل دراساته العليا في جامع الزيتونة، ومعهد ابن خلدون مع بعض رفاقه الأوفياء.

د) مصر: في سنة 1364هـ / 1944م نزل القاهرة بعد مغامرة قام بها ليخترق الحدود الليبية مشيا على الأقدام متنكرا في زي أعرابي فرارا من الحرب العالمية الثانية والإنجليز. ورابط في جامعة القاهرة ودار الكتب

---

1 – دبوز بيوض: حياة وآثار الشيخ محمد علي دبّوز مع نهضة الجزائر ج1 ص 26 ط عالم المعرفة.

2 – لخصت هذا المطلب من معجم أعلام الإباضية ج4 ص 812 رقم 840.

المصرية ونوادي العلماء والأدباء مثل: أنور الجندي، ومحمد عطيّة الإبراشي، ود.عائشة بنت الشاطئ[1]... فتخصّص في التاريخ والأدب وعلم النّفس.

المطلب 3: جهاده في التربية و التأليف:

أ) التدريس:

في سنة 1368هـ/1948م رجع إلى القرارة فتفرغ للتدريس في معهد الحياة.. واشتغل بتطوير بعض برامجه كما أدخل مواد جديدة مثل التربية وعلم النّفس. واشتغل بتدريس التاريخ والأدب العربي..

وكانت له يد بيضاء في التعريف بمعهد الحياة في الجامعات المصرية حتى حصل على الاعتراف الرسمي بشهادة المعهد سنة 1963.

وقد تخرجت على يده أفواج من الطلبة النجباء شغلوا مناصب عليا في مختلف الإدارات والجامعات.

ب) التأليف:

1) ترك الشيخ ثلاثة عناوين مشهورة ومطبوعة في حياته أذكر منها:

* تاريخ المغرب الكبير (03 أجزاء)

* نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة (03 أجزاء)

* أعلام الإصلاح في الجزائر (05 أجزاء)

---

1 – د. محمد صالح ناصر: مشايخي كما عرفتهم ص 159.

2) كما شارك في جريدة البصائر بمقالات عديدة من سنة 1948 إلى 1955.

3) ترك الشيخ مكتبة ثرية عامرة بالوثائق والمخطوط والمطبوع والتسجيل الصوتي.

المطلب 4: وفـــاته:

بعد هذا الجهاد الكريم في سبيل العلم والدين، وافته المنيّة في مسقط رأسه بريان يوم: 16 محرم 1402هـ/13 نوفمبر 1981م. تغمده الله برحماته الواسعة.

المبحث الثالث: أهمية دور الأم في تربية العلماء:

لقد تصفّحت كتب المؤرّخ الكبير الشّيخ محمّد عليّ دبّوز (ت1981) فاسترعى انتبــاهي في تراجمه للأعــلام اهتمامه القيّم بدور المرأة في حياة العظماء، خاصّة الأمّ الّتي تنتهي جهودها الكريمــة بتوجيه حياة عالم ونجاحه في الحياة.

ولعلّ هذا ما ينقص كثيرا في كتب السّير القديمة حيث لا يهتمّون بتسجيل سنة الميلاد ولا دور الأمّ في حياة العظماء، بل يكتفون بذكر حياة العالم ونشأته العلميّة ، وبعض مواقفه ثمّ تاريخ وفاته وكفى.

المطلب الأول: عظمة دور الأم:

ولقد اهتمّ الشيخ محمّد عليّ دبّوز بهذه الحقيقة الكونية العلميّة وأبرزها إبرازا أسرف فيه أحيانا.

يقول الشّيخ محمّد عليّ دبّوز: «إن بعض البسطاء الّذين يتوهّمون المعرفة وهم لا يعرفون، فتستغلق نفوسهم عن هذه الأسرار التّربويّة التي نستنبطها من نصوص التّاريخ، ونحفظ للأجيال ما كان عليه أجدادهم فنجحوا في التّربيّة، وأنشأوا لنا أعلام الإصلاح[1]».

وعندما كان يتحدّث الشيخ محمّد عليّ دبّوز عن عبد الرّحمن بن رستم الفارسي في طفولته نوّه كثيرا بدور أمّه لأنّ أباه الفارسيّ رستم قد توفّي في الحجاز فبقي ابنها يتيما ترعاه رعاية صالحة فقال:

«إنّ أغلب المؤرّخين القدماء يُغفلون الأمّ إذا تحدّثوا عن نسب الشّخص وشخصيّته، والأمّ هي العامل الكبير في تكوين تلك الشّخصيّة، ونحن قد استعنّا بعلم النّفس الفردي والاجتماعي فعرفنا من سيرة عبد الرحمن وشخصيته ما أغفله المؤرّخون من ذكر شخصيّة جدّه وأبويه[2]».

ويقول محمّد كامل حسن محامي:

---

[1] – دبّور: أعلام الإصلاح ج2 ص 91

[2] – دبّوز: تاريخ المغرب الكبير ج3 ص 301 وقد سبق أن ذكر نفس هذا المعنى في ج1 من كتاب نهضة الجزائر الحديثة ص 295.

«إنّ تأثير الأمّ قد يفوق في كثير من الأحيان تأثير الأب، بغضّ النّظر عمّا يقال عن أحكام قانون الوراثة، فذلك لأنّ الصّغير يكون دائما أقرب إلى أمّه منه إلى أبيه[1]».

ثمّ بيّن آثار هذه الأمّ في شخصيّة الطّفل ويقول:

«لذلك تكون الأمّ هي المدرسة الأولى للطّفل، والمبادئ التي يتلقّاها الطّفل في هذه المدرسة تحدّد معالم شخصيته وتتحكّم في تكييف هذه الشّخصية، وتكون الأساس الرئيسي لها مهما توالت عليه الأحداث في مستقبل الحياة[2]».

ويستطرد المحامي قائلا:

«والأمّ إذا كانت نظرتها إلى الحياة نظرة ماديّة بحتة، تهافتت على مظاهر الدّنيا الزّائفة الزّائلة، فتسوء طباعها، وتنقل هذه الطّباع إلى صغارها.

أمّا إذا كانت الأمّ عميقة الإيمان بالله سبحانه وتعالى فإنّها لا تهتمّ من دنياها إلّا بالمعنويات، وتراعي ربّها في كلّ ما تقوله أو تعمله، بل تراعيه في كلّ ما يدور بخلدها من أفكار، لعلمها بأنّ الله عزّ وجلّ يعلم السرّ وأخفى[3]».

وبعد أن بيّن الأستاذ محمد علي دبّوز مقام المرأة في بلاد البربر ومالها من احترام في الأسرة والمجتمع قال: «وقد بلغ البربر من إكبار

---

[1] – المحامي: عظماء الإسلام (عبد الله بن الزّبير) ص 25.

[2] – المحامي: م، س ص 26

[3] – المحامي: م، س ص 27 – 28

المرأة واحترامها أن بعض قبائلهم ينسبون الأبناء إلى أمهاتهم لا إلى آبائهم، لأن المرأة في نظر البربر هي قاعدة الأسرة وروح العائلة»[1].

ثم يوجه الأستاذ نصيحة إلى المرأة المغربية في شمال إفريقيا قائلا: «إن المرأة هي قلب الرجل، فما دامت مكنونة مستترة كالقلب بين الضلوع فإنها مصنع حياته ومنبع مباهجه، فإذا تبذلت في الشوارع، وبدت لكل العيون كانت قلبا تكسّر عنه أضلاعه ويقتلع من مكانه، لا يصنع لصاحبه إلا مماته وزواله من الوجود»[2].

المطلب الثاني: نماذج من أمّهات ناجحات:

وقدّم الشّيخ محمّد عليّ دبّوز نماذج ناجحة من هذه الأمّهات اللّائي ربّين أولادا حتّى أصبحوا علماء عاملين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وقد أحصيت بين كتابيه: أعلام الإصلاح في الجزائر ونهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة أكثر من 21 امرأة، ست نساء لعظماء من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأحد عشر كوكبا لعلماء من وادي مزاب جنوب الجزائر، وأربع أمهات لأئمة الدولة الرستمية..

وعلى ضوء السير الحميدة لصحابيات في عهد الرسول ﷺ، اقتدت المرأة الإباضيّة فسارت سيرتها المجيدة في التّربية والرّعاية، والتّوجيه والصّبر الجميل، وخدمة الزّوج والمجتمع.

ونذكر من هذه المواقف المشهودة بعض المواقف للاعتبار والاذّكار.

---

[1] – دبوز: تاريخ المغرب الكبير ج2 ص 74.

[2] – دبوز: تاريخ المغرب الكبير ج2 ص 76.

الفـرع 1: أمهات الأئمة: ففي الدولة الرستمية نجده يذكر ما يلي:

1) أم عبد الرحمن بن رستم:

اختلف العلماء في كونها عربيّة أم فارسيّة، ترجّح الرّوايات أنّها فارسيّة توفّي زوجها في الحجاز أيام الحجّ فقام عبد الرحمن بتزويج أمّه من رجل أمازيغي من القيروان فرحل بها إلى شمال إفريقيا[1] مع ابنها عبد الرحمن.

يقول الشيخ محمد عليّ دبّوز: «إنّ كلّ ما يسعد ابنها عبد الرحمن ويضمن له النّشأة الكريمة والجوّ الصّحي والبيئة الصّالحة، ويقوّيه وينعشه يسعدها ويرضيها، فشعرت بقلبها يتفتّح للرّجل المغربي فقالت لخاطبها: رضيت، فتزوّجها القيرواني السعيد ونقلها مع ابنها إلى المغرب[2]»

وعندما نادى سلمة بن سعد إلى مدرسة أبي عبيدة في البصرة أذنت له أمّه[3] أن يذهب إلى هذه المدرسة ليتفقّه في الدّين. فقد نجح الإمام عبد الرحمن في حياته السياسيّة بفضل تربيّة أمّه وحسن توجيهها له.

2) أم عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم:

وهي أمازيغية من بني يفرن فرع من زناتة، وبنو يفرن من أول القبائل البربرية التي ثارت على ظلم الأمويين والعباسيين في شمال إفريقيا.

يقول الشيخ محمد عليّ دبّوز:

---

[1] – أبو زكرياء: سير الأئمة وأخبارهم ص 35

[2] – محمد علي دبوز: تاريخ المغرب ج3 ص 300

[3] – الشماخي: السير ج2 ص 246

«وقد امتزجت الدماء البربرية بالدّماء الفارسيّة في الإمام عبد الوهاب وورث خصائص أبيه الفارسية، وخصائص أمّه البربريّة، فكان فذا في قوة الشخصيّة، وفي الذكاء، والشّجاعة وقوّة البيان[1]»

فكان نجاحها العظيم يظهر في رعاية حقوق إمام سابق وتربيّة إمام لاحق، فإذا جمعنا ما بين إمامة الزّوج والابن نجدها تفوق ثلاثين سنة (160هـ - 190هـ).

3) أم الإمام أفلح بن عبد الوهاب:

يقول الشيخ محمّد عليّ دبّوز[2]: «وأرى أنّ أمّ أفلح بربريّة من زناتة لأنّ الشماخي قد قال في السير «ومنهم جارود بن القمري عامل الإمام عبد الوهاب وصهره وهو زناتي»[3]، ويرجّح بعد ذلك أن تكون هذه الصّهرية هي أم عبد الوهاب لا زوجة ابنه.. ويعلّق محمد عليّ دبّوز على ذلك قائلا: «إن الأخلاق المتماثلة والعقائد الواحدة هي التي تجعل المرء جزءاً من الجماعة، وأساس الأخلاق وإنّما هي الوراثة، وإذا كانت أم عبد الوهاب بربرية، وأم أفلح بربرية، فقد تغلّبت الدّماء البربرية في العائلة الرّستميّة، وهي بعد أفلح أكثر لتعدّد الأمّهات والجدّات البربريات في ذريّته وأحفاده، فالرجحان في الوراثة إنّما هو للبربر في أفلح ومن جاء بعد من العائلة الرّستميّة[4]».

---

[1] - دبّوز: المصدر السابق ج3 ص 460
[2] - محمّد عليّ دبّوز: م، س ج 3 ص 536
[3] - الشماخي: السير ج2 ص 339
[4] - محمّد عليّ دبّوز: م، س ج 3 ص 537

ولاشكّ أن قوّة شّخصيّة الإمام أفلح العلميّة والجسميّة والسياسيّة كان فيه لأمّه الدّور العظيم أيام رعايته وتكوينه. فاستطاع أن يسيطر على الأحوال الأمنية والإيمانية في دولته لمدّة تفوق نصف قرن (190هـ – 240هـ) كما أكّد ذلك أكثر المؤرخين[1].

4) غزال أم أبي حاتم:

أبو حاتم يوسف بن محمّد بن أفلح كان محبوبا لدى والده أبي اليقظان لأنّ أمّه غزال استطاعت بقوّة شخصيتها وحزمها أن تملك أمور أبي اليقظان وحشمه كما يقول ابن الصغير[2]، ويقول محمّد عليّ دبّوز: «وقد ورث أبو حاتم جمال الشخص من والده وأمّه، وورث من أمّه هذه الشخصيّة القويّة السّاحرة[3]» وممّا رشّحه للإمامة بعد والده مباشرة عام 281هـ هو ذكاؤه وشجاعته وحسن سياسته، حتى أنه كان يعين أباه في شؤون الإمامة ويقوم بمهمّات الدّولة أحسن قيام.

ورغم هذه الصّفات المرشّحة لأبي حاتم إلا أنّه لم ينجح في إمامته بسبب هرم الدّولة بالفتن الدّاخليّة وتنافس عمّه يعقوب له في الحكم.

الفرع 2: أمهات عظماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

1) **أمّ الشيخ عبد الحميد بن باديس**[4]: هي السيّدة زهيرة بنت محمد بن

---

[1] – ابن الصغير: أخبار الأئمة الرّستميين ص 57 – 64

[2] – ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين ص 103

[3] – دبّوز: م، س ج3 ص 600

[4] – عالم جزائري يعد زعيم الحركة الإصلاحية في الجزائر ولد سنة 1889 وتوفي سنة 1940 فسر القرآن الكريم وترك مؤلفات كثيرة وشارك في الصحافة الوطنية (نويهض: معجم أعلام الجزائر ص28)

عبد الجليل بن جلّول، من أسرة ابن جلّول المشهورة بالنّبوغ والفضل والشجاعة في قسنطينة.

كانت عندما ترضع ولدها تأخذه بين يديها وترقصه وهي تغني وتقول:

سَعْـــــدِي بَوْلِيدِي نَشْرِيلُـــــو خَادِمْ
اَتْهَزْ دَوَايَا وَالاقْلاَمْ وَتقُولْ سِيدِي عَالَمْ

وكان الشّيخ عبد الحميد بن باديس قد صرّح بذلك في حفل ختم القرآن الكريم عام 1938م/1358هـ قائلا:

«عندما نال شهادة التحصيل ورجع من تونس كانت أمّه قد أطلقت عليه زغاريد فقال: «إن زغردة أمّي لا تزال ترنّ في أذني لا أنساها» وعندما أشار إلى هذا النّشيد قال: «لقد حقّق الله أملها، فها أنا عالم عامل والحمد لله»[1].

وكانت تتابع دراسته باهتمام في جميع مراحلها حتّى أصبح رئيس جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1351/1931. إلى حين وفاته سنة1360هـ/1940هـ.

[1] – دبّوز: نهضة الجزائر ج2 ص 60

2) أم الطيّب العقبي:

توفّي والده سنة 1320هـ/1912م فواصلت أمّه تربيّته تربيّة إسلاميّة قويمة وتعليمه، وحمته من مكاره اليتم والغربة وكلّ ما يشغل البال فجلس في الحرم النّبوي طالبا ومعلّما.. ثم نفي إلى الأناضول.. وبعدها رجع إلى المدينة ثم إلى الجزائر إلى أن توفّي سنة 1957/1377 ودفن في العاصمة الجزائرية.

3) أم الشيخ المولود بن الموهوب القسنطيني:

ولد المولود بن الموهوب في قسنيطنة سنة 1283هـ/1867م وعندما توفّي أبوه سنة 1295هـ/1875م رعته أمّه أحسن الرعاية، وكان لها أكبر الأثر فيه، فهي الّتي خلفت أباه في توجيهه نحو العلم ورسخت أقدامه في طريقه فثبت فيه إلى أن أصبح من العلماء[1] العاملين.

4) أم الشيخ العربي التبسي:

هو الشيخ العربي بن بلقاسم بن مبارك بن فرحات ولد في ناحية سطح شمال الجبل الأبيض في الجنوب الغربي لمدينة تبسة عام 1312هـ/1895م.. وقد رعاه والداه أحسن الرّعاية.

وأمّه هي السيّدة آمنة بنت اعبيد بن فرحات.. وكانت مثل زوجها شديدة الحبّ للعلم وذويه تبجّلهم كلّ التّبجيل حتّى قال عنها ابنها

[1] – دبوز: نهضة الجزائر ج1 ص 136

الحفصي: «بودّها أن تجود بسواد عينيها لأهل العلم[1]». وبعد وفاة أبيه تزوج أمّه عمّه عمّار بن امبارك وكان هو خير كافل للعربي الذي ما يزال يتعلّم في جامع الزّيتونة. وعندما يرجع إلى الجزائر كانت أمّه تحثّه على سرعة الرّجوع إلى تونس لإكمال دراسته لا ترضى له بطول المقام في الجزائر[2] حتى لا يفشل في دراسته، فواصل رسالة التربية والتعليم في وطنه الجزائر حتى نال الشهادة في سبيل الله سنة 1957م.

5) أم الشيخ امبارك الميلي:

الشيخ الميلي ولد في مدينة ميلة سنة 1898م/1316هـ شرق الجزائر، توفّي أبوه في سنة 1902 وتركه يتيما فرعته أمّه السيّدة تركيّة بنت أحمد بن فرحات حمروش، كانت تقيّة فاضلة من أسرة ماجدة كوالده، توفّيت بعد زوجها بقليل في شبابها[3] وقد تركت آثارا عالية في شخصية ابنها حتى أصبح عالما عاملا من مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وقد توفي سنة 1945م.

6) أم الشيخ محمّد الميلي:

في مدينة ميلة ولد الشّيخ محمّد الميلي حوالي سنة 1870/1288

---

[1] - دبّوز: نهضة الجزائر ج1 ص 42

[2] - دبّوز: نهضة الجزائر ج1 ص 60

[3] - دبّوز: أعلام الإصلاح ج3 ص17 وفي ص 25 – 26 يشرح الشيخ محمد علي دبوز كيف عثر على اسم والدة الشيخ الميلي بعد 12 عاما من البحث عن ذلك.

ربّاه والداه تربية سديدة.. وكانت أمّه السيّدة مسعودة متديّنة فاضلة عالمة بواجبها الديني في التّربية، وكانت تغرس فيه العقيدة الصحيحة من الإيمان باليوم الآخر وخشية الله تعالى والثواب والعقاب والحساب. لأنّ العقيدة الصحيحة هي أساس الشخصيّة العظيمة الفاضلة النّاجحة[1]. فنجح الفتى في حياته.

الفرع 3: أمهات علماء من وادي مزاب جنوب الجزائر:

يقول الأستاذ محمد علي دبوز: «المرأة المزابية هي قاعدة المجتمع الصالح الذي أنشأ أعلام الإصلاح...»، ثمّ يخصّص الأم بالحديث قائلا: «والأمّ العظيمة هي التي أورثت كل أعلام الإصلاح نبوغهم وصلاحهم وبطولتهم الفذّة، فلولا أمّهاتهم وآباؤهم ومجتمعهم ما كانوا على العظمة والنّبوغ»[2].

7) والدة القطب اطفيّش:

هي السيّدة مامّه ستّي بنت الحاج سعيد بن عدون بن يوسف من قبيلة آل يدّر ببني يزقن.. وقد أنجبت ولدها ومات والده فربّته أمّه، قال الشيخ الدبوز: «لقد كان لوالدة القطب أكبر الأثر فيه بوراثتها القديمة، وهي كلّ السّبب في اتّجاه القطب إلى العلم بعد وفاة والده».

---

[1] - دبوز: أعلام الإصلاح ج3 ص 49 - 50

[2] - دبوز" أعلام الإصلاح ج1 ص 114.

ثمّ قال: «وكانت والدة القطب قد تأثّرت بأبيها وعمّها وأخيها فنشأت محبّة للعلوم والعلماء، وترى العلماء أرفع طبقة في المجتمع، والعلم أنفس وأشرف شيء في الوجود[1]» ثمّ يستطرد قائلا:

«ولم يترك الوالد لابنه وزوجته إلا الدّار الّتي يسكنونها وثلاث نخلات، ومالا قليلا سرعان ما نفد، ثمّ اعتمدت الأمّ على براعتها في النّسج فعالت نفسها وابنها[2]» حتى أصبح ابنها من أعظم علماء المغرب في العصر الحديث في غزارة علمه وقوة شخصيته إلى أن توفي سنة 1332هـ/1914م

8) والدة الشيخ الحاج عمر بن حمو بكلّي:

«أمّا والدة الشّيخ عمر بكلّي فهي السيّدة مسعودة بنت الحاج مسعود التقيّة الفاضلة، ضاعفت بوراثتها الزكيّة وراثة زوجها في الابن وكانت له في التّربية وحسن التّوجيه مثله». كما يقول الشيخ محمد علي دبّوز والشيخ الحاج عمر بكلّي[3] هو أحد التلاميذ القدامى للقطب اطفيّش ولد بقصر العطف سنة 1837/1253. وقد توفّي سنة 1340هـ/1922م ودفن بالعطف. وكان يحفظ القاموس المحيط يحفظ أنساب العرب في القديم والحديث، وتاريخ بني مزاب وأنسابهم بعلم الفلك، وله معهد يدرّس فيه

---

[1] – دبوز: أعلام الإصلاح ج3 ص 49 – 50

[2] – دبوز: نهضة الجزائر ج3 ص 298

[3] – دبّوز: نهضة الجزائر الحديثة ج2 ص147

الطلبة بمدينة العطف، وكان رئيس مجلس عمي سعيد، وقد قاوم الاستعمار الفرنسي بإمداد ثورات الصّحراء بالسلاح وكان واعظا ومرشدا، وهو المستشار السياسي للقطب اطفيش.

9) أم الحاج النّاصر بن إبراهيم الدّاغور (كرّوشي):

ولد في مدينة برّيان سنة 1265هـ/1849م، يقول الشّيخ الدبّوز: والدته هي السيّدة شيخة بنت يونس النوحي، وشيخة اسم ميزابي من مشيخة العلم، وكانت أمّ النّاصر ذكيّة حصيفة شديدة الحبّ للعلم والعلماء فغرست في ابنها كلّ ذلك، وكانت غنيّة. ولمّا رحل النّاصر إلى القطب اطفيّش للتعلّم أنفقت عليه من مالها مساعدة لوالده لكي لا يقطعه عن العلم، وكانت رحمها الله من أكبر الأسباب في تخصّص ابنها في العلم[1]. حتى أصبح قاضيا في برّيان.

10) أمّ الحاج إبراهيم بن عيسى الإبريكي:

الابريكي: هو عالم من علماء القرارة البارزين ولد في النّصف الثاني من القرن 13 هـ منتصف القرن 19م، ووالدته فهي السيّدة مبروكة بن إبراهيم مخة وكانت فاضلة ورعة حازمة ذكيّة شديدة الحبّ للعلم، فأبدت وراثتها الزكيّة بالتّربية الإسلاميّة القويّة في ابنها فنشأ فاضلا خيرا مغرما بالعلم كما يريد أبواه.

[1] – دبّوز: نهضة الجزائر الحديثة ج2 ص151

وقد توفّي الابريكي سنة 1329هـ/1911م رحمة الله عليهم[1].

11) أمّ الحاج عمر بن يحي ويرو المليكي القراري:

أصل الشّيخ الحاج عمر بن يحي ويرو من مليكة العليا بميزاب وكانت أمّه هي السيّدة منّة بنت إبراهيم بن أبي امحمد بابهون وهي امرأة صالحة حازمة عالمة ورعة مثقفة. تحفظ جزءاً من القرآن الكريم، وتعرف من الفقه ما يتّصل بالنّساء من العبادات فكانت تعظهنّ وتفتيهنّ، وتقرأ لهنّ الأدعية في المواسم الدّينية فيردّدن دعاءها، وكانت تحبّ العلم حبّا جمّا وتدعو إليه.

فنفثت في ابنها «عمر» حبّ العلم وأشعرته منذ طفولته الأولى أن العلم هو ألذّ شيء، وأعظم شيء في الوجود[2] حتى أصبح هو أبو النهضة العلمية الحديثة في القرارة بعد أن تخرج في معهد القطب اطفيش ببني يزقن إلى أن توفي سنة 1921 .

12) أمّ الشيخ صالح بن عمر لعلي:

هو الشّيخ صالح بن عمر بن داود لعلي ولد سنة 1286هـ/1870م في بني يزقن. والدته هي السيّدة لالة بنت يوسف بن عدّون امرأة صالحة ورعة ذكيّة، حفظت جزءاً من القرآن الكريم، ومخمّسة أبي نصر في الفقه

---

[1] – دبّوز: نهضة الجزائر ج2 ص 159 – 161

[2] –دبّوز: نهضة الجزائر ج 2 ص 164 – 165

والعبادات، وكانت ورعة شديدة الغيرة على الدّين مثقفة العقل حازمة نشيطة، عمّالة، وقد ربّت ابنها صالحا تربيّة دينيّة حسنة، وغرست فيه الأخلاق الإسلامية، وملأته بحبّ العلم، والتقرّب إلى الله بنشره وخدمة دينه، وسار على ذلك الدّرب عالما عاملا ومؤلفا وشيخا فاضلا إلى أن توفي سنة 1928م.[1] رحمه الله وأرضاه وجعل الجنة مثواه.

13) والدة الشّيخ الحاج بكير العنق:

هو الشّيخ الحاج بكير بن الحاج إبراهيم بن بكير العنق[2] ولد بالقرارة سنة 1285هـ/1868م، كان والده من أعيان القرارة، وأمّا أمّه فهي السيّدة عائشة بنت يحي بن بهون سليماني، كانت قويّة الشّخصيّة، شديدة التمسّك بالدّين، محبّة للخير، متّصفة بصفات زوجها، جميلة الخلقة، قويّة البنية، فأورثت كلّ ذلك لابنها أبي بكر بوراثتها وتربيّتها الرّشيدة.

وقد جاهد في الله حقّ جهاده حتّى توفّاه الله سنة 1352هـ/1933م رحمه الله وأرضاه.

14) والدة الشّيخ أبي اليقظان إبراهيم بن عيسى وجدّته وضرّة أمّه:

هو الشيخ إبراهيم بن عيسى بن يحي حمدي أبو اليقظان أبو الصحافة

---

[1] – دبّوز: نهضة الجزائر ج2 ص 129 وما بعدها.. هذه المخمسة هي في المواعظ والحكم وتزكية النفس لا في الفقه والعبادات لعله أخطأ مع غيرها..

[2] – دبّوز: نهضة الجزائر ج2 ص 208

الجزائرية وعضو مؤسّس في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ولد في القرارة سنة 1306هـ/1888م ذاق اليتم مثل غيره من العظماء، مات أبوه ولـمّا يبلـغ الرّابعة من عمره ورعته أمّه الفاضلة عائشة بنت الحاج محمد بن إبراهيم بوعروة[1] كانت شديدة التمسّك بالدّين غيورة عليه، حصان محبّة للخير، بيضاء القلب، شجاعة لا تحب البطالة.

ولم تستسلم عائشة وأمّها بيّة للفقر بل ضاعفتا الجهود لمكافحته.. وكانتا مثالا في التّقوى ومخافة الله وأنفة النّفس والاتكال على الله[2].

بل تعرّض الشيخ الدبّوز إلى ضرّة أمّه «لالة» بنت عبد الله[3] كعبوش القرارية وقد كانت امرأة صالحة تقيّة عابدة ورعة، تلازم المسجد في أوقات الصّلوات والدّروس وتصوم النّافلة، ومن جميع ذلك أخذ أبو اليقظان فكان مثالا للعالم الصّالح. إلى أن توفّي سنة 1973م وهو يعاني الشّلل مدّة 16 عاما بمسقط رأسه القرارة.

15) والدة الشيخ إبراهيم بن عمر بيّوض وجدّته:

الشّيخ إبراهيم بن عمر بن بابه بيّوض زعيم الحركة الإصلاحيّة بجنوب الجزائر وعضو مؤسّس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ولد سنة

---

[1] – دبّوز: أعلام الإصلاح ج1 ص 230 وما بعدها.

[2] – دبّوز: أعلام الإصلاح ج1 ص 240

[3] – أعلام الإصلاح ج1 ص 241

1899م بالقرارة.

تربى في أحضان والديه وجدّته وصديقة الأسرة حليمة، فأمّه هي السيّدة عائشة بنت كاسي بن بهون بن النّاصر بن بهون، ووالدتها هي السيّدة نانّة بنت النّاصر زعمومة، وقد أثّرتا في شخصيّة الشّيخ بيوض تأثيرا بالغا وقد أطنب الشّيخ محمد عليّ دبّوز في وصف حياتهما بتفاصيل دقيقة تجاوزت 100 صفحة.

وأمّا حليمة بنت عيسى بن امعمر من السباقيق من قبيلة المذابيح بغرداية[1].

وقبل ذلك يقدّم الفصل بمقدّمة طويلة عن الحياة التّكامليّة التي بين الرّجل الميزابي وزوجته في تفتيت صعوبات الحياة كأحسن شاهد على العصر.

وهكذا نشاهد أن جميع هؤلاء النّساء قد اجتهدن في رعاية ابنها ووفّقت في ذلك توفيقا سديدا، وكلّ واحدة منهنّ استعملت أسلوبا مناسبا يساعد ابنها على التفوّق والتميّز نذكر منها ما يلي:

1) أسلوب التحفيز على العمل والحفظ والتحسّن.

2) حبّ العلم وخدمة أهله.

3) التذكير باليوم الآخر وأهله.

---

[1] - أعلام الإصلاح ج1 ص 109 إلى 210.

4) النّفقة على الولد اليتيم من الحلال لكي لا يتعرّض إلى الفساد.

5) التمسّك بالدّين وتلاوة القرآن الكريم.

6) ملازمة المسجد وحبّه والشّوق إليه.

7) إحاطة الولد من رفقاء السوء.

خاتمة وتوصيات:

وفي الختام أريد أن أوجّه إلى الأمّهات نداء تعيننا به على رعاية أبنائنا حتّى يكونوا علماء ربّانيين في الإسلام.

1) العمل على توفير الجوّ السّليم لتربيّة الأبناء داخل الأسرة.

2) تجنّب أساليب العنف أثناء تربية الأبناء والبنات.

3) ترغيب الأبناء في حبّ العلم وأهله.

4) مرافقة الأولاد في استعمال وسائل الإعلام الآلي وتحذيرهم من سلبياتها المقيتة.

5) التّعاون مع المدرسة والمسجد والجمعيات للاهتمام بمستقبل الأبناء والبنات وضبط أساليب التّكامل والتّواصل بينها، ومحاربة الفراغ في حياتهم.

وإلى هنا يتوقّف قلمي عن الكتابة وفي هذه الإشارات أعظم الرّسائل

المعبّرة عن الدّور الفعّال للمرأة الصالحة في صناعة مستقبل الأجيال المتلاحقة وبالله التوفيق.

والسّلام عليكم ورحمة الله.

الثلاثاء03 محرم 1441هـ/ 03 سبتمبر 2019.

الحاج أحمد بن حمو كروم
أستاذ الشريعة وعلوم الحديث والمقاصد في معهد عمي سعيد للدراسات الحضارية والإسلامية
غرداية – الجزائر

قائمة المصادر والمراجع

1- أحمد بن سعيد الشمّاخي: كتاب السّير، تحقيق د.محمد حسن، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2009

2- أحمد بن سعيد الدّرجيني أبو العبّاس، طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق الشّيخ إبراهيم طلّاي، الجزائر، ط2، 2012.

3- أحمد حسن الزيات: المعجم الوسيط، ط1، دار الدعوة، اسطنبول، تركيا 1989.

4- أحمد كروم وبكير أعوشت: مسلمات صالحات في روضة الإيمان، ط2، مؤسسة الشيخ الناصر، غرداية، 2016/1436.

5- بيوض دبوز: حياة وآثار الشيخ محمد علي دبوز، ط1، عالم المعرفة، الجزائر 2013.

6- دبوز بيوض: حياة وآثار الشيخ محمد علي دبوز مع نهضة الجزائر ج1 ط1، عالم المعرفة، الجزائر 2016.

7- جمعية التراث: معجم أعلام الإباضيّة، ط1، المطبعة العربيّة، غرداية، الجزائر، 1999.

8- خير الدين الزركلي: كتاب الأعلام، ط11، دار العلم للملايين

بيروت 1995.

9- ابن الصغير: أخبار الأئمة الرّستميين، تحقيق د. محمد ناصر، د. إبراهيم بحاز، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت 1986/1406.

10- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، ط2، مؤسسة نويهض، بيروت، 1980/1400

11- محمّد عليّ دبّوز: أعلام الإصلاح في الجزائر، ط1 ، مطبعة البعث، قسنطينة، 1394-1974.

12- محمّد عليّ دبّوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ط1، المطبعة التّعاونية، مصر، 1965/1385.

13- محمّد عليّ دبّوز: تاريخ المغرب الكبير، ط1، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة، 1963/1383.

14- محمّد كامل حسن المحامي: عظماء الإسلام (عبد الله بن الزبير) المكتب العالمي، 1995.

15- د.محمد صالح ناصر: مشايخي كما عرفتهم، ط2، دار ناصر الجزائر 1434/2013.

16- يحي بن أبي بكر الوارجلاني أبو زكرياء، تحقيق إسماعيل العربي، ط1، نشر المكتبة الوطنية، 1979/1399.

الأم المزابية في حياة أعلام الإصلاح

- دراسة وصفية للمؤثرات الأسرية والبيئية حسب منظور الشيخ محمد علي على ضوء الدراسات العلمية -

أ. دبوز آسيا

جامعة الجزائر

ملخص:

تتميز كتابات الشيخ محمد علي دبوز لأعلام الإصلاح في جنوب الجزائر، بالدراسة المفصلة لجوانب تاريخ حياتهم المختلفة (La bibliographie)، وبتحليلاته النفسية للمادة التاريخية التي يتحصل عليها منهم، ليتمكن من إنشاء صورة حقيقية تميز واقع هذه الشخصيات العظيمة، ولقد اهتم الشيخ محمد علي كثيرا بالأم المزابية ومميزاتها في حياة أعلام الإصلاح ودورها الفعال في تشكيل شخصيتهم. لقد جاءت دراستنا الحالية للتركيز على العلاقات النفسية والاجتماعية لدور أمهات أعلام الإصلاح في تشكيل شخصية أبنائهن على ضوء نوعية الحياة والدعم الاجتماعي وأساليب التعامل للأم، التي أكد عليها الشيخ محمد علي والتي كان لها أثر رجعي على شخصية أعلام الإصلاح لاحقا، وتحققت هذه الدراسة من هذه العلاقات وموافقتها مع الدراسات العلمية، اعتمدنا في دراستنا هذه: المنهج الوصفي، واعتمدنا في الحصول على المادة التاريخية، مؤلفات الشيخ محمد علي المختلفة (سلسلة أعلام

الإصلاح وتاريخ المغرب الكبير وسلسلة نهضة الجزائر الحديثة). ولقد توصلنا إلى أن علاقة الأم المزابية كان لها دور هام في تنشئة ابنها وتعليمه المهارات الاجتماعية، وتطوير تنظيم عواطفه التي كان لها أثر قوي على كيفية تعاملهم لاحقا في حياتهم مع الضغوط، في وقت تم تشكيل شخصيتهم المتميزة بالتضحية في سبيل العلم والوطن، كما أن هذه العلاقة بين أمهات أعلام الإصلاح تتأثر بعوامل الدعم الاجتماعي الذي تتلقاه الأم ونوعية الحياة وأساليب تعامل الأمهات أمام الضغوط.

الكلمات المفتاحية:

الأم المزابية. أمهات أعلام الاصلاح. التنشئة الاجتماعية. تنظيم العواطف. الشيخ محمد علي دبوز. نوعية الحياة. الدعم الاجتماعي المتلقي لدى الأم. أساليب التعامل.

مقدمة:

اهتم الشيخ محمد علي في ترجمته لسيرة الأمهات على أهمية العلاقة بين الأم والابن، وترتكز دراسته على أساس أن نجاح أعلام الإصلاح في حياتهم وتوجههم نحو العلم؛ مرهون ببيئتهم الأسرية والمادية التي نشؤوا فيها في طفولتهم المبكرة، وأن الطفل يولد ويتطور في بيئته العائلية، والعلاقة الأولية هي مع والدته، التي لها تأثير كبير على مستقبل طفله.، كما ركز أيضا على أهمية دور الأم في

التنشئة الاجتماعية لأن المعتقدات الثقافية والقيم الأخلاقية التي يتم إنشاؤها اجتماعيا لها الدور الأكبر في توجيه أعلام الإصلاح نحو طريق الصلاح وطريق الدين والعلم، ولقد حلل الكثير من العلاقات النفسية والاجتماعية في حياة أعلام الإصلاح التي افترض أن لها أثر في حياة الأعلام.

كما تميزت تراجم أعلام الإصلاح التي اختص الشيخ محمد علي دبوز بجمعها وتحليلها؛ بانفرادها بالأسلوب التحليلي الذي اعتمد عليه في الدراسة التاريخية لمختلف جوانب حياتهم، ويرجع السبب دائما، في اهتمامه بالمؤثرات الاجتماعية والأسرية والوراثية، لارتباطها القوي بعملية التنشئة الأسرية بالدرجة الأولى وهو ما دفعه إلى اعتبار قضية المرأة المزابية من أهم القضايا التي اهتم بها في كتاباته التاريخية، نظرا للمكانة التي منحتها إياها العلوم النفسية والدينية والتاريخية-التي اختص فيها- ذلك ما جعله يتقرب أكثر من الصورة الحقيقية لواقعهم المعاش، ويوضح لنا تفاصيل شخصياتهم ونفهم مواقفهم العظيمة التي يتصفون بها دائما. يقول: {أما نحن فمن واجبنا أن نحفظ أكثر ما نستطيع من تاريخ زمانهم الذي أنشأهم، ونشرح كل المؤثرات التي كونت شخصياتهم العظيمة، سيما مؤثرات البيت والبيئة الاجتماعية والطبيعية العامة فإنه مما يغفل عنه أغلب

المؤرخين القدماء"[1]، وهذا الغرض الذي أسس عليها جهوده العظيمة التي بذلها من أجل أن يعرف لكل الفئات الاجتماعية، الأسباب التي كونت أعلام الإصلاح وقادة الجزائر الميامين الذين قادوها في أنواع جهادها، فأورثوها النصر المبين.

نهدف في دراستنا هذه إلى استخلاص تلك النتائج التي توصل إليها محمد من خلال تحليلاته لأحداث الحياة التي مر بها أعلام الاصلاح، وإخضاعها للتحليل والمناقشة حسب ما أوردته الدراسات السابقة في نفس الإطار، لنتمكن من استخلاص العبر والاستفادة من تجارب الأمهات الجليلات اللواتي نجحن في تنشئة الرجال الأعلام، وهذا ما يحث عليه الشيخ محمد علي دائما في تراجمه للأمهات

وبهدف معرفة المؤثرات الأسرية التي ارتبطت ارتباطا وثيقا بالتنشئة الأسرية من قبل الأم لأعلام الإصلاح، جاءت دراستنا الحالية للإجابة على التساؤلات الآتية:

كيف أثرت علاقة أمهات أعلام الإصلاح في تطوير مهارات أبنائهن الاجتماعية وتنظيم العواطف الخاصة بهم في مدى تمكنهم

[1] – دبوز، الشيخ محمد علي (1976). أعلام الإصلاح في الجزائر من عام (1921-1975). الجزء الأول (ط1). قسنطينة: مطبعة البعث.

من مواجهة الضغوط التي واجهتهم في سبيل العلم والوطن؟

وهل كان لأساليب تعامل الأمهات ومقدار الدعم الذي تتلقاه ونوعية حياتهم أثر في جودة علاقتهن بأبنائهن؟

أهمية الدراسة:

وصف المتغيرات المتعلقة بتنشئة أعلام الإصلاح الأسرية من منظور الشيخ محمد علي.

إضاءة جانب مهم من حياة أعلام الإصلاح وماضيهم وعلاقتهم بأمهاتهم.

أهداف الدراسة:

تهدف دراستنا إلى إبراز العلاقات النفسية والاجتماعية التي أكد الشيخ محمد علي على أهميتها في حياة لأعلام الإصلاح في إطار المؤثرات الأسرية والبيئية.

وصف عوامل الدعم الاجتماعي ونوعية الحياة وأساليب التعامل التي أكد الشيخ محمد علي على أثرها في دور أمهات أعلام الإصلاح التربوي.

الإطار النظري:

أهمية الترابط العاطفي بين الآباء والأمهات والأطفال:

تفترض نظرية المرافقة الوالدية إلى أن الراحة النفسية يعززها التقارب والترابط لما يكون الطفل برفقة والديه، كما أن العلاقات المبكرة بين الوالدين والطفل توفر قاعدة آمنة وملاذ آمن للأطفال لاستكشاف العلاقات وإقامة ثقة متبادلة مع الآخرين، أنه سيتم قبوله وطلب مساعدته من قبل الآخرين في أوقات الحاجة، إن خبرات التعلق المبكر تساهم عبر العمر في العمل الداخلي عن نموذج الذات والآخرين والتفاعل مع الآخرين (Maunder & Hunter 2001/ 2009؛ رايت، كراوفورد، وكاستيلو، (.Assummarized، من جانب العائلات المحفوفة بالمخاطر من نموذج (ريبيت و زملاءه، 2002)، البيئة الأسرية للطفولة تؤثر على تطور تنظيم العاطفة والمهارات الاجتماعية، والتي يمكن أن تؤثر على كيفية الرد على الضغوط في وقت لاحق في الحياة، لذا فإن مستوى العاطفي الضيق من ذوي الخبرة نتيجة أحداث الحياة الضاغطة؛ يمكن أن ينظر إليها على أنها مؤشر على تنظيم العاطفة، أما الأفراد الذين عانوا من البيئة الباردة والإهمال العائلي المبكر قد يتفاعلون بقوة أكبر إلى الضغوطات التي يشترك فيها الأشخاص المقربون، ويشعر أكثر بعدم الأمن حول استقرار العلاقات الحميمة (Waldinger، Schulz، Barsky، Ahern &، 2006؛ ويسمان، 2006[1]

[1] Poon، PhD، * 1،and Bob G. Knight، 2 ،PhD 3، Emotional Reactivity to Network Stress in Middle and Late Adulthood: The Role of Childhood Parental Emotional Abuse and Support، *The*

العلاقة العاطفية بين الأبوين والطفل:

الدفء الأبوي والسيطرة، بطريقة إيجابية، هما أهم صفات الوالدين التي تساعد على خلق آثار إيجابية، وهذا هو تأثير الوالدين الحساس، يعد التفاعل العاطفي الإيجابي والتنظيم الذاتي من العوامل الأبوية الهامة في تطوير مزاج الأطفال الأصحاء. وتلعب العاطفة، بكل جوانبها، دورًا مهمًا في تطور مسار العلاقات بين الوالدين والطفل. إنه شارع ذو اتجاهين؛ عواطف الأطفال التي تؤثر على السلوكيات الوالدية والعواطف الوالدية التي تؤثر على نمو الأطفال والسلوكيات. يعد تنظيم المشاعر حرجًا بشكل خاص في العلاقات بين الوالدين والطفل، وللآباء والأمهات كنماذج، وللأطفال ككفاءة إنمائية أساسية.[1]

دور الوالدين في التنشئة الاجتماعية للطفل:

تشير أهداف التنشئة الاجتماعية حسب مونوس ولورديلو (Seidl de Moura, 2007) إلى ما يتوقعه الوالدان أن يكون طفلهما في المستقبل وما يتخيلان أنه يجب القيام به لتحقيق هذا الغرض، إنها مرتبطة

Pages 782-، December 2012، Issue 6، Volume 52،*Gerontologist* Published: 14 March ، https://doi.org/10.1093/geront/gns009،791 2012

[1] Neil Farber M.D، Ph.D.، (Apr 10، 2016)، 10 Things to Know About Parent-Child Relationships The parent-child relationship is different from all others، https://www.psychologytoday.com/us/blog/the-blame-game/201604/10-things-know-about-parent-child-relationships

بكيفية توجيه الآباء لأبنائهم في تحقيق المهام التي يفرضها النمو، استنادا إلى الأساليب والممارسات الأبوية الخاصة من الفرد أو الأسرة، ولكن دائما في الاتفاق على المعتقدات الثقافية والقيم الأخلاقية التي يتم إنشاؤها اجتماعيا[1]

تهدف التنشئة الاجتماعية إلى تحويل الفرد من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي قادر على التفاعل من احتكاكه بالآخرين، وتهدف إلى توحد الطفل مع مجموعة من الأنماط الثقافية للمجتمع، مثل أنماط القيم الاجتماعية والأخلاقية والجمالية التي تشكل البناء الأساسي للشخصية من خلال اكتساب الطفل مجموعة من الاتجاهات والمعارف [2]، كما تتم تنمية الطفل على مستويين ؛ جانب واحد هو الذكاء والجانب الآخر عاطفي. [3]

---

[1] Lilia Iéda Chaves Cavalcante and Celina Maria Colino Maga-، Socialization Goqls of Mother and Grandmothers of Children in Institutional Shelter Situation in the northe of Brazil، December 18th 2013، DOI: 10.5772/57328.

[2] -سليمان، موسى؛ حمدان، الهسي (2009). دور المرأة المسلمة في تربية أبناءها على الجهاد وسبل الارتقاء به. رسالة ماجستير في أصول التربية. رسالة منشورة. تخصص تربية إسلامية، الجامعة الإسلامية-غزة.

[3] Le Paradoxe De L'enfant Surdoué ; De ، Sahraoui Antissar

Pages 281-289 ، Numéro 4، Volume 7،L'intelligence à La Fragilité

أساليب التنشئة الاجتماعية:

الموعظة والنصح:

وهو حديث موجه لنفس الإنسان لتوجيه إلى السلوك الصحيح والكف عن الخاطئ، لتحويل طاقة الفرد إلى طاقة إيجابية، وهذا الأسلوب يتطلب تقنيات رمزية ولفظية خاصة من قبل المنشئ.

المساندة العاطفية:

ويعني وجود العلاقات العاطفية داخل الأسرة التي تساعد على النمو السليم لشخصية الطفل نفسيا واجتماعيا، حتى لا يخرج على قوانين المجتمع ونظمه.

القصة:

تبرز أهمية القصة من التأثير النفسي العميق الذي تتركه في ذهن المستمع أو القارئ، ويتجاوز ذلك التأثير في سلوكه وأفكاره[1]، خصوصا عند الأطفال لما لها من أثر كبير في نفسيتهم، خاصة إذا وضعت في أسلوب عاطفي ومشوق، ويشترط في القصة أن تكون هادفة من أجل تحقيق الهدف الأساسي وهو استخلاص العبرة، حيث

[1] - العيد، هداج (2013). تأثير العولمة على دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع. رسالة منشورة. جامعة سطيف 02.

يصب الاهتمام على الفعل ونتائجه، وليس على الفاعل في حد ذاته.

القدوة:

وهي من أنجع الأساليب لأنها تقدم الأفكار والقيم بطريقة عملية، حيث تعمل على تحويل المثل إلى واقع، مما يمهد للمقتدي الطريق لتحويل تلك القيم والأفكار إلى سلوك فعلي. [17]

منهج الدراسة:

من المعلوم أن لكل دراسة منهج محدد، والمنهج هو أسلوب للتفكير والعمل يعتمده الباحث لتنظيم أفكاره، وتحليلها وعرضها، وبالتالي الوصول إلى نتائج وحقائق معقولة حول الظاهرة موضوع الدراسة، ويرتبط تحديد الأسلوب أو المنهج العلمي الذي يستخدمه الباحث، ويطبقه لدراسة ظاهرة أو مشكلة مجموعة الدراسة بموضوع ومحتوى الظاهرة المدروسة [2].

---

[1] باسمة حلاوة، (2011)، دور الوالدين في تكوين الشخصية الاجتماعية عند الأبناء، *مجلة جامعة دمشق*. 27(3). 71- 109.

[2] عليان، مصطفى؛ محمد غنيم، عثمان (2000). مناهج وأساليب البحث العلمي (ط. 1). عمان: دار صفاء.

وبما أننا نسعى إلى تحليل تراجم أمهات أعلام الاصلاح لاستخلاص الاستنتاجات أو العلاقات النفسية التي وضح الشيخ محمد علي تأثيرها في شخصية أعلام الإصلاح ومصيرهم النفسي والاجتماعي عند الرشد، فإن المنهج المناسب لدراستنا هو المنهج الوصفي التحليلي.

طريقة جمع المعلومات:

قمنا بجمع كل الأدبيات مما كتب عن تراجم أمهات أعلام الإصلاح، وقمنا بتحليل ما جمعه الشيخ محمد علي من مادة تاريخية وتصنيفها تحت محاور أساسية تعنى بالجوانب النفسية والاجتماعية والتربوية التي سعى الشيخ محمد علي إلى الكشف عن علاقتها بحياة أعلام الإصلاح.

التعاريف الإجرائية:

تشتمل متغيرات دراستنا على العناصر الأتية:

1. علاقة أمهات أعلام الاصلاح بابنها.
2. نوعية الحياة والدعم الاجتماعي المتلقي من طرف الأم.
3. أساليب تعامل الأمهات مع ضغوط الحياة اليومية.

أولا-التعريف الإجرائي لعلاقة الأم بابنها:

ونقصد به العلاقة الثنائية التي تربط الأم بابنها، وتمثل جودة علاقتها من حيث تجارب التعلق والشعور بالأمان، كذلك تشمل

أساليب تعامل الأمهات مع أبنائهن عندما يتعرضون للضغوط، ونشير إلى قدراتهن في تطوير التنظيم الذاتي العاطفي للابن، كما يشمل أيضا أساليب التنشئة الاجتماعية والممارسات المختلفة لاكتساب الابن المهارات الاجتماعية.

وهذه العلاقة هي التي تنبؤنا مما سيكون عليه أعلام الإصلاح في الرشد عندما يتلقى مشكلات الحياة الدراسية والعملية، وأيضا لما يتفاعل مع ضغوط الشبكة الاجتماعية لما يصيرون رجالا للإصلاح.

ثانيا-التعريف الاجرائي لنوعية الحياة والدعم الاجتماعي المقدم للأم: ونقصد بنوعية الحياة؛ مدى توفر أسباب العيش الهني والرغد ومقدار الرضا عنه، كما أن الدعم الاجتماعي المتلقي يعد جزءا من نوعية الحياة، ونقصد به تلقي الأم لدعم كافي من قبل العائلة أو الأصدقاء أو أناس آخرين.

ثالثا-التعريف الإجرائي لأساليب التعامل:

فهي أساليب التعامل التي اعتمدت عليها الأمهات من التي اخترنا أن ندرسها في هذا البحث في المواقف الصعبة، كالتركيز على حل المشكل، أو الاعتماد على أسلوب التعامل الدين العاطفي.

الحالات المدروسة:

لقد سعينا جاهدين لإجراء مسح شامل لكل النسوة التي

درسها الشيخ محمد علي في تراجم أعلام الإصلاح، بحيث شمل المسح على كل مؤلفاته المتعلقة بالموضوع وهي: سلسلة أعلام الإصلاح بأجزائها الثلاثة، وسلسلة أعلام الإصلاح بجميع أجزائها.

وصف الحالات المدروسة:

تتسم الحالات التي تحدث عنها الشيخ محمد علي على خاصيتين:

الحالة الاجتماعية: معظم الحالات كن متزوجات، بقي الزوج حيّا طيلة حياتها، أو توفي زوجها وأيمت، هذا من جهة، وقد تكون الحالة أم لأحد من الأعلام أو تكون أخت أو جدة من الأب أو جدة من الأم أو مربية أو زوجة الأب.

المستوى الاجتماعي: بعض الحالات كن مصلحات وينتمين إلى المجلس الديني النسوي، أو تكون واعظة دينية ومعلمة تربوية، وبعضهن كن أرامل يعملن في البيت ويعتمدن على النسج وصنع الزرابي والملابس الصوفية، وبعضهن كن يعملن في محل لبيع الأغراض ومقتنيات النسيج ويكون المحل في البيت.

إحصاء حالات الدراسة:

فيما يأتي نعرض الحالات التي اختارها الشيخ محمد علي:

1. والدة الشيخ إبراهيم أبي اليقظان، السيدة عائشة بنت الحاج

محمد بوعروة من مدينة القرارة.

2. جدة الشيخ إبراهيم أبي اليقظان من أمه، السيدة بية بنت باعلي بكوش من مدينة القرارة.
3. والدة القطب، السيدة ماما ستي بنت الحاج سعيد من مدينة بني يزقن.
4. والدة الشيخ بيوض إبراهيم، السيدة عائشة بنت باحمد، من مدينة القرارة.
5. جدة الشيخ بيوض إبراهيم من أمه، السيدة نانة زغمومة من القرارة.
6. مربية الشيخ بيوض إبراهيم، السيدة حليمة من مدينة غرداية.
7. والدة الشيخ الحاج عمر بن يحيى، السيدة منة بنت إبراهيم بابهون من مدينة مليكة.
8. أخت الشيخ الحاج عمر بن يحيى، السيدة عائشة بنت يحيى من مدينة القرارة.
9. أخت الشيخ الحاج عمر بن يحيى، السيدة ماما بنت يحيى من مدينة القرارة.
10. والدة الشيخ الحاج صالح بن عمر، السيدة لالة بنت عدون من مدينة بني يزقن.

الدراسات السابقة:

هناك العديد من الدراسات الاجتماعية والبحوث التربوية، التي

تناولت دور الأم والأب التربوي والاجتماعي، ومدى فاعلية هذه الدور في تكوين الملامح الشخصية للأبناء وسأقتصر على عرض بعض الدراسات (العربية والأجنبية) ذات العلاقة الوثيقة بموضوع الدراسة الحالية.

أولا-الدراسات المتعلقة بعلاقة الأم بالطفل ودورها في تشكيل شخصية الطفل.

1. الدراسات العربية:

دراسة باسمة حلاوة (2011): وعنوان الدراسة هو دور الوالدين في تكوين الشخصية الاجتماعية عند الأبناء في مدينة دمشق وتهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن دور الوالدين في تكوين شخصية الأبناء الاجتماعية، اعتمدت على المنهج الوصفي-التحليلي، مستخدمة استبانة مكونة من ستة أقسام، لجمع المعلومات والآراء من الوالدين، واختيرت العينة بشكل عشوائي من الآباء والأمهات من أربع مناطق مختلفة في مدينة دمشق، حيث شملت (100) فرد، منهم (50) من الأمهات، وأظهر اختبار (ت) وجود فرق بين الآباء والامهات حول (التقيد بالنظام الأسري، بينما لم تظهر فروق حول الأقسام الخمسة الأخرى (مشاركة الأبناء في الأمور العائلية، معاملة الوالدين للأبناء، السماح للأبناء بإدارة شؤونهم الخاصة، العدالة الوالدية بين الأبناء، والعلاقات الاجتماعية مع الآخرين)، ومن جهة أخرى، لم يظهر

اختبار (ف) أية فروق بين أفراد العينة بحسب المستويات التعليمية (الأساسي، المتوسط، الجامعي)،كما لم تظهر أية فروق بين أفراد العينة بحسب المستويات الاقتصادية الثلاثة: (الضعيف، المتوسط، والجيد) حول الأقسام الستة في الاستبانة، وهذه النتائج تشير إلى أن المستويات التعليمية والاقتصادية، لا تؤثر في أدوار الوالدين في تشكيل شخصية الأبناء الاجتماعية، لأنهم يعيشون ضمن منظومة واحدة من القيم والعادات الاجتماعية[1] [9].

2. الدراسات الأجنبية:

دراسة بوشكفا وشستينا وشتنوفا (2018) بعنوان "دور الأجداد في تكوين شخصية الطفل (في مادة أدب الأطفال)"، تم تحليل مفهوم "قراءة الأسرة"، وأهمية نموذج "قراءة الأسرة" في هذه الدراسة، وتم الكشف عن دور الأجداد في تكوين شخصية الطفل، كان الهدف منها هو الإشارة إلى إمكانية تحسين ثقافة القراءة في حالة الوعي بدور الأجداد في تربية الأطفال. اعتمدت الدراسة على التخصصات المنهجية والمبادئ المنهجية، اهتمت بالمعرفة الاجتماعية الإنسانية الحديثة. المنهجية المقارنة تتيح مختلف التفكير في ميزات وأنماط البنية التصويرية لوظيفة الخيال أوصت للقراءة الأسرة. الاعتماد على

[1]- طه بخش، أميرة. جودة الحياة وعلاقتها بمفهوم الذات لدى المعاقين بصريا والعاديين بالمملكة العربية السعودية. من http: //www.pdffactory.com

النهج التاريخي والثقافي والاجتماعي والنمائي، فإنه يسمح بإنشاء القواسم النمطية للصورة الفنية من "الأجداد" طريقة السيرة الذاتية، وكذلك التحليل اللغوي للنص الأدبي، يجعل من الممكن أن تأخذ في حساب النمط الفردي للمؤلفين أثناء اختيار أعمال القراءة العائلية. أثبتت الدراسة صور الجدات "النشطة" والجدة تهيمن على النصوص الأدبية للأدب العالمي، في الإنشاءات التي تستخدم مقارنات صور الحيوان والزهور. المواد اللازمة للدراسة هي أعمال الأدب الروسي والأجنبي [1].

دراسة ديكرس وفولك وخوسي وسشيدلبرج حوريش (2015):

كيف يمكن للوضع الاجتماعي والاقتصادي تشكيل شخصية الطفل؟ أظهرت الدراسة أن الحالة الاجتماعية والاقتصادية (SES) هي مؤشر قوي للعديد من جوانب الطفل الشخصية، وكانت جوانب الشخصية التي حققت فيها تشمل تفضيلات الوقت ومخاطر التفضيلات، والإيثار، وكذلك الذكاء المتبلور. تم قياس SES الأسرة من قبل متوسط سنوات تعليم الأم والأب ودخل الأسرة. النتائج أظهرت أن الأطفال من العائلات ذات SES العالي أكثر صبراً،

[1] Galina Boshkova1 ،Elena Shastina2 & Olga Shatunova (2018)، The Role of Grandparents in the Child's Personality Formation (on the Material of Children's Literature)، *Journal of Social Studies Education Research Sosyal Bilgiler Eğitimi Araştırmaları Dergisi*:9 (2)، 283-294.

ويميلون إلى أن يكونوا أكثر إيثارا وأقل احتمالا أن يت البحث عن المخاطر، والنتيجة أعلى في اختبارات الذكاء. ناقشت الدراسة أيضا المسارات المحتملة التي من خلالها يمكن أن تؤثر SES على تكوين شخصية الطفل من خلال توثيق أن العديد من أبعاد بيئة الطفل تختلف بشكل منهجي حسب SES: أسلوب الأبوة والأمومة وكمية ونوعية الوقت الذي يقضيه الآباء مع أطفالهم، معدل ذكاء الأم والتفضيلات الاقتصادية، والظروف الأولية للطفل عند الولادة، وهيكل الأسرة، استخدمت الدراسة بيانات اللوحة لإظهار أن العلاقة بين SES والشخصية مستقرة إلى حد ما الوقت في سن 7 إلى 10. ملامح الشخصية التي تختلف بشكل منتظم مع SES قد تقدم شرح لعدم الحركة الاجتماعية [11][1].

دراسة ميلاني مالرز وآخرون (2010):

والتي جاءت تحت عنوان " تصورات عن علاقة الطفولة مع الأم والأب: تجارب الضغوط اليومية والعاطفية في مرحلة الرشد"، إن

[1] Thomas Deckers Armin Falk Fabian Kosse Hannah Schildberg-Hörisch، (2015)، How Does Socio-Economic Status Shape a Child's Personality ،*DISCUSSION PAPER SERIES*، Forschungsinstitut zur Zukunft der Arbeit Institute for the Study of Labor. Discussion Paper No. 8977 April 2015 IZA P.O. Box 7240 53072، Bonn Germany.

البالغين الذين يقرون بوجود علاقات عالية الجودة مع والديهم أثناء الطفولة لديهم صحة نفسية أفضل مقارنة بأولئك الذين يبلغون عن انخفاض في جودة العلاقة الوالدية. لقد ركز الباحثون في الغالب على العلاقة مع الأم، وفي كثير من الأحيان يستبعدون الدور الفريد الذي قد يلعبه الآباء في التطور طويل الأجل لأبنائهم. درست الدراسة الحالية الارتباطات الفريدة لتجارب الطفولة التي تم تذكرها من جودة العلاقة بين الأم والأب والطفل مع التجارب العاطفية اليومية وعمليات الضغط في مرحلة الرشد. وتتكون العينة من الرجال والنساء (N = 912) ، تتراوح أعمارهم بين 25 – 74 سنة وتقيس الأثر الرجعي لجودة علاقات طفولتهم مع والدتهم وأبيهم، في وقت لاحق، أبلغوا عن ضيقهم النفسي اليومي والتعرض للضغوط كل ليلة على مدى ثماني أمسيات متتالية. تشير النتائج إلى أن جودة العلاقة بين الأم والطفل كانت مرتبطة بمستويات منخفضة من الضيق النفسي اليومي. ترتبط جودة العلاقة بين الأم والأب والطفل بالتعرض للضغوط، ولكن كانت جودة علاقة الأب والابن فقط مرتبطة بمستويات منخفضة من التفاعل العاطفي مع الضغوطات خلال مرحلة الرشد [12][1].

[1] Melanie H. Mallers، Susan T. Charles، Shevaun D. Neupert، and David. M. Almeida، PERCEPTIONS OF CHILDHOOD RELATIONSHIPS WITH MOTHER AND FATHER: DAILY EMOTIONAL AND STRESSOR EXPERIENCES IN

دراسة سكوت ميرابل وآخرون (2010):

والتي جاءت تحت عنوان "منتدى رعاية الشباب للأطفال"، وتناولت هذه الدراسة كيف يتفاعل ميل الأطفال نحو الإثارة العاطفية السلبية مع جهود الأمهات لتنظيم العلاقات العاطفية، أكملت (55) من الأمهات ذوات الدخل المتدني وأطفالهن في عمر سنتين تقييمات رصدية تقيس التنشئة الاجتماعية للأمهات لتنظيم العواطف ونزعة تفاعل الأطفال، وتنظيم عاطفة الأطفال وتفاعل الأطفال تجاه التفاعل السلبي بشكل كبير مع استخدام الأمهات اللائي لديهن أطفال أقل تفاعلية والذين استخدموا التهدئة وكانوا أكثر هدوء لديهم أطفال كانوا أكثر عرضة لاستخدام السلوكيات التنظيمية التفاعلية القائمة على إلهاء أثناء حالة الإحباط، وتناقش الآثار النظرية ورعاية الطفل من الحقائق[1][13].

ADULTHOOD، *Developmental Psychology*. 2010 Nov; 46(6): 1651–1661. US National Library of Medicine، National Institutes of Health.(MPC).

1 Scott P، Mirable، Laura V. Scaramella، Sara L. Sohr، Sarah D. Robison، (2010)، Child Youth Care Forum، *Journal of Research and Practice in Children's Services، 2009 Feb 1 ; 38(1) : 19-37.*

دراسة تشيرنغ، ريبكا وبويز وآخرون (2018):

جاءت الدراسة تحت عنوان "أدوار الأمهات والآباء في تعديل الطفل: ممارسات الأبوة والأمومة والتواصل الاجتماعي العاطفي للأمهات كمتنبئات"، ترتكز هذه الدراسة على نموذج مفاهيمي للعمليات الأسرية الكامنة وراء التطور الاجتماعي العاطفي ونموذج سياقي لأسلوب الأبوة والتواصل الاجتماعي مع عواطف الأمهات، وتعديل الطفل في مرحلة الطفولة المتوسطة، تم تعيين مجموعة 217 أسرة تضم الأمهات والآباء والأطفال في بين 8 سنوات (101 فتى و116 فتاة) المشاركة في هذه الدراسة، تشير النتائج إلى أن ممارسات الآباء غير المتسقة وممارسات الأبوة والأمومية الإيجابية تنبأت بمشاكل ضبط أكبر وأقل للأطفال على التوالي، علاوة على تأثير ممارسات الأبوة والأمومة للأمهات. تنبأت مناقشة مشاعر الأمهات مع الأطفال بوجود مشاكل خارجية أقل لدى الأطفال، عززت مناقشة عواطف الأمهات العلاقة بين الانضباط غير المتناسق للأمهات والمشاكل الداخلية الخاصة بالأطفال، بحيث أظهر الأطفال مشاكل داخلية أقل عندما تشارك الأمهات في مناقشة معتدلة إلى عالية من النقاش العاطفي مع الأطفال[1] [14]

---

1. [14] Mother Roles in Child ، (2018)، Rebecca and Boise،Cheung Adjustment : Parenting Practices and Mothers' Emotion Socialization as Predictors. *Journal of Child and Family Studies.* 10.1007/s10826-018-1214-1. August 2018

دراسة سسيليا بون وبوب كنايت (2012):

تحت عنوان "التفاعل العاطفي لضغوط الشبكة في مرحلة الرشد والشيخوخة: دور الدعم أو الاساءة العاطفي للأبوة في مرحلة الطفولة. واختبرت الدراسة ما إذا كان اختبار الدعم لأبوي العاطفي أو الإساءة العاطفية في مرحلة الطفولة مرتبط بالتفاعل العاطفي لضغوط الشبكة خلال مرحلة الرشد الشيخوخة. الفرضيات المختبرة بأداء الحليل النموذجي مستويين مختلفين على مستوى 787 مشاركًا، الذين تتراوح أعمارهم بين 33 - 83 الذين شاركوا في مشروع ديلي سترس (2004 - 2009)، وكانت النتائج كالآتي: البنات الراشدات اللواتي تذكرن اعتداءًا عاطفيا متزايدا من قبل أمهاتهن في مرحلة الطفولة ذكرت أعلى مستوى إلى متوسط من الضيق العاطفي اليومي بعد ما يقرب من عقد من الزمن. العلاقة بين ضغوط الشبكة والضيق العاطفي كانت تختص به البنات الراشدات ويحصل هذا التفاعل العاطفي المخفف من خلال دعم عاطفي أكبر من الأمهات في مرحلة الطفولة [2].

مناقشة الدراسات السابقة:

تفيدنا الدراسات السابقة في فهم العديد من النواحي المرتبطة بنمو شخصية الطفل بالرجوع إلى الممارسات الأبوية عند تفاعلهم مع أطفالهم في مرحلة الطفولة، لكن تختلف هذه الدراسات في الجوانب المختلفة التي تساهم في تشكل شخصية الطفل (مثل التواصل الاجتماعي العاطفي للأمهات مع أطفالهن، والتنشئة الاجتماعية للأمهات لتنظيم العواطف، تأثير التفاعل العاطفي الدعم أو الإساءة للأبوة في الاستجابات العاطفية لضغوط الشبكة الاجتماعية في مرحلة الرشد...إلخ)، وعلى الرغم من الاختلاف في المنهج وطرق التحليل، إلا أنها كانت تتفق جميعا في أن العلاقة الأبوية بصفة عامة وعلاقة الأم بصفة خاصة تتدخل بشكل أساسي في تحديد مصير الطفل مستقبلا، وتحدد تشكيلة شخصيته وأساليب تعامله مع العالم الخارجي..

كما أفادت دراسة سسيليا بون وبوب كنايت أن علاقة الدعم العاطفي أو الإساءة العاطفية للأم مع طفلها في مرحلة الطفولة مسؤولة عن الأثر الرجعي في مرحلة الرشد في تضخيم التفاعل العاطفي مع الضغوط اليومية للشبكة الاجتماعية أو تخفيفه في وقت لاحق عند الكبر، ويساهم الدعم في اختبار تجارب تساهم في صحة الكبار تأثرت بتطوير أساليب التعامل يمكنها أن تؤثر فيه نفسيا وفيزيولوجيا استجابة للضغوط الاجتماعية.

ثانيا-دراسات سابقة متعلقة بجودة الحياة والدعم الاجتماعي المتلقي

للأم.

دراسة ليتمان (1999) : عن العلاقة بين الاتزان الانفعالي ونوعية الحياة، وتوصل إلى أن الفرد الذي يتمتع بنوعية الحياة يمتلك شخصية متزنة تصدر عنها استجابات متلائمة لطبيعة المواقف، وتمتلك القدرة على مواجهة كل ما هو جديد، حيث تتصف بالمرونة، ولديها القدرة على التحكم في انفعالاتها [15]

ثالثا-دراسات سابقة عن أساليب التعامل

دراسة ماريو ميكلنسر (1989): والتي جاءت تحت عنوان التعامل وتعلم العجز: آثار أساليب المواجهة على الأداء التالي لمشاكل غير قابلة للحل.

تقيم آثار أساليب المواجهة للأفراد للتعامل مع الإجهاد على الأداء الإدراكي بعد مشاكل غير قابلة للحل. في هذه الدراسة، وردت على استبيان الأشخاص عن استغلال استخدام أساليب المواجهة التي تركز على المشكلة والتي تركز على العاطفة في التعامل مع الفشل في تحقيق الضبط. ثم تعرضوا إما لعدم إمكانية الاستجابة أو فشل في أربع مشاكل غير قابلة للحل. عند الانتهاء من هذه المشاكل، أداء الحالات -وهي مهمة البحث البصري مع عنصر الذاكرة-. وأظهرت النتائج أن الفشل، مقارنة مع عدم وجود لاستجابة، أنتج العجز في الأداء بين الأشخاص الذين يعتمدون عادة على استراتيجية المواجهة

واحدة، إما مشكلة أو التي تركز على العاطفة، وبين الأشخاص الذين لم يعتمدوا على أي رد التعامل. فقط الأشخاص الذين اعتمدوا على كل الأساليب التي تركز على مشكلة والتي تركز على العاطفة لا تظهر أي عجز الأداء التالية مشاكل غير قابلة للحل. وناقش النتائج من حيث لازاروس وفولكمان في نموذج التعامل مع الضغوط[16] [1]

مناقشة دراسات نوعية الحياة وأساليب التعامل:

نستنتج مما سبق أن نوعية الحياة وأساليب التعامل والدعم الاجتماعي المتلقي للأم هي عوامل مؤثرة على استجابة الفرد أمام أحداث الحياة الضاغطة، وهذه العوامل يشترك فيها جميع الأمهات المدروسة لأنها تعد جزءا أساسيا في حياتهن.

نتائج الدراسة:

من خلال تحليلنا لمحتوى جميع السياقات المتضمنة لتراجم أمهات أعلام الإصلاح، نجد أن العلاقات النفسية والاجتماعية التي حددت شخصية أعلام الإصلاح من قبل أمهاتهم تتمثل في ما يأتي:

المحور الأول: العلاقة الأبوية العاطفية بالابن في مرحلة طفولته

---

[16] [1] Mario Mikulincer . Coping and learned helplessness . (1989) . Effects of coping strategies on performance following unsolvable problems . European Journal of Personality . Volume 3, Issue 3, September 1989

والممارسات التربوية في تنشئته الاجتماعية، ويتضمن العناصر الآتية:

1. علاقة الأم والأسرة بالطفل (دورها في تنظيم عواطف الابن وتشكيل شخصيته الاجتماعية).
2. عناية الأم بابنها أو الجدة بحفيدها وبتعليمه القيم الاجتماعية.
3. علاقة الأبوين ببعضهما البعض (الرغبة في إنجاب الولد، إلى جانب الطموحات والآمال المعلقة بالابن).

المحور الثاني: الظروف المعيشية ومقدار الرضا بنوعية الحياة.

1. نوعية الحياة المتعلقة بالجانب المادي.
2. نوعية الحياة المرتبطة بالدعم الاجتماعي المتلقي.
3. نوعية الحياة المتعلقة بمقدار الفرص المتاحة واستثمار القدرات والإمكانيات بما يتيح تحقيق الذات.
4. نوعية الحياة المرتبطة بالمصادر المتاحة للابن لإشباع الحاجات الأساسية بصورة مقبولة اجتماعيا.
5. الشعور بالسعادة والرضا من الحياة الأسرية.

المحور الثالث: أساليب تعامل الأم.

1. التعامل مع وفاة الزوج.
2. التعامل مع الفقر وصعوبة العيش.
3. التعامل مع الضرة.

المحور الرابع: الدعم الاجتماعي

1. الدعم الاجتماعي المقدم من قبل العائلة والمجتمع.
2. الدعم الاجتماعي المدرك بوجود دعم مناسب.

المحور الخامس: السمات الشخصية والوراثية للأم.

1. صفات الأم المتوارثة.
2. صفات الأم الاجتماعية والفكرية والنفسية.

هذه المحاور تمثل عوامل مؤثرة في دور الأم التربوي، كما أنه يؤثر على تشكيل شخصية الابن، وتشتمل تراجم الأمهات على أحداث حياتية مرتبطة بالابن وأمه مباشرة وأحيانا بالمربية، وأحداث مرتبطة بالأبوين معا، وأحداث مرتبطة بظروف العيش، وأحداث حياتية مرتبطة بالأم والمحيط الأسري والاجتماعي.

مناقشة النتائج:

يمثل المحور الأول والذي يعنى بالعلاقة الأبوية العاطفية بالابن في مرحلة طفولته والممارسات التربوية في تنشئته الاجتماعية؛ أهم دافع لمحمد علي على دراسة تراجم أمهات أعلام الإصلاح وكان التفاعل بين الأم والطفل موضع اهتمامه الكبير، كما أورد لنا أنماط الأمومة التي أثرت على نمو الابن، وذلك ما تؤكده الدراسات السابقة مثل دراسة سسيليا بون وبوب كنايت عن أهمية الترابط

العاطفي بين الآباء والأمهات والأطفال أي أن الراحة النفسية يعززها التقارب والترابط لما يكون الطفل برفقة والديه، كما أن العلاقات المبكرة بين الوالدين والطفل توفر قاعدة آمنة وملاذ آمن للأطفال لاستكشاف العلاقات وإقامة ثقة متبادلة مع الآخرين، أنه سيتم قبوله وطلب مساعدته من قبل الآخرين في أوقات الحاجة، ولقد حدث هذا التعلق من قبل القطب ما جعل من هذه الخبرات المبكرة عاملا أساسيا في نجاحه في اجتياز عقبات كبيرة تعرض لها في شبابه مثل مواجهته للاستعمار الفرنسي ومقاومته للمفسدين الذين سعوا في الكيد له.

نجد كذلك أن الاهتمام البالغ للجدة زغمومة ومربية الشيخ إبراهيم بيوض حليمة، والبيئة الأسرية التي نشأ فيها أثرت كثيرا على تطور تنظيم العاطفة والمهارات الاجتماعية لديه، وتتجلى هذه العلاقة في تفوقه من بين أقرانه في جميع النواحي الفكرية والاجتماعية والتحصيلية، ناهيك عن التأثير الرجعي لهذه العلاقة في كبره لما صار إماما مصلحا وواعظا عظيما، لقد حددت هذه العلاقة كيفية الرد على الضغوط في وقت لاحق في الحياة أين أحكم الحكام العسكريون والقادة قبضتهم على المصلحين، لذلك كان الشيخ إبراهيم بيوض من ذوي الخبرة الناتجة عن التعامل مع أحداث الحياة وشعوره بالأمن حول استقرار علاقاته الحميمة مع العزابة والمصلحين والعلماء في عصره، ويبدو ذلك واضحا عندما يقوم بمهامه العظيمة في التوعية والوعظ ومشاركته في صلاح الأمة ومشاركته في

الأدوار الهامة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

كما نستنتج أن مستوى تفاعل الشيخ أبي اليقظان العاطفي المنخفض مع ضغوط الشبكة الاجتماعية في مرحلة الرشد، وأكثر من ذلك بحيث وصف أنه كان شخصا اجتماعيا محبوبا ويتمتع بصفاء النفس في حين أنه شب في بيئة صعبة وقاسية، هذا يرجعنا إلى علاقة أبي اليقظان بأمه وجدته في تجارب التعلق الأولى، حيث كانت جدة إبراهيم تتواصل مع حفيدها تواصلا عاطفيا تناقش مشاعرها، وهذا يتطابق مع دراسة تشيرنغ، ريبكا وبويز وآخرين.

من جهة أخرى تصدق دراسة سكوت ميرابل وآخرين مع إبراهيم أبي اليقظان وإبراهيم بيوض في اعتبار أن الممارسات الأمومية التي استعملتها كل من جدة وأم أبي اليقظان وجدة وأم إبراهيم بيوض كانت ترتكز على مبدأ الإلهاء وتحويل الانتباه، كوسيلة لتنظيم عواطف الابنين، كما كانت تعززه التقارب بين الجدة والحفيد والأم مع ابنها، ويعززه أيضا مناقشة العواطف المتعلقة بالضغوط التي تمر بهما معهما.

أما ما يتعلق بأساليب التنشئة الاجتماعية، فنجد أن الأمهات جميعا وفقن في تشكيل شخصية أبنائهن الاجتماعية ما سهل لهم الطريق للتفاعل مع الشرائح الاجتماعية المختلفة والاحتكاك بهم، ونلتمس هذا الأثر أيضا في جهادهم في سبيل طلب العلم، وجهادهم

في سبيل نشر التوعية في أوساط المجتمع، والسعي في خدمة الوطن بالتضحيات الجسام، وهذا ليس إلا دليل على نجاح الأمهات في غرس القيم الاجتماعية والأخلاقية الفاضلة، وتنشئتهم على حب العلم والتضحية من أجل نيل شرف تعلمه وتطبيقه بما يعود بالمنفعة للمجتمع، كما أننا نجد أن أعلام الإصلاح توحدوا بسبيل تعلم الدين والثبات فيه، ولم يستسلموا لضغوط الحاجة والفقر، ليتوجهوا توجها ماديا لكسب المال للعيش الرغد.

ولقد تنوعت أساليب التنشئة التي استعملتها كل أم، نجد أن الجدة زغمومة ومربية إبراهيم بيوض كانتا تشجعان إبراهيم على الدراسة والذهاب على الكتاب والمواظبة على حفظ القرآن، استنادا إلى أساليب الموعظة والنصح كي لا يستسلم للجهل الذي يشجع إليه أفراد عائلته الحاكمة التي ابتليت بالترف والانصياع للحكام العسكريين، ويرجع الفضل في صلاحه إلى جدته ومربيته دائما، وهذا الأثر يتطابق مع دراسة باسمة حلاوة.

ولا ننسى أن إتجاهات إبراهيم بيوض الاجتماعية تم تشكيلها باهتمام من جدته ومربيته، لأنهما لم يغفلا على توعيته عن طريق القصص التي يروينها له بشكل يومي قبل النوم، وهذا أيضا يتطابق مع نتائج دراسة بوشكفا وشستينا وشتنوفا.

اعتنى الشيخ عمر بن يحي بالدين وتعلم الدين والجهاد في

سبيله حتى صار أحد أهم رجال الإصلاح والمؤسسين الأوائل لنهضة القرارة، بالرجوع إلى تجارب التعلق الأولى التي ارتبطت بحبه لأمه التي كانت امرأة صالحة وواعظة ماهرة للنساء اللواتي يجتمعن في بيتها لسماعهن، لقد تأثر بأمه وتأثر بأدعيتها وخشع مع النسوة وهو لا يزال طفلا صغيرا، إذن فإن الأم كانت قدوته الأولى.

أما بالنسبة للمحور الثالث والرابع الذي يعنى بنوعية الحياة والدعم الاجتماعي المتلقي، فإننا نجد أن أم القطب وأم الشيخ أبي اليقظان تيمتا من أزواجهن ولا يزال أبناؤهن في طفولتهم المبكرة، فهم لا يزالون يحتاجون إلى الرعاية اللازمة لنموهم، كما يفرض واقعهم وضعا ماديا قاسيا، فلولا الدعم الاجتماعي الذي كان يقدم لهم من قبل الجدة من الأم وأفراد العائلة الآخرين ومن قبل الكافل لليتيم الذي يوصى برعاية اليتامى، وفي حالة أبي اليقظان نجد أيضا زوجة أبيه كانت أكبر عون لأمه بعد وفاة أبيه وتركهم فقراء معدمين، لولا الدعم المادي والعاطفي والمعلوماتي المتلقي من قِبَلهم لكان لأبي اليقظان مصيرا نفسيا واجتماعيا آخر، لأن جدة إبراهيم عوضته أباه الذي توفي في العمل مع أمه المنسج لتعولا نفسيهما ويتاماهما، إنه دعم عائلي هام جدا لقيام أم أبي اليقظان السيدة عائشة بمهام الأمومة كما يجد ولا تتفكك علاقتهما بفعل اليتم والفاقة الشديدة.

أما ما يتعلق بنوعية الحياة، فإن إبراهيم بيوض كان يتمتع بصفة الصبر أمام الصعاب التي مر بها في مشواره الدعوي، وإيثاره للآخرين

كانت ترتبط بالحالة الاجتماعية والاقتصادية الجيدة التي كانت تتمتع بها عائلته، وهذا ما يتوافق مع دراسة ديكرس وفولك خسي أي أن نوعية حياته الجيدة أثرت في تكوين شخصيته المتميزة .

أما ما يتعلق بأساليب التعامل فإن قدرة الجدتين لإبراهيم بيوض وإبراهيم أبي اليقظان وأمهما، كانتا يتمتعان بقوة في شخصيتهما، لأنهما كانتا لا تستسلمان أبدا للظروف، ولا تعجزان أبدا من المثابرة والاجتهاد في تسيير أمورهما، هذا ما يجعل أسلوب حل المشكل إلى جانب قوة إيمانهما في تسيير أمورهما ما يشعرهما بالقوة ويدفعهما للتقدم والاستمرار دون كلل، وهذا يتطابق مع دراسة ماريو ميكلنسر

ملاحق:

ملحق رقم (01): السياقات المتضمنة للمحاور النفسية والأسرية:

بالرجوع إلى تراجم الأمهات ننقل بعض ما ذكره الشيخ محمد علي عن العوامل النفسية والأسرية المؤثرة في تشكيل شخصية الابن، ونبدأ بالمحور الأول الذي يعنى بالعناية الأسرية بالابن وبدراسته.

أثر الأم في توجيه ابنها الى العلم:

لقد عني الشيخ محمد علي بدور الأم في تربية أبنائها وتنشئتهم على حب العلم حتى صاروا أعلام للإصلاح، ودورها الكبير في توجيه أبنائها نحو طلب العلم وتعلم الدين، لِدا نجده يستقصي كثيرا

عن جهاد الأم في سبيل ثبات ابنها على طلب العلم، وجهادها عنهم لتوفر لهم ما يحتاجونه لسد مستحقات مواصلتهم للدراسة في جامع الزيتونة وجامع الأزهر وغيره من المعاهد العلمية، ولشدة حرص الشيخ محمد علي على هذه القضية، كان يسر بما كان يتوصل إليه في جلسات المتابعة التاريخية، يذكر الشيخ محمد علي أنه قابل شخصيات عدة كانت مرتبطة بأمهات الشخصيات التاريخية قيد الدراسة، وعبر عن مقابلته السيدة عائشة بنت عمر بن يحي تحدثه عن جدتها لأبيها "... فرحت بما عندها ...لأنه يضيئ لنا ناحية مهمة من تاريخ الشيخ، ويرينا سبب اتجاهه الى العلم وحبه ذلك الحب الشديد لذي جعله يفر من الأعمال المادية التي أرغم عليها، ويرجع الى العلم فيكون أستاذ الأجيال الكثيرة ".

أولا: أثر والدة القطب الشيخ أمحمد بن يوسف أطفيش:

-يذكر لنا الشيخ محمد علي أن والدة القطب كان لها أكبر أثر فيه بوراثتها الكريمة وهي كل السبب في اتجاه القطب الى العلم بعد وفاة والده " ...لولاها لأتجه اتجاها ماديا يؤدي لنبوغه كما أودت المادة والجهل بنبوغ كثير من اليتامى وأبناء الأمهات الجاهلات".

الرغبة في إنجاب ولد صالح: هنا نجد أن والد القطب ووالدته كان لهما الأثر الكبير في تشكيل شخصية القطب العظيمة، والعناية بمشروع إنجابه من قبل أن تحمل أمه به، أي عندما كان القطب حلما

جميلا لا يزال يتمناه كل من أبويه، ننقل ما ذكره الشيخ محمد علي عن والد القطب حيث قال ".. وقبل أن تحمله والدته، كان الشغف بالولد الصالح النابغة الذي يهبه للعلم قد بلغ به منتهاه، وكان محل أكثر دعواته في مقامات الحج المقدسة، وقد تعلق يوما بأستار الكعبة فدعا الله من أعماقه أن يحقق أمله الكبير، ويهبه الولد الصالح النابغة الذي يحمي العلم في وطنه، ويحمي النهضة الحديثة من الاندثار، ويكون استمرارا له في الجهاد في سبيل الدين، ليتضاعف أجره عند الله" ويذكر لنا في نفس السياق أن والد القطب رأى رسول الله في منامه بعد طوافه يكتب شيئا في ظهره وهو باسما متهللا، فاستفاق الوالد وقلبه يغمره الانشراح، فعلم أن الله قد استجاب دعاءه.

ترسيخ الآمال الكبيرة المعلقة بالابن في نفسه: وستطرد الشيخ محمد علي في نفس السياق راويا كيف استقبلت أم القطب بشارة الرؤيا التي حدثها بها زوجها بعد عودته من الحج، وأنها تحققت فعلا بعد مدة قصيرة حملت بالولد السعيد "...ثم كان كما يتمنيان، غلاما جميلا قوي البنية، تبدو على نظراته وسمات وجهه آيات الذكاء والنبوغ، وعلامات الصلاح والنجاح."

ويذكر الشيخ محمد علي أن القطب نشأ محبا للكتب ويتمنى أن يكبر ويتعلم القراءة ويدرس في الكتب كأبيه، وصار وجدانه القوي هو شغفه بالعلم، ويرجع الفضل إلى والديه اللذيْن يحدثانه وهو صغير بشرف العلم ومزاياه " ...وكان والد القطب يحدث زوجته بأن

ولده هذا يهبه للعلم ليكون من العلماء، وكانت الزوجة تتمنى ذلك وتحلم أن ترى ابنها من العلماء، وكان الوالدان يحدثان ابنهما بذلك، ويهدهدانه بهذا الحلم اللذيذ، فنشأ الابن والعلم الذي يحدثه به والداه هو حلمه اللذيذ ..".

مواصلة الأم الطريق والصبر عليه بعد وفاة زوجها: إن من صفات أم القطب العظيمة هو قوة شخصيتها وصبرها على الفقر والفاقة بعد وفاة زوجها والإقامة على عهدها والثبات عليه، إلى جانب ذلك كانت عمالة نشيطة، ويروي عنها الشيخ محمد علي أن وراثتها وتربية والديها وزوجها قد هيأتها أن تثبت في وجه الحياة الصعبة "..واستطاعت بالعمل وحسن التدبير أن تعول نفسها ولو كانت أيما لا زوج لها يعولها وتكفل ابنها أحسن كفالة، وتحوطه بالجو الذي يدفعه إلى العلم، لا تترك الفاقة تعضه وتسمم دماءه بحب المادة فينصف إليها".

تأثر القطب بوجدان أبويه وعناية أمه به: يذكر الشيخ محمد علي أن والدة القطب كانت بالغة الذكاء ورعة تعرف دينها وتتمسك به كل التمسك وتغار عليه مثقفة العقل، " لقد نشأت في حجر العلماء، عمها وأخيها وكان أبوها من تلاميذ يحي بن صالح والإمام عبد العزيز، ذلك الجيل المبارك الذي أسس للنهضة الحديثة، وكانت عقولهم مثقفة بالشيخين .. ويحرصون كل الحرص على بث الدين وحب العلم والتحمس للنهضة، بالتربية الرشيدة في عائلاتهم وأولادهم".

لِدَا نلاحظ من خلال رواية الشيخ محمد علي التاريخية أن أم القطب قد تأثرت بأبيها وعمها وأخيها فكبرت وهي تُجِلُّ العلماء وترى أن العلم هو أنفس شيء ينبغي طلبه، وهذا ما أعانها وزوجها على ترسيخ هذه القيم، وقواه زوجها ليصير أملهما الكبير في أن يهبهما الله ولدا صالحا يهبانه للعلم ليكون من العلماء.

عرفت استعداد ابنها للعلم من مناغاته وكلامه ومن ألعابه الصبيانية، ويذكر أيضا أن القطب وهو طفل دون الخامسة كان مغرما بالأوراق المكتوبة ويتظاهر بالقراءة فيها ليقلد أباه في القراءة، ويعبر عن وجدانه الذي اكتسبه من أبويه وهو حب العلم "... وكان في ألعابه يقلد أصوات القراءة متلذذا بها، فأيقنت الأم بأن نجاحه لا يكون إلا في العلم، وأن الله قد حقق آمالها وآمال أبيه فوهبها هذا الولد الذكي وأورثته الشغف بالعلم والقراء ة" ...كانت تعرف آمال زوجها في ابنها فدفعها حبها ووفاؤها لزوجها إلى تحقيق آماله في ابنه، ليصبح من كبار العلماء العاملين الذين ينصرون النهضة الحديثة ويبلغون بها غايتها"

ثانيا: أثر جدة أبي اليقظان وأمه:

يذكر لنا الشيخ محمد علي أن إبراهيم الملقب بأبي اليقظان كان يتيما، ومع أمه الصالحة و جدته التي اجتهدت في تربيته وإخوته، كانوا صلحاء عاملين لقد تأثر ببيئته وعلاقته الوطيدة بأمه وجدته، بحيث دفعت الحاجة أمه وجدته إلى أن يعملا ويسترزقا من عملهما ما

يكفي احتياجات إبراهيم وإخوته، وهذا ما دفع جدة إبراهيم إلى العمل في بستانهم عمل الرجل الفلاح تماما، وتصطحب معها حفيدها إبراهيم لمساعدتها في أعمال الفلاحة، لقد تعلم إبراهيم وكبر على خدمة الأرض وأعمال الفلاحة، وكان هذا العمل أحب شيء يقوم به في يومه، على الرغم من صعوبته، لكنه كان يتعلق كثيرا بنخيل بستانهم، ولقد كون البستان أحاسيس إبراهيم المرهفة والمحبة للجمال والطبيعة، ويعود الفضل في ذلك إلى جدته " كان إبراهيم بطلا مصلحا وعالما عاملا، ونجاحه وصلاحه وحصنه بفضل تربيته الأولى في منزله الصالح .. وبحسن نية أمه وجدته فيه وتقواهما، وصبرهما لمرارة الزمان واليتم والفقر في تربية الأبناء .." (الشيخ محمد علي دبوز .1974.ص 247).

أثر جدة الشيخ بيوض إبراهيم وأمه حليمة في حبه للعلم :

يذكر لنا الشيخ محمد علي أن جدة إبراهيم والمدعوة بزغمومة أنها كانت تحثه دائما بالعناية بالتعلم وبحفظ كتاب الله، وبطاعة شيخه واحترامه وحبه " وآخر ما يسمع في نهاره إذا آوى في الليل الى مضجعه حديث جدته زغمومة وحثها له على العلم وعلى الأعمال الصالحة فتبيت نصائحها في عقله الباطن، وأول ما يسمعه في نهاره حديث جدته زغمومة، وأمه حليمة وجناتها واحتفالهما به وهو يستعد للذهاب الى الكُتّاب " محمد على دبوز .1976. ص)

-ويؤكد لنا أيضا أنه لولا وجدان حب العلم وحفظ كتاب الله فيهما مادام إبراهيم على حب العلم، وما رسخ فيه ذلك الرسوخ ما يغرس فيه أبواه وشيخه من حب العلم، لأن صلته في هذا الدور من حياته بجدته زغمومة ومربيته حليمة أقوى، فهما من أسباب حبه للعلم مع نية والده الحسنة فيه ونذره للعلم والدين.

المراجع العربية:

[17] دبوز، الشيخ محمد علي (1974). أعلام الإصلاح في الجزائر من عام (1921-1975): الجزء الثاني (ط1). قسنطينة: مطبعة البعث.

[18] دبوز، الشيخ محمد علي (2013). نهضة الجزائر الحديثة: الجزء الأول (ط1). دار الفكر: الجزائر.

[19] دبوز، الشيخ محمد علي (2013). نهضة الجزائر الحديثة: الجزء االثاني (ط1). دار الفكر: الجزائر.

المراجع الأجنبية:

[20] Marion Blank Ph.D.، THE MOTHER'S ROLE IN INFANT DEVELOPMENT: A REVIEW، Pinsent-Darwin Student University of Cambridge.

[21] Cecilia Y. M.

شخصية ومكانة المرأة في المجتمع الأمازيغي

من خلال كتاب تاريخ المغرب الكبير للشيخ محمد علي دبون

أ. عفو عائشة
جامعة غرداية

المُلخص:

يُقال أن الأمّة التي تحفظ تاريخها تحتفظ بذاتها، فيكون التاريخ بذلك من أهم العلوم التي تُساهم في إبراز سيادة و عظمة الأمم، و هو أيضا الشاهد الأزَليّ على إنجازاتها مادام يُنقل و يُتَوارث من جيل إلى آخر بفضل القائمين على تدوينه، فالمنتصرون هم من يكتبون التاريخ.

الشيخ محمد علي دبوز؛ أبرز المُدونين باللّسان العربي للتاريخ في الجزائر المستقلة، بل و كان الوحيد في وقت لم يُكتب عن المغرب (باللغة العربية) ، من خلال كتابه الشهير ذو الثلاثِ أجزاء؛ "تاريخ المغرب الكبير".

للمرأة في المجتمعات الأمازيغية مكانة عالية، و قد شاركت في العديد من المعارك و الانتصارات؛ كانت تشغل منصبا سياسيا و اجتماعيا مهما قبل الإسلام و بعده، ذلك ما لمسناه في كتاب الأستاذ المؤرخ و ما سنطرحه في ورقتنا البحثية التي تحْمِل العنوان الآتي:

شخصية و مكانة المرأة في المجتمعات الأمازيغية من خلال" تاريخ المغرب الكبير" للمؤرخ الشيخ محمد علي دبوز، الجزأين الأول و الثاني.

سيتركز هذا الطرح على ثلاث محاور مهمة:

1-شخصية المرأة الأمازيغية قبل الإسلام و أثناء الفتح الإسلامي في المغرب.

2-المرأة في المجتمع الأمازيغي، الجانب الاجتماعي.

3-المرأة في المجتمع الأمازيغي: الجانب السياسي.

4- أسلوب و بلاغة المُؤرخ في وصفه للمرأة.

و سنتحدث أيضا عن: مكانة المرأة الأمازيغية في مجتمعها؛ شجاعتها ووطنيتها، قوة شخصيتها في محاربة الأعداء، أسماء شخصيات لنساء أمازيغيات...الخ

الكلمات المفتاحية

التاريخ، محمد علي دبوز، المرأة، المجتمع الأمازيغي.

Résumé

Il est évident que la nation qui écrit son Histoire dure et se préserve, de sorte que l'Histoire est l'une des sciences les plus importantes qui contribuent à la valorisation des nations, et elle est aussi le témoin éternel de ses réalisations tant qu'elle est transmise et hérité d'une génération à l'autre grâce à ceux chargés de sa transcription, donc les

.vainqueurs sont ceux qui écrivent l'Histoire

Cheikh Mohamed Ali Dabouz ; Il était le premier d'avoir transcrit; en langue arabe, l'Histoire de l'Algérie indépendante, à travers son célèbre chef-d'œuvre, en trois tomes ; Histoire du Grand .Maghreb

La société Amazighe a valorisé la femme et cela se caractérisait dans ses participations aux guerres ainsi qu'aux révolutions. Elle était une reine et une guerrière à la fois. Cette femme a marqué son Histoire grâce à sa forte personnalité, son sérieux et d'autres critères que nous allons dévoiler à travers le chef-d'œuvre de Mohamed Ali Dabouz. Notre article sera intitulé ainsi: "La représentation de la femme dans la société amazighe, à travers "L'Histoire de Grand Maghreb, de Mohamed Ali Debouz" Dont lequel nous traiterons : La personnalité de la femme amazighe (berbère) avant et pendant l'Islam dans le Maghreb; ses contributions dans le domaine social et .politique…etc

:Mots clés

Histoire, Mohamed Ali Dabouz, la femme, la .(société Amazighe (berbère

مقدمـة:

يولي المجتمـع الأمازيغي أهمية بالغة للمرأة إذ يرى أنها نواة المجتمـع وركيزته فبصلاحها يصلـح وبفسادها يفسد هو الآخر. فقد اهتمّ هذا المجتمـع بتثقيف وتعليم المرأة حتى ما قبل الفتـح الإسلامي في المغرب الكبير أي ما يسمّى بالجاهلية، والذي يُعتبر فترة لم تكن للمرأة مكانة بل كانت مهانة في الكثير من المجتمعات الأخرى، حتى أصبحت هذه الأمازيغية رمزا في قوة الشخصية و القيادة.

سنتناول في هذه الورقة البحثية شخصية المرأة و نظرة المجتمـع الأمازيغي لها و ذلك من خلال كتاب "تاريخ المغرب الكبير" للمؤرّخ محمد علي دبوز, الجزأين الأول و الثاني[1] التي تُعتبر أوّل الكُتب المطبوعة باللّغة العربية بعد استقلال الجزائر، والتي تتحدث عن تاريخ المغرب الكبير و إنجازاته العظيمة في ثلاث مراحل زمنية مهمّة، ما قبل الإسلام، أثناء الفتوحات وفي الدولة الإسلامية المستقلّة والعهد العبّاسي.

الشيخ محمد علي دبوز:

[1] يحتوي الكتاب على ثلاثة أجزاء، بحثنا في الجزئيين، الأول و الثاني، فقط، وذلك لاهتمامنا بتلك الفترتين و لغزارة المعلومات في الجزء الثالث.

هو من مواليد مدينة بريّان غرداية، خريج معهد الحياة بالقرارة؛ هو أيضا أديب و مؤرّخ شُهد له بالفصاحة و البراعة في الكتابة، فمن أكبر إنجازاته العلمية هو كتابه تاريخ المغرب الكبير ذو الثلاثة أجزاء الذي يُعتبر أوّل الكُتب العربية عن تاريخ المغرب الكبير في فترة لم يُكتب عنه إلا من قِبل مؤرّخين أجانب، فأصبح بذلك مرجعا بارزا و فريدا للباحثين.

حديث الشيخ محمد على دبوز عن المرأة:

كان حديث المؤرّخ عن المرأة الأمازيغية مُفصّلا و مدققا فقد تناول جوانب عدّة من شخصيتها بل و قد وصَفها وصْفا دقيقا يبين إعجابه الشديد بها و يتجلى هذا في المصطلحات التي اختارها لتُجسّد ذلك، و قد كان جريئا و بارعا في رسْمه للكلمات، و إن دلّ هذا فإنما يدلّ على فخر هذا الرجل بأصوله و اعتزازه بها.

شخصية و مكانة المرأة في المجتمع الأمازيغي:

كانت للمرأة في المجتمعات الأمازيغية مكانة عالية و ذلك خلال الفترتين ما قبل الإسلام و أثناء الفتوحات الإسلامية، و قد تمتعت بِكامل الحقوق التي جعلت منها ملكة، تُسيّر أمور بيتها و تُربّي أطفالها على صفات القيادة: الحِنكة، قوة الشخصية و الاعتماد على النفس، لتبرز تلك الأجيال التي قادت الأمم و لتُصبح بعدها مثالا في القوة و الشجاعة.

تميزت الأمازيغية بشخصية قوية و صفات عديدة جعلت منها امرأة ناجحة في ميادين عدة كما أسلفنا الذكر، و هذا نتاج نشأتها في بيئة متّزنة و هادئة.

سنحاول في هذا الطرح التطرّق إلى موضوع المرأة في المجتمع الأمازيغي اجتماعيا وسياسيا، وإسهاماتها البارزة في إحياء الحضارة الأمازيغية...الخ ليتّضِح لنا من خلال ذلك مدى تأثير نشأة الفرد على تطور و ازدهار مجتمعه، خاصّة المرأة التي هي ركيزته.

المرأة في المجتمع الأمازيغي، الجانب الاجتماعي:

يكمن سر نجاح المجتمعات الأمازيغية، للحفاظ على استقرارها، في الأهمية التي يوليها لأصغر رابطة اجتماعية و هي الأسرة.

كان المجتمع الأمازيغي، أو البربري كما ورد في كتاب الشيخ محمد علي دبوز، مرتبط الأسرة، و قُسّمت المهام في تسيير شؤونها على النحو التالي: للمرأة كامل الصلاحيات لتدبير بيتها و تربية أبنائها و كان الرجل مسؤولا عن تسيير الشؤون الخارجية من مأكل و مشرب و ملبس. و لم يكن أبدا ذلك حاجزا أمام المرأة لتشارك في المعارك و الحروب أيضا.

و يتميّز هذا المجتمع أيضا بحبّه للحرّية و تغنّيه بها، فنرى روح الاستقلالية تظهر في كل الميادين، و كان لنظام اللامركزية الفضل في

تطوّر و ازدهار الحضارة الأمازيغية في المغرب الكبير أين كان الاعتماد على النفس واجب على كل الأفراد رجلا كان أو امرأة.[1]

إنّ المرأة الأمازيغية نشطة جدا، لأنّها كانت تَنْسُج الثياب و تطبخ و قد أبدعت كثيرا في الطبخ، تُعِد ما لذّوطاب من مأكولات متنوعة اشتهرت بها المجتمعات الأمازيغية،[2] كالعَصِيدة المتواجدة إلى يومنا هذا، المعروفة عند المزابيين ب " أو أشتاف" و أسماء أخرى.

و المعروف عن المرأة الأمازيغية حفاظها على هويتها و ثقافتها و يتجلى هذا في مظاهر عديدة لاسيما تشبثها بلغتها الأم، و في نسْجها للشِّعر و الأمثال الشعبية، فتُعبّر عن حالتها النفسية و مشاعرالفرح والحزن بكلمات عميقة المغزى تحمل معاني كثيرة صامدة لم تتأثر بالزمن.[3] كانت لا ترفض إعانة زوجها بل كانت له مُستقرا، حكيمة في تدبيرها لشؤون منزلها، كانت مقتصدة، لم تكن كسولة و كانت تحب العمل، تُتقن الصناعات اليدوية بأنواعها، ثم جاء الإسلام فثبّت تلك الصفات الحميدة فيها و ضاعفها.[4]

المرأة في المجتمع الأمازيغي ـ الجانب السياسي:

---

[1] محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، الجزء الأول، عالم المعرفة، الجزائر، 2013، ثلاثة أجزاء، ص73.

[2] محمد علي دبوز، نفس المرجع، ص48-47.

[3] محمد علي دبوز، نفس المرجع، ص54.

[4] محمد علي دبوز، نفس المرجع ، الجزء الثاني، ص 140، 141.

شاركت المرأة في المجتمع الأمازيغي قديما بجانب الرجل في السّياسة بل و برعت فيها حتى أصبحت مثالا يُقتدى به، هذا ما ورد على لِسان الشيخ محمد علي دبوز. سنسلط الضوء في ما يلي على شخصيتين برز إسميهما في تاريخ تطور وتألق الحضارة الأمازيغية قديما سياسيا و قد عاد الفضل لهما في تحقيق الكثير من الإنجازات التي يفتخر بها المجتمع الأمازيغي الآن، علّيسة ديدون و داهيا بنت ماتيا بن تيفان أو الملقّبة بالكاهنة.

لم يكن المجال السياسي حكرا على الرجل فقط في المجتمعات الأمازيغة، بل كانت للمرأة يد في العديد من الإنجازات التاريخية و السياسية كما أسلفنا الذكر. ومن أشهر القائدات، ملكة قرطاجنة أو قرطاجة عاصمة الدولة البونيقية، أقوى دولة أمازيغية: عليسة ديدون.

كانت عليسة ديدون امرأة قوية و حازمة أخلصت لقومها و تجلى ذلك في مواقفها العديدة. و عندما لمست عليسة احتقار الحضارة الفينيقية للمرأة لانغماسها في الملذات و الشهوات علِمت جيدا أن نهايتها قد قرُبت، فقرّرت اللجوء إلى المغرب لتُنشِئ حضارتها، هناك الجو الملائم لذلك، ثقافة الرجل الأمازيغي في تقديره للمرأة و طيبته كان من المغريات، التي تجلب القادة إليه، و يُعد هذا من الأسباب الرئيسة التي دفعت هذه القائدة لحزم حقائبها و مغادرة فينيقيا لمجاورة

الأمازيغ.[1]

قادت الملكة عليسة أقوى الجيوش من الرّجال عند قدومها إلى شمال إفريقيا فأنشأت أعظم مدينة أمازيغية شُهد لها بالتطور و الازدهار في شتّى المجالات. يقول عنها الشيخ محمد علي دبوز" كانت شديدة الدهاء بجانب حسنها الفتّان وقوة شخصيتها" يصفها المؤرخ أيضا على أنها رمز للأنوثة و الجمال رغم خوضها في السياسة وإلمامها بها، فقد كانت رشيقة القوام مشرقة الوجه و كانت ذات حسن فتّان.

يقول عنها محمد علي دبوز مصورا جمالها: " و كانت عليسة إلى ذكائها و قوة شخصيتها جميلة بارعة الجمال"[2] و قال عنها أيضا عندما رغب بالزواج بها الملك يوباس: " ثم أحبّها و فُتن بجمالها فطلب يدها للزواج"[3] و كان كلّما ذكرها في وصفٍ أو سردٍ أرْفق كلماته ب " الجميلة".

أُنشئت مدينة قرطاجنة تحت حُكم عليسة ديدون، و أحكمت قبضتها، فأحبّها قومها وأطاعوها لِما رأوا فيها من إخلاص وقوة وجمال، نادرا ماتلتقي هاته الصفات في امرأة، و إن اجتمعت أصبحت

[1] محمد علي دبوز، نفس المرجع، الجزء الأول، ص106،107.
[2] محمد علي دبوز، نفس المرجع، ص108.
[3] محمد علي دبوز، نفس المرجع، ص 119.

ملكة قومها.

لم تخلص الملكة الجميلة لقومها فقط لكن أخلصت لنفسها و لزوجها الذي فارقها وبقيت ذكراه خالدة في قلبها، هي أرادت الصّلاح لقومها لكن شيء ما بداخلها يأبى أن تُزوّج نفسها و هي في ذمّة رجل بل في ذمّة ذِكراه، فلمّا وجب الفصْل بين الأمرين وألحّ قومها على أن كل الصّلاح في زواجها بالملك يوباس، أنهت حياتها. لتبقى عليسة ديدون رمزا للإخلاص و تُثبت أن قوّة و شجاعة المرأة في إخلاصها وإصرارها و إذا ما اعتمد عليها أسرّت وأبهجَتْ حتى لو كلّفها ذلك نفسها.[1]

داهية بنت ماتيا بن تيفان، الكاهنة:

الكاهنة، ملكة جبال الأوراس تُذكر كلّما ذُكرت عظيمات الأمّة الأمازيغية. امرأة بألف رجل، أمازيغية حرّة بنت مجتمع كان يُكِنّ كل الاحترام و التقدير للمرأة. كانت قائدة و ملكة، فضلا عن كونها أمّا. جمعت هذه المرأة كل الخِصال الحميدة من قوة و شجاعة و ذكاء لتُجبر أصعب الرجال، وهم الأمازيغ، على احترامها و إطاعة أوامرها.

و إنّما سُمّيت بالكاهنة لأنها كانت تتكهّن و ترى ما لا يرى غيرها، فكانت تظفُر بالمعارك والحروب وتفتك بأعدائها. عِلمها الغزير هذا و اتصالها بالعوالم الروحية ميّزها عن غيرها من القادة، و

[1] محمد علي دبوز، نفس المرجع، ص122.

قد وصف خِلقتها محمد علي دبوز قائلا: " و كانت الكاهنة فارعة القامة، ضخمة الجثة، عظيمة الخِلقة " أي أنها كانت طويلة القامة و قوية البُنية.[1]

لكن كيف لإمرأة أن تحْكم شعبا قويا جُبل على الزعامة و القيادة لو لم تكن بصفات الكاهنة؟ فقد كان الأمازيغ "أسود الوغى و فرسان الهيجاء"[2] لا يقبلون أن يتزعّمهم من لا يجابههم قوة و حِكمة.

كان زوج الكاهنة مَلِكًا على جبال الأوراس و قد ورِثت زعامتها بعد وفاته، تركها أرملة أمّا لثلاثة أبناء، والمُلك أمانة حمِلتها أكتافها على أن يكبروا و يستلموها، لكنّها بقيت ملكة و أبناؤها وزراء لها يعينونها على الحُكم، لأنها خشيت تبعيات تلك الوراثة على أبنائها فيتفرقوا و يصبحوا ضحية سهلة المنال للأعداء.[3]

تُقاس قوة المرأة في حكمتها واتّزان شخصيتها، وإنّها لتُجابه الأقوياء من زعماء وقادة بحُسن تسييرها والعمل الدؤوب يقول المؤرخ في نفس السياق، و هو يُثني على الكاهنة عند انتصارها في معركتها الأولى مع حسّان بن النعمان: "إن الاجتهاد في العمل، و بذل

[1] محمد علي دبوز، نفس المرجع، الجزء الثاني، ص101.
[2] محمد علي دبوز، نفس المرجع، ص 73.
[3] محمد علي دبوز، نفس المرجع، ص 74.

الجهد في السّعي، والإتقان للأمور، هو سبب النجاح في كل شيء!"[1]

قد كانت معركة داهيا مع حسّان من أشدّ المعارك اشتباكا في تاريخ الفتوحات الإسلامية في المغرب، لم تكُن سهلة كما ظنها جنود حسّان، فلم يستعدّوا لها و كانوا على يقين تام أن تلك المرأة الضعيفة إنما إن قاتلت فبِسحرها وبجمال عيونها وبفتنتها لا بقوة تغلِب بها جيشا بقوة جيش حسّان. و في تحليله لأسباب هزيمة بن النعمان مع البربر هذه المرة، رجّح المؤرّخ أربعة أسباب من بينها "احتقار جيش حسّان للمرأة"[2] هذا ما بقيت آثاره منذ الجاهلية في نفوس جنوده، رغم تمكّن الإسلام من صقل الكثير من الطّباع.[3]

و كانت الخيانة أحد أهم العوامل التي أودَت بحُكم الملكة داهيا، خاصة أنها كانت على يدي قومِها. انتهى حكمها لجبال الأوراس، أمّا ذِكراها فخالدة لتَروي قصّة أعظم امرأة حكَمت و انتَصرت و لِتسرد أيضا سراً من أسرار قوة المجتمعات الأمازيغية في تلك الفترة الزمنية.

أما عن مشاركة النساء الأمازيغيات في المعارك و الحروب فإن لم تترأسنها وتسيّرنها فهنّ يبعن الثمين من حُليّهن لنُصرة قومهن فتُدفَع بتلك الأموال أجور الجنود وتُسدّ بها المصاريف فضلا عن

[1] محمد علي دبوز، نفس المرجع، ص84.

[2] استعمل الشيخ محمد علي دبوز نفس العبارة، لم نغيّرها لبلاغة المعنى في نفس المصطلحات.

[3] محمد علي دبوز، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص 84،85.

كونهن جاسوسات يَنْقُلن أخبار العدو وممرضات يُسعفن ويُداوين الجرحى و قد أتقنّ ذلك أيضا.[1]

صَفْونِيسب :

يقول المؤرخ في وصفة لهذه الفتاة الجميلة و تعلق صيفاقس بها: "إنها القمر الذي سيتألق في سماء كهولته فيجدد شبابه، و يضاعف قواه، و يكسو بنوره و سحره أيامه، فتُقبل عليه باسمة جميلة كصَفْونِيسب، نظيرة فتانة كمحياها الفاتن، وروحها الساحرة!" و سمّاها ب"أمنيته الحلوة" [2]

أم هارون الرشيد، الخيزران:

رغم اختلاف الروايات عن أصول الخيزران زوجة المهدي وحبيبته فقد ربّت أحد أعمدة و زعماء الدولة العباسية. يقول مؤرخنا أنها أحبّت المغرب وطن أجدادها فسقت هذا الحب و أرضعته أبناؤها و بثّت فيهم الشهامة وحب الانتماء، لذلك فضّل هارون الرشيد إخماد نيران الحرب في المغرب عكس ما فعل غيره. [3] يقول عنها الشيخ الدبوز "تلك الغادة الفاضلة ، الفتاّنة" التي أسرت قلب زوجها فتعلّق

[1] محمد علي دبوز، مرجع سابق، الجزء الأول، ص156،157.
[2] محمد علي دبوز، نفس المرجع، الجزء الأول، ص 198.
[3] محمد علي دبوز، نفس المرجع، الجزء الثاني، ص145.

بها لما رآه فيها من حُسن و خصال حميدة. [1]

إن المبالغة في كل شيء يعود بالمضرّة لصاحبه، فلا إفراط و لا تفريط. إن ما نجحت في تحقيقه الملكات الأمازيغيات كان في الاتزان بين طبيعتها الرقيقة و الطيبة كأم حنون تحزن و تبكي و كونها قوية الشخصية معتمدة على نفسها لا تهزّها رياح مهما علَتْ و اشتدّتْ.

جمال المرأة الأمازيغية:

إن المجتمع الأمازيغي مجتمع يعشق الجمال والزخرفة والزينة فقد كان هذا جليّا في قصورهم وبناياتهم فعلوا الأسوار وشيدوا الأبراج والحصون. وكان الأمازيغ شغوفين بالعلم والمعرفة مثلما كان مصينيسا ومصيبسا وغيرهما من ملوك الحضارة الأمازيغية في المغرب. [2] أمّا عن الطبيعة فكانت معتدلة تعلوها السكينة والهدوء وكانت لهذه الطبيعة تأثير قوي على جمال المرأة الأمازيغية، فلم تكن شديدة البياض ولا شديدة السواد فقد كانت ذات سُمرة معتدلة مائلة إلى الحُمرة أو بيضاء محمرّة أيضا، رشيقة القوام، "غير مترهلة ولا معجونة" يقول عنها الشيخ محمد علي دبوز "بل هي زهراء رشيقة تتألق بوجهها تألق الشمعة الرشيقة في حفلات الأعياد!!"[3]

[1] محمد علي دبوز، نفس المرجع، ص144.

[2] محمد علي دبوز، نفس المرجع، الجزء الأول، ص263.

[3] محمد علي دبوز، نفس المرجع، الجزء الثاني، ص142.

شخصية المرأة الأمازيغية قبل الإسلام و أثناء الفتح الإسلامي في المغرب

المرأة قبل الإسلام:

يجب أن نُشير أيضا إلى أن تكريم المجتمع الأمازيغي للمرأة و تشبثه بعاداته وخصاله الحسنة كان قبل الإسلام، هذا ما جُبل عليه الأمازيغ، و هذا ما أشار إليه محمد علي دبوز تكْمِلة لما جاء على لسان العلامة ابن خلدون في وصفه لهذا الشعب وذلك أثناء بزوغ فجر الإسلام على المغرب، وأن للمرأة الأمازيغية دائما مكانة بارزة لدى الأمازيغ، فهي تقوم بأدوار أساسية في جميع الميادين، اجتماعيا، سياسيا وغيرها. ولعلّ من أبرز مظاهر تقدير المجتمع الأمازيغي للمرأة هو نسبُ أبنائها، إذ كانوا يُنسبون إلي أمّهم و يتوارثون مع أخوالهم بدل أعمامهم، و لم يسبقهم في هذا أحد.[1]

وقد كان لكل هذا التقدير الفضل في بناء امرأة قوية الشخصية متحكّمة في نفسها لا تتأثر سِلبا بالعوامل الدخيلة عن ثقافتها و التي قد تكون سببا رئيسيا في طمس هويتها كما تشهده بعض المجتمعات الأمازيغية المعاصرة، بل تتعامل معها بكل مرونة، و تتأقلم بسرعة.

وصف محمد علي دبوز للمرأة:

[1] محمد علي دبوز، نفس المرجع، الجزء الأول، ص 75.

كان وصف الشيخ المؤرخ للرجل الأمازيغي بليغا و مفصّلا، فقد وصف خُلقه و خِلقتُه فقال : " إن البربري قوي البنية، معتدل المزاج، متين التركيب، قد نشأ في بيئة الشام الجميلة فأورثته من جمالها في جسمه، و من اعتدالها في مزاجه، ثم انتقل إلى بيئة المغرب المشابهة لبيئة الشام الطبيعية، فأيدت فيه تلك الخِلال، و ثبّتت في شخصه ذلك الجمال، فصار البربر مثالا في متانة البنيان، و في جمال الخِلقة".[1]

أمّا عن وصفه للمرأة فقد كان دقيقا، مبدعا و جريئا في مُجمله، يسْلب القارئ و يُشعره بالفضول لرؤية هذا الجمال الذي اعتبره فتنة، و إن تلاقي حُسن الخُلُق مع حُسن الخِلقَة لشيء يَفتِن حقيقة.

غالبا ما كان يربِط الشيخ المؤرخ بين الصفات الخَلقية و الخُلُقية، كان عندما يصف جمال امرأة يقول عنها قوية الشخصية ثم يُرفق عبارته بفتانة أو شديدة الجمال، و هذا يدل على تقديره للمرأة شكلا و مضمونا. لعلّ الغرض من وصفه هذا و تفصيله في ذلك مثل في لون البشرة، رشاقة القوام، مشاركتها في بناء الحضارة الأمازيغية، اعتمادها على نفسها و قوة شخصيتها، ثقة مجتمعها بها، إنما هي دعوة إلى هذا التجانس الفريد الذي قلّما نراه اليوم.

إن قوة شخصية المرأة و شجاعتها تزيدها أنوثة و جمالاً، ذلك ما لاحظناه في كل شخصيات النساء المذكورة على لسانه، و كلما انتصرت

[1] محمد علي دبوز، نفس المرجع، ص 76.

شخصية زادت جمالا.

هذه أبرز المميزات التي اختصّت بها كتابات المؤرخ محمد علي دبوز، خاصة التي تشمل المرأة.

المرأة أثناء الفتوحات الإسلامية:

تمتعت المرأة في المجتمع الأمازيغي بمميزات عديدة جدا فضلا عن ذكائها وحنكتها فقد كانت شديدة الجمال، رشيقة القوام حتى رغب بها الكثير من الملوك والسلاطين وسُبيت أيضا من قِبل القادة أثناء الفتوحات الإسلامية على غرار حسّان بن النعمان و غيره، أما عن موسى بن نصير فقد كان أحد أكثر الفاتحين مبالغة في السّبي وقد بلغ عدد سباياه مرة ثلاثمئة ألف رأس وقد شمل هذا العدد البنين أيضا. [1] يقول الشيخ محمد علي دبوز في هذا : " لقد رغب أهل المشرق سيما الملوك والأمراء، والسادة و الكبراء، في المرأة البربرية لتلك الشخصية القوية الجميلة التي تزهر بها، ويبدو جمالها على جسمها فيضاعف جماله، و يبلغ به ذروة البهاء و الحسن الفتّان" .[2]

وإن المرأة في المجتمع الأمازيغي تَفْتِن باستقلاليتها واعتمادها على نفسها، وهذا سر جاذبيتها مقارنة بالفارسيات والرومانيات وأخريات، هذا ما حاول إبرازه الشيخ محمد علي دبوز للقارئ.

---

[1] محمد علي دبوز، نفس المرجع، الجزء الثاني، ص135.

[2] محمد علي دبوز، نفس المرجع، ص142.

يقول محمد علي دبوز مادحا طِباعها: "و كانت المرأة البربرية قوية الشخصية، معتمدة بنفسها، واثقة بها، شجاعة حيية، صبورا، رحبة الصدر، لا تُكشّر لأتفه النوازل"[1] و يضيف مشيرا إلى أنها مصدر بهجة لزوجها و عائلتها " بل إن البِشر و الرضى، و التفاؤل بالحياة، هو الذي يُشرق به وجهها فيُشرق به جو بيتها فيسْعدُ زوجُها و كل الأسرة بهذا الجو الضاحي الجميل"[2]

فهي لزوجها خير متاع دنياه و سبيله إلى الفوز بأخراه: "إن روح الرجل لا تستنير فتشرق دنياه، لا بالشمس ولا بالقمر ولا بالذهب والجواهر ولكن بالمرأة الصالحة المحبوبة التي تعمر داره" هذا ما نقله لنا المؤرخ،[3] و هذا ما عزّزه الإسلام فيها.

مصطلحات و عبارات:

تمتّع محمد علي دبوز هذا المؤرخ ببلاغة في رسمه للكلمات، حسّه المرهف و فخره بانتمائه تستطيع لمسه بمجرد قراءتك لكتاباته، هذا ما دفعَنا إلى جمع بعض المصطلحات و العبارات التي استعملها في كتابه "تاريخ المغرب الكبير" و ذلك في الجزئيين الأول و الثاني :

- " بل هي ببشرة الورد الفتان" واصفا المرأة الأمازيغية أو ما يُسميها

[1] محمد علي دبوز، نفس المرجع، ص140.
[2] محمد علي دبوز، نفس المرجع، ص140
[3] محمد علي دبوز، نفس المرجع، ص140.

البربرية.[1]

- " رشيقة القد" [2]
- " صافية النفس" [3]
- "إنها تنظر بعيون الظباء الصافية السليمة من كل حقد و عداوة" [4]
- و يقول عن الملوك والأمراء الذين طمعوا في الاستلاء على خيرات المغرب "[...] ويرون المغرب مغربا للشمس غير أنها تختفي في بناته فتطلع في محياهن الفتان" [5]
- يُكمل قائلا : "[...] و تودع فيهن عطرا كالذي تخلقه في الورد و الرياحين. " [6]
- "و المرأة البربرية حيية طبعتها بذلك شخصيتها الإيجابية، و شعورها بنفسها، [...] و جمالها الفتان فتُسحر بها النفوس، و لطفها و رقتها فيظفر فيها الرجل العالَم اللطيف، و بالعش الحريري الذي ينسيه خشونة الحياة." [7]
- و في حديثه عن الخيزران، تعلّق زوجها المهدي بها، و حبّهما الطاهر، يُبدعُ قائلا: " إن الحبّ ليجعلُ كل أشياء الحبيب فيها من

[1] محمد علي دبوز، نس المرجع، ص142.
[2] محمد علي دبوز، نفس المرجع، ص 142.
[3] محمد علي دبوز، نفس المرجع، ص 143.
[4] محمد علي دبوز، نفس المرجع، ص 143.
[5] محمد علي دبوز، نفس المرجع، ص 143.
[6] محمد علي دبوز، نفس المرجع، ص 143.
[7] محمد علي دبوز، نفس المرجع، ص 140.

شفتيه، فهي كلّها موضع للقبلات، و أمكنة للإعزاز، حتّى نعال الحبيب الملطخة بالأوحال، يراها المحب في نظارة خدوده، وتلوح له في هالة من سحره".

- ثم يتغنّى بأصولها "البربرية" قائلا: "أما أصولها من الناس فهي عنده أشجار الورد، و أغصان الزهر" [1]

خلاصة:

شكلت شخصية المرأة القوية وحكمة الرجل ورزانته في المجتمع الأمازيغي ثنائي رائع، تعاونا معا فبنيا حضارة عريقة متجذرة سمّياها الحضارة الأمازيغية، شارك كلاهما متعاونان، في المعارك و الحروب والانتصارات والخسارات أيضا وأورثوا هذا أبنائهم، معتمدين على أنفسهم مشوا على نفس الخُطى. ولم تتدهور الحضارة الأمازيغية إلّا بعد تخلي هذان عن أدوارهما، و انحيازهما عن سيرة أجدادهما الأمازيغ الأقحاح.

[1] محمد علي دبوز، نفس المرجع، ص144.

- المحور الثالث -

الشّيخ محمد علي دبوز أديبا وناقدًا

مقالات الشيخ محمد علي دبُّوز موضوعاتها وأنواعها وخصائصها الفنية

د. يوسف باعمارة
جامعة غرداية

ملخص:

تعتبر الكتابة وسيلة للتواصل بين الأنا والآخر، وطريقة لنشر الرسائل المختلفة وتجسيد الرؤى المستشرفة؛ وذلك عن طريق نشر الفِكر و الثَّقافة والأدب والمحافظة على التراث واستقراء التاريخ بناء على وقائع ماضيه وقراءةِ حاضره واستشراف مستقبله، وكان لظهور المقال في العصر الحديث أثر بارز في القيام بهذه الجهود المعتبرة والأعمال الجبَّارة وذلك لتنوع موضوعاته وسهولة عرضها وبساطة نشرها في الأوساط المثقفة والبسيطة خصوصا إذا علمنا أنَّ البيئة لم تكن مواتية ولا مساعدة لذلك، كون أغلبها ترزح تحت نير الاستعمار الفرنسي الغاشم وسوداوية الجهل والخرافات البائدة.

وسنقف في هذه الورقة البحثية إلى إبراز دور الشيخ محمد علي دبوز الذي يعتبر عَلمًا بارزًا من أعلام الجزائر الذين أسهموا بفكرهم وعلمهم وأدبهم في إنارة العقول والاستثمار في الرجال الفُحول تربية وتكوينا وتعليما في حجرات الدَّرس وفي أمَّات الكتب التي أنتجتها بنات أفكاره وحصَّلتها قريحةُ عقله.

وستحمل مداخلتنا المباحث التالية:

- ✓ التعريف بشخصية الشيخ محمد علي دبوز.
- ✓ موضوعات مقاله وأنواعها.
- ✓ خصائصها ومميزاتها الفنية.
- ✓ خاتمة وتوصيات.
- ✓ الكلمات المفتاحية: المقال، الأدب، التاريخ، الفِكر، التراث، الثقافة، دبُّوز، الجزائر....

التعريف بشخصية الشيخ محمد علي دبوز:

ولد الشيخ محمد علي دبُّوز في 1337هـ/1919م بمدينة بريان التي تبعد عن عاصمة ولاية غرداية، الواقعة بالجنوب الجزائري بـ: 40 كلم. دَرَس بمسقط رأسه في المدرسة القرآنية[1] التي فتحت أبوابها في جوان 1928، وتلقى مبادئ العلوم من لغة وفقه وعقيدة وتاريخ على يد شيوخ المنطقة وأعلامها؛ أمثال: الحاج إسماعيل فخار والشيخ صالح بن يوسف أبسيس.

وفي سنة 1934م انتقل إلى معهد الحياة بالقرارة؛ حيث حفظ القرآن

[1] تسمى المدرسة حاليا: مدرسة الفتح القرآنية.

الكريم واستظهره صغيرا إذ لا يتجاوز عمره ثلاثة عشر سنة؛ وتتلمذ هنالك على يد الأساتذة الأفذاذ: الشيخ ابراهيم بيُّوض، والشيخ عدُّون والشيخ محمد ابن ناصر، وتلقَّى هنالك دروس التفسير والحديث والفقه والأدب وعلومه من نحو وبلاغة وعَروض...

وفي سنة 1942م شدَّ الرِّحال إلى تونس الخضراء مخاطرًا بنفسه عبر الجبال والطرق الملتوية هربًا من بطش الاستعمار الفرنسي الذي ضيَّق الخناق على المثقفين والمتعلمين من جهة، وتشديده لمخارج البلاد وحدودها من جهة أخرى؛ فسافر دبُّوز إليها دون جواز سفرٍ مُقامرا بحياته من أجل التحصيل العلمي والمعرفي، وكان له السَّبق في خوض هذه المغامرة البُطولية الرَّائدة؛ فاعتُبر أوَّل طالب خريج في معهد الحياة يواصل دراسته العليا هنالك، ويُشكِّل النواة الأولى للبعثة العلمية البيوضية، فلم تُثنه الأرزاء والمشاق عن طلب العلم؛ بل انكبَّ على حياضه في مكتبات تونس وفي جامع الزيتونة والخلدونية.

وفي سنة 1943 توجه إلى قاهرة العلم عبر الصَّحراء الليبية مشيًا على الأقدام متحديًا قساوة الصَّحراء ورقابة الأعداء وبُعد المكان وظروف الحرب العالمية الثانية -وقتئذ- فوصل إليها والتحق بجامعة القاهرة واستفاد من أعلامها وعمدائها في مجال الفكر واللغة والأدب التاريخ والحضارة.

وعاد إلى أحضان وطنه سنة 1948م بعد خمس سنوات من ألم

الغُربة وفراق الأهل والوطن، واستُقبل في مدخل القرارة استقبال الأبطال الفاتحين لكونه أول طالب خريج بشهادة رسمية من جامعة القاهرة، ولاجتهاده وصبره في الغربة لأجل التحصيل العلمي والمعرفي، ووقَّف نفسه -بعد ذلك- أستاذاً ومربيا في معهد الحياة مدرِّسا المواد التالية: الأدب العربي، تاريخ الأدب، البلاغة، الصرف، النحو، التاريخ الإسلامي، الفلسفة...إلخ؛ وأسهم في تطوير المناهج الدراسية وتحسينها منتهجا الإخلاص في العمل والصرامة والانضباط في الوقت والنظام والإتقان في الدَّرس، ولعل ما يشفع له بذلك كثرة أسفاره وتنقلاته داخل الوطن وخارجه لجمع المادة التاريخية الحقيقة وتجنب المزيفة والمحرَّفة التي اجتاحت جل الكتابات التاريخية؛ وكان من ثمرة ذلك إصداره لمجموعة من المؤلفات منها:

- تاريخ المغرب الكبير.
- نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة.
- أعلام الإصلاح في الجزائر من 1921 إلى 1974م.

مؤلفات عديدة جلها ما زال مخطوطًا ينتظر النور لتحقيقه وطباعته وإخراجه؛ وهي محفوظة -حاليًا- في مكتبة الصَّفاء بمنطقة بريان، ولاية غرداية.

وفي مساء يوم 16 محرم 1402 يوافقه 13 نوفمبر 1981م أسلم

روحه إلى بارئها راضية مرضية، وشيع جنازته جمع غفير من طلبته وأساتذته وأحبابه راجين من الله عز وجل أن يرحمه ويغفر له ويجازيه خير الجزاء لما قدَّمه من تضحيات جسام في سبيل الدين والوطن والأمَّة جمعاء[1].

وجهود الشيخ محمد علي دبُّوز في التأليف لا يُنكرها إلا جاحد فقد كان له الفضل في التَّعريف والتنقيب في تاريخ المغرب الكبير عموما وتاريخ الجزائر خصوصًا؛ وغدت كتبه مصادر مهمة للباحثين والمؤلفين من مختلف الأصقاع والبلدان. يقول الدكتور محمد صالح ناصر عن فضل الشيخ في التأليف وحفظ التراث والتاريخ: "ولولا تلك الكتب القيمة التي ألَّفها المرحوم شيخنا محمد علي دبُّوز لفقدنا جزءًا مهما من تاريخ وطننا العزيز، ولجهلنا الشيء الكثير عن أبطاله، وزعمائه، وعلمائه، قديما وحديثًا، فله الفضل والمنَّة في أن جمع وأوعى، وكتب وأهدى، وأبلغ صوت الجزائر المسلمة إلى جهات العالم: أمريكا وإسبانيا وفرنسا، ومصر وسوريا ولبنان وتونس والمغرب وغيرها شرقا وغربًا"[2].

2- موضوعات مقالاته وأنواعها:

---

[1] - يُنظر الموقع الرسمي للشيخ محمد علي دبوز: (info@cheikhdabouz.com) بإشراف مكتبة الصفاء، بلدية بريان، ولاية غرداية- الجزائر.

[2] - محمد صالح ناصر، أعلام وأقلام، جمعية التُّراث، القرارة- غرداية، 1438هـ/2017م، ط01، ص: 573.

قبل الولوج إلى تحليل مقالات الشيخ محمد علي دبوز لابد من معرفة ابستيمولوجية فن المقالة وظهورها ابتداءً؛ فهي من أهمِّ صور النثر الأدبي تتناول موضوعا واحدا بطريقة تسمح لشخصية الكاتب بالظهور فيها عن طريق تقديم أفكاره وآرائه الشخصية بحرية واسعة وأسلوب ذاتي؛ على أنَّ الطول والقِصر يخضع لطبيعة الموضوع المتنَاول[1].

وقد مرَّت المقالة بعدَّة أدوار؛ تطوَّرت عبر التاريخ حتى ظهرت في حلَّتها الأخيرة التي نعرفها الآن متجلية في مختلف الصُّحف والمجلات والكتب، ويمكن إجمال تلك الأدوار في خمس مراحل:

- دور التعبير الفِطري: ويتعلق الأمر بشكلها البسيط المؤسَّس على الإيجاز والجزالة والوضوح، وتجلَّى ذلك في عصر صدر الإسلام بفرعيه النبوي والرَّاشدي.

- دور التعبير الفنِّي: وتتميز المقالة فيه بالإسهاب والتفصيل ودقة المعاني ووضوح العبارات؛ وكان ذلك من نهاية العصر الأموي إلى القرن الرابع الهجري.

- دور التأنُّق البديعي: ويتجلَّى في الاهتمام بالصَّنعة البديعية والزَّخرفة اللفظية والمعنوية وعلى رأسها السَّجع في الكلمات

[1] - يُنظر أحمد أمين، النقد الأدبي، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، 1387هـ/1967م، ج:01، ط:04، ص: 116.

والعبارات، وكان ذلك من القرن الرابع الهجري إلى عصر الانحطاط.

- دور التقليد والجمود: وقد غلب على النثر عموما -في هذه المرحلة- والمقال خصوصا الضّعف والرَّكاكة وهذا كله في عصر الضُّعف والانحطاط نظرا لظروفه التاريخية والسياسية والاجتماعية التي اقتضت ذلك.

- دور النهضة والانطلاق: وقد تميَّز بالنُّضج والارتقاء والتَّقدم نظير مجهودات الكتاب الذين أخرجوه من ضعفه وابتذاله وكان ذلك في العصر الحديث الماضي والعصر المعاصر الحالي[1].

فالمقالة -إذًا- فنّ حديث توطدت أركانها وسما بنيانها وفق الأصول العربية التليدة من خطب ومقامات وفصول ورسائل[2] فضلا عن تجذرها في تراث الإنسانية الشفوي الفني، ذي الطابع المعلوم والمجهول والفردي والجماعي، وهي عصارة جمعت في طياتها حكما وبديهيات وأمثالا وملاحظات وتجارب على مر العصور، واحتلت مكانا مرموقا بظهور الصحافة الغربية وانفتحت على الكتَّاب والأفكار، وأصبحا وسيلة للتحليل

[1] - يُنظر أنيس المقدسي، الفنون الأدبية وأعلامها في النَّهضة العربية الحديثة، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، 1980م، ط:03، ص: 225، 226.

[2] - محمد عوض محمد، المقالة الأدبية، دار المعارف، القاهرة- مصر، 1951م، د.ط، ص: 57.

والبرهنة والتفكُّه ونشر الثقافة والفنون وممارسة النقد وإظهار مواهب المؤلفين والمبدعين[1].

ويرى أحمد أمين أنَّ المقالة المنشورة هي نثر الصحافة وعلى أدبها أن يكون واضحا ومعناها واسعا يقرؤها المثقف وغير المثقف، وألا تكون غامضة المعاني بطيئة الأسلوب يملُّ منها القارئ ويزهد فيها، وعليها كذلك أن تثير المشاعر الوطنية والقومية والاجتماعية والعالمية لتغذِّي القارئ بكل ما يطرأ من أحداث ومستجدات[2].

ويحدد شروطها بأن تكون محدودة الطول، محدودة الموضوع لا يخرج كاتبها عنه، إضافة إلى حلِّ المشاكل التي يعرضها بعد أن يوطئ لموضوعه بمقدمة افتتاحية تصل به إلى ختام الفكرة المطروحة بعد توضيحها وتحليلها بوضوح[3].

وفي دراستنا لمقالات الشيخ محمد علي دبوز وجدناها تتفرع إلى الأشكال التالية: مقال تاريخي، أدبي، نقدي؛ وقد أخذ المقال التاريخي حصَّة الأسد في جل كتابات الشيخ محمد علي دبُّوز لكونه باحثا في التاريخ ومتقصيا لحقائقه ومتأكدًا من معلوماته التي يجمعها من أمَّهات

---

[1] – يُنظر نخبة من الأساتذة، الأدب والأنواع الأدبية، تر: طاهر حجار، دار طلاس للدراسات والترجمة والنَّشر ، دمشق- سوريا، 1985م، ط:01، ص: 211، 215، 216.

[2] – يُنظر أحمد أمين، النقد الأدبي، مرجع سابق، ص: 123.

[3] – المرجع السَّابق نفسه، ص: 116، 117.

الكتب المطبوعة وكنوزها المخطوطة؛ وتتجلَّى تلك الأشكال والأنواع في:

المقال التاريخي:

أحصينا عند قيامنا لهذا البحث التوجُّه التاريخي الواضح في كتابات الشيخ محمد علي دبُّوز، وما يدلُّ على صحَّة هذا القول كثرة المقالات التاريخية المطبوعة والمخطوطة؛ واشتمل عملنا جل المقالات المخطوطة بشكل واضح، وقد أحصينا ستة أعداد جاءت جلها في موضوع تاريخي وهو قراءته لكتاب "تاريخ الجزائر العام" للشيخ عبد الرحمن جيلالي، وجاءت مرتبة زمنيا على الشَّكل التالي:

تاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمن الجيلالي؛ العدد: 312 السنة السَّابعة من السلسلة الثانية مؤرَّخة بتاريخ: الجمعة 08 شعبان 1374هـ/ 01 أفريل 1955م، جريدة البصائر.

تاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمن الجيلالي؛ العدد: 313 السنة السَّابعة من السلسلة الثانية مؤرَّخة بتاريخ: الجمعة 15 شعبان 1374هـ/ 08 أفريل 1955م، جريدة البصائر.

تاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمن الجيلالي؛ العدد: 318 السنة الثَّامنة من السلسلة الثانية مؤرَّخة بتاريخ: الجمعة 21 رمضان 1374هـ/ 13 ماي 1955م، جريدة البصائر.

تاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمن الجيلالي؛ العدد: 321 السنة الثَّامنة من السلسلة الثانية مؤرَّخة بتاريخ: الجمعة 12 شوَّال 1374هـ/ 03 جوان 1955م، جريدة البصائر.

تاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمن الجيلالي؛ العدد: 323 السنة الثَّامنة من السلسلة الثانية مؤرَّخة بتاريخ: الجمعة 26 شوَّال 1374هـ/ 17 جوان 1955م، جريدة البصائر.

تاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمن الجيلالي؛ العدد: 327 السنة الثَّامنة من السلسلة الثانية مؤرَّخة بتاريخ: الجمعة 25 ذي القعدة 1374هـ/ 15 جويلية 1955م، جريدة البصائر.

تاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمن الجيلالي؛ العدد: 328 السنة الثَّامنة من السلسلة الثانية مؤرَّخة بتاريخ: الجمعة 02 ذي الحجَّة 1374هـ/ 22 جويلية 1955م، جريدة البصائر.

ونلمس ملحوظة هنا؛ وهي أنَّ جل الجرائد صدرت يوم الجمعة، وأغلبها كانت في سنة واحدة، من أفريل 1374هـ/1955م إلى جويلية1374هـ/1955م.

وفي قراءتنا للنسخة المخطوطة من جريدة البصائر في عددها: 318، نجد البعد التاريخي من خلال قراءة الشيخ دبُّوز لأسباب ثورة البربر على الأمويين قائلا: "...وقد انشب حب المال مخالبه في بني أمية فكانوا على

هذه القَساوة وأورثهم الظُّلم الفظيع الذي يصبُّونه على الأولياء، ويعاملون به الأصفياء، انظر إلى موسى بن نُصير الرجل العظيم والقائد الخطير كيف ينكبه سليمان بن عبد الملك لأجل ما فوت عليه من كنوز المغرب وأمواله"[1] ثم يروي داخل مقاله حادثة بتفاصيلها التاريخية وقعت لموسى بن نُصير وقد رواها ابن عذارى قائلا: "ولمَّا بلغ موسى بن نُصير مصر في طريقه إلى الشَّام وافاه كتاب الخليفة الوليد بن عبد الملك يأمره بشدِّ السير إليه ليدركه في قيد الحياة وكان مريضا ووافاه كتاب من سليمان بن عبد الملك ولي عهد أخيه الوليد، يأمره بالتَّأني والتربص فأسرع موسى ولم ينظر في كتاب سليمان إلى أن وصل إلى الوليد قبل موته بثلاثة أيام فقال سليمان: لئن ظفرت به لأصلبنه فدفع موسى الأموال والمائدة والدر والياقوت والتيجان والذهب والفضَّة إلى الوليد بن عبد الملك، ولما ولي الخلافة سليمان غضب على موسى غضبا شديدا وأمر به فأوقف في يوم شديد الحر في الشَّمس وكان رجلا بادنًا ذا سُمنة، فوقف حتى سقط مغشيًّا عليه، وقال له سليمان كتبت إليك فلم تنظر كتابي، هلم مائة ألف دينار، فقال: يا أمير المؤمنين قد أخذتم ما كان معي من الأموال فمِن أين لي مائة ألف؟ فقال سليمان: لابد من مائتي ألف! فاعتذر، فقال: لابد من ثلاثمائة ألف دينار وأمر بتعذيبه وعزم على قتله..." [2] بعدما أورد الشيخ

---

[1] - المصدر السَّابق نفسه، ص: 05.

[2] - المصدر السَّابق، نفسه، ص: 05.

هذه الحادثة ينتقد سياسة بني أمية ويُعدّد ظُلمهم الذي لحق بمختلف الشعوب من عرب وفُرس وبربر، وإنَّ حُكمهم قائم على الهوى والغريزة؛ فيُصرِّح بعظمة لسانه قائلا: "...وإذا كانت هذه معاملتهم للخاصة من الأكفاء والصفوة من الأولياء لأجل المال فكيف يكون ظلمهم في سبيله مع الرعية سيما إذا كانوا غير عرب كالبربر والفرس...إنَّ نفوسا تبلغ هذه القساوة مع أبناء العم القرباء أتراها ترحم البُعداء فتسوس البربر والظُّلم الذي عاملوهم به فأثاروهم عليهم، وحُقَّ لهم أن يثوروا فإنَّ الإسلام ما جاء إلا لمحاربة الظُّلم والفساد"[1].

وفي مقال آخر يصف البيئة الجغرافية لبلاد المغرب الكبير قائلا: "وكان شمال المغرب قبل الميلاد على أربعة أقسام: شمال تونس إلى طبرقة غربا، وكان لقرطاجنة ثم اغتصبه الرومان، ومن طبرقة شرقا إلى غرب سطيف، وكان يُسمَّى نوميديا، ومن غرب سطيف إلى وادي ملوية وكان يُسمَّى موريطانيا الشَّرقية، ومن وادي ملوية إلى المحيط الأطلنطي، وكان يُسمَّى موريطانيا الغربية، والجنوب من هذين القسمين وهو الصحراء كان يُسمَّى جيتوليا، أما جنوب تونس إلى طرابلس فقد كان تابعا لنوميديا في أغلب عهودها في الملك"[2]. ويذكر الشيخ محمد علي دبوز الملوك والحكَّام الذين تعاقبوا على الجزائر قبل الميلاد، ويُعدد إنجازاتهم

---

[1] - نفسه، ص: 05.

[2] - نفسه، ص: 02.

المختلفة في خدمة شُعوبهم قائلا: "وقد استمرَّ الملك الجزائري في سلالة نارفاس، فكان منهم مصينيسا الذي هدم قرطاجنة ليمحو كل أثر للأجانب من وطنه وحفظ المغرب من أفواه الرُّومان الذين يُحاولون ابتلاعه، وكان مَلِكا عظيما داهية بلغت الجزائر في عهده كل مبلـغ في القوة والمدنية والعمران....ومنستا بعل الذي كان وزيرا للقضاء في عهد أخيه ولكن سرعان ما توفي فترك ولده يوغورطة صغيرا فنشأ في كفالة عمه مصيبسا وكان مصيبسا ملكا داهية مخلصا كأبيه... ولما توفي خلفه يوغورطة في المُلك ووثب إلى عرش أجداده ليحقِّق مُثلهم العليا في تطهير المغرب من الرومان ...وقد أنشأت تلك البقاع الفذَّة للجزائر في القديم أبطالها وصناديدها، وكان أسدهم الذي خَلـع قلوب الدُّنيا ببطشه وبطولته يوغورطة!"[1] يستعرض الشيخ محمد علي دبوز تاريخ الجزائر القديم قبل الميلاد، ويفتخر بوطنه الذي سجَّل بطولاته وأمجاده في ذاكرة الخلود بمداد من ذهب؛ حيث بلغت أوجها وشأوها في الجوانب الاجتماعية والعسكرية والسياسية والعمرانية فهابتها أعداؤها التي تتربص بها الدوائر، ومن جميل الصُّدف أن يكون أولئك الذين حافظوا على مجد الجزائر وقوتها من عائلة واحدة وهم: مصينيسا، مصيبسا، منستا بعل، يوغورطة.

وبقراءتنا لمختلف المقالات التاريخية للشيخ محمد علي دبُّوز فإننا نجدها تتميز بالخصائص والمميزات التالية:

---

[1] - المصدر السابق نفسه، ص: 02.

تسلسل الأحداث وترتيبها، والربط بينها من خلال ذِكر الأسباب ثم التطرق للنتائج؛ وعلى سبيل المثال لا الحصر يذكر الشيخ محمد علي دبوز الثورات المختلفة ضدَّ الأمويين، حيث أسقطت سُلطانهم، ويعدِّد أسباب ذلك في: (الظُّلم، الفساد، الهوى، القساوة، حب المال...إلخ).

ذِكر الزَّمان والتركيز على نقل أحداثه ووقائعه: (العصر الأموي، قبل الميلاد، قبل الإسلام، سنة 96هـ...إلخ).

ذِكر المكان والتركيز على الجانب الجغرافي المتعلِّق به: (المغرب، المشرق، تونس، الجزائر، قرطاجنة، الرومان، طبرقة، سطيف، موريطانيا، المحيط الأطلنطي، طرابلس، نوميديا...).

بروز الشَّخصيات الرئيسة والثانوية المؤثِّرة في الأحداث التاريخية: (موسى بن نُصير، سليمان بن عبد المَلك، الوليد بن عبد الملك، مصينيسا، منستا بعل، مصيبسا، يوغورطة).

بروز الحوار في قوالب سردية تاريخية، ومن أدلَّة ذلك ما وقع بين سليمان بن عبد الملك وموسى بن نُصير: (قال له سليمان كتبت إليك فلم تنظر كتابي، هلم مائة ألف دينار، فقال: يا أمير المؤمنين قد أخذتم ما كان معي من الأموال فمِن أين لي مائة ألف؟ فقال سليمان: لابد من مائتي ألف! فاعتذر، فقال: لابد من ثلاثمائة ألف دينار وأمر بتعذيبه وعزم على قتله...)

بروز السِّياق السَّردي في نقل المشاهد والأحداث، والإخبار عن الوقائع: (ولمَّا بلغ موسى بن نُصير مصر في طريقه إلى الشَّام وافاه كتاب الخليفة الوليد بن عبد الملك يأمره بشدِّ السير إليه- فكان منهم مصينيسا الذي هدم قرطاجنة ليمحو كل أثر للأجانب من وطنه وحفظ المغرب من أفواه الرُّومان الذين يُحاولون ابتلاعه...)

الاعتماد على الصُّور الوصفية في نقل الأحداث التاريخية: (وكان مريضا- وكان رجلا بادنًا ذا سُمنة- وكان مَلِكا عظيما داهية...)

المقال الأدبي:

يقول الشيخ محمد علي دبُّوز في مقال له بعنوان (وقفة في دار الرافعي وعلى قبره): "طنطا! كان لهذه المدينة عندي جمال الصَّدفة وجلالها لاشتمالها على الدرَّة الكريمة! وكنت أراها بين المدن المصرية كلها كالزهرة بين الأوراق هي وحدها تشتمل على الثمرة وتنفرد بالجمال والأريج! إنها المدينة التي قضى فيها مصطفى صادق الرافعي حياته وأنجب أدبه الرَّفيع، وهي التي تضمُّ رفاته وتشتمل على أسرته، وإذا كان المكان الذي يمرُّ منه الأديب فيلفت نظره بشيء يُؤثّر فيه فيلد له معانيه فإن الوطن الذي يقضي فيه عمره هو أبو نتاجه يؤثر فيه كما أثر في سحنته ومزاجه، وإذا كان القاموس يجلي لك الغريب من لغة الأديب فإن البيئة الاجتماعية والطبيعية التي نشأ فيها هي المعجم الذي لا يجلي لك معاني

الأديب غيره ومن لم يعرفها كانت معرفته لأدبه ناقصة"[1] نلمس هنا اهتمام الشيخ محمد علي دبُّوز بالفضاء الذي يولد فيه الأديب ويُؤثر على تكوين شخصيته الأدبية والفكرية والثَّقافية، ويرى بضرورة معرفة المكان الذي صقل موهبة الأديب الفنية وأخرجها من الظلِّ إلى نور الوجود؛ فهو بمثابة المعجم الذي يشرح غريب الألفاظ ويستجلي وضوح المعاني؛ ذلك أنَّ معرفة بيئة الأديب واكتشاف معالمها واستقراء أسرارها تُسهِّل فهم نصوصه وتجعل القارئ يصل إلى أبعادها وآفاقها الفنية؛ لأنه أحاط علمًا بالبيئة الاجتماعية والطبيعية التي أنتجت فيها تلك النّصوص.

ويفرد الشيخ محمد علي دبُّوز الحديث مطوَّلا عن الأديب مصطفى صادق الرَّافعي قائلا: "وكنت قد عرفت الرافعي من أدبه فأحببت وأغرمت به، وإنه عندي سيد الأدباء في هذا العصر لا يضاهيه أديب من أدباء هذا الزمان في خصائصه، ومن يبتغ الأدب الرفيع الذي يشبع جوانب عقله كلها لا يجده إلا في كتب الرافعي سيما أوراق الورد ورسائل الأحزان ووحي القلم، وكان الرافعي كالجاحظ وأبي العلا المعري في سعة المعرفة وحدّة الذَّكاء والتوفر لفنه والغرام به، لقد كان عالما واسع المعرفة بكل ما يستلزمه الأدب العبقري من العلوم اللغوية والاجتماعية والفلسفية، وكان أدبه مظهر العقل جبار بالوراثة والمعرفة، وإنك لا تجد أديبا في هذا العصر

---

[1] - محمد علي دبُّوز، جريدة البصائر، العدد: 334، الجمعة 06 صفر 1375هـ/ 23 سبتمبر 1955م، ص: 02.

يتطلب منك في قراءته خيالك وفهمك العميق للمعاني ويُؤجج عاطفتك أيضا ويستولي على كل جوانب نفسك ويريدها على أتمها في الشبوب لتستطيع دراسته كالرافعي؛ وذلك لعمري هو الأديب الذي يبني الملَكة ويمد بالغذاء ويرهف مواهب العقل كلها، وسواه من الأدب الصحفي الهزيل الذي يُغرم به أبناء هذا الزَّمن كاللُّبان الذي يمضغه الإنسان لا يحصل منه إلا على تعب الكفَّين!"[1].

ويعرج الشيخ محمد علي دبُّوز إلى أفضال الأديب مصطفى صادق الرَّافعي على الأدب العربي قائلا:» لقد أنعش الرافعي الأدب العربي في هذا العصر بعبقريته وفنائه فيه وتوفره له وإذا وجدت في معاصريه من الكتاب بتسلط الروح الصحافية عليهم أوراقا كثيرة، وبعض ثمار لم تُجد للرافعي لاعتنائه بفنِّه وإفراغه فيه كل جهده واحتفاله كل الاحتفال به إلا الثمار. إنَّ كتب الرافعي من المعاصرين وكتب الجاحظ والمعري وديوان المتنبي وديوان أبي تمام من القدماء لا تفارق مكتبي ففي كل قراءة لها فائدة جديدة ونوع بديع من الجمال لا يبدو لك في القراءات الأولى؛ وذلك لبعد غور هؤلاء الأدباء الذين عاشوا للعلم والأدب وتفانوا فيما تركوا لنا من نتاجهم فكان قطعة من نفوسهم يُصور مثلهم الأعلى في الأدب والحياة"[2].

---

[1] - المصدر السَّابق، ص: 02.

[2] - نفسه.

وعند تحليلنا للمقال الأدبي للشيخ محمد علي دبوز نلمس فيه بعض المميزات الأدبية التي يلحُّ عليها ويراها ضرورية لتقديم صورة الأدب في حلَّة قشيبة، ويُمكن إجمال تلك المميّزات في النقاط التالية:

ارتباط الأدب بالعلوم الأخرى التي توضِّح رؤيته وتبين منهجه؛ ويتعلَّق الأمر بالعلوم الاجتماعية (تاريخ، فِكر، جغرافيا...إلخ) والفلسفية (العقل، المنطِق) واللغوية (نحو، صرف، بلاغة، نقد...)

النظرة النَّقدية لأدب أي مُبدع لا تُقدَّم بدون دليل؛ بل لابد من استجلائها داخل المؤلفات؛ وهذا ما قام به الشيخ محمد علي دبُّوز تجاه مصطفى صادق الرافعي من خلال التركيز على مؤلفاته: (أوراق الورد، رسائل الأحزان، وحي القلم).

التركيز على عناصر الأدب في العملية الإبداعية: (الفِكرة، العاطفة، الخيال، الصُّورة، الأسلوب).

المقارنة والمقابلة بين أعلام الأدب في عصور مختلفة بغية معرفة المسار التاريخي التطوُّري للأدب (مقارنة الشيخ دبُّوز بين الرافعي في العصر الحديث، ومن سبقه من الأعلام السَّابقين الذين عاشوا في العصر العبَّاسي: الجاحظ، المتنبي، أبي العلاء المعرِّي، أبي تمَّام).

الإلحاح على مغزى الأدب وبُعده الرِّسالي؛ حيث:(يبني الملَكة ويمدُّ بالغذاء ويرهف مواهب العقل).

التركيز على البُعد الجمالي الفنّي للأدب؛ وذلك بالاعتماد على جيّده الذي يُؤجج العواطف وينير العقول، والابتعاد عن الأدب الرديء الضَّحل الذي ينزل بصاحبه إلى الحضيض الأسفل.

المقال النقدي:

يقول الشيخ محمد علي دبُّوز في مقال له بعنوان (تاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمن الجيلالي): "فأول ما ألاحظه على الأستاذ في أول كتابه وهو الجزء الذي درسته باهتمام وفحصته في دقة تعمده الإيجاز في تاريخ الجزائر قبل الإسلام، وإغفاله حلقات هي الأُصول، وهل حاضر أمَّة إذا درسناه إلا نتيجة لماض لها يجب أن ندرسه لأنه أصله، وقد رأينا جميع المؤرخين كابن الأثير وابن خلدون والطَّبري يعتنون كل الاعتناء بتاريخ العرب في الجاهلية فيصورون لنا تصويرا كاملا حياتهم وأحوالهم قبل الإسلام؛ لأن ذلك كله هو سبب تكوُّن الشخصية العربية، وانطباعهم بطابع خاص تميزوا به عن غيرهم ومن لا يعرف تاريخ العرب قبل الإسلام يستعصي عليه فهم كثير من الحوادث التاريخية الكبرى في الإسلام كالصِّراع بين الهاشميين والأمويين في صدر الإسلام...إن تفصيل القول في هذه الحلقات واجب ولو كان الأستاذ لا يريد بكتابه إلا تاريخ الجزائر في الإسلام فكيف وقد سمَّاه تاريخ الجزائر العام، ثم إنه قد واعدنا في مقدِّمته أن يجلو علينا شخصيات الجزائر ويبين لنا آثارها فيه فمرَّ مرَّ الكرام على الشخصيات الجزائرية العظيمة قبل الإسلام في ميدان السياسة والنِّضال كمصينيسا وصيفاقس، ومصيبسا، ويوغورطة، ويوبا

الأوَّل، وعرابيون وفرموس، وجلدون؛ هذه الأقطاب التي شرَّفت الجزائر في الدنيا...إن يوغورطة قد كتب فيه حتى الأوروبيون فنوَّهوا ببطولته وجعلوا منه للزمن مثلا أعلى في الشَّجاعة والدَّهاء والإقدام ونرى الأستاذ لا يلمّ إلا إلمامة صغيرة بمصينيسا ثم يهمل الشخصيات الأخرى فلا يزيد على إثباتها في جدول جاف ما هو بالجدول للناشئة التي يجب أن نراعيها للتأليف، وإذا كان الأستاذ يُرجئ تاريخ هذه الشخصيات إلى الجزء الذي يخصصه للجندية والحرب فإنه لم يحسن صنها ببتر هذه الفصول من مواطنها وتأخير هذه الأبواب عن أماكنها؛ فإن أعمال هذه الشخصيات حوادث تاريخية يجب أن تتسلسل، وهي نتيجة لوقائع في ذلك الدَّهر يجب أن تتوالى "[1].

ويدعو الشيخ محمد علي دبُّوز إلى الاهتمام بتاريخ الجزائر الماضي قائلا: "...فلماذا لا نحتفل بتاريخ الجزائر قبل الإسلام وجلُّه مما يود أصحابه أن يحيا، وإذا وجدنا هنات فالتاريخ للعظة فيجب إثباتها للاعتبار، وعلى أدبائنا أن يعتنوا بهذه الحقبة من التاريخ ففيها من قصص الوطنية والبطولة ما يجب تقديمه للناشئة وفيها من المادَّة الغزيرة ما يخلق الشَّخصية. وقد رأينا الأوروبيين يعتنون بمواقف البطولة في تاريخهم فيصوغون منها قصصا للأطفال، ومقالات للشباب، وروايات للمسرح

[1] - محمد علي دبُّوز، جريدة البصائر، العدد: 313، الجمعة 15 شعبان 1374هـ/ 08 أفريل 1955م، ص: 02.

فيُنوِّهون بمفاخرهم بكل لسان، ويرسمونها مثلا أعلى لشبابهم بمختلف الوسائل؛ فترى أممهم تعيش في تاريخها في كلِّ أدوارها وترى أبطالهم أحياء في نفوسهم يوجهونهم في السُّلوك ويرسمون لهم الطَّريق الذي سلكوه قبل، فوصَلُوا، أما تاريخ الجزائر عموما وتاريخه قبل الإسلام خُصوصًا فلا يعرف الجزائري منه إلا عناوين، والمثقف إلا حقائق جافة لا تخلق روحا ولا تذكي نفسا يا قوم!" [1]

ويتَّبع الشيخ محمد علي دبُّوز الأسلوب النَّقدي في قراءته لكتاب تاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمن جيلالي فيبيِّن الهنات والعثرات التي وقع فيها قائلا: "أما من حيث الأسلوب فمتوسِّط، فليت الأستاذ جمع إلى جمال المظهر طلاوة الأسلوب وحلاوة التعبير وحُسن العَرض...فإننا نلاحظ عليه الإيجاز الذي لا ينبغي في بعض الأبواب، والتقصير المخل في بعض الفصول، وعدم التدقيق في بعض الحوادث"[2]

ويُصحح الشيخ محمد علي دبُّوز الأخطاء التي وقع فيها الشيخ عبد الرحمن الجيلالي فيقول: "قال الأستاذ عبد الرحمن: (ويومئذ أخذ أمر البربر في الضعف والانحلال إلى أن قضى عليهم يزيد بن حاتم) والحق

---

[1] - المصدر السابق نفسه، ص: 02.

[2] - نفسه، ص: 02.

أن يزيد لم يقض على البربر كما أورد الأستاذ بل انتصر عليهم"[1].

ويبيّن الشيخ دبُّوز تناقض الأستاذ الجيلالي في بعض المواضع التي أرَّخها في كتابه قائلا: "وقد ناقض الأستاذ عبد الرحمن نفسه فبعد أن ذكر لنا أن يزيد بن حاتم قضى على البربر أخذ بعد قليل يحدِّثنا عن الدَّولة الرستمية البربرية الناشئة في ذلك العهد وقوتها والدولة الإدريسية في المغرب الأقصى"[2].

ويعيب الشيخ محمد علي دبُّوز ظاهرة نقل التاريخ وعدم التأكُّد من صحَّته: "وقد أورد الأستاذ عبد الرحمن الجيلالي نصًّا أرى أنَّه نقله من المؤرِّخين القدماء الذين ينظرون نظرة سياسية إلى المغرب فيرونه كما يُصوِّره الهوى"[3].

بعد استعراضنا للمقال النَّقدي نلمس أنَّ جل الجوانب النَّقدية مسَّت الكتابة التاريخية عند الشيخ الجيلالي بشكل لافت؛ وهذا لكون الشيخ محمد علي دبُّوز أستاذا في التاريخ وباحثا في كوامنه وأسراره؛ والجوانب النَّقدية التي أبرزها هي:

الإيجاز وإغفال حلقات مهمة من تاريخ الجزائر العام.

---

[1] - نفسه، ص: 09.

[2] - نفسه، ص: 09.

[3] - نفسه، ص: 09.

وجوب المقارنة مع المؤرِّخين السَّابقين والاستفادة من خبراتهم في كتابة التَّاريخ ابن الأثير وابن خلدون والطَّبري.

الاقتصار بشكل واضح على تاريخ الجزائر في الإسلام وتفصيله جيدا على حساب تاريخ الجزائر العام.

الترجمة المخلَّة بشخصيات الجزائر العظيمة قبل الإسلام في ميدان السياسة والنِّضال كمصينيسا وصيفاقس، ومصيبسا، ويوغورطة، ويوبا الأوَّل...

قلة الأشكال البيانية المساعدة في التأليف والتأريخ كالجداول الموضِّحة البارزة.

التقديم والتأخير بين الفصول والأبواب بدون ترابط منهجي وتنسيق محكم بينها.

تقديم نبذة مختصرة عن تاريخ الجزائر قبل الإسلام بما يُعطي للمثقف صورة مبتورة عن أمجاد وطنه.

عدم إثبات الهنات والأخطاء التاريخية السَّابقة التي يجب أن تنقل للاعتبار والادِّكار.

بساطة الأسلوب، والاختصار المقل، والتقصير المخل في بعض الفصول، وعدم التدقيق في بعض الحوادث.

الأخطاء المعرفية في نقل الأحداث التاريخية.

تناقض المؤلِّف مع نفسه في بعض المواضع.

نقل التاريخ نقلا حرفيًّا –أحيانًا- وعدم التأكُّد من صحَّة معلوماته وأخباره.

المقال الإصلاحي:

يقول الشيخ محمد علي دبُّوز في مقال له بعنوان (أسباب ثورة البربر على الأمويين):» قاتل الله حبَّ المادَّة فإنَّه إذا خالط القلوب طلع فيها طلوع السَّحاب الذي يُطفئ كل النجوم فتموت فيها الرَّحمة والإحسان، وتزول منها الشَّفقة والحب، وتتضاءل عندها كل المعاني الرفيعة فتدوسها، وتتصاغر في نظرها كل الأقدار السامية فتهينها، فتراها لا تُقدِّس إلا المال ولا تؤثِّر إلا أصحابه، ولا تشرف إلا جهته، ولا تعامل بالحب إلا من يكون طريقه إليها، ولا تطأطئ إلا لمن يكون موردها في المال فتعامله بالشفاه لا كما يفعل الحبيب بل كما يفعل الحيوان الممتص للدماء إذا شرع خراطيمه في فريسته؛ فإذا غاض راته وهادا لا تكون عندها رياضا للحديث بل حفرة للحدث لأن المال هو كل شيء عندها، أما أصحابه وإن جلوا فهم عندها قشور الثّمار إذا ذهب لبُّها وتراها تجلُّ كل طريق يتدفق عليها بالمال وإن كان مسبعة لا يشتعل لها إلا بالعداوات ولا يمكن لها فيه إلا الهلاك وتتسخط وتثور على كل إنسان يرزئها شيئا من المال فتعامله كالأعداء فتنكل به وهو الحبيب الوامق والسَّاعد الموافق؛ لأن

المال هو الحبيب الذي لا يقبل الشَّركة في القلب، والمعبود الذي لا يرضى بالمزاحم في الفؤاد فإذا أنشب مخالبه في المرء استأثر بحبه وأعمى بصره فلا يرى شموس الدنيا وأقمارها ونجومها إلا المال، أما الأقمار والنجوم فهي حصباء الوادي فما أبخسها في نظره وإن طرب منها بشيء فصريرها تحت أقدامه "[1]

نلمس في هذا النص الجانب الإصلاحي متمثلا في: الابتعاد عن حبِّ المادَّة التي تُعمي الأفئدة والأبصار، وتُبعِد عن الأخلاق الرَّفيعة: (الرَّحمة، الإحسان، الشَّفقة، الحب) وتزول عن النفس البشرية نوازع الإنسانية والخير، وتدخل إليها نوازع الشر، وتصبح قاسية شبيهة بالحياة الضَّارَّة، والمال يُورِّث العداوة والبغضاء بين النَّاس ويحوِّل الصَّداقة والصُّحبة إلى صراع وسوء تفاهم.؛ فحبّ المال الشديد -إذًا- ينزع العاطفة من الذات الإنسانية وتقل منها الجوانب الروحية وتصبح مادية صرفة.

وفي مقال آخر يوضِّح الشيخ محمد علي دبُّوز الجانب الأخلاقي في كتابات الأديب مصطفى صادق الرافعي: "والرَّافعي مع عبقريته التي لا تُضاهى في الأدب مصلح اجتماعي من أكبر مصلحي هذا الزَّمان؛ فأدبه أداة لإيمانه وغيرته ينير به الطريق لقومه ويهزهم لليقظة ويُوجههم للمُثل

[1] - محمد علي دبُّوز، جريدة البصائر، العدد: 318، مصدر سابق، ص: 05.

العليا الكريمة ولعزَّة الإسلام وقوتِّه، وليس أدب الغرائز المنحطَّة كالأدب الذي يمج به بعض الذباب الذي أنشأته دمن أوروبا للشرق فنشر فيها الوباء. والرافعي ممن أضرم الثورة على الفساد واللادينية والميوعة في الشَّرق ودعا إلى الأخذ بأسباب القوة المعنوية والمادية، وإذا قرأت مقالاته: يا شباب العرب، لو...أيها المسلمون، الأخلاق المحاربة، ثبات الأخلاق، وغيرها كثير قد نشره في آخر الجزء الثاني من وحي القلم"[1].

يوضِّح الشيخ محمد علي دبُّوز الاتجاه الإصلاحي البارز في كتابات الأديب مصطفى صادق الرافعي، ويجملها كالتالي:

الإصلاح الاجتماعي والتربوي انطلاقا من الكتابة الأدبية.

اتخاذ الأدب وسيلة لنشر القيم الدينية التي جاء بها الإسلام الحنيف: (دعوة النَّاس للطريق المستقيم، الإيمان، العزّة والغيرة للدين..).

التحذير من الإيديولوجية الغربية التي تنشر الفساد والميوعة والإلحاد.

الدعوة إلى الأخذ بأسباب القوة المعنوية والمادية؛ فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.

الدعوة إلى مكارم الأخلاق والفضيلة، والثبات عليها.

---

[1] - نفسه، ص: 05.

النُّصح والإرشاد لخواص النَّاس وعوامهم.

3- خصائصها ومميزاتها الفنية:

بعد تتبع مقالات الشيخ محمد علي دبُّوز ومعرفة أنواعها تبدَّت لها خصائصها ومميزاتها -أثناء قراءتنا- واتَّضح لها أسلوبه الشخصي وطريقته الذاتية في الكتابة؛ ويمكن إجمال تلك الخصائص والمميزات فيما يلي:

توظيف الصُّور البلاغية بشكل جلي؛ وبخاصة التشبيه؛ وهذا لتقوية المعنى وتوضيحه من جهة، وتقبيح المشبَّه وتزيينه من جهة أخرى؛ وكما هو معلوم أن التشبيه يُؤدِّي عدَّة أغراض جمالية وتعبيرية مما قد يعجز عن أدائه التعبير الحقيقي. يقول الشيخ دبُّوز في حديثه عن الذين يستغلون النَّاس، ويؤثرون المال:» لا كما يفعل الحبيب بل كما يفعل الحيوان الممتص للدماء إذا شرع خراطيمه في فريسته؛ ؛ لأن المال هو الحبيب الذي لا يقبل الشَّركة في القلب، والمعبود الذي لا يرضى بالمزاحم في الفؤاد. فلا يرى شموس الدنيا وأقمارها ونجومها إلا المال، أما الأقمار والنجوم فهي حصباء الوادي"[1] فيُشبِّه النَّاس الذين يستغلون أموال غيرهم بالحيوان الذي يمتص دماء فريسته وينهش من جسدها، كما يُشبه المال بالحبيب الذي لا يقبل الشَّراكة في القلب؛ لأنَّ القلب غالبا ما يتعلَّق بمحبوب واحد، ويُشبِّه المال كذلك بالمعبود الذي يتذلل له جل النَّاس

[1] - محمد علي دبُّوز، جريدة البصائر، العدد: 318، مصدر سابق، ص: 05.

ويركعون له ولا يرضون معبودا دونه، وصاحب المال لا يرى جمال الكون والطبيعة ومظاهرها الخلابة ويستمتع بها بل يراها كأنها لا شيء! ولا حَدَث! وكأنها حجارة الوادي الصَّماء التي تجرفها الأودية والسُّيول. ومن الصُّور البلاغية التي نلمسها في النَّص: الاستعارة، ومثال ذلك قوله: "...وقد أنشب حب المال مخالبه في بني أمية فكانوا على هذه القَساوة... فإذا أنشب مخالبه في المرء استأثر بحبه وأعمى بصره"[1] فهاتان الاستعارتان (أنشب حب المال مخالبه، أنشب مخالبه) - وإن كانتا مُكرَّرتين- إلا أنَّهما كانتا على غاية من الجمال الفني والإبداع الأدبي؛ حيث شبَّه محب المال بالحيوان المفترس الذي يُنشب أظفاره وأنيابه في الضحيَّة ليفتك به ويقضي عليه؛ وقد شبَّه الشيخ دبُّوز هذه الصُّورة بحكَّام بني أميَّة الذين كانوا يسوسون النَّاس بالظلم والاستغلال والقهر ماديًّا ومعنويًّا؛ وإذا دخل في أية أمة حبّ المال الذي يكون من ورائه ظلم العباد وقهرهم؛ فإنها ستصاب بعمى البصيرة فلا تعلم حينئذ أي طريق تسلك.

استخدام المحسِّنات البديعية بطريقة عفوية لا تكلُّف فيها ولا تعقيد؛ وهذا لتحسين المعنى وإعطائه بعدًا جماليا؛ وأغلب المحسنات حضورا وأكثرها استخداما السَّجع؛ حيث يعطي فواصل إيقاعية ونغمات عذبة بين الكلمات والعبارات، ومن أمثلة ذلك قوله: "...وهو الحبيب الوامق

---

[1] - نفسه.

والسَّاعد الموافق"[1] فالسَّجع هنا بين حرف القاف في كلمة الوامق، والقاف في كلمة الموافق، وقد أعطى للكلمتين موسيقى جميلة وتوافقا نغميًّا عذبا. وفي موضع آخر يقول: "مات الرافعي ولم يضع لبنة على لبنة ليترك لأبنائه نسبا، ولكنه ترك لهم أدبا"[2] فالسَّجع هاهنا بين كلمة نَسبا وأدبا، وما أجمل استخدامها للتوضيح أنَّ الرَّافعي رفع نفسه بأدبه وأخلاقه لا بنسبه وانتمائه وعرقه. ويواصل الشيخ دبُّوز حديثه عن الرافعي موظفا السَّجع قائلا:" وملَّكهم الأفئدة الطَّاهرة العبقرية من الأمم العربية"[3] فنلمس السَّجع في هذا الكلام بين العبقرية والعربية وهي الأخلاق والمكارم التي ورَّثها الرافعي لأبنائه.

استخدام القاموس العربي القديم الذي يدلُّ على محاكاة القدامى وأساليبهم، وجلُّ الذين أُغرمَ بهم الشيخ دبُّوز هم الشُّعراء العبَّاسيون حسب ما يصرح هو بعظمة لسانه قائلا:» إنَّ كتب الرافعي من المعاصرين وكتب الجاحظ والمعري وديوان المتنبي وديوان أبي تمام من القدماء لا تفارق مكتبي"[4] فمن خلال هذا الكلام يتبين لنا تتبع الشيخ دبُّوز لطريقة القدامى في اللغة والأسلوب وقد ذكر أعلامهم كالجاحظ والمعرِّي

---

[1] - المصدر السَّابق نفسه، ص: 04.

[2] - نفسه، ص: 04.

[3] - نفسه، ص:04.

[4] - نفسه، ص: 02.

والمتنبي وأبي تمام المتمرِّسين في الكتابة النثرية و الإبداع الشِّعري؛ وقد تبلور هذا التأثر في المفردات والألفاظ التي استخدمها الشيخ محمد علي دبُّوز في مقالاته مثل: (الصفوة، الرعية، القرباء، البُعداء، صناديد، أريج، مسبعة، الوامق، صرير، الرياض، الوِهاد، المزبد، الأشم، الخضم، الذُّرى، السوام، الحيف، السنان،...).

توارد الأسلوب الإنشائي لاستثارة العواطف والأحاسيس واستنهاض الهمم والعزائم؛ ومثال ذلك قوله: "أما تاريخ الجزائر عموما وتاريخه قبل الإسلام خصوصا فلا يعرف الجزائري منه إلا عناوين، والمثقف إلا حقائق جافَّة لا تخلق روحا ولا تذكي نفسا يا قوم!"[1] وظَّف الشيخ دبُّوز في حديثه هنا النِّداء (يا قوم!) لغرض التحسُّر على الإنسان الجزائري الذي يجهل تاريخه ولا يعرف من ماضيه إلا أشياء بسيطة لا تغني ولا تسمن من جوع؛ ويحرض من خلال تحسُّره على الانكباب على ماضي الجزائر واستيعابه والاستفادة منه كله بغضِّ النَّظر عن الحقبة التي حدث فيها. وفي حديثه عن مجد الأديب مصطفى صادق الرافعي يقول: "ليت الزمان أسعف فبقي الدار في أسرة الرافعي وبقي مكتب الرافعي فيها على حاله كما بقي مكتب سعد زغلول...ليت مصر التي رفعها الرافعي في القلوب أكثر من سَعد، وتفانى في مجدها أكثر من سَعد، وتَرك لنا كنوزا زاخرة لا تُقدَّر بقيمة أكثر مما ترك لها سعد عرفت واجبها لهذا الرَّجل العظيم فأبقت

[1] - نفسه، ص: 02.

داره دارًا للعلم"[1] استعمل الشيخ دبُّوز الصِّيغة الإنشائية (ليت) التي تدلُّ على التمني، وهو يتمنى أن تُبقي مصر على دار الرافعي وتهتم بعلمه كما اهتمت بسعد زغلول الرجل السياسي؛ وفي هذا الحديث إيحاء بالتألم والتحسُّر في نفسية الشيخ دبُّوز؛ إذ أصبح النَّاس يهتمون بالسياسيين وأصحاب المناصب والصَّدارة ويُهملون الأدباء والعلماء والمفكِّرين.

توارد النَّفي والإثبات باستمرار؛ وهذا بغية نفي معلومات مغلَّطة وأحداث تاريخية مزيَّفة، وإثبات الحقيقة من مصادرها الأصلية والأصيلة بطريقة منطقية، أو نفي شيء وإثبات ضدِّه، وفي هذا الصَّدد يقول الشيخ محمد علي دبُّوز: "...فتراها لا تُقدِّس إلا المال ولا تؤثِّر إلا أصحابه، ولا تشرف إلا جهته، ولا تعامل بالحب إلا من يكون طريقه إليها، ولا تطأطئ إلا لمن يكون موردها في المال"[2]

استخدام رمز الحيوان: "...فصار البربر أُسودًا لهم في العِراك طبيعة الشَّمس لا تتقهقر إلى الوراء، وذبَّ اللُّيوث عن الأشبال وثبات جبالهم في النِّزال"[3]."...وقد أنشأت تلك البقاع الفذَّة للجزائر في القديم أبطالها وصناديدها؛ وكان أسدُهم الذي خلع قلوب الدُّنيا ببطشه وبطولته

---

[1] - المصدر السَّابق نفسه، ص: 04.

[2] - نفسه، ص: 05.

[3] - نفسه، ص: 08.

يوغورطة"1. "وإذا كان المجد وراثة أيضا في الدِّماء فترفع رأس صاحبها فلا يستكين، وتجعل الفرخ من الصقور على التناهض للعُلى وإن لم يشاهد الآباء فيقتدى؛ فإن استعداد الإنسان للتأثر ببيئته تجعله في المجتمع الذي يتنكَّر لماضيه، ويُصوِّره على غير حقيقته، يثغو وقد خُلق للزئير، ويرى نفسه نعجة للحلب والذَّبح وهو الضِّرغام، وقد مُنيت الجزائر بهذا السُّم المميت "2، فنجد هنا الأسود والأشبال والليوث والصُّقور والضِّرغام للصَّناديد والأقوياء في آرائهم وحججهم ونظرتهم لأوطانهم ودفاعهم عنها، وأما الفرخ والنعجة فللضعفاء الذين يرضون بالذُّل والهوان والاستكانة، كما أنه وصف لمن يُنكر أصله ووطنه ومجتمعه، ومن هو جاحد لتاريخه وماضيه.

استخدام رمز الحشرات: "...وليس أدب الغرائز المنحطَّة كالأدب الذي يمجُّ به بعض الذُّباب الذي أنشأته دِمن أوروبا للشَّرق فنشر فيه الوباء"3. فالذُّباب وصف للأدب المنحط الذي تلوكه ألسنة المغرمين بالمدنية الغربية؛ حيث يرومون من ورائه الميوعة والفساد ونشر الأخلاق السيئة الضَّحلة.

---

[1] - نفسه، ص: 02.

[2] - نفسه، ص: 03.

[3] - المصدر السابق نفسه، ص: 08.

توظيف أسوب السُّخرية لتمرير رسائل فنية بطريقة متهكمة: "...الأديب الذي يبني الملَكة ويُمدُّ بالغذاء، ويرهف مواهب العقل كلها، وسواه من الأدب الصحفي الهزيل الذي يُغرم به أبناء هذا الزَّمن كاللُّبان الذي يمضغه الإنسان لا يحصل منه إلا على تعب الفكَّين!"[1]. "...وأنا لا أُتعِب النَّفس بالرَّد على هذا البهتان"[2] يسخر الشيخ دبُّوز من مرتادي الأدب الضَّحل ويصفهم بصاحب اللُّبان أو العَلك الذي يُتعب فكَّيه ويرهق أسنانه ولا يجني منه نفعًا ولا فائدة. ويقول لشيخه أبي اليقظان: "أنسخ بلعاب القَلم ما أفزعوا به القلوب من دعاية كقطع الليل حجبت الحقائق في العقول، وأوهمت المغرب أنها صناديده وهم صديده...إنهم قطط المغرب؛ إذا أسمعت يا سيدي صُراخ القِطط أنينها في جوف الدُّجى، فلا تحسبن ذلك من يناير ولكن من التوجُّع لزميلاتها التي ينقضُّ عليها صقر الكنانة"[3] ويتهكَّم من محرِّفي تاريخ المغرب الكبير ويصفهم بالقطط الطوَّافة التي لا تعرف ثباتًا ولا استقرارا في ثوابتها ومبادئها، ويراهم صديد المغرب حيث إنَّ ضرَّهم أكثر من نفعهم؛ وذلك لما تعوَّدوا عليه من تزييف الحقائق وتشويه التاريخ ونشر الدِّعايات المغرضة؛ ويصف نغسه بأنَّه صقر الكنانة الذي ينقضُّ عليهم بتجليته للحقائق والكشف عنها.

---

[1] - نفسه، ص: 02.

[2] - نفسه، ص: 03.

[3] - محمد صالح ناصر، أعلام وأقلام، مرجع سابق، ص: 550.

التناص مع القرآن الكريم: "...والرَّافعي أديبُ الخاصَّة لا يُغرم به إلا من يُجد ويجتهد في قراءته، فأنت في قراءته كمن يعرُج إلى السَّماء لابد بجهد ومحاولة"[1]. نلمس التناص القرآني في قوله (يعرُج إلى السَّماء) وهي إشارة إلى قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾[2] والمقصود منه أنَّ أُسلوب الرافعي مجهِد وأدبه رفيع؛ ومن يقرأه لابد له من مستوى عميق وتفكير رصين لفهم أفكاره وتحليل موضوعاته. ويقول في موضع آخر عن تاريخ الجزائر: "وهي فترة يجب على كل مؤرخ أن يُورد تفاصيلها لتكون حلقاته كاملة وأبوابه متسلسلة، وفروعه قائمة على أصولها"[3] فهنا يتناص مع قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا﴾[4] والمقصود من كلامه أن يتمَّ دراسة تاريخ الجزائر ومعرفة تفاصيله دون حذف أو نقصان أو نسيان؛ وهذا ليسنَّى للقارئ معرفة تاريخه كاملا غير منقوص ثابتًا غير محرَّف ولا مزيَّف. ويبدو أنَّ التناص مع القرآن عند الشيخ دبُّوز مستلهم من ذاكرته الأمينة التي حفظته فيها ووظفه -هو- في كلامه مستلهما منها.

الجرأة والصَّراحة في نقل الأخبار والحقائق ونقد أخطائها؛ يقول

---

[1] - محمد علي دبوز، جريدة البصائر، مصدر سابق، ص: 02.

[2] - سورة سبأ، الآية: 02.

[3] - محمد علي دبُّوز، جريدة البصائر، مصدر سابق، ص: 07.

[4] - سورة الحشر، الآية: 05.

الشيخ دبُّوز: "وقد وصف الشيخ عبد الرحمن الجيلالي في كتابه البربر بالفوضى، وأنهم قوم لا يرضون بأي سُلطة فابتعد عن الصَّواب كل الابتعاد وظَلم البربر ظُلمًا لا يغتفر، وشَتم نفسه شَتمًا لا يرضاه غيور، وأورد كلاما لا يُؤيِّده ما أورد في كتابه من وصف جميل لدول البربر، فناقض نفسه مناقضة شنيعة، وحشَر في كتابه ما لم يتدبَّر معناه ولم يَعرف مصدره "1 فقد كان الشيخ دبُّوز جريئا جدًّا وصريحا في النَّقد حيث ذَكر الهنَّات التي وقع فيها الشيخ عبد الرحمن الجيلالي عند تأريخه لصفات البربر، إذ ابتعد عن المنهجية العلمية وغلَّب الهوى على العقل، ولم يتتبع مصادر التاريخ الأصيلة ليتبين صوابه من خطئه. ويقول لشيخه أبي اليقظان: "وأذكر أنَّك غضبت في سنة (58) لما أطلعتك على ما كتبت في حروب تاهرت، ولا زالت أسبابها الخفية لم تتبين، هل من الحكمة وقد أثبتها الأزهار والسِّير وابن الصَّغير بأسلوب يدين تاهرت، أن نكفَّ نحن فلا نبيِّن الأسرار الخفية التي خلقت تلك الحروب"2. يبين الشيخ دبوز لأستاذه الشيخ أبي اليقظان ضرورة التصريح بالأسباب التاريخية للحروب التي وقعت في تاهرت عاصمة الدولة الرستمية؛ إذ ليس من المعقول علميًّا ومنهجيًّا إخفاؤها في كتابة التاريخ الذي وُضع أصلا للعبرة من الأحداث السَّابقة والاستفادة منها تجنُّبا لتكرارها والسُّقوط فيها مرَّة

---

[1] - محمد علي دبُّوز، جريدة البصائر، مصدر سابق، ص: 03.

[2] - محمد صالح ناصر، أعلام وأقلام، مرجع سابق، ص: 561، 562.

أخرى.

خاتمة:

وفي ختام هذه الورقة البحثية لا يسعنا إلا أن نثني بدور الشيخ محمد علي دبُّوز في خدمته للتاريخ والتراث والفِكر والأدب الجزائري؛ حيث قدَّم لمجتمعه وأبناء وطنه الكثير من المعلومات والأفكار التي كاد أن يطويَها النِّسيان وتأكلها الأَرضة من مؤونة المخطوطات المكدَّسة في المكتبات والمعاهد داخل الوطن وخارجه؛ لكنَّ الله قيَّضه أن يبعثها من مماتها ويُحيي ما اندرس منها في كتبه ومؤلفاته التي تتكلم وحدها عن مجهوداته وتضحياته مما تركه مطبوعا أو مخطوطا؛ وعند دراستنا لمقالاته خلصنا إلى النتائج الآتية:

تنوُّع مقالات الشيخ محمد علي دبُّوز في محتواها وموضوعاتها، وتفرّعها إلى: مقال أدبي ونقدي وتاريخي وإصلاحي.

احترام خصائص المقال وتتبع إجراءاته المنهجية من مقدّمة تمهيدية وعرض موسَّع ومفصَّل وخاتمة مختصرة موجزة.

الرَّبط بين الأحداث التاريخية، والتركيز على ثنائية الزمان والمكان، وذِكر الأسباب والنتائج؛ ومحاولة إسقاطها على الواقع المعيش.

الاعتماد على السَّرد والوصف والحجاج والإخبار في موضوعاته

والتنوع فيها ردءًا للملل والرَّتابة، وتنويعا في طريقة العرض والكتابة.

الاعتماد على الحجج والأدلة والبراهين في نقل الأخبار، والنَّقد الجريء لأصحابها مع التحليل والتعليل.

استخدام الأسلوب الإنشائي بشكل لافت في مقالاته والتنويع في صيغه وأشكاله، ومما لاحظناه جليا هو: توارد المحسنات البديعية والصُّور البيانية والصِّيغ الطلبية.

اقتراحات وتوصيات:

تنظيم طبعات متتالية لهذا الملتقى، وتسليط الضَّوء أكثر على النظرة التاريخية في مؤلفات الشيخ محمد علي دبُّوز نظرا لأهمية التاريخ وحساسيته خصوصا إذا علمنا أنه يشكل أحد أسباب الحروب في الوقت الرَّاهن.

توجيه الطلبة والباحثين في مختلف مراحل التكوين (الليسانس، الماستر، الدكتوراه) في تخصصات الأدب والتاريخ وعلم النفس التربوي إلى دراسة تراث الشيخ محمد علي دبوز والعمل على تحقيق مؤلفاته المخطوطة.

إبراز الروح الوطنية والتاريخية والاجتماعية في مؤلفات الشيخ محمد علي دبُّوز، واختيار مقاطع مكتوبة لتدرج في المنشورات المدرسية، وتوجَّه بعد ذلك إلى وزارتي التربية الوطنية والتعليم العالي.

مصادر الدراسة ومراجعها:

أحمد أمين، النقد الأدبي، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، 1387هـ/1967م، ج:01، ط:04.

أنيس المقدسي، الفنون الأدبية وأعلامها في النَّهضة العربية الحديثة، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، 1980م، ط:03.

محمد صالح ناصر، أعلام وأقلام، جمعية التُّراث، القرارة- غرداية، 1438هـ/2017م، ط01.

محمد علي دبُّوز، جريدة البصائر، العدد: 312، 313، 318، 321، 323، 327، 328، 334، 340، 1374هـ- 1375هـ/1955م.

محمد عوض محمد، المقالة الأدبية، دار المعارف، القاهرة- مصر، 1951م، د.ط.

نخبة من الأساتذة، الأدب والأنواع الأدبية، تر: طاهر حجار، دار طلاس للدراسات والترجمة والنَّشر ، دمشق- سوريا، 1985م، ط:01.

الموقع الرسمي للشيخ محمد علي دبوز:
(info@cheikhdabouz.com)بإشراف مكتبة الصفاء، بلدية بريان، ولاية غرداية- الجزائر.

فن القصة في أدبيات الشيخ محمد علي دبوز

الخصائص الموضوعية والفنية

أ. علي موسى وعلي
جامعة غرداية

مقدمة.

لا يزال أدباء الجنوب الجزائري عامة وأدباء مدينة غرداية خاصة مدينين للباحثين والدارسين الذين ينتظرهم جهد كبير لقضاء هذا الدّيْن بتحقيق هذه الأعمال ودراستها ونشرها لجماهير القراء وتوزن حق وزنها، ومن هذه الحيثية تأتي أهمية هذه الورقة التي ستسلط الفكرة على الأعمال القصصية للشيخ "محمد علي دبوز"، والتي لم تسبق فيها أي دراسة حسب اطلاعنا، عدا بعض الدراسات الرائدة المهتمة بالترجمة الشخصية للكاتب أو بأعماله التاريخية. وقد توسلنا في هذه الدراسة بأدوات الاستقراء والوصف والتحليل:

- ✓ استقراء لبعض النصوص التي تبرز رؤيته الشخصية لفن القصة.
- ✓ وصف بيبلوغرافي، ثم موضوعي لعينة رباعية من قصصه.
- ✓ تحليل فني للعناصر الشكلية والخصائص الأسلوبية لهذه الرباعية.

أولا: "دبوز" بين الكتابة التاريخية" و"القصصية"

✓ لم يكن تفرغ الشيخ "محمد علي دبوز" للكتابة التاريخية أكثر من الكتابة الأدبية قضية تخصُّصية محضة، فهو ذو قدرة في البيان العربي وبراعة في التعبير الأدبي، ويعلل "محمد ناصر" ذلك الميول التاريخي بالحس الذي عُرِف عن كُتّاب الحركة الإصلاحية -إبان عقود الاستعمار- إذ يعتبرون أن (القلم) أداةُ جهاد وكفاح، وأن (الحرف) مسؤولية أمام الله والتاريخ والأمة، والكتابة التاريخية هي أقرب طريق للاستجابة لهذا الحس الواعي1.

✓ ورغم البروز العلمي للكاتب "دبوز" إلا أنه بشخصيته الأدبية أثرى البيئةَ التعليمية وأثّر في قلوب المتعلمين لِما تميّز به من خفة الظل وأسلوب النكتة، فامتلكهم بأدبيته الساحرة «وهم من أجل ذلك أحبوه حب الصديق، واحترموه احترام الوالد»2، وهذه النزعة الأدبية أثرت على نظرته إلى طبيعة الكتابة "التاريخية" ودورها الحضاري، فعظَمة التاريخ تكمن في جمعه بين طلاوة اللغة الأدبية وصرامة الحقيقة العلمية، يقول: «إن الكتابة التاريخية هو الفن العظيم... في

1 - ينظر: ناصر محمد صالح، محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ، دار البعث، قسنطينة، نشر: مكتبة محمد علي دبوز، بريان، ص 28.

2 - م ن، ص 07.

أسلوب أدبي طلي يحببه إلى القراء، وفي تحليل علمي وبحث نزيه يُصفِّيه من الأكدار والأكاذيب...»1. فالكاتب قد اندفع إلى الكتابة التاريخية تحت الإحساس بالدور التربوي الحضاري الذي يجب أن يحدثه كِتاب "التاريخ" في قرائه، وهو الدور الذي لم يتكفل به الأسلوب العلمي الجاف الذي اعتمده المؤرخون في تسجيل التاريخ على قوالب حجرية لا رواء فيها، فهو في منهجه التاريخي «يقدم المادة التاريخية بأسلوب جديد في شكل خلاصات مركزة بأسلوب أدبي رائق، يزيد التاريخ وضوحا، ويضفي عليه رونقا ويكسبه طلاوة تحببه إلى النفوس، فكان إقبال التلاميذ على هذه الخلاصات عظيما...2، حتى أصبحت نصوصه ليست مجرد وثائق تاريخية، بل ظلت «معينا ثرا من الأدب العربي الغض، والأسلوب السلس المبين، فهو من القلة القليلة من المؤرخين المعاصرين الذين يكتبون التاريخ بأسلوب أدبي راق، ويستنطقون حوادثه متفاعلين معها... بكل خلجة من خلجات نفوسهم، وبكل خفقة من خفقات قلوبهم»3، وبغض النظر عن الانتقادات والجدل الذي أثاره هذا المنهج رفضا أو تأييدا، فلا شك أن المنهج العلمي سيكون ضيقا يضع حدودا لأدبية الأسلوب حتى لا تطغى على

1 - دبوز محمد علي، تاريخ المغرب الكبير، ج02، عالم المعرفة، ط 01، 2013م، ص 26، 27.

2 - محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ، ص 17.

3 - م ن، ص 07.

موضوعية اللغة والفكرة في كتابة التاريخ. ولعل هذه الصرامة هي أكبر محفز للكاتب "دبوز" أن يبحث عن متنفس فسيح في القصة الأدبية لتوسيع ما ضاق به التاريخ، من تحليل للشخصيات، وإبداء لتجربته الذاتية ورؤيته للأحداث، وتوظيف التصوير الأدبي لتجسيد الغائب في التاريخ من الظواهر والبواطن... وقد ترك الشيخ "محمد علي دبوز" مجموعة قصصية قيّمة، تضاف إلى جهود الأدباء الجزائريين الذين كانت لهم الريادة في فن "القصة" الجزائرية، أمثال: محمد السعيد الزاهري، محمد بن العابد الجيلالي، وأحمد رضا حوحو، وعبد الحميد بن هدوقة، وعبد الله ركيبي... وغيرهم 1، علما أن بعض أعماله تعود إلى ما قبل "حرب التحرير".

- ✓ ثانيا: بيبليوغرافية الأعمال القصصية للكاتب "دبوز"
- ✓ يمكن تقديم صورة عن المجموعة القصصية في البطاقة التقنية التالية:
- ✓ هي مجموعة قصصية غير مطبوعة، معظمها مخطوطات يدوية بالحبر في أوراق الكراريس الصفراء.
- ✓ بعض الأعمال مشتت في ثنايا الوثائق، أو مرقون ضمن دراسات نقدية، تنتظر الجمع والمراجعة والطبع.
- ✓ عدد الوثائق: 39 وثيقة تحوي مكررات، أو قصصا ذات أجزاء متعددة.

1 - ينظر: شريبط أحمد، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، دار القصبة، الجزائر، 2009م، ص 63 وما بعدها.

✓ عدد العناوين القصصية المعلن عنها: 25 عنوانا.

الإغراء	المكيدة	الصديق الخائن	الشهيدة (مأساة مزاب)	ببين المنشار والمطرقة والمسمار
الفداء	كيف لقبت؟	الأمنية الغريبة	أيوب بن العباس	عبد الله بن ياسين الجزولي
الهجرة	حياة الأسد	آمال تتبخر	إلى الرفيق الأعلى	إمامة الإمام عبد الوهاب
الشكاية	حمائم المسجد	الضيف الطريد	الغريب المكتئب	غريب في وادي مزاب
المنشار	محمد العروس	خروج الأسد	الإمام أفلح	الشباب يلبس ثوبا قشيبا

✓ تتراوح صفحات القصة الواحدة بين صفحتين (02) وخمس وعشرين (25) صفحة.

✓ مجموع صفحات المجموعة كلها: أربعمئة وثمانية عشر (418) صفحة مخطوطة1.

✓ ثالثا: الخصائص الموضوعية لرباعية قصصية

✓ ولحصر مجال الدراسة في هذه الورقة القصيرة سنكتفي بدراسة عينة متكونة من أربع قصص:

✓ الشهيدة (مأساة مزاب): قصة إنسانية، تحكي حادثة مأساوية

1 - ينظر: الموقع الرسمي للشيخ محمد علي دبوز، تراثه وإنتاجه الفكري غير المطبوع (المخطوط)، مكتبة الصفاء.

حقيقية عن "فاطمة" الأرملة تعلق قلبها بالمسجد ودروسه، وبالبيت وشؤونه، تسترزق بالنسيج لتكفي نفسها وعيالها، متشبعة بالروح الدينية والاجتماعية، تمثل المرأة المزابية الراشدة. ساقها القدر ذات يوم إلى التوجه غير معتادة إلى بستانها، وكان عمها يتكفل لها بذلك، فغاب يوما، وهناك لقيت مصيرا مشؤوما، حيث غدر بها غرباء فاغتالوها ومثلوا بها، ووُجدت ملقاة تحت ألسنة النيران المشتعلة في منظر مفزع.

✓المكيدة: قصة تاريخية، مقتطفة من صراع سياسي في صدر الدولة الرستمية بتيهرت، إذ كان "يزيد بن فندين" يقود حركة معارضة سرية ضد الإمام الثاني "عبد الوهاب"، وفي ليلة خطط "يزيد" لمكيدة يتخلص بها من غريمه اغتيالا، فهيأ لذلك أحقد رجاله وأشجعهم ليتخفى داخل صندوق يستودعه كأمانة عند الإمام، لتنفذ المكيدة في الغسق، لكن نباهة الإمام وفراسته حال دون نجاح الخطة، ليصبح القاتل المنتظَر مقتولا في صندوقه، وتنقلب المكيدة إلى مصيبة على أصحابها1.

✓الصديق الخائن: قصة اجتماعية، تحكي حادثة خيانة من "سعيد" لصديقه الشيخ "أحمد" إذ ترك زوجته "مريم" -التي أحبها وفتن بجمالها سحرها الأخاذ- في منزله بالواحات ليبيت في المدينة لبعض

1 - قصة (الشهيدة) و(المكيدة) مطبوعتان ضمن كتاب: محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ، ص 61 وما بعدها.

شؤونه، وللثقة الكبيرة والصداقة المعهودة أخبر صديقه "سعيدا" بأمره، فرتّب هذا الأخير لخيانة صديقه في زوجته، لكنه أصبح ضحية لتلك الزوجة الداهية التي استدرجته فيما يريد حتى تمكنت منه وقتلته، وفي الصباح فوجئ زوجها بالمنظر المرعب، ولم يملك إلا أن يحفر له قبرا خفيا في بستانه، ثم تظاهر بمشاركة الناس في حركة البحث، ثم العزاء على الفقيد1.

✓ الإغراء: قصة غرامية، تصور الصراع الداخلي والخارجي لفتاة اسمهما "زينب" والتي تمثل الفتاة العاشقة المستسلمة لعواطفها وعواصفها، أغرمت بفتى اسمه "سليمان"، اتسم بالتدين والعفاف رغم ما وهبه الله من فتوة وجمال وجاذبية وما يعرفه من انشغال معظم فتيات الحي به والسعي لكسب ودّه. والقصة تصور حادثة تاريخية حقيقية لشاب اسمه "أبو الربيع سليمان الشماخي"، إذ فاجأته امرأة وهو في بستان جده وحيدا، لكنه تعفف وواجه بحزم مراوداتها وحتى تهديدها، فسلم2.

✓ إن القارئ لهذه الرباعية القصصية حين يركز تأملاته على الخصائص الموضوعية والمضامين الفكرية سيجدها تتضمن خطة متكاملة منسجمة صادرة عن خلفية فكرية ورؤية فنية وحاجة نفسية كانت الكتابة القصصية استجابة لها من خلال تمحورها حول ثلاثة

1 - قصة (الصديق الخائن) مخطوطة أصلية مصورة بخط الكاتب، تتضمن 08 صفحات.

2 - قصة (الإغراء) مخطوطة أصلية مصورة بخط الكاتب، تتضمن 11 صفحة.

أبعاد: التاريخي والاجتماعي والغرامي، وهي أبعاد ذات صلة وثيقة جدا بالرؤية الأدبية للكاتب إلى طبيعة القصة وأهدافها. نستعرضها فيما يلي:

- ✓ القصة التاريخية
- ✓ التاريخ ثروة ومدد للموضوعات القصصية:
- ✓ تتعدد المصادر الموضوعية للقصص الأدبي من تاريخية وواقعية ورمزية... لكن مصدرية التاريخ تأتي في الدرجة الأولى عند الكاتب "دبوز" إذ يدعو الأدباء إلى الاستثمار في هذه الثروة المتجددة الغنية النابضة بالحياة، فصبُّ التاريخ في الأوعية الأدبية ضرورة تربوية لتفعيل التاريخ في الواقع وترسيخه في النفوس، فيقول: «إن التاريخ مجال الأدب الأكبر، ومسرح الفن الأعظم، فاغمسوا فيه أقلامكم تأتوا لنا بالأدب الرفيع، واتجهوا إليه في القصة والرواية...» 1.
- ✓ إن "التاريخ" هو المصدر الأول لقصص "دبوز" بمختلف اتجاهاتها وأهدافها... فالوثيقة المخطوطة لقصة (الإغراء) قد تُوهِم القارئَ أنها مجرد قصة غرامية للتنفيس، لكن الكاتب يضع بجانب العنوان عبارة: (من أطياف السلف) ليربط القصة بالهدف التربوي وهو تقديم نموذج يوسفي تاريخي للشباب في مواجهة فتنة النساء، حين قال سليمان لزينب إذ تزينت لإغرائه:
- ✓ يا هذه إن المصباح لا يرى النهر الجميل من نعيمه فينغمس فيه،

1 - محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ، «نماذج من كتاباته» ص 45.

والطير لا يرى فخ الذهب حلية فيقيم فيه1.

✓ أو في قصة (الصديق الخائن) إذا أرفق هذا العنوان بعبارة (من دهاء السلف) ليشير بذلك إلى المنبع الثّر الذي يقطف منه بعض المواقف والأحداث المفصولة وينسج عليها بخياله وإبداعه، وذلك المنبع هو تاريخ السلف ومواقفهم الحقيقية التي تروى للأجيال.

✓الأدب طاقة لتفعيل التاريخ تربويا:

✓ لم يكن هذا النزوع التاريخي عند الكاتب مجرد نزعة متخصص يناصر مجاله، بل هي رؤية موضوعية عميقة نحو الأثر التربوي الذي يمكن أن يتحقق بالقصة التاريخية دون غيرها من الوسائل، فإذا كان التاريخ يخدم الأدب ويزوّده بالموضوع الأولي، فإن الأدب يخدم التاريخ ويفعّله بالأثر التربوي، فيقول: « إن التاريخ هو الذي يمَكّننا من اختيار البيئة الاجتماعية الصافية الراقية التي نُحدِث بها الآثار التي نريد في التلميذ، أما البيئة الاجتماعية الواقعية فقد لا تطاوعنا ولا نستطيع أن نجد فيها كل ما نريد... أما في التاريخ فنستطيع اختيار العصور الزاهرة، و الشخصيات العظيمة كالرسول والصحابة والتابعين والسلف الصالح من أئمتنا..»2.

✓ ولا ينفك الهدف التربوي الذي يحكيه الكاتب عن الأداة المفضلة الأولى للقارئ المتلقي وهو الأسلوب الجذاب. ويؤكد "دبوز" تفوقَ

1 - الإغراء، ص 11.

2 - تاريخ المغرب الكبير، ج02، ص 16-.

الفكرة التاريخية على الفكرة الوعظية في التأثير الوجداني والفاعلية التربوية بما فيها من إثارة الخيال ومتعة القصص: «التاريخ يجسم جمال الفضيلة في سلوك الصالحين فنكون أكثر إدراكا له، وأشد إعجابا وأقوى تأثرا، ويجسم الرذيلة في سلوك المذنبين فنكون أكثر إدراكا لبشاعتها وأشد نفورا منها...»1، وهذه الوسيلة الأدبية تجعل القصة عن طريق فكرتها وفنياتها أكثر الأنواع الأدبية فعالية في الوعي الأخلاقي كما يرى الناقد الإنجليزي "والترألن"، إذ تتمكن من جذب القارئ إلى عالمها، فتبسط الحياة الإنسانية أمامه بعد أن أعادت صياغتها من جديد2.

✓ وذلك ما يلفت القارئ في هذه القصص التي يحرص فيها "دبوز" على تقديم شخصياته التاريخية من الزاوية التي يفضل إبرازها من تفكير ونفسية وسلوكيات وأقوال وأفعال... فمثلا يَعرض في (المكيدة) برنامج الإمام عبد الوهاب مجسّدا مجد الخلافة الراشدة «رجلا فذا في عمله ورجولته وتقواه، اتخذ القرآن نورا يمتلئ به فيهديه إلى سبيل الرشاد... وكان الإمام على سعة غناه متقشفا لا يأوي إلى القصور التي تورثه القصور، ولكن إلى دار بسيطة كعرين الأسد... يسرع إلى مكتبه إذا انتقل إلى المسجد ورتب حرس المدينة في أماكنهم بسعار متأجج

1 - تاريخ المغرب الكبير، ج02، ص 19.

2- ينظر: محمد زغلول سلام، دراسات في القصة العربية الحديثة، منشأة المعارف، الإسكندرية، د ت، ص 03.

لا يطفئه إلى التهام الكتب..»1، وقد يلمّح إلى خلق على لسان الشخصية الجديرة بالاقتداء، ففي (الإغراء) يخلّد مقولة الشاب "سليمان" التاريخية إذ تهدده "زينب" على طريقة امرأة العزيز بفضحه عند "جدّه" واتهامه بالتعرض لها، فيجيبها ممعنا في الإدبار: «انصرفي وقولي ما شئت، ففضيحة الدنيا أهون من فضيحة يوم القيامة»2، ولا يخفى ما في هذه النهاية من قيمة تربوية تمثل خلاصة القصة ومقصد رميتها.

✓ القصة الاجتماعية

✓ نستطيع القول إن الكاتب "دبوز" توسل بالقصة قصدا لتقديم صورة واقعية عن حياة المجتمع الذي نشأ فيه وانتمى إليه جسدا وعاطفة وفكرا، فهو في قصتي (الشهيدة) و(الصديق الخائن) يقلب صورة مجتمعه المحلّي أمام خيال القارئ ليطلعه من خلالها على مشاهد هذه البيئة الفريدة التي تشكل في مجموعها هوية الحضارة المزابية في الطبيعة والإنسان والأنظمة والأفكار، فـ"فاطمة" صورة للمرأة المزابية في عفتها وجدّها وكدحها، تعتبر القرار في المنزل سلوكا دينيا واجتماعيا راسخا: «وكانت ككل نساء مزاب قد صير المسجد عقيدة راسخة فيهن: أن اختفاءهن في البيوت اختفاء عروق الشجر في الثرى...»، ، ورعاية البيت والتكفل بالأسرة واجب ومبعث للراحة

1- محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ، ص 68.

2 - الإغراء، ص 11.

النفسية في الآن ذاته: «فتراهن في إسعاد الأسرة يتحملن كل شقاء ويستعذبن كل مرارة... وكانت بالنية الحسنة ترى في كل أعمالها معنى الصلاة فتنهل منها قرة عينها»1، وكون (فاطمة) أرملةً توفي زوجها وترك لها أولادا جعلها كغيرها من المزابيات لا تتوانى في حفظ كرامة أسرتها «ففجرت بنشاطها وبراعتها في النسج ينبوعا للرزق عاشت به في كفاية ... وكانت تعتقد أن الأمة ما لم تلبس من نتاج أبنائها فهي بادئة السوأة في أعين الأمم»2، كما أنها لا تنفصل عن ذلك المجتمع المسجدي الذي يمثل فيه المسجد عصب الحياة، فمثلها من النساء غير المتزوجات يرغبن في ريادة المسجد للصلوات والتفقه من دروس المشائخ، وعادة ما يُرشحُهن ذلك تلقائيا إلى تقلد مناصب التوجيه والإرشاد والتعليم في المجتمع النسوي «وكان هذا الهيام بالمسجد غريزة فيها أنبتها المجتمع الذي يقوم على المسجد، ويراه أساسه في كل نواحيه»3، لكن الزاوية التي تعتبر نواة القصة ومبعث حكيها هي حادثة اختفاء المرأة ثم اكتشاف اغتيالها، فهذه سابقة خطيرة لم يعهدها هذا المجتمع الديني الآمن الذي جعل المرأة «ترى نفسها من الوادي في حرم لا تمتد إليها يد بأذاة ولو كانت وحيدة في فلاة»4، ولا ريب

1 - محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ، ص 53.

2 - المكيدة، ص 54.

3 - م ن، ص ن.

4 - م ن، ص 58.

أن الكاتب خط قصته تحت مرارة هذا الحدث الفظيع والبادرة الخسيسة إذ أبى إلا التنفيس عن نفسه المجروحة، ويختار لـ(الشهيدة) عنوانا ثانيا (مأساة مزاب) مؤكدا على حجم هذه الفاجعة التي لم تضرب (الشهيدة) أو أسرتها فحسب بل هي مأساة مجتمع كامل تتسرب إليه سموم المدنيات والمجتمعات المخرومة في دينها وفطرتها.

✓ وفي قصة (الصديق الخائن) تبرز صورتان للمجتمع تلفتان انتباه القارئ؛ صورة الحياة الطبيعية التي يتمتع بها الفرد المزابي في هذه الحضارة التي استطاعت صياغة جنات ريفية بجنب كل (مدينة) يأوون إليها في فصول الصيف الحارة أو في العطل الجُمَعية للراحة والاستجمام بين الأشجار وتحت الظلال والنسيم، إذ يُنطق الكاتبُ (سعيدا) مستفهما صديقَه (أحمد) عن سبب وجوده في (المدينة) أمسية الجمعة؟: «وما أظن إلا قد عاقك أمر جلل وجعلك تعاني آلام الحر بين جدران المدينة تاركا نسائم البستان العليلة ومناظره الخلابة، وتاركا (مريم) التي لا أظنها إلا قد أخذت زينتها كدأب فتياتنا في أيام الجمع وليالي السبوت..»1، كذا صورة الحياة الاجتماعية الزاخرة بمعادن الأنفس وصراع الطبائع، بين شخصية الرجل المجاهد الورع الطيب السريرة، وصديقه العتيق الذي انقلب إلى خائن ركبته نفسه الأمارة الشرهة، وبين هذا الخائن والزوجة التي تُخفي تحت لطف جسدها ووراء عفافها قلبا يتّقد دهاء وحزما وشجاعة، إذ رأت هذا

1 - الصديق الخائن، ص 02.

الخائن يلج بابها في غسق الليل، فناجت نفسها «هيهات.. ويلك يا أبله لقد استدنيت حتفك ودرجتَ إلى مصرعك... فتبالهت مريم وجعلت نفسها تحسب أنه زوجها وأنها لم تتبينه... وتدعوه باسم زوجها...»1، إنها صورة اجتماعية من دهاء السلف في استئصال الإجرام والمجرمين بحزم لا يشوبه خوف أو هوادة. إنها نماذج تقدم شريطا من التاريخ الاجتماعي للحياة المزابية في غرداية، والقصة - كما يراها الكاتب الإنجليزي "هـ. تشارلتون"- إن لم تصور الواقع فإنه لا يمكن أن تعد من الفن2.

✓ القصة الغرامية

✓ لقد عُرفت شخصية "دبوز" بالانضباط والصرامة في العلم والعمل والوظيف و«كان نسيج وحده في حياته الجادّة التي يُحمّل نفسه عليها نظاما دقيقا في تصرفاته وأعماله، ومحاسبة أدق على كل ثانية تمر من عمره، وصبرا وجلدا قويين على ذلك النظام وتلك المحاسبة»3. وحتى من الجانب الاجتماعي فإنه بعد جهد وصراع استطاع أن يبتعد بخطته العلمية عن ضوضاء مجتمعه الذي تميز بكثرة الارتباطات والتقاليد المتحكمة والمناسبات والأعراس المتوالية وجلسات الأسمار التي اعتاد الناس أن

1 - م ن، ص 05.

2 - هـ. ب تشار لتن، فنون الأدب، تر: زكي نجيب محمود، مصر، 1959، ص 160 .

3 - محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ، ص 07.

يتصدرها أمثاله من أهل الثقافة1، لكن تلك العزلة العلمية التي ارتضاها لابد وأن تُحوِجه إنسانيا ونفسيا إلى الترويح على فضاء المزحة والنكتة والفرجة مع أحبابه، خاصة في نهاية الأسبوع في بلاد الغربة، وهناك تظهر شخصيته الأدبية، فقد «كان في جلساته تلك مع إخوانه خفيف الروح، دائم الابتسام، يعشق النكتة الظريفة ويضحك لها من الأعماق، وهو يشيع جو المرح بين إخوانه حتى يخفف عن نفسه أتعاب الأسبوع المرهقة ويشحذ ذهنه لعمل مقبل»2.

✓ إن هذه النزعة الأدبية تظهر من خلال القصص العاطفي التي يخلع فيها ثوب العقل والفكر لينقاد لرومنسية الخيال وإملاءات العاطفة فينسج في قصتي (الإغراء) و(الصديق الخائن) عن مغامرات المحبين يصور فيها أحلام العاشقين ويجسد سلوك المغرمين ويسمع إيقاع القلوب النابضة والنفوس الهائمة، فهو يبرز الحديث النفسي الذي يمور في قلوب أهل العشق، فعلى لسان "زينب" يشخص تلك العبودية التي تكبل الهيمان وتسقط الجبابرة من كبريائهم: « أنا التي أضنيت الجبابرة واستعبدت العتاة فعفّروا وجوههم تحت قدمي، وغسلوا نعليّ بدموع التوسل ولثمات الرجاء، أنا التي كويت صدروهم بالصدود ووطئت على قلوبهم. يستعبدني هذا الفتى ويطأ على قلبي؟ ويتركني

1 - ينظر: م ن، ص 18.

2 - م س، ص 21.

في لهيب اللوعة والصبابة؟»1.

✓ وكان يمسك بريشة قلمه فيتحول إلى رسام بارع يتفنن في إبراز دلائل الحسن والجمال في تقاسيم الوجوه وتفاصيل القدود؛ إما على لسان "أحمد" وهو يغازل زوجه "مريم" في قصة (الصديق الخائن)، أو في شخصية "سليمان" كما تراه فتيات الحي من كوات البيوت: «كملت ألوان الشباب فيه، فطلع شاربه مقوسا في رشاقة وجمال، فبدا متألقا في زرقته بين حمرة الشفة وبياض الوجه كأنه قوس قزح في متون الغمام، وكان قدّه البديع تلوح عليه مخاييل الحيوية الكاملة والرجولة القوية»2. ولا يغفل الكاتب عن تتبع سلوكيات المغرمين التي قد تحولهم إلى التصابي والتغابي الذي يكون فيه المرء من خفة العقل وتهور النفس، فتلك "زينب" لا يكفيها الإطلالة الباسمة من النافذة «فلربما عصف بها الغرام وتملكتها الفتنة فأشارت إليه إشارات بارزة كاستطارة البرق، فلربما بالغت في إغرائها فأرخت غلالتها قليلا فانفرجت عن نحرها المشرق وجيدها الفاتن، فلربما تظاهرت بإغلاق النافذة فمدت ذراعها إلى مصراعها..»3، ويصور ضعف شخصية المولع فيَظهر "سعيد" وهو (الصديق الخائن) بطلا محتالا يقدم على مغامرة عاطفية متهورة لم يحسن نسج حبالها فسقط تحت طعنة "الزوجة الأبيّة" كالفأر

1 - الإغراء، ص 04.

2 - م ن، ص 04.

3 - م ن، ص 04، 05.

في المصيدة «فوثب سعيد وهو يرغي ويزبد، وتتوالى آهاته، فدنا من الدرج ليخرج من البيت، ولكنه لم يكد يصلها حتى خر مغشيا عليه، ولم يزد غير قليل حتى علت حشرجته وفاضت روحه»1، وكانت القصة نموذجا ساقه الكاتب ليقدم حلقة من حلقات مصارع العشاق الوخيمة.

✓ رابعا: الخصائص الفنية للرباعية القصصية:

✓ إن "القصة القصيرة" بمفهومها الفني تجربة غربية محددة الخصائص والعناصر، وقد أصبحت مفهوما مستوعبا وتجربة ناضجة في التجربة العربية منذ بدايات القرن العشرين، ثم نضجت في أواسطه في الأدب الجزائري وبالتحديد سنة 1947م على يد "أحمد رضا حوحو"، ويمكننا القول إن التجربة القصصية عند "دبوز" جاءت مبكرة فبعضها يسبق بعضها هذا التاريخ. فما هي طبيعة حضور عناصر القصة القصيرة في قصصه؟ وما هي الخصائص الفنية التي انطبعت بها؟

✓الموضوع: (الخبر)

✓هو المادة الأولية التي تتأسس عليها القصة وتمدّ خيوطها، ويشترط أن يتوفر على الوحدة الفنية ووحدة الانطباع، فالكاتب "دبوز" استطاع في (المكيدة) أن يستل من حلقات التاريخ الطويل حدثا فصله عن تراكمات التاريخ وشكّل منه وحدة متكاملة العناصر لا تزيد زمنيا على ليلتين. فالقصة القصيرة يجب أن «تعبر عن موقف، أو لحظة معينة، من الزمن في حياة الإنسان، ويكون الهدف هو التعبير عن تجربة إنسانية تقنعنا

1 - الصديق الخائن، ص 06.

بإمكان وقوعها»1.

✓وتعتبر (المقدمة) عنصرا هاما في إثارة اهتمام القارئ بالموضوع، إما بالتعريف بشخصياته كما في (الصديق الخائن) إذ يختفي الكاتب وراء لسان "أحمد" الذي كان غزله بزوجه تعريفا للقارئ بفتنتها التي تغري قلوب الخائنين. وقد يفتتحها بمشهد ذي إثارة وغموض كما في (المكيدة): «قال يزيد بن فندين لعصابته وقد اجتمعوا في ناديهم السري في مكان خفي بضاحية تيهرت...»2. وقد يقوم العنوان بخدمات المقدمة فتكون صياغته جذابة ومثيرة، وقد أحسن الكاتب اختيار عناوينه؛ فـ(الإغراء) يثير الإغراء، و(المكيدة) تزرع الفضول، و(الخيانة) توغر الصدور، و(الشهيدة) -المأساة- تستعطف القلوب، فهي تفتح شهية القلوب والأفكار.

✓إن (العقدة) في رباعية "دبوز" تتميز بالتنوع والثراء، فهي تتنامى طبيعيا وتتولد بفعل الصراع القدري الذي نتج عن الظروف السياسية المضطربة في (المكيدة)، أو عن الظروف الاجتماعية التي تحرك معادن الناس نحو مآلاتهم كما في (الصديق الخائن)، وقد تتغذى العقدة من الأحوال الغرامية والصراع الداخلي الذي تعيشه "زينب" مع نفسها، فتندفع بقوة ذاتية نحو مرحلة "العقدة" ثم الخيبة التي اكتمل بها الأثر المقصود.

1- عبد الله خليفة ركيبي، القصة الجزائرية القصيرة، ص 152.

2 - محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ، ص 59.

✓ فـ(النهايات) هي انفراج تتضح من خلاله مصائر الشخصيات والكشف عن أدوارها1، وهو ما نجح فيه الكاتب، إذ وفّر في هذه القصص ذلك الأثر الكلي الموحد بأحداث تماسك عضويا وتتنامى من المقدمة إلى النهاية، سوى ما يلاحظ في قصة (الشهيدة) فكانت نهاية القصة مفاجئة غير مقنعة ولا تجيب عن السؤال المفروض على العقدة عادة: لماذا اغتيلت؟ وما ذا بعد اغتيالها؟ وقد يكون ذلك الإغماض مقصودا ليُشرَك القارئ مع الكاتب ومجتمعه الآسي في غُصَّتهم التي لم تنفرج.

✓ الحدث:

✓ هو نواة القصة ولبّها، وكلما توفر الحدث على معنى، واكتسب صفة السببية والتلاحق، وعبر عن نفوس الشخصيات، فإنه يشوق القارئ ويشدّ انتباهه على طول القصة. وقد ركز الكاتب (دبوز) على عنصر الحدث أكثر من العناصر الأخرى، فعادة ما ينتقي قصصه من زاوية الحدث التاريخي أو الواقعي الذي يراه جديرا بالتخليد، كمكيدة أو خيانة أو اغتيال... ففي قصة "المكيدة" أو "الصديق الخائن" نجد أن الأحداث تتدافع وتتنادى وتلمح للمجهول حتى يتشوق القارئ إلى لحظة الإفصاح، ويمتلكه الفضول وينشدُّ إلى تلك الأحداث المنسوجة في نوايا (الصديق الخائن) وما سيفعله: «أطرق سعيد وطال إطراقه، وفكر ودامت فكرته، ثم نهض فجأة وقد استقر في نفسه شيء، ودخل

1- يوسف الشاروني، القصة القصيرة، ص 70- 71 .

داره فأخذ شيئا ولفه في ثوب...»1.

✓ وهذه الجاذبية تزيد (الحدث) أهمية لدى القارئ، وهو ما يفتقد في قصة (الشهيدة) إذ نجد الحدث فيها –الاغتيال- حدثا مفاجئا ودخيلا مفتقدا لعنصر السببية، لأنه يفتقد إلى أهم عناصره وهما (الحبكة) القصصية القائمة على تسلسل الأحداث الخارجية أو الصراع الوجداني2، و(المعنى) البنائي الذي يستسيغه القارئ ويحدث في نفسه أثرا عميقا3، فـ(المعنى) في قصة (الشهيدة) كان ناقصا لأن الحدث كان صدفة ولا يفسر الشخصيات.

✓ ولعل الحس التاريخي لدى "دبوز" جعله يعتمد طريقة واحدة في عرض الحدث وصياغته؛ فهو يعرض الحدث على الطريقة التقليدية وفق التطور السببي المنطقي: مقدمة- عقدة- خاتمة، ولم يعتمد الطريقة الحديثة المعتمدة على عرض لحظة (التأزم) ثم العودة إلى الخلف والارتجاع4. كما أنه يعتمد في صياغة الحدث على السرد المباشر معتمدا على ضمير الغائب، وهي طريقة ناجعة إذ تتيح الحرية للكاتب لكي يحلل شخصياته وأفعالها تحليلا دقيقا كما فعل مع شخصية الإمام "عبد الوهاب"، بخلاف طريقة الترجمة الذاتية المعتمدة

1- الصديق الخائن، ص 64.

2- مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربي، ص 81.

3- رشاد رشدي، فن القصة القصيرة، مكتبة الأنجلو مصرية، ط 02، 1964م، ص 50.

4- نسيب نشاوي، محاضرات الأدب العربي المعاصر، جامعة عنابة، عام 1984م.

على سرد الأحداث على لسان الشخصيات بضمير المتكلم، وهي طريقة محذورة قد توهم القارئ بأنها حقيقة، كما تضيّق على الكاتب في حرية استنطاق الشخصيات وتحليلها.

✓ النسيج القصصي:

✓ تعتمد القصة القصيرة على نسيج لغوي خاص، ذلك النسيج هو المسؤول على إبراز معادن الشخصيات وتفاوتها في الفكر والإحساس، فاللغة الموظفة في القصة تتنوع بين وصف وسرد وحوار، وتختلف باختلاف شخصيات العمل القصصي المتحاوِرة أو المفكرة.

✓ يعتبر (السرد) الركن الأول في لغة القصة، فقد أسهم بقوة في قصتي (المكيدة) و(الصديق الخائن) فميزها بترابط الأجزاء وتتابعِها بطريقة فنية محبوكة، خالية من الاستطراد الممل بتوفر عنصري (الوصف) و(الحوار)، فقد قام الوصف في هاتين القصتين مقام الألوان للرسام والنغم للموسيقي بالتوسل بالتشبيهات والاستعارات المكثفة، فكان عنصرا خادما للسرد ممهّدا للحدث، فهو يعرض ليلة التدبير لـ(المكيدة) «عكرة كأنها برزت من سواد القلوب التي تغل بالحقد، والريح تهب عاتية قارسة تصفع الوجوه كأنها سياط الطبيعة للناس كي يأووا إلى منازلهم فيخلوا المكان...»[1]، وقد يمتزج الوصف بعنصر (الحوار) حين تخاطب "زينب" صاحبتها بلغة متأزمة تستمد من معجم الوله وأحلام العشاق، فتقول: «أي أختاه، لكأن هذا الليل بظلماته الرهيبة،

1 - محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ، ص 65.

ووحشته الرائعة ساكن بقلبي، ليل بظلماته وأهواله ونجومه، ولكن نجومه جمرات الغرام المتقدة في صدري»1، هكذا يأتي الحوار مخففا لرتابة السرد، مشخصا لنفوس الشخصيات وأنماطها(2).

✓ والجدير بالملاحظة أن ما أضرّ بقصتي (الإغراء) و(الشهيدة) استطراد "الكاتب" في الوصف الغالب على السرد، فقد كان الوصف الداخلي لحالة (زينب) على طول ثلاث صفحات متتالية أشبه بمقامة لغوية يستعرض فيها الكاتب معجمه اللفظي الثري أو قدرته على افتكاك الصور وصوغها بكل أريحية، وذلك الاحتشاد للوصف أسقطه في تكلف التشبيهات وعرضها مفكّكة وبتفاصيل لا تخدم حركية السرد بل تقطعه.

✓ أما (الحوار) في قصة (الشهيدة) فلم يتميز بالتركيز والسرعة والإيجاز، فلقد أطالت "فاطمة" واستحوذت على الكلام لصفحات عديدة، فاستبدل الشاعر رتابة (الحوار) برتابة (السرد)، وذلك ما كشف عن الغاية التربوية الوعظية التي أرادها من الحوار.

✓ الشخصيات:

✓ أهم ما يلفت النظر هو أن "دبوز" جسد بشخصياته تجارب إنسانية مستساغة مقنعة للقارئ بوجودها وحدوثها، لأنه ابتعد عن الشخصيات الأسطورية والأحداث المفاجئة. وهو –بحكم الفترة المبكرة- يتعامل

1 - الإغراء، ص 01.

2- مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بيروت، 1974، ص 110.

مع الشخصيات بطريقة عفوية فيخضعها لطبيعة الموضوع، ولولا العناوين لما ميّز القارئ بين الشخصية الرئيسة (البطل) والشخصية (المساعدة) في قصتي (المكيدة) و(الصديق الخائن)، فشخصية "الصديق الخائن" لم تنل حظوة من التقديم والتعريف والتفعيل أكثر مما نالته "مريم"، لأن الكاتب قد ركز على الأحداث أكثر من تركيزه على أبطاله فتوزع اهتمامه وساوى (أبطاله) بالشخصيات (المساعدة)، ولا أدل على ذلك من توظيفه عنوانين لقصة واحدة؛ (الصديق الخائن) و(من دهاء السلف) وهي "مريم" وكأنه مشتت بين شخصيتين رئيستين. أما في قصة (الإغراء) فقد أتقن تقديم الشخصيتين؛ فـ"زينب" هي الشخصية الفاعلة ومن خلالها استطاع "الكاتب" تصوير فكرته حين أعطى لها حرية النمو والإرادة، وهو يراقبها في صراعها حتى أخفقت، و"سليمان" هو الشخصية (المعارضة) التي تمثل القوة المضادة لعرقلة مساعي "البطل" واحتدام الصراع وتوجيهه إلى نقطة (التأزم) وإقرار مصير البطل.

✓ أما (الشهيدة) فلم يكن وزن الشخصية في موضوع القصة بأهم من الحدث (المأساة)، فلم يكن هناك دور حقيقي فني يجسد مقام الشخصية الرئيسة فيها، لأن الحيوية والتفاعل مع الأحداث وتجسيد الصراع مع الذات أو الغير شرط فني أساس لنجاح القصة وعمق تأثيرها1.

1- عبد الله خليفة ركيبي، القصة الجزائرية القصيرة، ص 46.

✓ وقد نوع الكاتب في طرق عرض شخصياته ورسمها؛ فهو يوظف أحيانا الطريقة التحليلية المباشرة برسم الشخصية من الخارج كما فعل مع شخصية "فاطمة" الشهيدة أو الإمام "عبد الوهاب"، أو الطريقة التمثيلية غير المباشرة، إذ يترك للشخصية حرية التعبير عن نفسها بضمير المتكلم كما فعل مع "زينب" إذ تبث لصديقتها عن عواطفها الملتهبة وقد ضاقت بها الأرض على رحابتها: «أما والله إني لأحس بقلبي يرجف من طغيان الصبابة فيه كأن سحب الدنيا كلها قد انعقدت في سمائه... آه من حب ليس فيه إلا ليله، وآه من حبيب ليس فيه إلا إعراضه» 1. كما وظف كل الأبعاد في رسم الشخصيات بما يخدم حيوية القصة؛ فتارة يركز على البعد الجسمي الظاهري، وقد تجلى ذلك في شخصية "زينب" و"مريم" لما لحسنهما وجمالهما من دور في صناعة الأحداث، وتارة يركز على البعد الاجتماعي كما في وصف شخصية "سليمان" المثقف المتدين، أو شخصية "عبد الوهاب" الإمام العابد الملهم، فلشخصيتهما الاجتماعية دور في مواجهة (البطل) وتأزيم الصراع. وتارة يركز على البعد النفسي، بطريقة التمثيل كما فعل مع شخصية "زينب" التي تمثل حيوية "البطل" بصراعه الداخلي، أو بطريقة التجسيم كما فعل مع نفسية "ابن فندين" المغرورة المشوّشة: «وكان يزيد بن فندين ذا شخصية قوية، واعتداد بالنفس، يريه أنه في الحياة كالزهر المشتمل على الثمار في الشجرة، لا يكون إلا في أعلى

1 - الإغراء، ص 03.

الغصون، وإذا قُدِّر عليه أن يكون في الهامش ببعض الأمور سخط وثار وعمل في الدولة عمل الصخرة العظيمة، إذا وضعت في هامش السفينة تميل بها للغرق..»[1].

✓ البيئة الفنية (الزمان والمكان):

✓ ذكرنا كيف استطاع "الكاتب" أن يوفق إلى أبعد حد في الاختيار المركز للفضاء الزمكاني لقصصه، وكان ينتقيها بعناية فائقة محققا بذلك خصائصها الفنية في (القصة القصيرة)، فجاءت الأماكن محدودة جدا لا تزيد على الاثنين في كلّ قصة؛ فهي بين نادي (المكيدة) ومكان تنفيذها، أو بين بستان (أحمد) وشارع في (المدينة)، أو بين منزل (زينب) وبستان (سليمان)... ولم يكن (زمن) القصة إلا ومضة يقتطفها الشاعر من سياقها فينظمها في بنية سردية متكاملة العناصر من غير إخلال بالموضوع. كما كانت الشخصيات معدودة بين الاثنين والثلاثة، وذلك ما أتاح للقارئ أن يسيطر على تصوير الحدث القصصي ورسم شخصياته بنجاح معتبر، بما تقتضيه محدودية القصة القصيرة وفنية السرد.

✓ الأسلوب والتركيز:

✓ إن الممارس أو المتأمل في هذه الرباعية يكتشف الخصوصية التي يتميز بها الكاتب "دبوز" في تعامله مع اللغة القصصية ومفرداتها اللغوية وتراكيبها، فهو لا يتوانى عن إغناء نصوصه بأكبر معجم من المفردات

1 - م س، ص 66.

اللغوية الأصيلة والثرية ثم يسلكها في عبارات جزلة متينة التركيب تذكرنا أحيانا بأدبيات "المرصفي" و"اليازجي" الكلاسيكية، حتى تغلبت الوظيفة التعليمية على الوظيفة السردية أحيانا، وقد ينساق الكاتب في رصف التشبيهات والاستعارات فتأتي كثيفة واسعة الخيال، قوية الإيحاء والنفاذ، كيف لا وله قدرة ارتجالية في ذلك، إذ يقول (محمد ناصر) في سياق التعريف بشخصيته التعليمية: «يذكرونه معلما ومربيا ويتفكهون بنوادره ونكته، ويرددون تشبيهاته وصوره الرائعة التي كان يأتي فيها بالعجب العجاب، والطريف الخلاب»1، لكن استطراداته في (الوصف) جعلت تلك الصور تنفلت أحيانا من عقد السرد فتتوالى مفككة غير متعاطفة، ففي مشهد بستان "سليمان" في قصة (الإغراء) يجتمع الفجر، والنسيم، والشمس، والظلال، والزهو والعبوس2، لكنها تنبئ عن ثقافة لغوية وأدبية واطلاع واسع على أمهات الأدب.

✓من هنا جاء عنصر (التركيز) متفاوتا في لغة الكاتب، فهي أحيانا تأتي مكثفة مركزة قوية الإيحاء، تؤدي فيه كل لفظة دورها، كما في الحوار الذي دار بين "سعيد" وزوجه صديقه "مريم"، حيث كان الحوار دقيق الألفاظ مختصر الكلام سريع التطور يجسد حذره في اختيار كلماته في حواره التمويهي مع "مريم" واختصاره للكلام. وقد يكون التركيز حتى في عرض الموضوع أو الحدث أو الموقف، بحيث لا

1 - محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ، ص 07.

2 - الإغراء، ص 7، 8.

يأتي فيه إلا بما يؤدي إيحاء أو فكرة ضرورية لبناء الأحداث وتناميها، ففرق كبير بين التكثيف الذي تميز به مشهد "ابن فندين" في (المكيدة) وهو يغري عصابته بمعانٍ دقيقة جدا كلها تصنع صورة الكائد الحاقد الذي ينتقي كل صغيرة ويقلب كل حقيقة إلى مآخذ ومثالب توغر الصدور، وبين الإطناب والتوسيع الذي تميزت به طريقة تصوير شخصية "فاطمة" (الشهيدة) في تفكيرها واهتماماتها وكلامها لصواحبها في أهمية المسجد أو دور المرأة على طول سبع صفحات، وهي أفكار وكلمات هامة في ذاتها، لكنها من الزوائد التي لا يشكل حذفها أي ضرر في بناء الحدث القادم المفاجئ، وهذا قد يعود إلى تركيز الكاتب على البعد التربوي التوجيهي للقصة.

- ✓ أخيرا: خلاصة
- ✓ بعد هذه الجولة الأدبية النقدية في عينة من قصص الكاتب "محمد علي دبوز"، نستخلص ما يلي:
- ✓ يعتبر "محمد دبوز" من الكتاب الرواد في فن القصة القصيرة الجزائرية، فجهوده التي انطلقت منذ عقد الأربعينات هي لبنات وقواعد تضاف إلى الجهود المبكرة التي أسست لمرحلة النضج والوعي الفني.
- ✓ لقد ارتبطت القصة عند "دبوز" ارتباطا وثيقا بالاتجاه الإصلاحي، فكانت امتدادا لجهوده التاريخية الهادفة إلى التوعية وإصلاح المجتمع وتربية الأجيال، فهو يستمد أكثر موضوعاتها من أحداث التاريخ والواقع.

✓تميزت القصة عند "دبوز" من الناحية الموضوعية بالوعي التاريخي والاهتمام الواقعي والحس الأدبي، فكانت بحق نموذجا للتلاقح بين الأدب والتاريخ، وبين التربية والمتعة، إذ صاغت من النماذج التاريخية والأحداث الواقعية لوحات فنية حيّة ونابضة بالتجارب الإنسانية التي تثري القراء فكرا وذوقا وشعورا.

✓استطاع "دبوز" أن يمتلك مهارة فنية ناجحة في التعامل مع عناصر القصة القصيرة وخصائصها كما يطرحها النقد المعاصر، خاصة في اختيار الموضوع المركز في محدودية المكان والزمان والشخصيات، وفي التعامل مع الشخصيات بطريقة متفاعلة مع الأحداث النامية وفق نسيج لغوي موزون بين السرد والوصف والحوار، في خطة بنائية تتأسس على حسن الاستهلال والتحرك المنطقي نحو العقدة التي تنفرج في النهاية كاشفة عن حقيقة الشخصيات ومآلات الأحداث، وهي بذلك تتمتع بقدرة عالية على التشويق وجلب اهتمام القارئ إلى نهاية القصة ليستفيد منها معنى فنيا متكاملا غير منقوص ولا مرفوض.

✓وجود بعض التوظيفات العفوية لبعض العناصر التي تضعف عنصر التركيز والتكثيف؛ كاستطراد الوصف ورصف الصور وإطالة الحوار وإقحام العقدة خاصة في قصة (الشهيدة)، وهي ملاحظات وصفية موضوعية تبرز طريقة الكاتب ومنهجه، ولا يمكن تقييمها معياريا، إذ لا نمتلك تاريخا دقيقا لهذا المنتوج القصصي الذي جاء في مرحلة مبكرة وعزلة ثقافية في الظروف الاستعمارية، والذي نرجح أنه كان سابقا

وبعيدا عن شروط المثاقفة الفنية زمانا ومكانا.

✓ والسؤال المطروح: لماذا لم يتكفل الشيخ بإخراجها وطبعها بنفسه؟ وتبقى الاحتمالات مفتوحة؛ هل لقلة ذات اليد واستعصاء تكاليف الطباعة؟ أم لندرة مراكز الطبع والنشر داخل الوطن وصعوبة التواصل مع ما هو بعيد منها؟ أم لتراكم الأعمال والانشغال بأولوية التأليف التاريخي وبالتالي مباغتة الموت؟ أو لأنه لم يفكر في نشر أعماله القصصية أو لم يقم بمراجعتها قبل تقديمها للجمهور؟ احتمالات؛ سيكون للإجابة عنها دور في قرار نشر أعماله بعد وفاته.. أو كيفية تدقيقها ومراجعتها قبل طبعها.

توصيات الورقة البحثية:

✓ جمع أعماله القصصية المشتتة عن المجموع واستكمال ما كان منها مخروما، وإنقاذها من الضياع.

✓ إعدادها بالمراجعة والتدقيق، ثم طبعها في حلة أنيقة متاحة للباحثين والقراء.

✓ إثراؤها بالدراسات النقدية والوصفية والتحليلية لتستفيد منها الأقلام الموهوبة المبتدئة في الكتابة القصصية.

✓ تكفل عائلته وأوصيائه بالحفاظ الكامل على الذخيرة القيمة التي جمعها من وثائق وصور وتسجيلات، وأن يسهلوا لطلاب العلم

والباحثين سبل الاطلاع والاستفادة منها.

قائمة المصادر والمراجع:

- ✓ دبوز محمد علي، تاريخ المغرب الكبير، ج02، عالم المعرفة، ط 01، 2013م.
- ✓ دبوز محمد علي، قصة (الشهيدة) و(المكيدة) مطبوعتان ضمن كتاب: محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ.
- ✓ دبوز محمد علي، قصة (الصديق الخائن) مخطوطة أصلية مصورة بخط الكاتب.
- ✓ دبوز محمد علي، قصة (الإغراء) مخطوطة أصلية مصورة بخط الكاتب.
- ✓ شريط أحمد، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، دار القصبة، الجزائر، 2009م.
- ✓ عبد الله خليفة ركيبي، القصة الجزائرية القصيرة.
- ✓ الموقع الرسمي للشيخ محمد علي دبوز، تراثه وإنتاجه الفكري غير المطبوع (المخطوط)، مكتبة الصفاء.
- ✓ مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بيروت، 1974.
- ✓ محمد زغلول سلام، دراسات في القصة العربية الحديثة، منشأة المعارف، الإسكندرية، د ت.
- ✓ ناصر محمد صالح، محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي لكتابة

التاريخ، دار البعث، قسنطينة، نشر: مكتبة محمد علي دبوز، بريان.

- ✓ نسيب نشاوي، محاضرات الأدب العربي المعاصر، جامعة عنابة، عام 1984م.
- ✓ هـ. ب تشار لتن، فنون الأدب، تر: زكي نجيب محمود، مصر، 1959.
- ✓ يوسف الشاروني، القصة القصيرة.

النجربة الأدبية عند الشيخ محمد علي دبون الفن القصصي أنموذجا

أ. فائزة بن عمور
جامعة قاصدي مرباح-ورقلة

المقدمة:

يؤدي الاختلاف في المذاهب والأفكار والتوجهات إلى اختلاف الإبداع بكل أنواعه، فقد ظهرت على مدى التاريخ مذاهب فكرية وفلسفية، وجهت الإبداعات الأدبية خاصة صوب تبني خياراتها الإيديولوجية، أدى ذلك في بعض الأحيان إلى إضعاف الأدبية والفنية في تلك النصوص؛ نأخذ تمثيلا الواقعية النقدية أو الماركسية وحتى في بعض النصوص المغرقة في السوريالية والرمزية، ولعل ما يحقق للنص أدبيته هو القدرة على الموازنة بين هذه الفنية الأدبية وما يتبناه النص من إيديولوجية، ومن بين أوائل المناهج التي اهتمت بمضمون النصوص أكثر من اهتمامها بأدبيته، المنهج التاريخي، النفسي والاجتماعي، ومن جانب آخر يعتبر القصص من أهم الفنون الأدبية التي عرفت مقروئية واسعة وأصبحت تتصدر الإبداعات. وقد كانت في بداياتها الأولى أقرب إلى المباشرة والوصف والتقريرية، ولذلك كانت المناهج السياقية الأنسب في دراستها وتحليلها. وتعتبر القصص

التي بين أيدينا والتي أبدعها الشيخ دبوز من أوائل القصص في الساحة الأدبية الجزائرية، نحاول من خلال هذه الدراسة أن نتتبع هذه الإبداعات بالتحليل والنقد لنتعرف على اللبنات الأولى لفن القصة الجزائري.

التوجه الأدبي عند الشيخ:

يُعرف الشيخ الدبوز - رحمه الله تعالى- بمؤلفاته التاريخية الغزيرة التي حاول من خلالها توثيق التاريخ الجزائري، ولعل أهم مصنف له في هذا المجال هو كتابه المجلد في ثلاثة أجزاء (تاريخ المغرب الكبير)، الذي يعد أحد أهم المراجع التاريخية في مسيرته. يُعزى هذا التوجه التخصصي إلى الميل الشخصي عند الشيخ دبوز في تقصي الأحداث التاريخية، ورغبته في الحفاظ على الوحدة الإسلامية كما ذكر ذلك تلميذه محمد ناصر في كتابه (محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي في كتابة التاريخ) حيث يقول:

(فنحن عندما نتحدث اليوم عن الشيخ محمد علي دبوز إنما نتحدث عن أحد أولئك الرواد الذين سخروا القلم في إيمان راسخ لبناء الذاتية الجزائرية، بل أحد هؤلاء الذين جاهدوا بالكلمة لإنصاف تاريخ هذه الأمة التي طالما سعى الاستعمار بعملائه من مبشرين ومستشرقين ومتمغربين لتقويض هذا التاريخ وتشويهه وجعله أداة تفريق بين

شعوب الأمة الإسلامية)[1]

إن هذا التوجه الإسلامي لدى الشيخ دبوز منشؤه التعليم الحر في منطقة وادي مزاب، الذي كان مهتما بغرس قيم الانتماء إلى الإسلام والعروبة، كما أن النهل من معين الأدباء والاحتكاك بهم خاصة الأدباء المصريين أفذاذ اللغة العربية والأدب حينها من أمثال "عائشة عبد الرحمن" و"أنور الجندي" جعلت قلم الشيخ دبوز يسيل أدبا ورقة في التعبير حتى في مؤلفاته التاريخية، وهذا ما جعله من جانب آخر يُيمم يراعه صوب الإبداعات الأدبية فينتج في مختلف فنونها، وإن لم تكن بغزارة المؤلفات التاريخية ولكنها تميزت بالتنوع؛ حيث كتب القصص والمسرحيات، وعالج مواضيع أدبية في مقالات كان ينشرها باستمرار في مجلة البصائر، من بينها قصتي "الشهيدة مأساة ميزاب" و"المكيدة"، ومقالاتي "حمار الحكيم"، و"وقفة على دار الرافعي وعلى قبره" وغيرها...

فن القصة:

لا اختلاف أن القص بما هو مفهوم لسرد الأخبار وتتابعها آلية شفاهية عرفتها ثقافات الشعوب على اختلافها وتمايزها في التحضر، غير أن القصة كفن مدون مكتمل الأركان لم يُعرف إلا في أواخر

[1] – محمد ناصر، محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ، مكتبة الشيخ محمد علي دبوز، دط، بريان (غرداية)، دت، ص 153.

القرن التاسع عشر، فهو بذلك فن غربي بامتياز تسلل بعد ذلك إلى الأدب العربي؛ إذا سلمنا بذلك جدلا مع أول رواية بعنوان زينب لحسين هيكل، " وقد دخلت القصة القصيرة على استحياء لتزاحم هذا العالم الزاخر بالشعر المتسيد، تبحث عن مكان لها فلا تجده إلا في عفوية الطرح والتكثيف المضغوط بحميمية حس القاص"[1] إلا أنه عرف بعد ذلك تطورا تدريجيا حتى وصل إلى تقاسم السيادة في الساحة الأدبية والتفوق في كثير من الأحيان.

"والقصة في الاصطلاح الأدبي المتداول لم تستقر على مدلول تقني محدد، فهي تارة تستعمل للدلالة على مشتملات الفن القصصي بعامة، من رواية وأقصوصة وحكاية ونادرة وغيرها...، وهي في بعض الأحيان تستخدم للدلالة على نوع من الفن القصصي لا يطول ليبلغ حد الرواية ولا يقصر ليقف عند حد الأقصوصة"[2] وبالتدقيق أكثر في تعريفها باعتبار أن ما سنتناوله بالدراسة القصة القصيرة نقول " أن القصة القصيرة عبارة عن إنتاج أدبي ذي حجم صغير وأحيانا يكون صغيرا جدا أي أنها أصغر من الرواية القصيرة ، وبسبب هذا الصغر فإنه يبرز فيها أحد العناصر الرئيسية الموجودة فيها مثل الصورة

[1] – حسن غريب أحمد، التقنيات الفنية والجمالية،المتطورة في القصة القصيرة، موقع كتب عربية، دط،دت، دب، ص14.

[2] – إميل بديع يعقوب، ميشال عاصي، المعجم المفصل في اللغة والأدب، دار العلم للملايين، ط1، ج2، بيروت، 1987، ص980.

والحبكة، والخلفية وذلك من خلال ضغط بقية العناصر، وأحيانا يحدث توازن بين هذه العناصر بحيث تظهر جميعها موجزة إلى أقصى حد"[1]. وفي الغالب لا تكتب القصة بلا هدف معين يرومه الكاتب، ولذلك نجد من التعريفات التي توصف لنا هذا الفن تربطه بالفائدة حيث يورد إميل بديع يعقوب في معجمه المفصل قوله " القصة في المضمون الشامل للكلمة، لون من ألوان الأدب القصصي ، الذي يروي الأخبار، على أنواعها ويعرض الأحداث وينقل المآثر، ويسوق الحكايا والنوادر وينسج الأساطير والخرافات طلبا للمتعة والفائدة"[2]

فالقصة إذا من خلال هذا التعريف تعتبر فنا أدبيا مهمته نقل الأخبار والمآثر والحكايا والنوادر، ويرتبط كل ذلك بالفائدة من جانب والمتعة الفنية من جانب آخر. ومن خلال التعريفات التي سبقت لفن القصة القصيرة يمكننا أن نصف ما كتبه الشيخ دبوز في إطار فن القصة القصيرة؛ باعتباره سردا لأخبار وتتابع أحداث، حاول الكاتب أن يقدمها في أسلوب فني إذ يشتمل على آليات الفن القصصي من جهة، وبالنظر إلى حجمها وعناصرها الرئيسية من جهة أخرى، وسنتعرف على مجملها فيما يلي .

السرد التاريخي:

[1] – محمود صميدة، الشخصية العربية في القصة العبرية القصيرة المعاصرة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، دط، الكويت، 1996، ص94.

[2] –إميل بديع يعقوب، ميشال عاصي، المعجم المفصل في اللغة والأدب، ، ص979.

نقف في ورقتنا البحثية هذه عند فن القصة عند الشيخ دبوز لنتعرف على فنيات كتابتها من خلال قصتي: "الشهيدة مأساة ميزاب" وقصة "المكيدة"؛ هذه الأخيرة التي تصنف في باب القصة التاريخية، حيث يرى بعض النقاد أن تصنيف رواية ما على أنها تاريخية يعني أننا نفترض أن النص روائي وتاريخي؛ أي أن مفهوم النص مرتبط بعنصرين: الروائية والتاريخية، وهكذا يميز القارئ بين الرواية التاريخية وغيرها من الروايات[1] من خلال المتن والقضية المعالجة والشخصيات والزمن والمكان ولا يفترض حسب بعض النقاد توفر هذه الشروط مجتمعة، بل يكفي أن تبرز الخاصية التاريخية واضحة في أحد هذه المكونات الروائية حتى نصنفها ضمن الروايات التاريخية، ولكن يبقى الإبداع القصصي هو السيد الذي يوجه القاص ويحدد صلاحياته الجمالية وبذلك يبتعد باحترافية من دائرة التاريخ ليبقى في محيطه الإبداعي الفني، فليس من شك في أن الرواية التاريخية تنطلق من الخطاب التاريخي، ولكنها لا تتنفسه بل تجري عليه ضروبا من التحويل حتى تخرج منه خطابا جديدا له مواصفات خاصة ورسالة تختلف جذريا عن الرسالة التي جاء التاريخ مضطلعا بها[2]، وتعتبر قصة "المكيدة" قصة تاريخية لأنها تعالج حدثا تاريخيا من

[1] – فريال جبوري غزول، الرواية والتاريخ، مجلة فصول، ع:2،م:2، مصر، 1982، ص 295.

[2] – عبد الرحيم الحسناوي، السرد التاريخي والسرد الروائي بحث في مستويات الخطاب، مجلة العلامة، م9، قسم اللغة العربية، كيرالا (الهند)، 2017،ص4.

جهة وتستحضر في هذا الحدث شخصيات تاريخية اضطلعت بتحريك أحداث القصة.

مضمون القصة:

حديثنا كما سبق الذكر في هذا المضمار حول قصة "المكيدة" التي ترتبط بالتاريخ ارتباطا وثيقا؛ ملخص القصة يدور حول فترة حكم "عبد الوهاب بن رستم" إبان قيام الدولة الرستمية في الجزائر.776-909م تصور لنا أحداث القصة المكيدة التي دبرها بعض الشباب الرافضين لحكم هذا الأخير؛ حيث اجتمع مجموعة منهم وعلى رأسهم ابن فندين يحرضون بعضهم بعضا على ضرورة إزاحة عبد الوهاب من خلافته على رأس هذه الدولة، بعد أن توفي أباه، ليقرروا في الأخير تدبير مكيدة للقضاء عليه قتلا في جوف منزله؛ إذ حمل اثنين منهم مظلمة إلى الخليفة حول صندوق تنازعا عليه، وما كان في الصندوق إلا أحد من جماعة "ابن فندين" هجم عليه ليلا ولم يستطع القضاء عليه بسبب فراسة الإمام الذي أحس بالخطر المحدق به فتجنبه، لتبوء المكيدة المدبرة بالفشل الذريع.

الشخصيات:

تختلف الشخصية في القصة القصيرة عن الشخصية في الرواية؛ إذ نلاحظ أن الشخصيات في القصة القصيرة قد لا تتعدى الواحدة أو الاثنتين، وهذا راجع إلى الاختلاف في الحجم بينهما وبالتالي

اختلاف في الأحداث.

وقد ذكرنا سابقا أن الشخصيات التي وظفها الكاتب في قصته المكيدة هي شخصيات تاريخية معروفة، وأول شخصية تظهر فيها هي شخصية "يزيد بن فندين" الذي كان رافضا لإمامة "عبد الوهاب بن رستم"، وتتميز شخصية بن فندين بكونها شخصية محورية رئيسة يظهر من ملامحها الاستياء والتذمر الشديد والرغبة القوية في التزعم، وقدرته على ذلك من خلال إدارته للحوار وتأليبه لأصحابه على الإمام، يتضح لنا ذلك من خلال خطاباته حيث نجده يفتتح القصة بقوله:

(أف لكم معشر الصحاب إنكم لا تغارون على أنفسكم فتبوؤونها ما يليق بها من مكانة في الدولة إن هذا الرجل الذي يدعي أنه هو الإمام لا يزيدنا إلا إقصاء عن الوظائف التي خلقنا لها إنه سيحرم عليكم حتى نسيم تاهرت وشمسها ...)[1]

يتحاور "ابن فندين" في هذا المشهد مع أصحابه الذين تعود اللقاء بهم كما يذكر لنا ذلك الراوي، ويتدخل أصحابه في الحوار وبذلك تظهر لنا في القصة شخصيتين أخريين في هذا الحوار، ملامحهما ليستا بعيدتين عن ملامح الشخصية الأولى، حيث نجدهما تعتزمان التخطيط لقتل الخليفة من أجل الاستحواذ على العرش

[1] – محمد ناصر، محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ، ص61

وتسليمه لابن فندين لأنه أولى به في نظرهما، وبالتالي تكتمل صورة اللقاء الذي جمع بين هذه الشخصيات في ناديهم السري، ثم ينتقل بنا بعد ذلك في المشهد الثاني إلى شخصية الإمام إذ تبدو ملامح شخصيته من خلال وصف الراوي له بقوله:

(كان الإمام عبد الوهاب رجلا فذا في عمله ورجولته وتقواه اتخذ القرآن نورا يمتلئ به فيدفعه إلى سبيل الرشاد...)[1] **(وكان الإمام على سعة غناه متقشفا لا يأوي إلى القصور التي تورثه القصور ولكن إلى دار بسيطة كعرين الأسد ليس فيها زخارف الغنى وبهرجة الحضارة...)**[2]

فشخصية الإمام هنا تبدو تقية وورعة، إضافة إلى زهدها في الحياة وابتعادها عن زخرفها، كما يصفها الكاتب، وبطريقة غير مباشرة يصور لنا قوة وبأس الإمام من خلال تشبيهه لبيته بالعرين. ونلاحظ من خلال هذا أن الكاتب قد استعمل آليتين في التعريف بشخصياته؛ الآلية الأولى وهي حوار هذه الشخصيات فقد كانت ملامحها تتشكل من خلال هذا الحوار والآلية الثانية هي الوصف وبالتالي يتدخل الراوي في محورتها.

الحبكة:

[1] – المصدر السابق، ص 67.

[2] – المصدر نفسه.

تعتبر الحبكة من أهم المعايير التي يقف عندها النقاد للحكم الجاد على قيمة العمل القصصي، " وقد نبه أرسطو إلى الأهمية القصوى التي تحتلها الحبكة في البناء الروائي، فهي من المسرحية والملحمة بمثابة الروح، يضع أرسطو في قلب عملية الحبك انتخاب منعطف مصيري في حياة شخصية روائية، يحول هذه الحياة من السعادة إلى الشقاء أو من الشقاء إلى السعادة، فالقصة القصيرة مثلا تنتخب من حياة شخصية منعطفا مصيريا واحدا وتبني أحداث حياته الصغرى في اتجاه هذه اللحظة المصيرية"[1] وعند العودة إلى القصة التي مرت بنا سابقا نجدها تبني حبكتها على "المكيدة" كما هو معنون؛ إذ تبدأ أحداث هذه المكيدة بالاجتماع والإجماع على بطلان حكم عبد الوهاب بن رستم:

(إن إمامة عبد الوهاب باطلة باطلة وهي منكر يجب عليكم محاربته)[2]

والاتفاق على ضرورة التخلص منه:

(وإن لكم في سيوفكم ما تبلغون به المرام)[3]

ثم التخطيط لذلك:

---

[1] – أنطوان طعمة، السيميولوجيا والأدب مقاربة سميولوجية تطبيقية، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، م4، ع3، مارس1996م، ص211.

[2] – محمد ناصر، المصدر السابق، ص63.

[3] – المصدر نفسه.

(أما إذا عولتم على السيف وانبرى منكم من يريح العباد من هذا الرجل الذي قتل حظوظكم وسامكم الهوان فاقتربوا مني لأدلكم على الطريق الذي نصل به لإزالته)[1].

وتطبيقه وتتأزم العقدة عندما يلتقي النِدَّان وجها لوجه، في صراع الموت والحياة. وتحل العقدة بفشل المكيدة وقدرة عبد الوهاب على القضاء على غريمه: (فرأى الإمام في هدوئه وثباته وسيفه بيده يسيل بالموت فقرأ فيه حتفه فانتفض انتفاضة الشاة المقيدة تحت الجزار)[2].

ولعل ذلك مؤشر أيضا على قضائه المبرم على المتآمرين جملة كما يرد ذلك في تاريخ الدولة الرستمية[3].

الزمان والمكان:

وتتضافر الشخصيات مع الزمان والمكان لتشكل لنا الشكل النهائي للقصة، إذ لابد من زمان تجري فيه الأحداث ومسرح لها؛ وبالعودة إلى قصة المكيدة نجد أحداثها تجري في زمانين زمن تاريخي حيث تشير القصة إلى عهد الدولة الرستمية وهذا ما يسمى

---

[1] – المصدر نفسه، ص64.

[2] – المصدر نفسه، ص69.

[3] – ينظر، بحاز إبراهيم بكير، الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، مطبعة لافوميك، ط1، الجزائر، 1985، ص117.

بالزمن اللاحق:(Ultérieur) أي المتأخر عن الحدث، حيث نروي أحداثا كانت قد وقعت في أزمنة ماضية بعيدة،"[1] ويوجد الزمن الذي جرت فيه الأحداث وهو الزمن الضيق والذي يحدده السارد بقوله:

(فلتكونوا على استعداد في هذا المكان في مثل هذا الوقت من الليلة المقبلة وإنها الليلة الغراء...وكان الزمن شتاء)[2]

وبهذين الزمانيين يقدم القاص قصته التاريخية بالزمن الحاضر ليجعلنا من خلال ذلك نعيش حدثا وقع في الماضي بكل تفاصيله في زمن التلقي.

ونستطيع أن نستنتج في الأخير أن الشيخ دبوز قد تمكن من وضع بصمة قوية في مجال القصص التاريخي الفني، من خلال هذه القصة القصيرة التي صورت حقبة من الحقب التاريخية والتي ما تزال تحتاج إلى الكثير من البحث والدراسة تاريخيا أو فنيا جماليا.

3/ السرد الاجتماعي:

وغير بعيد عن القص التاريخي نتناول مجالا آخر طرقه الشيخ دبوز ألا وهو السرد الاجتماعي، ويمكن أن نتحدث هنا عن ارتباط لصيق بين آلية السرد والوقائع الاجتماعية؛ بعدِّها وسيلة فنية تعكس

---

[1].- نبيل أيوب، النقد النصي وتحليل الخطاب، نظريات ومقاربات، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، لبنان، 2011، ص75.

[2] - محمد ناصر، محمد علي دبوز، ص64.

الحياة الواقعية " وقد شهدت نهايات القرن الثامن عشر ومطلع التاسع عشر ظهور محاولات رأت في الواقعية الأدبية متغيرا ثابتا لفاعلية متغيرات مستقلة، عرقية وإيكولوجية وتاريخية توضحها أعمال دو شتال Mme de staèlà،(البحث في تأثير عوامل السياسة والدين والعادات والقوانين في الأدب)، وتلميذها فرانسوا فيلمان F.Villeman (مقاربة الأدب بنظرة تطورية)، وسانت بيف Saint Boeuf (لأخذ العناصر السياقية المحيطة بالنص والكاتب في الاعتبار)، وابوليت تين H. Tain (دراسة العمل الأدبي كنتاج للخطة التاريخية والوسط الاجتماعي والسلالة)، وإميل زولا E.Zola(العمل الأدبي كتجربة معملية تستهدف معرفة نتيجة وضع سلوك ما في ظروف اجتماعية محددة ودراسة انعكاساته) ومن الأدب السرد الاجتماعي الذي يعد من أكثر الأجناس إبرازا لهذه الخصوصية الاجتماعية"[1].

والقصة التي بين أيدينا تمثل نموذجا من نماذج السرد الاجتماعي؛ حيث صور لنا القاص واقع المرأة والتعليم وارتباطه بالمجتمع، وقد جسد الكاتب من خلال هذه القصة توجها اجتماعيا مختلفا إزاء بعض هذه القضايا الاجتماعية التي عرفت الآراء حولها صراعات محتدة

[1] – يوسف الأنطاكي، سوسيولوجيا الأدب الآليات والخلفية الإيبيستمولوجية، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة،2009، ص8.

انعكست على سلوك الأفراد في المجتمع ويرى فيكو[1]، أن لكل ثقافة أسلوبها الخاص، وهو مبدأ خاص يتسم بالعمومية و الشمول، بحيث إن كل جوانب الثقافة بغض النظر عن مدى تنوعها الظاهري بما في ذلك لغتها ومعتقداتها الدينية وعاداتها اليومية وأدبها هي روح المجتمع[2].

مضمون القصة:

"الشهيدة مأساة مزاب" عنوان وَصَّف كما هو واضح من تركيبه حدثا اجتماعيا نادرا، حيث تبدأ أحداث هذه القصة من خلال وصف حياة إحدى النساء الفاضلات التي (**تأيمت من زوجها، ولكنها ككل أفراد المجتمع المزابي المتشبع بالخلق الإسلامي، يكون انطفاء اليد عند أحدهم من نضارها اشتمالا لعروقه بالنشاط في العمل وقلبه بالأمل والطموح**)[3].

يسبق ذلك كله وصف دقيق لتجذر الوعي الديني الكبير في شخصية الشهيدة، وارتباطها بالمسجد ومداومتها على حضور الدروس الدينية وحثها لصُويحباتها على حضورها، ثم يعرج بنا إلى الحديث عن إيمانها العميق بالوطن وتغنيها بمعاني الحرية، لينتقل بنا بعد ذلك

---

[1] – جيامبتستا فيكو، Giambattista Vico من علماء الاجتماع من مدينة نابولي.

[2] – قصي الحسين، سوسيولوجية الأدب دراسة الواقعية الأدبية على ضوء علم الاجتماع، دار البحار، بيروت، دت، ص، 19.

[3] – محمد ناصر، محمد علي دبوز،ص53.

إلى صميم القصة التي تمثلت في غياب مفاجئ لها مع دنو المغيب إلى الليل (**وامتدت أيدي الليل إلى الشمس لتطفئها فلم ترجع فاطمة إلى بيتها**)[1] ما جعل البلدة تستنفر رجالها للبحث عنها. ولكن لسوء الحظ عثر عليها مقتولة بإحدى الغابات.

الحبكة:

ينسج الشيخ دبوز قصته الشهيدة على مقاس شخصية البطلة وتعد الشخصية الوحيدة في هذا المتن؛ حيث يقدم لنا في بدايتها خصوصيات هذه الشخصية المكافحة المؤمنة، التي تخرج كل يوم فجرا لحضور دروس الوعظ والإرشاد في المسجد، ثم تعود إلى منزلها لتواصل نشاطها في نسج الزرابي واستقبال صديقاتها في البيت، وتبدأ عقدة هذه القصة مع خروجها إلى بستانها لتسترزق منه، بعد أن افتقدت عمها الذي كان يغنيها عن الأمر، وتتأزم هذه العقدة مع تأخرها عن العودة إلى البيت وانتشار الخبر في كامل تراب القرية وسعي أهلها حثيثا للبحث عنها، ويحل هذا التأزم بالعثور على الشهيدة مقضيا عليها، وقد استطاع الكاتب من خلال تقديمه لهذه القصة أن يخرج هذا الحدث الاجتماعي من دائرة الأخبار إلى فنية القص، حيث قدم لنا هذه الحادثة في صورة أدبية فنية بداية من دقة تصوير الشخصية وخصوصيتها الاجتماعية والنفسية والذاتية.

[1] - المصدر نفسه، ص59.

الشخصيات:

ذكرنا سلفا أن القصة تقدم لنا شخصية واحدة، وهي البطلة فاطمة، التي تمثل جزءا من المجتمع المزابي المحافظ؛ والتي آثرت العلم وآمنت وأدركت ما في الجهل من ظلمات، فسعت إلى الارتواء منه من خلال الدروس المسجدية التي كانت تحضرها. وبالتالي يركز الكاتب على هذا الجانب الإيماني الذي يظهر جليا في كل سطر من أسطر القصة، وبالرغم من تأيم هذه المرأة إلا أنها كانت شخصية قوية؛ بحيث استطاعت أن تكسب قوت يومها من عرق جبينها، ويعتبر ذلك من مميزات هذه الشخصية التي أدركت ضرورة العمل والسعي، كما أنها تصور جانبا من جوانب حياة المرأة المزابية حيث يعتبر النول ونسج الزرابي من أهم ما ينبغي على المرأة أن تتعلمه في حياتها، فكانت هذه الشخصية تجسيدا واضحا لهذا التوجه الاجتماعي الأصيل. كما يذكر الراوي في هذه القصة القصيرة شخصيات أخرى تأتي عرضا ومحركة للأحداث وهي شخصية العم المتكفل المعين وكذا صديقاتها، ويستحضر في الأخير شخصية عميد المجلس البلدي الذي استنفر أهل البلدة للبحث عن المفقودة.

شعرية المتن القصصي:

يخرج العمل الأدبي من مرحلة الأفكار إلى مرحلة الوجود باللغة بعدها أداة تعبير إنسانية استطاع من خلالها تحقيق التواصل، ويخرج

الإبداع القصصي من لغة التواصل العادية إلى لغة استثنائية، ليحقق بها المبدع انزياحا عن المألوف والعادي بلغة أدبية تصطبغ بشخصية الكاتب " إن النسيج اللغوي الذي يشمل الحوار والسرد هو المتن النصي للقصة الذي يجسد الحدث ويشكل الشخصيات و يتنامى بهما في اتجاه تحقيق الأثر الكلي ، من هنا يتحتم على الكاتب أن يولي أهمية كبرى للغة ومستوياتها وقدرتها على التصوير بحيث تكون بالغة التكييف والتركيز والاقتصاد، بحيث توحي كل لفظة بالمعنى المطلوب، ولا تكون هناك أي لفظة لا ضرورة لها"[1] وهذا ما عرف عن الشيخ دبوز في كتاباته عموما، إذ نجده يجنح إلى التعبيرات الأدبية الراقية التي تحمل تشبيهات واستعارات جماليه، ليس فقط في المؤلفات الأدبية بل حتى في التاريخية منها .

شعرية الصور البيانية:

حين تقترب اللغة من مجال الشعرية فإنها "تؤسس متنها النثري بعيدا عن سلطة النموذج الكلاسيكي، فيكون كل لفظ شعري شيئا غير متوقع، إنه وعاء لقيثارة تتطاير منها جميع إمكانات اللغة وبالتالي يغدو النص النثري في هذه المجموعات انعطافا لتقنية لفظية تتمثل في التعبير وفقا لقواعد أكثر جمالا"[2]

[1] – حسن غريب أحمد، التقنيات الفنية والجمالية المتطورة في القصة القصيرة، ص14.

[2] – رولان بارت، الكتابة في درجة الصفر، تر: محمد برادة، الشركة المغربية للناشرين

يكتسي الخطاب القصصي عند الشيخ الدبوز بحلة بهية من الصور البيانية التي دبج بها متنه وأبان من خلالها على صنعة لغوية وأدبية عميقة حيث نجد التشبيهات والاستعارات والمجاز المرسل نمثل لذلك بما يأتي:

أ/ التشبيه:

- كانت الرعود تدمدم في السماء كأنها زمجرة أسود من الملائكة
- والريح تهب عاتية قارسة تصفع الوجوه كأنها سياط الطبيعة للناس كي يأووا إلى منازلهم
- المرأة التي تقع ميتة وصيصتها بيدها كالبطل الذي يقع في الجهاد وسيفه بيده
- دنيا من النكبات ضيقة مظلمة تموج بالأفاعي كغار ثور

ب/ الاستعارة:

- وكانت تاهرت قد تلفعت في برد الليل فنامت
- قذفتها يد الطبيعة لتبطل بها عمل الربيع
- كانت في قلب الدجى إذ عكفت النجوم في السماء على حياكة الفجر
- أمست المدينة قلبا مدلهما بالحيرة من ظلام الليل

المتحدين، ط3، الرباط، 1981، ص45.

ج/ المجاز المرسل:

- باتجاه العيون والقلوب كل يوم إلى المنبر في المجالس
- في جمال الربيـع الذي يكسو فروعها

إضافة إلى ما تقدمه الصور البيانية من تعميق للفهم في ذهن المتلقي وشرح للفكرة فهي تطبـع العمل الفني بمسحة جمالية فنية، تأسر المتلقي وتؤثر في عواطفه وتجعله مشدودا للقراءة باسترسال وبمتعة، " إن اللغة تغدو شلالا من الأحاسيس تحمل أبعادا نفسية وجمالية، فهي تهرب من حصار المدلول لتعانق التخييل ثم تسعى للهروب من التعقيد الذي يفقدها متعة هذا الامتداد الجمالي"[1] وهذا ما حققته هذه الصور البيانية في كلا العملين القصصيين في تجربة الشيخ دبوز الأدبية، ومن خلال هذه الجمالية يمكننا أن نلمس ميل الأديب إلى المذهب الرومانسي - إن صح التعبير- ولعل ذلك يظهر لنا جليا من خلال دراسة الحقول الدلالية الآتية.

الحقول الدلالية:

المقصود بالحقل الدلالي " مجموع الكلمات التي ترتبط معانيها بمفهوم محدد، بحيث يشكل وجها جامعا لتلك المعاني، ومبررا لها لكي تأتلف على ذلك الوجه، أو هو مجموعة وحدات

[1] - عبد القادر بن سالم، مكونات السرد في النص القصصي الجزائري، اتحاد الكتاب العرب، دط، دمشق، دت، ص49.

معجمية ترتبط بمجموعة تقابلها من المفاهيم على أن تندرج كلها تحت مفهوم عام، أو كلي يجمعها. أو هو كما حدده أولمان: قطاع متكامل من المادة اللغوية، يعبر عن مجال معين من الخبرة"[1] ولعل أبرز الحقول الدلالية في القصتين اللتين بين أيدينا تتمثل في:

1- **الحقل الديني والثقافي:**

تميزت الألفاظ من هذا الحقل الدلالي بجلاء في كلتا القصتين ومن مثل ذلك:

التفسير، الأستاذ، الدرس، المسجد، الإسلام التربية، المحراب، الوعظ، منبر، الصوامع، المسلم، الصلاة، الصلاح، الدين،...

2- **الحقل الرومانسي والطبيعي:**

يمنح الكاتب الكثير من ألفاظه وعباراته من الحقل الرومانسي والطبيعي نذكر من ذلك تمثيلا: **شروق، فجر، الخمائل، الجنات، القلوب، الروح، الهيام، ينبوع، الدجى، البستان، النهار، الليل، الشمس، الحيرة، الرعود، السماء، النجوم، الفجر، السحاب، الربيع،...**

ينهل الشيخ دبوز حقله الدلالي الديني والثقافي من توجهه الإسلامي عموما، فقد ذكرنا سابقا بأن الشيخ ينزع منزعا دينيا أخلاقيا

[1] - نواري سعودي أبو زيد، الدليل النظري في علم الدلالة، دار الهدى للطباعة والنشر، دط، الجزائر، 2007.

منطلقا من تربيته وتكوينه، أما الثقافي والعلمي فقد تَكَوَّن بتأثير التعليم لكونه كان مدرسا ومربيا للأجيال طوال مسيرة حياته، أما بالنسبة للحقل الثاني فمنشؤه التكوين الأدبي في تلك الفترة التي ظهر فيها المذهب الرومانسي العالمي الذي تأثر به الكثير من الأدباء العرب، وإن كان إعطاء تعريف شامل ومانع لهذا المذهب غير ممكن بسبب زئبقية المفاهيم وتعقيدها[1] تبقى ثمة ملامح عامة يمكن استخلاصها من خلال العبارات والألفاظ التي يستخدمها الكُتّاب، ومنها اتكاؤهم على استعمال ألفاظ الطبيعة والصور البيانية المعتمدة على هذا القاموس المعجمي، والعبارات المغرقة في العاطفة، وميلهم إلى السكون والتأمل.

الخاتمة:

نجمل القول في نهاية هذه الورقة البحثية في استنتاج ما توصلنا إليه من خلال تجربة الفن القصصي بالقول أن الشيخ دبوز استطاع أن يبدع في مجال القصة القصيرة من خلال الاستلهام من التاريخ وصياغته صياغة فنية جمالية منحت القصة حضورا آنيا، وكذلك من خلال الكتابة في القصة الواقعية الاجتماعية.

ولمسنا من جانب آخر البناء القصصي المحكم الذي تفاعلت

[1] – ينظر، موسوعة المصطلح النقدي، تر: عبد الواحد لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، دت، ص161.

فيه كل مكونات القصتين من شخصيات وفضاء وأحداث، إضافة إلى النسيج اللغوي المحكم، والبلاغة الأدبية والفنية التي طغت على لغة الكاتب، خاصة الخطاب الرومانسي والخطاب التعليمي التوجهي الظاهر في قصة الشهيدة خاصة.

ومما يلاحظ في تجربة الشيخ أيضا تأثره الجلي بالكُتَّاب المشارقة والاختلاف عنهم في الموضوعات في تناول القضايا المغاربية والمحلية.

ونختم بملاحظة تنوع كتابات الشيخ دبوز- رحمه الله- من تاريخية إلى أدبية في كثير من الأنواع مثل القصص والمقالات الأدبية وغيرها، والتي لا تزال تحتاج إلى الكثير من الدراسات الجادة.

المصادر والمراجع:

1) إميل بديع يعقوب، ميشال عاصي، المعجم المفصل في اللغة والأدب، دار العلم للملايين، ط1، ج2، بيروت، 1987.
2) أنطوان طعمة، السيميولوجيا والأدب مقاربة سميولوجية تطبيقية، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، م4، ع3، مارس1996م.
3) بحاز إبراهيم بكير، الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، مطبعة لافوميك، ط1، الجزائر، 1985.
4) حسن غريب أحمد، التقنيات الفنية والجمالية،المتطورة في

القصة القصيرة، موقع كتب عربية، دط، دت، دب.
5) رولان بارت، الكتابة في درجة الصفر، تر: محمد برادة، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، ط3، الرباط، 1981.
6) عبد الرحيم الحسناوي، السرد التاريخي والسرد الروائي بحث في مستويات الخطاب، مجلة العلامة، م9، قسم اللغة العربية، كيرالا (الهند)، 2017.
7) عبد القادر بن سالم، مكونات السرد في النص القصصي الجزائري، اتحاد الكتاب العرب، دط، دمشق، دت.
8) فريال جبوري غزول، الرواية والتاريخ، مجلة فصول، ع:2،م:2، مصر، 1982.
9) قصي الحسين، سوسيولوجية الأدب دراسة الواقعية الأدبية على ضوء علم الاجتماع، دار البحار، بيروت، دت.،
10) محمد ناصر، محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ، مكتبة الشيخ محمد علي دبوز، دط، بريان (غرداية)، دت.
11) محمود صميدة، الشخصية العربية في القصة العبرية القصيرة المعاصرة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، دط، الكويت، 1996.
12) موسوعة المصطلح النقدي، تر: عبد الواحد لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، دت.
13) نبيل أيوب، النقد النصي وتحليل الخطاب، نظريات ومقاربات، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، لبنان، 2011.

14) نواري سعودي أبو زيد، الدليل النظري في علم الدلالة، دار الهدى للطباعة والنشر، دط، الجزائر، 2007.
15) يوسف الأنطاكي، سوسيولوجيا الأدب الآليات والخلفية الإيبيستمولوجية، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة،2009.

خصائص الحكاية الأدبيّة عند محمّد علي دبّوز

إمامة الإمام عبد الوهّاب نموذجا

د. عبد الوهاب بافلح
مركز البحث العلمي والتّقني
لتطوير اللّغة العربِيّة- الجزائر

ملخّص:

تشتغلُ هذه الورقة في تأويل العمل السّردي لمحمّد علي دبوز مِن خلالِ رصد مجموعة من العناصِر في أعماله، وتبيين كيفية اشتغالها مع بعضٍ في تحقيقِ غايات المؤلِّف دون التّطرّق إلى المرجعيّة الذّاتيّة أو الموضوعِيّة بل الإطار الفنّي والأدبيّ هو الذي يتحكّم في الدّراسة ويقوّم العمل المقصود. وتناولت بالدّرسِ حكاية إمامة الإمام عبد الوهّاب نموذجا لرصدِ هذه المكوّناتِ لتعميمها على باقي الأعمال السّردِيّة. لا يقوم العمل السّردِيّ على الحكاية التّاريخِيّة فقط، بل تتلاحم فيهِ الأحداث الواقعِيّة مع خيالِ المؤلِّف لتصويرِ الصّغائر والدّقائقِ التي تغيبُ في الأصلِ ولكنّ ذلكَ لا يخْرِجها مِن الأصْلِ الذي تنبُعُ منهُ وهو إدراج هذه الشّخصِيّات ضِمنَ التّراث الإنساني لتجسيدِها القيَم العليا السّامية.

تقديم:

لقد ظلّ الشّعرُ الغنائِيّ مهيمنا على السّاحة الأدبية لمدّة طويلة وعلى نماذجِهِ تمّ صياغة النّظرِيّة الأدبِيّة فغدا الإطار المرجعي المعيارِي لقياسِ أيّ أثرٍ أدبِيّ وتحديدِ قيمتهِ التي تجعلهُ فنّا يستحقّ أن يدمجَ في إطار الأدب. ثمّ عرفت الأجناس الأدبِيّة الأخرى (النّثرِيّة) تطوّرا ونموّا بفضلِ بروزِ أعمالٍ رائدة تأثّرتْ بالثّقافات غيرِ العربِيّة كما جعلت قاعدتها الأعمال التّراثِيّة القديمة تثمينا لها وتوسيعا.

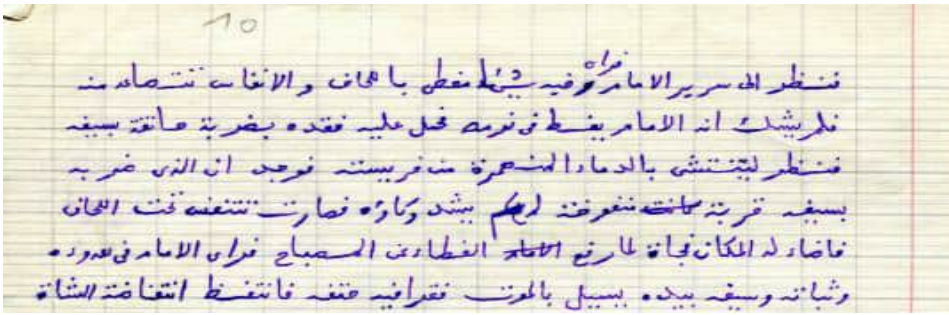
ومعلومٌ أيضا كيفَ أنّ نقدَ هذه الأعمالِ يأتِي تبعا للإنتاجات الأدبِيّة؛ فتقيِيمُ هذه الأعمال النّقدِيّة سيكونُ في مرحلةٍ متقدّمة فيما يسمّى بنقدِ النّقدِ. وبالنّسبةِ للأعمال السّردِيّة فمِن الآثار الواردة في ذلِكَ ما قام به الإمام علِيّ كرّم الله وجههُ بطردِ القصّاصِ من مسجد البصْرة من منطلَقِ أنّ أحاديثَهم أحاديث كذّابٍ ومتقوّلين[1]، فبغضِّ النّظر على سلبِيّة هذا الفعلِ أو إيجابِيّتهِ فليس موقفه بناءً على معايِيرَ فنّية ولكنّه موقِفٌ أخلاقِيّ ينظُرُ إلى الآثار السّلبِيّة التي يمكِن أن تنجُمَ عن حَشْرِ العقولِ بخرافات ليسَتْ موافقةً للواقِعِ، ولو كانت تلبّي رغباتٍ نفسِيّة لدى المستمعين من التّشوِيقِ والإثارة وبناء الصّور التّخييلِيّة للشّخوص التّاريخِيّة، ويبدو هذا الباب الذي اتّخذهُ محمّد

[1] ينظر: الحوادث والبدع، الطرطوشي، ص110. قوت القلوب، أبو طالب المكّي، 540/2.

علي دبّوز مسوّغا ليكتُبَ عدّة ترجمات يمكن وصفها بالأدبيّة لما تحملهُ مِن المقوّمات التي تجعلها من الآثار الفنّيّة، وسيتمّ بيانُ هذا مِن خلالِ عناصِرِ هذه الورقة.

1-مخطوطة الحكايَة:

النّسخة الورقِيّة لهذهِ التّرجمة لم تذكُرْ سنةَ نسخِها ويبدو أنّها بخَطِّ المؤلّفِ جاءت في 13 صفحةً مكتوبة بخطٍّ واضِحٍ منمّق تشْكِلُ قراءتهُ في رسمِ بعضِ الحروفِ وبعض الكلماتِ لكن يمكن الاهتداء إلى معناها من خلالِ السِّياقِ ومقارنةِ الرّسمِ الخاصّ لبعضِ الحروفِ، وقد ألحقَ على جوانب الصّفحات توضيحات وإضافات مختلفات



الحجومِ، كتصحيح لفظةٍ أو إضافة تفصيلٍ ممّا ينبِئُ عن كتابة التّرجمة على فترات متلاحقةٍ، بلْ يمكِن أن يضيفَ ورقة كاملةً ليسْتدْرِكَ وصف أحداث لم يوفِّ الكلامَ عنها؛ وهذا مِن خلفِيّة الكتابة الأدبِيّة التي تعتمِدُ على الإلهام الذي قد يغيبُ أحيانا ويحضر في أحايين أخرى.

نموذج من مخطوطة الحكاية

حملت الأوراق ترقيما بالقلم الرّصاص لكنّه لم شمل كلّ الأوراق؛ إذْ توقّف عند الرّقم 10، وبقيت ثلاثة أرواقٍ دون ترقيمٍ، كما أنّ هذا التّرقيمَ لَمْ يكنْ متسَلْسِلاً فترى خللا بين الأرقام 5 إلى 10 والرّقمين 12 و13، فالصّفحة المرقمة ب8 هي في الأصل الصّفحة9 والصفحة رقم6 في الأصل الصّفحة7، والصّفحة9 هي في الأصْل الصّفحة11، والصّفحة 10 هي في الأصل الصّفحة13، وبهذا يتحصّل التّرتيب الصّحيح للصّفحات حسب التّرقيم الالكتروني لملفّ pdf والجدول أدناهُ يوضّحُ ذلكَ:

ترقيم الصفحات	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13
ترقيم pdf	1	2	3	4	7	9	10	8	6	5	11	13	12

جدول ترقيم صفحات المخطوطة

انتهت الورقَةُ الأخيرةُ بقولِ المؤلّف: وفي النّادي السّريّ فتَح ابن فندين الصّندوقَ فوجدَ صاحِبهُ فيه قتيلا فرأى" دون إشعارٍ بالنّهاية ولم يستعمِل المؤلّف من الورقة إلّا وَجهَها، وهذا يفتح باب التّأويل واسِعا لهذه النّهاية غير التّامّة. ولا أدري إن كانت هناكَ رغبةٌ في تتمّةِ أحداثِ القِصّة ولكن توقّف المؤلّف في وسطِ السّطرِ وفي منتَصفِ جملةٍ غيرِ تامّة المعنى لا ينبِئُ إلّا عن توقّف قلم المؤلّف لطارِئٍ يعودُ بعدهُ أو لم تواتِهِ الرّغبةُ في إتمامِ عملِهِ فغادرهُ لفرصةٍ لاحقةٍ لمْ تَأتِ.

2-الحكاية التّاريخِيّة الأصلِيّة:

استلْهمَ المؤلِّف هذه الحكاية مِن الكتب التّراثِيّة التي تناقلتها وبالخصوصِ كتاب "طبقات المشايخ بالمغرب" للشّيخِ أبي العبّاس أحمد بن سعيد الدّرجيني (ت: 670ه)[1]، وقد أخذَ عنهُ غيرهُ من الكتب كَكتابِ "إيضاح التوحيد بنور التّوحيد" لسعيد الغيثي[2]، وأحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي (ت: 928ه) في كتابه السِّير[3]، وكتاب سير الأئمة وأخبارهم لأبي زكرياء يحيى بن أبي بكر (ت 471 هـ) [4]. وبالتالي فإنّ أحداث الحكاية مشتهرة ومتداولة بين النّاسِ، وليس يخفى حديثها على أحدٍ. ولهذا الانتِشار انعكاسُهُ على الأداءِ السّرْدي لهذا العمَلِ. كما أنّ هناك مَن علّقَ على هذهِ الحكايةِ، وفنّدَ وقوعها، وادّعى أسطورِيّتها[5].

وعلى هذا فإنّ دراسة العمل الأدبِي يستحضِرُ الأصل التّاريخي ليبحثَ عن النّقطة الفارقة بينهما، وهو الأصلي والملهم، ويكون خبَرا حكائيّا شرطُهُ وجودُ أثَرٍ كلّي (دليل على صحّتهِ)، وأن تكون له بداية ووسط ونهاية، فنجِدُ في هذه الحكاية ما يتحقّقُ من هذه الشّروطِ، وما

---

[1] – ينظر: طبقات المشايخ في المغرِب، الدّرجيني، 1/ 50 وما بعدها أوردَ المؤلِّف عدّةَ أحداثٍ تتعلّقُ بإمامة عبد الوهّاب.

2 – لم أقف على الكتاب مطبوعا.

3 – طبع الكتابُ سنة 1407هـ / 1987م.

[4] – طبع الكتابُ سنة 1399هـ – 1979م.

[5] – ينظر: ترجمة يزيد بن فندين لمصطفى شريفي (كتاب مرقون المكتبة الشاملة الإباضية).

بقِيَ منها يبقى محبوسَ الغيْبِ، فالأكيدَ والمتواتر هو وجود الشّخصِيّتين المحورِيّتين (الإمام عبد الوهاب، ويزيد بن فندين) وأيضا وقوع الشِّقاق بينهما في مسألة الإمامةِ، ونشأة الفرقة النّكارِيّة التي تسمّتْ بغيرِ هذه التّسمية طمْسا للسّمة السّلبِيّة التي لحقتهم بإنكارِ إمامةِ عبد الوهّاب، ثمّ كان لهم من الآراء العقدِيّة ما جعلهُم يتميّزونَ عن الإباضِيّة، ويميّزُ الإباضِيّة أنفسُهم عنهُم بإضافة صفة الوهبِيّة[1].

إنّ النّصّ الأدبيَّ (المبدَع) المتمثّل في هذا العمَلِ الذي تركه محمّد علي دبّوز منبثِقٌ أصْلا عن هذه الرّواية، لكنّهُ يفرقُ عنها بالعناصر التّخييلِيّة الأحداث لم يكشف التّاريخ عنها، فغايةُ ما هنالك أن يحافِظ على الحقائق التّاريخيّة ويبتكِرَ سيناريو لتتابع الأحداثِ فيظهرُ ما خفِي منها، ولكنّهُ سيضطرّ بكلِّ تأكيدٍ إلى إعمالِ خيالِهِ المبدِع لِسَدّ الثّغراتِ وإحلالِ الحكاية بحلّة أدبِيّة مُلهمة. وستأتي فقرات الورقة على ما قام به المؤلِّف.

3-مشكلة التّجنيس:

ليسَ التّجنيسُ مشكلا محصورا في الأعمال السّردِيَّة فقط، بل يطالُ جملةً مِن الأعمالِ الأدبيّة النّثرِيّة والشّعرِيّة. ويعتبر التّجنيس البوّابة الأولى لدراسة أيّ أثَرٍ فنِيٍّ بإسقاطِ المنظومة النّظرِيَّة عليهِ وإظهارِ العناصِرِ المقوّمةِ لَهُ وبالتّالي معرِفة قيمتِهِ الأدبِيّة والفنّيّة. يمكِنُ

[1] - ينظر: معجم مصطلحات الإباضية، 1027/2.

لهذا المدخَل النّقديّ الذي يمارِس سلطة على العملِ الأدبِيّ أن يَحدّ مِن الطّاقة الإبداعِيّة لأيّ عملٍ؛ فيكونَ للمبدعِ ظلّا يرقبهُ حيثُ ارتحل. لذا نجِدُ بعض الأعمالِ المستعصِية على التّجنيس إمّا لضعفِ الإطارِ النّظرِيّ، أو لانفلاتِ هذا العملِ مِن القيودِ السّلطوِيّة للنّقّادِ. وعلى هذا يجِبُ أن تتابع هذه العمليّة بدقّةٍ وبالأحرى حينما يجتلبُ جهازٌ مفاهيمِيّ خارج عن الإطارِ الثّقافِي للمبدعِ ولغتهِ.

وبخصوصِ مدوَّنة الورقة فقد سجّلَ الكاتِبُ على رأس الصّفحة الأولى: إمامة الإمام عبد الوهّاب 171هـ، ليعلِن أنّ الإطار الزّمني والحدثِي للحكاية محصورٌ في تولّي الإمامة، وبهذا نقِف في حيرةٍ لتحديدِ الجنس السّردي لهذه الحكاية، أهِي ترجمة أم قصّة أم خبرٌ...

إنّ ما يدفعُ إلى تجنيسها بالحكايَةِ الأدبِيّة تسليطها الضّوءَ على حكايةٍ مرتبطةٍ بشخصيّة محدّدَة، هو الإمامِ عبد الوهّاب، يكون فيها المحورَ، ممّا يرجّح وجود حلقاتٍ أُخَر لهذهِ الحكاية قد يكون المؤلِّفُ رغِبَ في تحريرِها، ولكن لم تُسْعِفْهُ المادّة التّاريخِيّة أو أنّهُ قد عاجلتْهُ المنِيّةُ فلمْ يجِد الوقت الكافي لذلِكَ.

4-تعريف الحكاية الأدَبِيَّة:

أ-الحكاية:

لغة: يشتق هذا المصطَلح من الجذرِ (حكي) الذي يدلّ على التّقليد قال في لسان العربِ: "حكَيْت فلاناً وحاكَيْتُه فَعلْتُ مثل فِعْله أَو

قُلْتُ مثل قَوْله سواءً لم أُجاوزه وحكيت عنه الحديث حكاية"[1]. ومِن هذا المعنى يشتقُّ المعنى الاصطِلاحِيّ الدّالّ على سردِ الأحداثِ فيفترِضُ حدوث حدثٍ ينقلُ وقائعهُ راوٍ أو مشاهِدٌ لهُ.

اصطلاحا: وردَ في معجَم السّردِيّات: "المصطلح العربِيّ "حكاية" كان دالّا في البدايةِ على تمثيل الأصواتِ والحركاتِ... ولم يدلّ المصطلَحُ على السّرْدِ إلّا بعد القرن 3هـ/9هـ تقريبا وصار مرادفا أحيانا لمصطلحات أخرى سابقة في الاستِعمالِ كالقصّة، والخبر، والحديث، والسّمَر. "تتمثّل في مضمونها القصَصِيّ الذي تؤدّيهِ الأحداثُ القائمة على التّتابُع؛ واقعِيّة كانت أو متخيّلة. كما تقومُ على شخصِيّات في زمنٍ ومكانٍ معيّنينِ"[2]. ويعنينا في هذا التّحديد المصطلحِيّ ما يتعلّقُ بأدبِيّة الحكاية، وما يمكِن أن يُضافَ لها ويطوّر فيها حتّى تحدِث الأثَر الأدبِيّ المرغوب، وليسَ مقصورا على العناصِر السّردِيّة فقط بل يَتمثّلُ في التّصوير، وعناصِر أخرى يتفاوتُ ظهورُها في الأعمال الإبداعِيّة.

ب- الأدَبِيّة:

لغة: يدلّ الجذر (أ د ب) على ما "يَأْدِبُ النّاسَ إلى المَحامِد ويَنْهاهم عن المقَابِح وأَصل الأَدبِ الدُّعاءُ"[3]. فهو يحومُ حول الدّعوة

---

[1] - لسان العرب (حكى).

2 - معجم السّرديّات، مجموعة مؤلّفين، ص148.

3 - لسان العرب (أدب).

وما يقدّم فيها من إكرامٍ.

اصْطلاحا: يرتبِطُ مُصطَلَحُ الأدب عامّة بفنون الكلام سواء كانت منطوقة أم مكتوبة، لذلِك نجدُ عدّة تصوّرات حديثة لمصطلح "الأدبيّة" الذي ينتُجُ عنه وبالخصوصِ حين الانفتاح على أفكارٍ ترى الأدب إنتاجا يخاطبُ الإنسانِيّة كلّها، وليس محصورا ضِمنَ فِئةٍ معيّنَةٍ أو يختصُّ بمَن لهم وَلَـعٌ بذلِكَ النّوعِ من الإنتاجِ، فتفرغ هذا السّياق في تحديد الأدبِ جعلهُ قابلا للتّأقلُم مع كلّ أشكالِهِ وأجناسِهِ. فالأدبُ عند فان ديك "ليس مجموعة نصوصٍ خاصّة فقط، إنّه بالأحرى مجموعة مِن الممارسات النّصّيّة الخاصّة"[1]. ثمّ إنّ الأدب حين تفكيكهِ يحطّ بنا في مرحلتين مرحلة الإنتاج وهي خاصّة بِالمبدِع، ومرحلة إعادة الإنتاج وهي خاصّة بالمتلقّي ولكلّ آليته الخاصّة بهِ (نصّيّة، تواصلِيّة)[2].

وعرف النّقد القديم عدّة مصطلحاتٍ تشارِك الأدبِيّة في دراسة ظاهرة الجمال والتّأثير المكتنزَة في الكلام، فنجد إلى جانبه البلاغة التي تهتمّ ببناء الكلامِ من حيثُ مواطن جماله وتبليغ رسالتهِ حسب المقامِ والمخاطَب، ومصطلح الصّناعة الذي كثر استعماله حتّى غدا لفظا من ألفاظ عناوين الكتب النّقدِيّة استنادا إلى قول الجاحِظِ: "فإنّما

---

[1] - انفتاح النّصّ الرّوائِي، سعيد يقطين، ص14.

2 ا- نفتاح النّصّ الرّوائِي، سعيد يقطين، ص15.

الشّعر صناعةٌ وضَرْب من النَّسج وجنسٌ من التَّصوير"[1]، ونجِد أيضا الصّياغة والتّصوير[2]. وبالأحرى نقول إنّ الأدبِيّة هي العناصِر الموجودة في أيّ كلامٍ تجعلُه جميلا ومؤثِّرا، فالأدبِيّة "لا يصنعها الكلام المتداولُ المبتذل الذي يقوم بالوظيفةِ العملِيّة في خطابِ عامّة النّاسِ، وإنّما الذي يصنعها هو تجاوزُ كلّ هذا إلى الكلام الفنِّي المنمّق الذي يمتازُ بالتّفرّدِ"[3].

وعلى أساس هذين التّعريفين نصوغ تعريفا جامِعا للحكاية الأدبِيّة فهي: العمَلُ السّرديّ الذي يروي أحداثا قائمة على التّتابُع واقعِيّة كانت أو متخيّلة، كما يقومُ على شخصِيّات في زمنٍ ومكانٍ معيّنينِ، بطريقة تتجاوزُ السّرد التّاريخي إلى سردٍ يحيِي الأحداثَ ويبنيها في قالَبٍ جميلٍ. وسأبحثُ فيما يأتي من العناوين على ما يوقِعُ هذه الأدبِيّةَ في المدوّنَة المدروسَة.

5-البناء النّصّي في تراجم محمد علي دبوز:

تظافَرَت في بناء العمل السّردِيّ عند محمّد علي دبّوز عدّة عناصِر سأعرِضُ لها بالتّحليلِ بِحسَبِ كثافَةِ حُضورِها عندهُ.

أ-تلاحمُ السَّردِ والتّصوير:

---

1 - الحيوان، الجاحظ، 132/3.

2 - ينظر: مفهوم الأدبية في الخطاب النقدي، د. محمد الواسطي، ص13 وما يليها.

3 - مفهوم الأدبية في الخطاب النقدي، د. محمد الواسطي، ص19.

لم يتوانَ المؤلِّف في إظهار مقدراته التّصويريّة لتجسيد الأحداث الواقعةِ؛ مِن خلالِ الإكثارِ مِن التّشبيهات والصّور البيانيّة، وتوظيف مجموعةٍ مِن المعارِفِ الإنسانيّة لكشفِ خبايا الوقائعِ، وإظهارِ الوجوه المخفِيّة منها. ولا يمكِنُ أن يخرُجَ هذا مِن إطارِ العملِ السّردي، بل يعتبرُ ميزةً لهُ، ومقدرة متفرّدةً تُحاكي الأحداث الحقيقِيّة بجانب العناصِرِ السّردِيّة الأخرى التي ستتعرّضُ لها الورقة، وما كان تقديمُ هذا العنْصُر إلّا لكثافةِ حضورِهِ في هذا النّموذَج، واعتِماد المؤلِّف عليهِ في مناسباتٍ عدّة كما تظهرُهُ النّماذج الآتِية:

قال في وصفِ ابن فندين المنازع للإمام عبد الوهاب في منصبِهِ: "وكان بأجنحةٍ مِن علمِهِ وذكائه وقوّة شخصِيّتِهِ فطار، ولكنّهُ لم يكُنْ ببياضِ الدّخلة التي تجعلُهُ على روحِ النّحلةِ فيقع على الزّهورِ فيصْنَعُ لامتهُ حلاوتها، بل كانَ بسوادِ دخلتهِ على طبيعةِ الجُعَل تقعُ به أجنحتهُ عل النّتنِ فيدحرِجُهُ لقومِهِ"[1]. إنّ هذا الوصفَ يجمع إلى الإيجازِ الإبلاغَ والتّصويرَ البديعَ، فيُظهِر ابن فندين شخصا يبلغ ما لا يبلغهُ غيرُهُ، له إمكانيّات لا يملكها أحَدٌ آخَر عبّر عن ذلِكَ بامتلاكِ الجناحيْن، ولكن في خضمّ هذه الصّورة المادِحةِ يجرف المتلقّي إلى المقصود كصيدٍ وقعَ في فخٍّ، إنّ هذا الوصْفَ لا يرسم ابن فندين الحقيقي، وإنّما تحدِيد صاحب الجناحين أجُعلٌ هوَ أم نَحلةٌ؟، إنّ

1 - إمامة الإمام عبد الوهاب، ص4.

"دِخلة" ابن فندينَ قد حملت عليْهِ، وأنزلتْهُ منازل خسيسةً حتّى صوّرهُ بِالجعل يقـع على النّتن.

وهكذا تتوالى الصُّوَر، ولا يتْركُ المؤلِّفُ موقفا أو مشهَدا إلّا ورسمه بالشّكلِ الذي يجعله أكثر حضورا في ذهن المتلقِّي، فيجسّدُهُ بالصّور التي تجلِّي حقيقتهُ، وتنقل الواقعة كما يصنعها خيالُهُ ويوافِقُ معلوماتهِ موظّفا الثّقافة المشتركة بينه والمتلقِّي، ففي مفتتح الحكاية يقول على سبيل الاستعارة: "ولبست تاهرتُ ثوبَ الحِداد"[1] تجسيدا لحالِ المدينة إثرَ رحيل الإمام المؤسِّس عبد الرّحمن ومفارقته الدّنيا.

ومن طرائف التّصوير عند الشّيخ ولعُهُ بتوظيفِ الصُّور الأنثوِيّة ليدلّ على غريزتِهِ المحبّة للجمال العاشِقة لهُ؛ يقول عن ابن فندين دائما: "ويقول فيه [يعني الإمام عبد الوهّاب] ما تقول الجراثيمُ في الشّمسِ القاتلة لها، تنعتها بأنّها البرصُ الذي يسرِي بالبياضِ الخبيثِ في جلدِ الحسناءِ"[2]. إنّها صورةٌ مركّبة على سبيلِ التّشبيه التّمثيليّ فالبرَصُ في أصلِهِ منظَرٌ غيرُ معجبٍ، فكيف إذا اجتمع بصِفة المرأة الحسناءِ لن يجِد المشاهِدُ تعليقا لذلِكَ إلّا الذّهول. وهو المقصَدُ من تصوير حالِ هذا المعارِضِ لا يتركُ محمدَةً إلّا ردّها مثلبة. وقوله أيضا عن ابن فندين وأصحابِهِ: "وكانوا يروْنَ بياض النّهار في أعينِهِم أشَدّ

[1] – إمامة الإمام عبد الوهاب، ص1.

[2] – إمامة الإمام عبد الوهاب، ص4.

نكرا مِن بياضِ الشّيبِ في عيون الغواني، ويهوون الظّلام ويرؤْن طلائعهُ إذا أقبلَ أحلى مِن غبارِ القافِلة في عينِ المشوقِ الذي ينتظِر وصولَ الحبيبِ من سَفَرٍ طويلٍ"[1].

إنّ استطراد محمّد علي دبّوز في رسم الصّوَرِ المتلاحِقة واضِحٌ جدّا في منهجِهِ، فخلالَ ورقتين ضمّنهما فقراتٍ متلاحقة كلّها مفتتحةٌ بالفعلِ النّاقِصِ "كان"، تصُبُّ في وَصفِ الظّروفِ المزامنة للحدثِ الرّئيسِ للحكاية، لقد تحدّث عن مدينةِ تاهرتَ وجوّها الشّتويّ المثلِج، وعن الإمام عبد الوهّاب ونقائهِ وصفاتِهِ وأسْهبَ في كلّ ذلِكَ لغرَضِ أن يحدِثَ زفّا وأحاسيسَ تُرافِقُ أحداث الحِكاية فتجْعل السّامع منتبِها متتبّعا للأحداثِ، ويشعُرُ بتزامنِها، ويتفاعَلُ معها شعوريّا وكأنّها شاخِصةٌ أمامهُ.

ب-اختيار الألفاظ الموحِية المناسِبة:

في نفسِ سياقِ البناء الأسلوبي الفنّي للسّردِ عند محمّد علي دبّوز يبرُزُ عندهُ استعمالُ ألفاظٍ مختارةٍ للبوحِ بمعانِيَ مقصودَةٍ، وتنبئ المخطوطةُ عن ملامِح لِسيْرِ هذهِ العمليّةِ إذ كثيرا ما يعدلُ عن لفظة لأخرى لأنّها تؤدّي معنى معيّنا لا يظهَرُ في اللّفظة المعدول عنها بوضوحٍ، كقولِه: "ثمّ تلاه النّاسُ في **البيعةِ**"[2] شطب الكلمة الأخيرةَ

[1] - إمامة الإمام عبد الوهاب، ص4.

[2] - إمامة الإمام عبد الوهاب، ص3.

وكتب فوقها: "المبايعَة" فبينهما من الفرقِ ما بينَ الأخوّة والمآخاة، ففي الثّانِية مزيدُ عملٍ وتشديد على الأثر الواقعِي.

وقال في موقِف الإمام مِن ابن فندين: "وعلِم أنّ قلبَهُ من الأثافي لا مِن اللّآلِئ لئن لاقَ سندا للقدرِ **الرّاسِيّة**، فلا يليقُ **ركْنا** للدّولة البيضاءِ النّاشئةِ"[1] تجدهُ يعدِلُ عن لفظة "ركن" إلى كلمةِ "سَند" وعن "الرّاسية" إلى "السّوداء" حتّى يعطي للتّركيبِ تناسقا ويناسِب الألفاظُ بعضَها بعضا وتتصاقبَ في تتمّةِ أوجُهِ الصّورة المطلوبة، ثمّ يصوِّرُ موقف ابن فندين من تصرُّفِ الإمامِ في قولِهِ: "فاغتاظَ ابن فندين **واحتدمَ** فصارَ يعملُ للثّورةِ على الإمامِ"[2]. لقد عوّضَ الفعل "ثارَ" وشطبه بالفعلِ "احتدم" وكأنّه يصوّر المراحِل التي مرّ بها ابن فندين حتّى بلَـغَ حدّ الثّورةِ؛ ففي البدايةِ إحساسٌ نفسِيّ بالاسْتصغارِ والنّبذِ تحوّلَ إلى فعلٍ مضادٍّ للإمامِ يبتغي عزلَهُ عن مكانِهِ.

وفي قولِه يصِف تعلّق أنصار ابن فندين باللّيلِ لأنّهُ يعطيهم فرصةً للتّحرُّكِ تحت جنحِهِ فهم ينتظرون سدولَهُ كـ"الذي ينتَظرُ وصولَ الحبيبِ من سفرٍ **طويل**" كان قد كتبَ "بعيد" ثمّ طبطها وكتب بدلها "طويل" والفرقُ يكمُن في إصابةِ طول مدّة السّفَرِ؛ سواء كانَ إلى مكانٍ بعيدٍ أو قريبٍ، فالنّأيُ قد يحدثُ في المدينةِ نفسِها؛ تجدُهما متحابّينِ

---

[1] – إمامة الإمام عبد الوهاب، ص3.

[2] – إمامة الإمام عبد الوهاب، ص3.

لكن يعزُّ اللّقاءُ بينهما لأسبابٍ مختلفة، لكنّ البعدَ يجعلُ الحبّ يستكِنُ إلى عذرِ استحالةِ اللِّقاءِ، فيشتغِلُ بغيرِهِ ليطفِئِ نار الشّوقِ ويضغطَ على جرحِهِ، فالطّول والبُعد لا يؤدّيان المعنى نفسَهُ وإن كانا يصبّانِ في نفسِ المصَبِّ.

لقد ألقت مجموعة الألفاظ المختارة ظلالها على عبارات الكاتِبِ، واستطاعتْ أن تنقُلَ مجموعةً مِن المعانِي تؤثِّرُ في القارِئِ، وتجعلهُ يعيشُ تجربةَ المؤلِّف، ويتفاعلُ مع حيثِيّاتِها، ويشارِكُ في بناءِ أحداثِها، وكأنّه عنصُرٌ فاعِلٌ وأساسٌ في تكوينِها.

ومِن جانبٍ آخر في اختيار الألفاظِ، وإن لم يعدِلْ إليها عدولا، ولكن قد وضعها في أوّل وَهْلةٍ نقفُ على هذا في قوله: "وربّانها في الزّعازع والدّياجي"[1] مبالغة في وَصفِ مكانة الإمام في إقامة الدّولة، فيضْفي الوَقعُ الموسيقِيّ للفظِ "الزّعازع" معاني من الارتجاجِ لا نقفُ عليها في غيرِهِ يسبّبها تكريرُ مقطَع الزّاي والعينِ.

ج-الاختلاف في الزّمن:

التزمَ المؤلِّف خطّ الزّمَن المتواصِل فأورَد الأحداثَ حسب تسلسلِ وقوعِها، فقد غلبت عليهِ النّزعة التّأريخِيّة في مقابِل الأدبِيّة، لكن نقِفُ على ظاهرةِ تخييل الأحداثِ التي تميّزُ عملَهُ وتضفي عليهِ

[1] - إمامة الإمام عبد الوهاب، ص3.

ثوبَ الأدبِيّة. يقول في موقفِ التّحريضِ على الإمام عبد الوهّاب: "فرفعَ آخرُ رأسهُ وكان ينكُتُ في الأرضِ بعودٍ في يدِهِ ويتّخذُ فيها حفرا كأنّها القبورُ التي تفتحها أفكارهُ القاتلة للضّحايا"[1].

ففي خلال الفقرتينِ نلتمِسُ القفزات الزّمنِيّة بين زمن الحادِثة وما يقعُ في مخيّلة الشّخصِيّة؛ كيفَ يرى توالي الأحداثِ عليهِ إن هو أقدمَ على عملٍ ما أو هو تأخّر عنهُ، إنّ في هذه الحركة دفعا لعجلة الزّمَن مع تصويرٍ ملهَمٍ يربِطُ المتلقّي، ويجعلهُ يطلِقُ أحكاما على تلك الشّخصِيّة، وبالخصوصِ إذا كان مطّلعا على ما تؤولُ إليهِ الأحداثُ.

حيث السّرد التاريخي يعتمد الواقعيّة، وبالتّالي سرد الأحداث كما وقعت بالتّتابع الزّمنِي، أمّا النّصّ الأدبي يتصرّف في الوقائع فيقَدّمُ ويُؤخِّر، ويزيد وينقِص، ممّا يحدِثُ في النّصّ متعة وإثارة تجذبان المتلقّي، وتحْيِيان الأحداثَ وتجْعلانِهِ يحِسّ بالفرقِ بين الحدثَيْن. إنّ خطّ الزّمن الرّابط بين الأحداث هو النّقطة الفارِقة التي تظْهِر أدبِيّة الأديب وقدرته على حبكِ الأحداثِ وتنسيقِها. يقول بول ريكور متحدّثا عن الحبكة بين الشّعر والملحمة والأوديسا: ضرورة الابتداء من منتصف الحدث... لوضعِ حدٍّ فاصِلٍ بينَ السّردِ الأدبِيّ والسّرد التّاريخي الذي اعتُقد أنّه يتتبّع مسارَ الزّمَن صعودا ملاحقا شخصِيّاته

[1] – إمامة الإمام عبد الوهاب، ص7.

دون انقِطاع"[1].

د-الأزمة والإنفراج:

لمْ يرقَ النّسج السّرديّ لمحمّد علي دبّوز إلى درجةٍ تظهَرُ فيها حلقات الحكايةِ شديدة الاتّصال يفكُّ لاحقُها ما أشكلَ في سابِقِها حتّى في اللّحظة الحاسِمة لا يعلو التّشوِيقُ أحداث القصّة وكأنّ نهايتها محسومةٌ لا محالةَ، فلا تشعرُ بأنّ الأحداثَ قد احتدمتْ لدرجة أن يموتَ البطلُ أو تنقطع عنهُ الحيلةُ فلا يجِدُ مخرجا مِن مأزقِهِ، ولكنّها نهايةٌ متوقّعةٌ لا تكسِرُ أفُق انتظار المتلقّي ولا تبهرهُ فبقِيت على هذا في مستوى الخبَر التّاريخيّ التّقريري بإضافة بعض التّفاصيل الغائبة يملؤها المؤلِّفُ بخيالهِ من صفات الشّخصِيّاتِ وترتيبات الزّمان والمكانِ[2].

لقد تمثّلَتْ أزْمَةُ الحكاية في ثنائِيّة السّلطة والتّمرّد، وكثيرا ما استثمرت هذه الثّنائِيّة في الأعمال السّردِيّة المكتوبة والمسموعة والمُشاهدَة. وحاولَ المؤلِّف تطويرَها بخيالِهِ بتنمِية بعضِ العناصِرِ الحكائِيّة، لتظهرَ ثُنائِيّات أخرى فرعِيّة كالاحتيال والالتزام، أو الخدعة والنّباهَة، فصوّر الشّخصِيّاتِ حسبَ الصّفات المناسِبةَ لها،وأظهرَ النتيجة في قالب حكائي تتاولى فيه الأحداث وتتظافَرُ لينتصِرَ في

---

1 - الزمان والسّرْد، بول ريكور، ص29.

2 - يرجِعُ هذا إلى معرفة الأحداث التّاريخيّة للحكاية فلا يحمِل هذا العملُ جديدا للقارِئ من هذهِ النّاحية.

الأخيرِ الأصْلَحُ والأنْسَب، أو يبقى الصّراعُ قائما دون نِهاية.

إنّ مجريات الحكاية لم توحِ بوجود خلافٍ بينَ الإمام وغريمِهِ، فهما أصْلا كانا ضِمْنَ السّبعة المختارينَ لتحديدِ الأنسبِ لتولّي منصِب الإمامةِ، فبالأحرى يتمتّعانِ بِمؤهّلاتٍ ترشّحهما لهذا المنصِبِ. فما الذي حوّلَ ابن فندين عن هذهِ المكانة إلى رجلٍ يدبّرُ المكائدَ ويؤلّبُ العامّةَ على الإمامِ ويسعى في تصفِيتهِ؟ هذا ما لم يستثمِرْهُ محمّد علي دبّوز، إذ هي الأزمة الأساسِيّة التي تتولّد عنها أحداث القصّة، إلى نهايةِ ابن فندين، حسب الرّواية التّاريخِيّة والتي لم يذكرها المؤلّف.

ونجد المؤلّفَ قد أشارَ إلى أمرٍ جعلهُ السّببَ المباشِرَ في تحوّلِ ابن فندينَ قال: "كان يزيد ابن فندين أحدُ السّبعة الذين وُكّل إليهم أمر الإمامة رجلا معتدّا بنفسِهِ، مغرَما بحبّ الظّهور وكان شخصِيّة قوِيّةً غيرَ أنّه لم يوتَ الصّفاءَ في نفسهِ، كما أوتي العلم في عقلِهِ، والشّجاعة في قلبِهِ، فتحاماهُ صحابتهُ السّتّة فلم يرشّحوه للإمامة **فجرح هذا كبرِياءَه وساءَهُ هذا الإزوِرار**"[1]. إنّ هاته الحال النّفسِيّة لا يفهَم كيف تبلغ حدّ الحقدِ بنيّة الاغتيالِ، ففي مرحلةِ تطوّر هذا الحِقدِ وتناميهِ، ثمّ تحوّله إلى رغبة عارمة في قتل الإمام، وأخذ مكانتِهِ تتشكّل أحداث الأزمة لتنفرِجَ بقتلِ ابن فندين على يدِ أفلح نجلِ الإمام عبد الوهّاب[2].

---

[1] – إمامة الإمام عبد الوهاب، ص2.

[2] – ينظر: طبقات المشائخ، 50/1.

وأظهرَ محمّد علي دبّوز مِن هذهِ المراحلِ بدايتها وكأنّها فصلٌ مِن هذه المؤامرة اختتم بقتلِ المرسولِ لتنفيذِ هذه العمليّة لكنّها لم تبلغ من حدّ التّأزيم ما يجعل القارِئ في ذهولِ وترقُّبٍ للأحداثِ اللّاحقة فكأنّها سيقَتْ في تسلسُلٍ منطقِيّ واضِح النّهاية لا يحمِلُ مصادفةً ولا خرقَ عادةٍ تجعلُ هذه القصّة ذائعة متداولة بين الألسُن، فلم يوفّق المؤلِّف في استثارةِ خيالِ القارِئ، وجذبِهِ ليتخيَّلَ نهايةَ الأحداث، فينسج السّيناريو المرتقَب ثمّ يباغتُ بما لم يكُن ينتظِرُهُ سواء سلبا أو إيجابا.

وتشكّلت في ظلِّ هذهِ الأزمة المحورِيّة أزماتٌ سابقة وأخرى لاحقة، فقبلها لم يتمّ الحسْمُ في مَن يشغرُ منصب الإمام فالكلّ يدفع عنهُ هذه المسؤولِيّة ويلقيها إلى مَن يراهُ هو أنسَبُ لها، فكيف تمّ الحسْمُ بموقِفٍ طريفٍ مِن مسعود الأندلُسي الذي يظهَرُ فجأةً بعد اختفاءٍ لم يُصوّره المؤلِّف فربّما تدثَّر في لباسِ غريبٍ حتّى لا يعرَفَ؛ فمسابقتهُ لمبايعةِ الإمام بعد الإجماعِ عليهِ تنبِئُ عن مراقبته الأحداثَ عن قربٍ لينتهِز الفرصة المناسِبة ويعلّق الجرس في عنُقِ صاحبِهِ، وبهذا تمّ انفراجُ هذه الأزمة لتتحوّل الأحداثُ إلى مسرحٍ آخرَ ميّزها ظهور ابن فندين كعنصُرٍ فاعلٍ فيه، كأنّهُ الشّخصِيّة التي سلّط عليها الضّوء الكاشِفُ لتتبّع حركاتهِ وسكناتِهِ.

ولمْ يرُقْ لابن فندين أن يستأثِرَ عبد الوهّاب بالإمامةِ فتكون لهُ

الكلمة الأولى والأخرى في تسْيير أمورِ الدّولةِ، ولابدّ له مِن قبولِ أوامرهِ وتطبيقِها وإلّا حُسِبَ ضِمْنَ أهل دعاوى التّمرّدِ، فغدا يتطلّبُ ما يدفعُ بهِ عنِ الإمامِ سلطتهُ المطلَقة ويزاحمهُ في مهامّهِ فيظهِر عدمَ كفاءتِهِ لهذه المسؤولِيّة، وهنا تأتي الأزمة الثّانية بقولِ ابن فندين للإمام عبد الوهّاب: "نعاهدكَ على أن تتّخذ مجلِسا للشّورى لا تبتّ في الأمور إلّا بِاستشارتِهِ، ولا تنجز المهامّ إلّا بموافقتِهِ"[1] وفي حركةٍ سريعةٍ ينهي المؤلّف الأزمة بتدخّل مسعود الأندلسي كما حدثَ في الأزمة السّابقة ليفحِم ابن فندين ببطلانِ هذا الشّرط الذي لم يرِدْ في كتابٍ ولا سنّة كما قال. وتأزَّمَ وضعُ ابن فندين حينما لم يجِدْ عند صهرِهِ الإمامِ ما كان يحلُم بهِ مِن السّلطةِ فلمْ يكن عبد الوهّاب ليقدّمه وإن كانَ بنسَبٍ منهُ (أمّ عبد الوهّاب كانت من يفرنْ موطنِ ابن فندين).

ه-العناصِر غير السّردِيّة في التّرجمة:

لقدْ أسْرَفَ المؤلِّفُ في الحديثِ عن ثوابت ومبادِئ إسلامِيّة في الحكمِ وتولّي مهامّ الدّولةِ، إن كان هذا يفهَمُ في خطابٍ تبجيلِيّ معرفِيّ يقارِنُ بين أنواع الحكمِ وصلاحِيّة الحكم الإسلامِي من دونهِ فلا نجِدُ لهُ موقعا ضِمنَ الخطاب السّردِي المنبنِي أصلا على الأحداث الواقعِيّة المصوّرة بصورةٍ جذّابة مؤثّرة تبتغي الوصولَ إلى فئةٍ أوسَع وأقلّ إدراكا لما يتعقّدُ من الخطابات العلمِيّة المقارِنة.

---

[1] - إمامة الإمام عبد الوهاب، ص2.

وقد يأخذُ المؤلِّف العذرَ بالضّغطِ الذي يمارَسُ عليهِ مِن واقعٍ لا يقدّم أصحابَ المبادِئ، ولا يعمِلُ الأحكامَ الشّرعِيّة في إسنادِ الأمرِ إلى أهلهِ، وتنظيم أحوالِ النّاسِ ومصارِفهم حسب القوانين الإسلامِيّةِ إلّا أنّهُ لا يجِدُ لنفسِهِ عذرا إن لم يقبِل القرّاءُ على تلقّي أعمالِهِ بالشّكلِ المرغوبِ فيهِ، وإن كان لا يخالِفه فيما يرمِي إليهِ، لكنّ العمل السّردِي يعتمِدُ على تحويل المؤلّفِ لهذه الأفكارِ إلى شخصِيّات فاعلةٍ، وأحداثٍ مشوقةٍ، تربِطُ القارِئَ بالقصّة باستثارتهِ وتخصيبِ خيالِهِ ليتلقّى ذلِكَ في لا وعيهِ، ثمّ تتحوّل إلى قناعةٍ إذا هو احتكّ بواقعٍ مماثلٍ، ورأى فاعلِيّتها وموافقتها للسّننِ الثّابتة.

يقولُ المؤلّف مثلا: "وكان العلمُ والوَرعُ وتمامُ العقلِ في هذه الدّولةِ المتشبّثة بالدّين في كلّ أمرٍ، هي الكفاءةُ التي تقدّمُ الرّجلَ للأعمالِ والمناقِبِ... فلذلكَ كانوا يدفعونَها عنهُم ويفرّونَ منها فرارَهم من الأمرِ الكريهِ"[1] فنحن نقاسِمُ المؤلّف في جزءٍ كبيرٍ ممّا يقولهُ، ونعضدُهُ بما نملكُ من أمثلةٍ، ولكن لا نجدُ في النّصِّ مسحة أدبيّة تنقلهُ إلى درجةِ الإحساسِ والشّعور، بل يبقى في مستوى التّقريرِ والتّبجيلِ إلّا في قولِهِ: يفرّون منها فرارَهم من الأمرِ الكريهِ".

إنّ افتتاحَ المؤلّف قصّتهُ بهذا الخطابِ لم يكُن في محلّهِ مطلقا، وكان الأجدَرُ حذفه تماما، وقد شفع لهُ العبارة التّصويريّة الأولى،

[1] – إمامة الإمام عبد الوهاب، ص1.

وذلك ما يبرعُ فيهِ حقيقةً، فهو يخْتلِق الصّوَر البديعة الموحية، يقول: "ولبِست تاهرتُ ثوبَ الحِداد، ومَشَت كلُّها خلفَ الإمام الفقيدِ تزفّهُ إلى جنّته وتلقِي عليهِ نظرةَ الوداعِ"[1].

نتائج وتوصِيات:

استطاع محمد علي دبوز أن يخرج النّصّ التّاريخي من موضوعيّته إلى نصّ فنّيّ أدبِيّ يغري المتلقّي بالقراءة والاستِزادة؛ وذلك مِنْ خلالِ جملة من العناصر الأدبِيّة التي قوامها الحقيقة المتخيّلَة التي تستثير مخيّلة المتلقّي وتسايرُهُ لتبقيه في جوّ القصّة وتنْشِئُ معهُ الأحداث والوقائع.

إنّ الحاجة ماسّة إلى مثلِ هذه الأعمال الفنّيّة التي تترجِم المادّة التّاريخيّة في قالَبٍ أدبِيّ جذّابٍ ومؤثّرٍ، ويبقى تطويرُ هذهِ الأعمالِ واستخدامها كمادّةٍ لصناعة الأفلامِ السّمعِيّة والمرئِيّة والكرتونِيّة لأجلِ تبليغِ رسالتِها وتحصيلِ مرادِها.

إنّ بناءَ عملٍ سردِيّ على حكاية تاريخِيّة معروفة أحداثُها يوقِعُ السّارِدَ في موقعٍ يجبرُهُ على استنطاقِ الأحداثِ وإعادةِ تصويرِها بما يجعلها متجسّدة عند القارِئ، لكنّه سيفقِدُ عنصُر المفاجأة الذي يعتمَدُ عليهِ كثيرا في بناء العملِ السّردِي.

---

[1] – إمامة الإمام عبد الوهاب، ص1.

المصادر والمراجع:

-الحوادث والبدع، محمد بن الوليد الطرطوشى، تح: المعلي بن حسن الحلبي، دار ابن الجوزي ط3، 1419 هـ -1998م.

-قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، أبو طالب المكّي، تح: د. محمود إبراهيم محمد الرضواني، مكتبة دار التّراث، القاهرة، ط1، 1422ه-2001م.

-انفتاح النّصّ الرّوائِي النّصّ والسِّياق، سعيد يقطين، المركز الثّقافي العربي- الدار البيضاء المغرب، ط2، 2001.

-الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1385ه- 1965م.

-سردية التاريخ وتاريخية النص الأدبي، أمينة رشيد، مجلة فصول، صيف وخريف 2005 - العدد 67.

-طبقات المشايخ بالمغرِب، أبو العباس أحمد بن سعيد الدّرجيني، تح: إبراهيم محمّد طلّاي، د ر ط، د س ن.

عنوان المداخلة جمالية الخطاب المسرحي في أدب الشيخ دّبوز

مسرحية" الأبناء الثلاثة" أنموذجا

أ. طرفاية أمال
أ.د. يحي الحاج أمحمد
جامعة غرداية

الملخص:

تحاول هذه الورقة البحثية أن تبحر في معالم الخطاب المسرحي للأديب الشيخ محمّد على دبوز حيث تسعى إلى استنطاق الأبعاد الفنية و الجمالية التي اشتغل عليها الأديب في مسرحيته الأبناء الثلاثة و ذلك من خلال استدراج الآليات الفنية وأبعادها الجمالية التي وظفها في عمله المسرحي والتي يمزج من خلالها بين الواقع الملموس و الممارسة الفنية التي يهدف من خلالها إلى التربية والتعليم و الإصلاح ومن عناصر الورقة البحثية البدء بتوطئة عن مفهوم الخطاب المسرحي، يليها ملخص المسرحية ثم ولوج عالم المظاهر الجمالية و أبعادها الفنية لنص الأبناء الثلاثة على عدة مستويات

- ✓ على مستوى العنوان
- ✓ على مستوى اللغة
- ✓ على مستوى الأسلوب

- ✓ على مستوى الحبكة
- ✓ على مستوى الزمان و المكان
- ✓ على مستوى الشخصيات و الحوار

الكلمات المفتاحية: الخطاب المسرحي- الأبعاد الجمالية- المستويات- الشيخ دبوز- الإصلاح.

توطئة:

يعد المسرح أحد الميادين الهامة التي حرصت على احتضان الفنون التعبيرية المختلفة و التي واكبت حضارة الإنسان عبر العصور و قد أضحى المسرح واقعا ملموسا و ممارسة فنية تهدف إلى التربية والتعليم و أحد الحقول الأدبية الخصبة التي استلهمت عقول الأدباء و النقاد لما له من أثر عميق يمس الفرد و المجتمع.

و قد أرجع الدارسون تأخر ظهور المسرح في الأدب الجزائري إلى الاستعمار الفرنسي و نتائجه السلبية على جميع الأصعدة ثقافيا و دينيا و سياسيا و اجتماعيا و اقتصاديا و قد نال الأديب الجزائري حظا سيئا من هذا التهميش و المعاناة جراء السيطرة الاستعمارية .

و في سنة 1931 رفعت جمعية العلماء المسلمين راية و لواء الإصلاح و بدأت الحركة العلمية و الأدبية في الجزائر ترى النور رويدا رويدا، خاصة عند مهاجرة البعض إلى جامع الزيتونة بتونس

طلبا لتحصيل العلم و المعرفة، و لم تكن الهجرة إلى جامع الزيتونة العامل الوحيد الذي ساعد على التعليم في الجزائر في فترة الاستعمار حيث اجتمعت العديد من العوامل في دفع عجلة التعليم إلى الأمام في الجزائر من بينها الفكر الإصلاحي و كذا اتصال الطبقة المثقفة في ايقاظ الهمم التعليمية .

و هكذا ساهمت هذه العوامل بشكل مباشر في انتشار التعليم و الأجناس الأدبية في الجزائر و يعتبر شيخ دبوز رحمة الله عليه من أبرز الكتاب في مجال القصة و قد لمع نجمه في هذا الجانب الأدبي المسرحي .

لذلك تسعى هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على إحدى مسرحياته الموسومة بـ عنوان "الأبناء الثلاثة " حيث نحاول أن نقف على خصائصها الجمالية و عبرها العليا الهادفة التي يتسم بها نتاجه المسرحي و بهذا نسأل **سؤالا رئيسا و مهما :**

- **ماهي الخصائص الفنية الجمالية التي استنطقها النص المسرحي للشيخ دبوز رحمة الله عليه؟**

قبل الولوج في عالم القصة المسرحية للشيخ دبوز تستوقفنا بعض

العناصر التي لابد من التطرق إليها و نبدأ بما يلي :

أولا : مفهوم النص المسرحي:

للنص المسرحي تعريفات جمة فقد عرف على أنه« **قصة مكتوبة و التي تعرض على خشبة المسرح وتشمل الأحداث و الشخصيات و الحوار بينها**[1] » فهو يوضح طبيعة ارتباط الأشخاص بالمكان والزمان عبر سلسلة من المشاهد المترابطة و المتلاحقة و يعتبر النص المسرحي هو أول ما يحدد سير العرض وإخراجه وتجسيده على المسرح من قبل الممثلين فهي« **شكل فني يروي قصة من خلال حديث شخصياتها و أفعالهم، حيث يقوم ممثلون بتقمصهن هذه الشخصيات أمام الجمهور في مسرح أو أمام آلات تصوير ليشاهدهم الجمهور في المنازل** » [2]و هي شكل« **يتطلب لكي يحدث تأثيرا حقيقيا كاملا اشتراك عدد من العناصر الأدبية، من أهمها الحبكة و البناء الدرامي، الحركة و الصراع، الشخصيات و الحوار، مع المزاوجة بين عناصر غير أدبية كالملابس و الإضاءة و الموسيقى، و المسرحية عملية تغيير ديناميكية قوسية أو**

[1]- فوزي عيسي، مسرح الطفل، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية ،2008، ص102.

[2]- وليد بكري، موسوعة أعلام المسرح و المصطلحات المسرحية، دار أسامة، الأردن، عمان، 2003،ص 49.

هرمية، تتميز بالتفاعل و الحركة و الصّراع »[1]و من أبرز المسرحيات هي المسرحيات الهادفة التي تقال من أجل هدف و عبرة حيث تهدف إلى الامتاع و الترفيه و الإثارة المعارف و الوجدان و الإحساس .

ثانيا : ملخص المسرحية:

للحاج "بوهون" ثلاثة أبناء" إبراهيم "و" يونس " و "صالح " تتراوح فترات أعمارهم بين فترة المراهقة و فترة الشّباب تحكي قصة المسرحية حكاية واقعية لما هو موجود في وادي مزاب خاصة و المجتمع الجزائري عامة حيث أن اختلاف الفكر بين القديم و الجديد أي بين الآباء و الأبناء فالشيخ "بوهون" يرى أن الشيء المناسب لأبنائه هو التجارة و هي حالة طبيعية لأن بني مزاب اشتهروا بالتجارة فأراد أن يحافظ أبناؤه على حرفة أجدادهم المتمثلة في التجارة و لكن أبناءه كانوا مختلفي الاتجاه فإبراهيم مولع بقراءة الجرائد لا يهمه المحل الذي يعمل به و قد أكد لابنه أن إمضاء وقت الفراغ لا يكون عن طريق قراءة الجرائد بل بالاستغفار والتسبيح وهنا يأتي الرزق و لكن كانت رغبته هو التجارة و التعلم و دخول مدارس تجارية و

[1]- محمد محمد داود، **معجم التعبير الاصطلاحي في العربية المعاصرة**، دار غريب، القاهرة، 2003،ص 500.

علمية حديثة .

أما يونس الولد الثاني فهو يحب الصناعة و مولع بتعلّم نقش النحاس و هو في نفس الوقت ما لم يحبذه والده لأنها حرفة اليهود و لا يجب أن يعمل كخادم لليهود.

أما صالح ابنه الفلاح يترك سقي الأشجار و يذهب إلى فلاحة اليهود لتعلم زراعة البطاطس. فوالدهم يرفض الصناعة و الفلاحة لأنها من حرف اليهود و يريدهم أن يتعلموا حرفة التجارة.

ثالثا : بطاقة تعريفية للأديب الشيخ دبوز رحمة الله عليه

الشيخ محمّد بن علي دبوز ولد في سنة 1919م بمدينة بريان، تلقّى تعليمه الابتدائي بمسقط رأسه على الأستاذ المقرئ الشيخ صالح بن يوسف ابسيس. ثمّ انتقل إلى القرارة ليلتحق بالبعثة العلمية في أوائل الثلاثينيات، و يزاول دراسته الثانوية بمعهد الشباب معهد الحياة- في أواخر الثلاثينيات و من أساتذته في هذه المرحلة الشيخ بيوض، والشيخ شريفي سعيد وغيرهم من أقطاب الإصلاح ورجاله.

بعد أن أنهى دراسته في القرارة سافر مع البعثة المزابية إلى تونس و التحق بجامع الزيتونة حوالي 1942م.

- **أهم تخصصاته**

- التاريخ
- الأدب
- علم النفس

- **أهم جهوده**

- قام بدور كبير في تطوير برامج الدراسة بالمعهد، و أدخل موادا جديدة مثل علم النفس و التربية.

- سعى للتعريف بالمعهد داخل الوطن و خارجه و كابد من أجل أن تعترف الجامعات المصرية بشهادة المعهد.

- تخرجت على يده أفواج من الطلبة و الباحثين، ممن كان له شأن كبير في المجالات الفكرية والسياسية خارج الوطن و داخله أمثال الدكتور محمد ناصر و الأستاذ بابهون بكير و غيرهم.

- **أهم أعماله**

- مشاركته في نشر عدة مقالات في جريدة البصائر.
- كتب تاريخ المغرب الكبير بأسلوب جديد .
- نشر كتابه تاريخ المغرب الكبير في ثلاثة أجزاء و هو أول كتاب في التاريخ يصدر باللغة العربية في الجزائر بعد الاستقلال.
- نهضة الجزائر الحديثة في ثلاثة أجزاء.
- أعلام الإصلاح في الجزائر.

و قد ترك مكتبة ثرية غنية بمختلف الوثائق المصورة و المسجلة، حافلة بالمقالات و الدراسات.

انتابه مرض عضال، وانتقل إلى رحمة الله بمسقط رأسه بريان فدفن بها في 13نوفمبر 1981م.[1]

رابعا : تجليات المظاهر الجمالية و أبعادها في مسرحية الأبناء الثلاثة

1- على مستوى العنوان:

عنوان النص الأبناء الثلاثة يجمع فيه الكاتب بين اسمين، يحمل كل اسم منهما دلالات معينة، فالأول اسم جمع مفرده ابن و هي توحي على اسم ذكر. و الثاني يوحي بالعدد حيث يوضح عدد الأبناء أي عدد الاسم الذي قبله و بذلك فصل في عدد الأبناء، و الجمع بينهما في عنوان واحد، يلهب فضول القارئ لمعرفة قصة هؤلاء الأبناء الثلاثة، حيث يتضح للقارئ للوهلة الأولى أن الكاتب يسرد على كل واحد منهما حكاية، و يترقب بشوق لمعرفة أفعالهم و أقوالهم و تصرفاتهم.

[1]- ينظر، **أنغام الحياة**، ندوة تاريخ الشيخ محمد علي دبوز، 10 شوال 1416ه الموافق لـ 29فيفري 1996،ص6.

إن اختيار الكاتب الشيخ دبوز لهذا العنوان البسيط السهل دليل على أنه يريد ايصال مغزى معين للجزائري البسيط و الغير بسيط فالعنوان كما هو متعارف عليه هو الركيزة الأساسية في أي نص من النصوص فهو مفتاح المسرح و هو المستقطب الذي يجلب القارئ إليه.

2- على مستوى اللغة:

اللغة في القصة تنمو و تتطور في مسار السّرد فهي أداة تصويرية يستعين بها الكاتب للكشف عن جميع الانفعالات المتعلقة بالكاتب. و توحي اللغة بقدرة القاص على تأدية الكاتب المسرحي على تأدية عمله بشكل متقن.

و الكاتب الشيخ دبوز في مسرحيته الأبناء الثلاثة تبدو لغته لغة متفتحة ذلك لأنه متفتح على نفسه كتب بلغة واضحة سليمة لا غرابة فيها و أول ما يجذبك و أنت تقرأ مسرحية شيخ دبوز تلك اللغة الأدبية الرائعة، المتميزة بدقة ووضوح و الفصاحة فلا غرابة فيها، و لا غموض. فهي لغة متداولة تصف الأحوال بشكل دقيق.

و باعتبار اللغة إحدى أهم مقومات الفعل الدرامي و تطوراته في النص، نحاول أن نعرض نماذج من ذلك التطور ففي فاتحة النص وظف

وصفا لحالة الدكان القديم وحالة بضاعته الرخيصة ثم يوظف كلمة "يدخل " الدالة على الاكتشاف و المفاجأة والاستطلاع و الفعل" سبحّط الدالة على التدين و العقيدة الإسلامية و لفظة "يصرخ" الدالة على الرفض و التمرد و لفظة "افعل" الدالة على الأمر و كلمة "يسافر" الدالة على التغيير و التطور و الرحيل و غيرها من الأفعال المعبرة التي تدل في مجملها على أنها أفعال تسرد لنا تطور أحداث المسرحية.

و قد اختار الكاتب لوصف شخصياته ألفاظا معبرة عن حالتهم و التي تظهر للقارئ و كأنها ماثلة أمام عين الكاتب و هذا راجع لخبرته في مجال الكتابة المسرحية القصصية و من ذلك **قوله« يدخل الحاج بوهون فجأة في الدكان فلا يشعر به إبراهيم لأنه مستغرق في جريدته، لقد نشرها فغطّت وجهه فصار لا يرى الداخل و الخارج ... وصالح مغرم بالفلاحة و لكن على الأساليب العلمية و الطرق الحديثة المجدية لماذا لا يسافر إلى الجزائر فيدخله العم إسماعيل في مدرسة الفلاحة »** [1]. وهناك ألفاظ دالة على الحركة مثل (يدخل، يسافر، صار، يرى، راغب، تقلب، يقترح، تعمل....إلخ) من الألفاظ التي تدل على التغيير والحركة و التي رسم من خلالها منظرا ديناميكيا لإحداث عناصر

[1]- المسرحية، ص13-01

القصة.

و في معالجته لقصة الأبناء الثلاثة و أبيهم وظف ألفاظا شكل من خلاله حقلا دلاليا دالا على الفلاحة (الحشيش، الأراضي، التمر، الشعير، النخيل) و كذا حقلا دالا على الخضار (البطاطس، الجزر، الخضرة، بصل) و حقلا دالا على الإيمان (الوضوء، تسبح، استغفر، العظيم) كل هذه الحقول ساهمت في ثراء اللغة المسرحية للكاتب الشيخ دبوز و أعطاها أبعادا و معان مختلفة التي تدل على الشخصية المثابرة التي تحدث على العمل و الجد في طلب الرزق مع ذكر الله كثيرا.

3- على مستوى الأسلوب

لكل كاتب طريقته في التعبير و لشيخ دبوز أسلوبه الخاص في التعبير و قد اعتمد في نصه على أسلوب أدبي بحت مزج فيه بين دقة اللغة و روعة الأسلوب فتعابيره واضحة مباشرة تناسب كل ما يسمعها أو يقرأها وبهذا فهي تناسب جميع المتلقين و خاصة منهم الذين يملون إلى التعابير البسيطة و الواضحة. ومن جماليات الأسلوب لدى الكاتب إضافة إلى ما ذكرناه سابقا هو توظيفه للصور البيانية مثل التشبيهات في قوله« **إن عيشنا عيش البهائم، أن تكونوا رجالا فتعملون**

كالناس[1]»

4- على مستوى الحبكة

للحبكة ثلاث عناصر أساسية (البداية – العقدة – النهاية) فالبداية أول شيء يصادف القارئ و على القاص في هذه المرحلة أن يتجنب كل ما ينفر المتلقي أو يثير ارتباكه و يستميله بعناصر مشوقة و معبرة و حينما تتشابك الأحداث تظهر العقدة و يتأزم الصراع. و في هذه النقطة بالضبط تظهر براعة الكاتب القصصية في الحل الذي يختاره لنهاية أحداث القصة بنفسه أو يترك المجال مفتوحا أمام القارئ.

و إذا تتبعنا أحداث القصة نجد الكاتب قد استهل حديثه بوصف حالة الدّكان القديم و حالة الشّاب ابراهيم ويونس و فترة عمرهما، فالمتلقي لهذا النص يصادف في أول وهلة عنصرا من عناصر التشويق و يطرح في نفسه عدة أسئلة **لماذا بدأ الكاتب بوصف هذا الدّكان؟ و ما العلاقة الرابطة بين الدّكان و حالة والوصف و الأبناء؟ ما الذي جعل الابن لا يهتم بدّكانه** ؟ و في المقدمة و البداية لم يتعرض الكاتب إلى تفصيل الأحداث، فهو لم يتحدث مثلا عن سبب عدم اهتمام

[1]- المسرحية، ،ص09.

الولد بالدّكان و لماذا يستغرق وقته في قراءة الجرائد.

و بعد هذه المقدمة الوجيزة أخذ يسوّق للمتلقي خضم الأحداث وصولا إلى العقدة في شكل صور متنامية ويمكن تفسيرها كالآتي لما دخل الأب الشيخ إلى الدكان تفاجأ باستغراق ابنه في قراءة الجرائد دون أن يشعر به و دون الشعور بمن يدخل أو يخرج ثم يوضح لنا الكاتب ما سمعه الشيخ من زبائن حيث أن الزبائن اشتكت له من ابنه الذي لا يولي اهتماما بهم ثم يوضح الكاتب أن الشيخ قد نصح ابنه من هذه الأوراق على حد تعبيره لأنه لا فائدة منها.

ثم يكشف لنا الحوار الذي كان بين إبراهيم ووالده أن إبراهيم رغم عدم اهتمامه بالدكان لم يكن الفعل الوحيد بل أيضا تعدى هذا إلى مرحلة الكذب على أبيه. ثم يواصل الكاتب سرد أحداثه دون ذكر الأخوة الاخرين مما يزيد من شوق القارئ الذي يطرح تساؤلات عدة أين مكانهم من القصة إلا أن ينادى الأب عن ابنه يونس الذي هو منشغل بتعلم الصناعة عند اليهود و هو ما يزيد من غضب الشيخ إلى أن يواصل في نهاية الأحداث إلى صالح الذي يهوى الفلاحة و لكن على الأساليب الجديدة العصرية و هنا يتضح للقارئ أن فكر الأبناء يختلف عن والدهم فهم مولعون بتعلم التجارة و الصناعة و الزراعة

لكن بطرق حديثة تكنولوجية و في مدارس علمية حتى و لو كانت لليهود فالأهم عندهم هو التعلم و العلم الذي يزيد من الثروة و المال .أما والدهم فهو يرفض هذا بل يريدهم أن يعملوا في تجارة حسب ما عمل به أجدادهم وآبائهم و أن لا يترك أراضي آبائهم و يعملون عند الغير و أن سعادتهم ليس بجمع المال و العلم بل سعادتهم في دار الآخرة. و هنا يعرف القارئ أن الصراع يتشكل من خلال اختلاف و تضارب الرغبات بين الأبناء ووالدهم. و الكاتب بفطنته و ذكائه استطاع أن يوضح صور الصراع و الاختلاف من البداية لكن ليست بشكلها المتكامل لكي يجعل القارئ يجمع و يقرأ شتاتها و يعرف صورتها في النهاية لذلك جعل عقدة كل ابن مع أبيه على حده و في صفحات مختلفة.

و بعد ذلك العرض يقدم الولد ابراهيم مثالا لوالده أن اليهود كانت سعادتهم عن طريق تحصيلهم للعلم وهو شيء باستطاعتهم فعله و ضرب له مثالا بقول رسول الله صلى الله عليه و سلم و هذا هو الحل الذي اتخذه الكاتب حلا لنصه.

5- على مستوى الزمان و المكان:

اختار الكاتب أن تجري أحداث المسرحية في مكان مغلق و المتمثل في "الدكان" و اختياره لهذا المكان يعبر عن شخصيته المنطوية و

الغامضة في نفس الوقت و ربما اختيار الكاتب لهذا المكان المنغلق أن تعمد توظيفه لكي يكون دلالة على الفكر المنغلق على ذاته الذي يمتلكه الشيخ(الوالد). لأنّ دّكان فضاء ضيّق صغير يدل على الفكر المنحصر للوالد و في نفس الوقت صغير يدل على القوقعة الصغيرة التي لا يريد الوالد الخروج منها. و ربما يكون الدّكان هو المكان الفعلي الذي حدثت فيه هذه الأحداث.

أمّا زمن الأحداث فقد تميز بالتدرج انطلاقا من اللحظة التي دخل فيها الشيخ إلى الدّكان إلى مرحلة النهاية.

و لم يحدد الكاتب في نصه المدة الزمنية التي لازمت أحداثه لكنه أشار إلى ذلك ببعض العبارات الدالة عليه ففي نصه يقول : « **حتى في وقت العشاء، مستغرق في جريدته، تخرج في الليل فتأكل التمرجيدا** »[1]

6- على مستوى الشخصيات و الحوار:

تعد الشخصية هي لب الحادثة فلا يمكن أن نتصور الحدث دون أن تقوم به شخصية مهمة، و إذا ألقينا الضوء على الشخصية التي وظّفها الكاتب الشيخ **دبوز** في نصه نكتشف شخصية الشيخ "الحاج

[1]- المسرحية،ص9-5-1

بوهون" وهو اسم عربي يحمل معان عدة هي التقوى و زيارة بيت الله الحرام و هذا ما جسده الكاتب في سرد أحداثه و لكن تشارك هذه الشخصية الرئيسية شخصية بطلة أخرى هي شخصية إبراهيم و هذه الشخصية كانت موازية في الأحداث مع شخصية الأب .

و الشخصيات الثانوية هي شخصية الابن يونس و صالح التي ساهمت في نمو الأحداث الدرامية في النص المسرحي.

أما **الحوار** فيضفي على المسرح اللمسة الحية التي تجعلها أكثر واقعية في نظر القارئ و في النص كان الحوار بين الشخصيات متباينا بين الطول و القصر و قد أخذ حصة الأسد الحوار بين الوالد و الابن ابراهيم و قد تميز بخاصية السؤال و الجواب و بخاصية النقاش بدليل و الحجة و قد عرضت الكاتب من خلاله تلك اللغة الراقية و البسيطة و الانفعالات المختلفة و الأحوال المعبرة و الرغبات المتباينة و طبيعة الحوار يتناسب بشكل كبير مع المتلقي الذي يقصده الكاتب الشيخ دبوز فلا تجد غرابة في ذلك بل ما يزيده جمالا هي الاستناد و الاستشهاد بقول الرسول صلى الله عليه و سلم و ذكر ألفاظ التسبيح و الاستغفار الدالة على الشخصية المتدينة لشخصيات المسرح فرغم اختلافهم في الرغبات و الآراء إلا أنهم لا ينسون الاستناد إلى الحديث أو

السنة أو القرآن. و سنورد بعض نماذج من الحوار :

« الحاج بهون : كم بعت من دقلة نور هذه؟

إبراهيم : لم أبع منها و لا تمرة واحدة.

الحاج بهون : نصبح سعداء لا تطمع يا هذا فسعادة اليهود في الدنيا، فأولئك قوم قد جعل الله جنتهم في هذه الدار أما نحن فجنتنا في الدار الباقية.

ابراهيم :أنه ما أسعدهم إلا العلم و هو في استطاعتنا بل هو فرض علينا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم و مسلمة. » [1]

خاتمة:

لكل خطاب مسرحي عبر و أهداف فلا يقال المسرح عبثا و عشوائية بل يقال لغرض معين و مسرحية الأبناء الثلاثة كتبها الشيخ دبوز رجمة الله عليه من أجل توضيح بعض النقاط من بينها ما يلي :

1- الخطاب المسرحي نص مفتوح أمام القارئ لكي يفك شفراته و عقدته الأدبية.

[1]- المسرحية ،ص16-05.

2- الخطاب المسرحي عند الشيخ دبوز خطاب مسرحي اجتماعي هادف.

3- برع الكاتب دبوز في استنطاق الخطاب المسرحي الدال و الذي يحيل لموضوع اجتماعي و علمي محض.

4- اختلاف وجهات النظر بين الابن و الأبناء فعلى الوالد أن يحترم رغبات أبنائه و أن لا يجعلهم في قوقعة ماضيه و أجداده لأن لكل فترة ما فكرها و منطقها.

5- كما على الابن أن يقنع والده بطريقة مختلفة ليست قراءة الجرائد كما فعل إبراهيم و إنما بتحقيق الذات و الوصول إلى المبتغى لكي يراه والده أمام عينه.

6- الاستشهاد بالقرآن الكريم و تعمد الكاتب في استخدامه دلالة على الشخصية المتدينة للكاتب الشيخ دبوز .

7- و أخيرا الرغبة تولد العزيمة و النفور يولد الفشل و الخيبة.

رسائل الشيخ محمد علي دبوز إلى العلامة أحمد توفيق المدني

دراسة فنية لعينات من فترة (1952م 1978م)

د. بن جديد جمال
جامعة النعامة

ملخص:

تزخر بلادنا الجزائر بالكثير من العلماء العظام، الذين تركوا إرثا علميا نفيسا، و لعلّ من أبرز هؤلاء العلماء و أجلّهم، العلامة المغفور له محمد علي دبوز -رحمه الله- و هو من الشيوخ الأفذاذ الذين يقل نظراؤهم عبر التاريخ لسعة علمه و دقة نظره، فقد وهب حياته لطلب العلم و خدمة الإسلام والمسلمين، ولخدمة اللغة العربية.

و تاريخ العلامة محمد علي دبوز حافل بالإنجازات العلمية و التربوية و الدينية واللّغوية و الأدبية و خاصة في فن الرسالة الأدبية، و هذا ما ستتطرق له ورقتنا البحثية الموسومة ب " فن الرسالة عند العلامة محمد علي دبوز –رحمه الله -دراسة فنية "من خلال إنجازاته في فن الرسالة الذي أفاض فيه بأسلوبه الممتع ،و لغته الرصينة، وبمنهجيته الدقيقة في الكتابة، وذلك من خلال بعض النماذج لرسائل تعزية و غيرها كتبها العلامة بخط يده و بأسلوبه الخاص، و كل هذا

بغرض الوقوف لدى جهود عالمنا الجليل بوصفه صوتا متميزا من أصوات الفكر في الجزائر، لعلنا بهذا الصنيع نعبر عن مدى إخلاصنا له و مدى برّنا به و بعلمائنا الأجلاء .

و قد خصصت هذه الورقات للدراسة الفنية للرسائل التي كتبها العلامة –رحمه الله –بخط يده، فدرست بنيتها من حيث البدء و العرض و الختام ،ثمّ أسلوبها، و تطرقت إلى الجانب البلاغي و البياني معتمدا على خمسة رسائل أصلية كتبت بخط اليد من العلامة محمد علي دبوز إلى العلامة أحمد توفيق المدني، موزعة بين الفترتين (1952م و 1978م).

الكلمات المفاتيح : فن الرسالة، الجهود، الأسلوب، الدقة و الوضوح.

Summary:

Our country of Algeria is rich in many great scholars, who have left a precious scientific legacy, and perhaps the most prominent of these scientists and postponed them, the late Mohammed Ali Dabouz, may Allah have mercy on him. He gave his life to seek knowledge and serve Islam and Muslims, and to serve the Arabic language.

And the history of the mark Mohammed Ali Dabouz is full of scientific, educational, religious, linguistic and literary achievements, especially in the art of literary mission, and this will be addressed in our research paper tagged "the art of the message when the mark Mohammed Ali Dabouz - God's mercy - artistic study" through his achievements In the art of the message in which he delighted in his style of fun, and sober language, and his methodology in writing, through some examples of letters of condolence and others written by the mark in his own hand and in his own style, and all this in order to stand in the efforts of our world as a distinct voice of Voices of thought in Algeria, perhaps we do this express m Our sincerity to him and the extent of our righteousness to him and our honorable scientists.

These papers were devoted to the technical study of the letters written by the mark - God's mercy - in his handwriting, examined its structure in terms of start, presentation and conclusion, and then its style, and touched on the rhetorical and graphical side based on five original letters handwritten by the mark Muhammad Ali Debbouz to the brand Ahmed Tawfiq civil, distributed between the periods ((1952 and 1978)).

Key words: message art, effort, style, accuracy and clarity..

تقديـــــــــــم :

يُعتبر الشيخ محمد علي دبوز –رحمه الله- رمزا من رموز الإبداع الأدبي في الجزائر، و ذلك لما خلّفه من إبداع في المسرح و الرسائل و القصص و أدب التراجم و السير و غيرها، و زد على هذا فقد كان رجلا مربيا و عالما جليلا سخّر حياته كلها لخدمة البلاد و العباد و خدمة الدين الإسلامي الحنيف و اللغة العربية .

فلقد عُرف شيخنا بإجادته فن الترسّل و بالخصوص الرسائل الإخوانية، حيث يعتبر هذا الفن فنا أدبيا رفيعا، ورافد من روافده الهامة، و هو من الفنون التقليدية في تراثنا العربي كالخطابة، والمناظرة، ونحوها.

و قد سعينا من خلال هذه الورقة البحثية إلى الإجابة عن بعض التساؤلات أهمها: من هو محمد علي دبوز ؟ و ما هو فن الترسل ؟ و ما هي السمات الجمالية و الأدوات الفنية البارزة في رسائله محلّ الدراسة ؟ معتمدين في ذلك على الوصف و التحليل .

من هو محمد علي دبوز ؟

هو الشيخ: محمد بن علي بن عيسى دبوز ولد ببريان إحدى قرى

مزاب بالجنوب الجزائري في سنة 1337 هـ، الموافق لفبراير سنة 1919م، من والد يحب العلم والعلماء إلى درجة جعلته ينذر ولده للعلم وهو جنين في بطن أمه. وفيها نشأ وترعرع تحت رعاية أبوين اعتنيا به وربياه تربية إسلامية صحيحة فغرسا فيه حب العلم والعلماء والأخلاق الحميدة والروح الدينية والوطنية.

قد تتلمذ على يد شلّة من العلماء و الفقهاء منهم: العالم الجليل الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض و الأستاذ عدون رحمهما الله و غيرهما .

دخل الشيخ علي دبوز ميدان التأليف سنة 1950م، إذ بدأ كتابة فصول من من تاريخ المغرب العربي الكبير، فأخرج لنا بعد ثلاثة عشر سنة من العمل المتواصل موسوعة تاريخية رائعة تحمل تاريخ المغرب الكبير مفصلا منذ ما قبل التاريخ حتى نهاية القرن الثالث الهجري .و من مؤلفاته أيضا : -نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، أعلام الإصلاح في الجزائر.

و بعد عمر مديد مبارك ثري بالعطاء توفي الشيخ محمد علي دبوز –رحمه الله- مساء يوم الجمعة 16محرم 1402هـ الموافق لـ13نوفمبر 1981، بعد حوالي ثلث قرن من العمل المتواصل في

ميداني التربية و التأليف .[1]

ما هو فن الترسل ؟

لاشك أن أدب الرسائل قديم جدا وله صفحات مضيئة في تاريخ الأدب العربي وقد أُلِّفَتْ فيه كتب ودواوين كثيرة ونهج كل أديب منهجا يختص به.

والرسائل فن أدبي ازدهر وانتشر في القرنين الثالث والرابع الهجريين خاصة عندما بلغت الحضارة العربية الإسلامية قمة العطاء في مختلف الميادين والمجالات .

وهو فن نثري يُظْهِرُ مقدرة الكاتب وموهبته الكتابية وروعة أساليبه البيانية المنمقة القوية[2]. و الرسالة ":هي كلّ ما يرسل، أو هي الكلمة شفوية كانت أو مكتوبة يبلغها الرسول أو يحملها إلى من ترسل إليه، وهذه الكلمة تختلف طولاً وقصرًا على حسب

[1] يوسف بن يحي الواهج "الشيخ محمد علي دبوز " جريدة القطب الإلكترونية، 14 فبراير 2014، من الموقع الإلكتروني : https://alkotb.wordpress.com

[2] ناصر بوصوري " فن الترسل " جريدة دنيا الوطن، عدد 2009/04/13 من الموقع الإلكتروني : boussouri_nacer@yahoo.fr:

موضوعها"[1]، و لعلّ من أبرز أنواع الرسائل هي الرسالة الإخوانية التي برع فيها شيخنا محمد علي دبوز الجزائري، و الرسالة الإخوانية هي نوع من الرسائل التي يكتبها الناس إلى بعضهم البعض في موضوعات إخوانية كالتهنئة و التعزية و البشارة و العتاب و غيرها من أمور الحياة يعبر بها صاحبها عن الشوق و الحنين للأهل و الأصحاب "[2]، و قد اشتهر هذا النوع من الترسّل الإخواني في بلدنا الجزائر و برع فيه مجموعة من الكتاب، لعلّ أبرزهم الشيخ محمد علي دبوز – رحمه الله –

فقد عرف شيخنا محمد علي دبوز بالبراعة في فن الترسّل، حتى غدت مكاتباته مضرب المثل في الجودة و الإتقان، فقد ترك مجموعة من الرسائل المخطوطة لازالت محفوظة في مختبر التراث بولاية غرداية العريقة .

1)-البدء و العرض و الختام:

إنّ الدّارس للرسائل الإخوانية خلال فترة السبعينيات، سيجدها متنوعة الأساليب، متعددة المناهج لدرجة جعلتها تنافس قرينتها في المشرق من ناحية الشكل و المضمون، و ما يقال على الرسائل

---

[1] عبد العزيز عتيق "في النقد الأدبي "دار النهضة العربية ،للطباعة و النشر ،بيروت ،لبنان ط2،1972،ص:221.

[2] ناصر بوصوري "المرجع نفسه " من الموقع الإلكتروني
:boussouri_nacer@yahoo.fr

الإخوانية في الجزائر في العموم يقال كذلك على رسالات دبوز بالخصوص، فالمخاطبة تقع للمكتوب إليه بميم الجمع مع الانفراد، "و هي سمة انفرد بها الكتاب الجزائريون و المغاربة عن كتاب المشرق و الديار المصرية "[1]، و ذلك كأن يقول :" كتبنا إليكم ،كتب الله لكم كذا..." ،و ذلك مع ذكره اسم المكتوب له في بداية الرسالة، و يختم بالسلام عليكم و دعاء موجه للمكتوب إليه .فالرسالة الأولى المؤرخة بـ(1972/08/19م) الموجهة إلى الشيخ أحمد توفيق المدني ،فقد خاطبه فيها بميم الجمع بعدما ذكر اسمه في بداية الرسالة، في قوله :" حضرة أستاذنا الوفي الكريم الشيخ أحمد توفيق المدني ...و بعد أرجو أن تكونوا في أحسن حال كما أرجوكم ،أُعزيكم عن وفاة العلامة الجليل و الصديق المخلص الشيخ عثمان ..."[2]

الموجهتان إلى الشيخ أحمد و على المنوال نفسه وردت الرسالتان الثانية والثالثة توفيق مدني جاءت فيها المخاطبة للمفرد بصيغة الجماعة :" ...و بعد فأرجو أن تكونوا كما عهدناكم و نرجو لكم الصحّة التامة، و حيوية الشّباب المتقدمة التي حباكم الله بها ،أدامها الله عليكم "[3]

---

[1] ينظر أبو عباس أحمد القلقشندي "صبح الأعشى في صناعة الأنشا " (در) القاهرة ،1963، ج7،ص:30.

[2] ينظر أحمد علي دبوز رسالة موجهة للشيخ أحمد توفيق مدني بتاريخ 1972/08/19.

[3] ينظر أحمد علي دبوز رسالة موجهة للشيخ احمد توفيق مدني بتاريخ 1978/07/31.

و في قولنا تقع الكتابة عن المكتوب عنه بميم الجمع على الانفراد ،فإنها لا تنطبق على كلّ الرسائل الرسمية للشيخ محمد علي دبوز ،و نستشهد في ذلك برسالة أخرى مؤرخة بتاريخ (14مارس 1952)جاء فيها ": أخي العزيز البطل الغيور، و بعد: فإنني إذا هنأتك فلما حصل لك من أجر جزيل و شرف أثيل بما كنت فيه لا بالخروج ..."[1]

أمّا كونه يلتزم الدعاء في كتابته، فهذا ما ألفيناه في مواقع كثيرة من رسائله كقوله "أستاذنا العزيز

و صديقي المخلص الشيخ احمد توفيق المدني أدامكم الله مثالا للضعفاء ...". و في رسالة أخرى ": أستاذي الجليل المخلص الشيخ أحمد توفيق المدني حفظه الله و أطال بقاءه "، و هذه الصيغة وُجدت في كتابات العصور الأخيرة بداية بالمرابطين، ثم الموحدين و أخيرا بني نصر [2]، فجل رسائلهم ورد فيها الدعاء للمخاطَب .

وكثيرا ما نجد في رسائل شيخنا الثناء و الشكر و الذّكر الجميل و فضل المخاطب على الأمة الإسلامية و هذا من آداب الرسالة التي وجب أن يلتزم بها الكاتب و نستشهد على ذلك :" أستاذي العزيز المخلص المجاهد الكبير الشيخ أحمد توفيق المدني إن العمل الذي

[1] ينظر رسالة من الشيخ علي دبوز مؤرخة بتاريخ 14مارس 1952.

[2] ينظر سامية جباري "أدب الرسائل الديوانية في المغرب و الأندلس "(دط) ص:138.

قمتم به في تركيا من جمع للوثائق التي تؤرخ للحكم العثماني في الجزائر ،لعمل عظيم فلقد عدتم إلى الجزائر تحملون الكنوز العظيمة من وثائق مهمة، نهنئ أنفسنا و العالم الإسلامي عن هذا المغنم الكبير الذي زدتم به في جهادكم العظيم جزاكم الله بكل خير و أثابكم على عملكم الصعب المهم بثواب الدارين ..." [1]

أما عن أُسلوب الكتابة يذكر القلقشندي أن المتقدمين اعتمدوا ثلاثة أساليب، أن تفتتح المكاتبة بلفظ من فلان إلى فلان ،ثانيا أن تفتتح بلفظ أما بعد، كما تفتتح بلفظ كتابنا إليكم من موضع كذا [2]، أما بالنسبة للمتأخرين فتفتتح المكاتبة باللقب اللائق ،إضافة إلى البسملة و التاريخ و مكان الكتابة .

وإذا استعرضنا رسائل شيخنا محمد علي دبوز وجدناها أخذت من كلا الفريقين فأخذت المتقدمين أسلوب الافتتاح ب "أما بعد" كقوله " ...و بعد فأرجو أن تكونوا قد وصلتم الجزائر "، و هذا الافتتاح قد ألفيناه في جلّ رسائله، كما أنه سار على أسلوب المتأخرين كونه يبتدئ بالبسملة و باللقب اللائق بالمخاطب مع ذكر مكان و زمان الكتابة و نستشهد على ذلك من رسالة كتبها للشيخ توفيق المدني جاء فيها " بسم الله الرحمن الرحيم. صلى الله على

[1] رسالة من الشيخ علي دبوز إلى الشيخ أحمد توفيق المدني مؤرخة بتاريخ 25جويلية 1979.

[2] القلقشندي "صبح الأعشى" ج7، ص: 40.

سيدنا محمد و آله .القرارة غرة ذي الحجة 1391الموافق لـ03 نوفمبر 1978 . أستاذنا الكبير و صديقي العزيز المخلص الشيخ أحمد توفيق المدني أدامه الله، السلام عليكم و رحمة الله

و بركاته .أما بعد ..."[1]، و فيما يخص ذكر اسم المكتوب إليه ،فقد لاحظنا في الرسائل المتوفرة لدينا في هذه الدراسة ،أن ذكر اسم المكتوب إليه وُجد في جُل الرسائل إلا واحدة، و عدم ذكر الاسم دليل على مكانة المرسل إليه في قلب المُرسل، فنجده يكتفي بكلمات تدل على قوة الصلة بينهما مثل ما جاء في تلك الرسالة المؤرخة في 14 مارس 1952 و التي يقول فيها "أخي العزيز البطل الغيور ،السلام عليكم ورحمة الله و بركاته"

أما الختام بالسلام فهي سمة لازمة عند شيخنا محمد علي دبوز في جميع رسالاته .

2)-الاقتباس من القرآن الكريم:

لقد تشبّع شيخنا من رحيق الثقافة الإسلامية المجيدة، وراح يقتبس من القرآن الكريم و من الحديث النبوي الشريف ،و حتى من الأمثال العربية، فإذا نظرنا إلى ظاهرة الاقتباس لاسيما من القرآن الكريم نجد الاستشهاد به في مواقع مختلفة و مواضع متعددة، و ذلك بأشكال متنوعة و أساليب متنوعة .

[1] الشيخ محمد علي دبوز رسالة للشيخ أحمد توفيق المدني مؤرخة ب1978/11/03.

و معنى الاقتباس هو :" هو أن يضمن المتكلم كلامه كلمة من آية أو من آيات كتاب الله تعالى خاصة " [1]

إن حفظ شيخنا محمد علي دبوز –رحمه الله–كان حافظا لكلام الله ،ملازما لدرسه ،و متدبرا لمعانيه، حتى لا يزال مصورا في فكره، دائرا على لسانه ،ممثلا في قلبه ،ذاكرا له في كل ما يرد عليه من الوقائع التي تحتاج إلى الاستشهاد به فيها .

و من أوجه الاقتباس في رسائل شيخنا، ورود الآية بمعانيها و ببعض ألفاظها، لا بنصها الكامل، و هذا أيضا وجه من أوجه الاقتباس التي عرفت في مرحلة الكتاب المتأخرين ففي إحدى رسائله يقول :" و بعد فأرجو من الله أن تعودوا إلى الوطن محملين بالكنوز العظيمة من وثائق تاريخنا العظيم في العهد التركي، جازاكم الله بكل خير و أثابكم على عملكم الصعب المهم بثواب الدارين (الدنيا و الآخرة)".[2]قال تعالى: (و لله ما في السموات و ما في الارض و كفى بالله وكيلا، إن يشأ يُذهبكم أيّها الناس و يات بآخرين كان والله على ذلك قديرا، من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا و الآخرة و كان الله سميعا بصيرا)سورة النساء 132.

[1] ينظر بدوي طبانة "معجم البلاغة الغربية " باب القاف ،الرياض، السعودية ،1982، ص: 519.

[2] ينظر محمد علي دبوز رسالة إلى الشيخ أحمد توفيق المدني بتاريخ 1978/07/92.

و في موضع آخر من الرسالة نفسها ": اسمع إلى كلام جدك البطل الذي يناديك من دمائك أن اسلك طريقي و كن مع الأبطال " (فاتّبعني أهدك صراطا سويّا)سورة مريم :43.

3)-تضمين الأحاديث:

الملاحظ أن تضمين الأحاديث النبوية في رسائل شيخنا محمد علي دبوز قليل بالقياس مع تضمين آيات القرآن الكريم، غير أن ذلك لا يعني ندرة الأحاديث النبوية في الرسائل، فهي ترد في أغلب الأحيان كدليل على موقف معين أو لتأكيد فكرة ما، فالإحاطة بأحاديث النبي صلى الله عليه و سلم باتت سمة ضرورية في الكاتب، فلقد أكد شهاب الدين الحلبي على ضرورة ملازمة الكاتب لهذه الصفة فقال :"لابد للكاتب من حفظ الكثير من الأحاديث النبوية و الآثار المروية عن الصحابة ،رضوان الله عليهم ،و يستشهد بكل شيء في موضعه، و يحتج بمكان الحجة و يستدل بموضع الدليل "[1]

ونستدل على ذلك برسالة بعثها شيخنا إلى العلامة أحمد توفيق المدني بتاريخ 03نوفمبر 1978،يقول فيها :"...و لازلت ألحّ عليك أن تعمل بحديث المصطفى ووصيته للصحابة(هلا بكر تلاعبها

[1] ينظر سامية جباري "المرجع نفسه " ص:147 نقلا عن صحيح البخاري بهامش فتح الباري ،كتاب الجهاد و السير تحقيق فؤاد عبد الباقي ،طبعة دار المعرفة ،بيروت، ج6،ص:6.

و تلاعبك)"،[1]

و قد جاءَ في السنة النبوية المُطهرة حديث عن النبي عليه الصلاة والسلام يحثُّ فيه رجالَ الأمة على الزواج من المرأة البكر، والتي لم يسبق لها الزواجُ، فقد جاء في الحديث عن جابر بن عبد الله قوله: (قال لي رسولُ اللهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ أتزوَّجتَ قلتُ نعَم قال بِكرًا أم ثيِّبًا فقُلتُ ثيِّبًا قالَ أفلا بِكرٌ تلاعبُها وتلاعبُكَ)[2]

فقد وجد شيخنا في حديث النبي عليه الصلاة و السلام لصحابته، حجّة لتشجيع الشيخ توفيق المدني على الزواج و الظفر بالزوجة الصالحة .

4)-تضمين الشّعر :

مما يلفت النظر في الرسائل الإخوانية خلال فترة الاستعمار الفرنسي في الجزائر، أنّها كثيرا ما تتضمن أبيات شعرية يستعين بها الكاتب، و يعود ذلك إلى تعلّم الكتاب الجزائريين على يد أساتذة مشارقة، غير أننا لم نجد لشيخنا محمد علي دبوز أيّ استعانة بأبيات من الشعر ،و يعود السبب الوحيد في ذلك- حسب رأينا – إلى التنشئة الدينية التي نشأها شيخنا فقد تشبّع بالثقافة الإسلامية أكثر من تشبعه

[1] محمد علي دبور رسالة إلى الشيخ أحمد توفيق المدني بتاريخ 1978/11/03.

[2] رواه الألباني، في صحيح أبي داود، عن جابر بن عبد الله، الصفحة أو الرقم: 2048.

بالثقافة المشرقية، فكان كثيرا ما يوظف آيات من القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية ،دونما توظيف للشعر العربي .

5)- تضمين الأمثال العربية:

لم نعثر فيما توفر لدينا من رسائل للشيخ محمد علي دبوز على ما يدل على توظيفه للأمثال و الحكم العربية، و هذا لا يدل على إهمال شيخنا الجليل للتراث العربي القديم و إنما –كما أسلفنا الذكر سابقا–هو عائد على تنشئة شيخنا الدينية الإسلامية و التي غلبت على الجوانب الأخرى فبرز ذلك في كتاباته بشكل لافت للعيان.

6)-جمل الدعائية و المعترضة:

يقصد بالجمل الدعائية تلك العبارات المتضمنة الدعاء بدوام العز ،و السعادة ،و إطالة البقاء، [1] و غيرها من الأدعية ،و أما الجمل المعترضة فهي التي تأتي بين عارضتين في سياق الكلام، و غالبا ما تكون على شكل دعاء، و يجتهد كاتب الرسالة في أن يضع الدعاء في موضعه المناسب من الرسالة ،فعندما يذكر اسم المرسل إليه يتبعه بدعاء له ،كقوله : أطال الله بقاءه، أطال الله عمرك، حفظك الله ...الخ

واللافت للنظر أن شيخنا لا يكثر الدعاء إلا بمقدار محدد و مقبول ،لأنه يدرك جيدا أن كثرة الدعاء تفسد العمل، و قد أشار

[1] سامية جباري "المرجع نفسه "ص:154.

الكلاعي إلى ذلك بقوله :" الإكثار من الدعاء في الرسائل من أبهر الدلائل على ضعف البضاعة في الصناعة "[1]، ومن الجمل الدعائية التي وردت ضمن رسائل شيخنا الجليل ،رسالة وجهها إلى العلامة أحمد توفيق المدني مؤرخة بتاريخ 1978/09/03 جاء فيها "أستاذي الجليل و صديقي المخلص الوفي الشيخ أحمد توفيق المدني أطال الله بقاءك و حباك بالمزيد من السعادة و الهناء" [2]

وفي رسالة أخرى مؤرخة بتاريخ 1976/08/19 يعزي فيها الشيخ أحمد توفيق المدني عن وفاة صديق مقرب إليه يقول فيها :" حضرة أستاذنا الجليل و الصديق الوفي الكريم الشيخ أحمد توفيق المدني حفظه الله و أدامه السلام عليكم و رحمة الله و بركاته " [3]،و هو في جميع رسائله يتحرى في دعائه الألفاظ الراقية ،و المعاني اللائقة، و يتوخى من ذلك ما يناسب الحال ،و يشاكل المعنى و يناسب المخاطب .

7)-الإيجاز و الإطناب:

عادة ما يستدعي أسلوب الإيجاز أو الإطناب الموقف الذي استدعى كتابة تلك الرسالة، فالرسائل التي تستدعي الإيجاز عادة ما

---

[1] أبو القاسم الكلاعي "إحكام صنعة الكلام " تحقيق رضوان الداية ،بيروت ،لبنان 1966، ص: 72.

[2] محمد علي دبوز "المرجع نفسه".

[3] محمد علي دبوز رسالة مؤرخة بتاريخ 1976/08/19.

تكون في الأمر أو النهي، أو التهنئة أو التعزية، أما رسائل الإطناب فهي ما ترد فيها نصائح لشخص ما أو ذكر لواقعة تستدعي سرد تفاصيلها مما يضطر الكاتب إلى الإطالة، والرسائل التي في حوزتنا قد تباينت بين الإيجاز و بين الإطناب ،فلو أخذنا على سبيل المثال رسالة تهنئة للشيخ محمد دبوز بعثها لصديقه العزيز أحمد توفيق المدني بتاريخ 13مارس 1952 ،حيث يهنئه فيها لانضمامه إلى جمعية العلماء المسلمين ،حيث لم تتجاوز أسطرها 17 سطرا، يذكر فيها أهم النقاط، فجاءت موجزة، و قد وجدنا خلاف ذلك في مواقع عديدة منها رسالة طويلة كتبها إلى صديقه المعتاد أحمد توفيق المدني دمج فيها غرضين (تهنئة و مواساة) حيث هنأه بعيد الفطر في الجزء الأوّل منها، و واساه في ما تعرض له من مضايقات سماها بالزوبعة التي أُثيرت ضده من طرف بعض الحاسدين في الجزء الثاني منها . فجاءت الرسالة طويلة في عدة صفحات .و بهذا يمكن القول إن أسلوب الإيجاز و الإطناب يخضع للموقف الذي كتبت لأجله الرسالة فقد وجنا عنده الإيجاز في رسائل تعالج موضوعا واحدا و غرضا محددا كالتهنئة أو التعزية ،كما وجدنا عنده أيضا إطنابا و إسهابا في رسائله التي تعالج موضوعين أو أكثر في الرسالة الواحدة .

8)-الأساليب:

إن مختلف الرسائل التي بين أيدينا في هذه الدراسة، و التي شملت فترة ممتدة من 1952 إلى غاية 1979 ،اتخذت أساليب ثلاثة

:مرسل –مسجوع –متوازن.

أ-الأسلوب المرسل :

هو أن ترد الرسالة على سجيتها دونما تكلّف أو تعقيد أو بحث عن تنميق، حيث يهتم الكاتب بالفكرة أولا و صياغتها واضعا نصب عينيه تبليغ الهدف و إيصاله إلى المرسل إليه . و على هذا النحو وجدنا رسالة بعثها شيخنا إلى العلامة أحمد توفيق المدني بتاريخ : 1979/07/29 يقول فيها :" إن العمل الذي قمتم به في تركيا من جمع للوثائق المهمة من مصادرها ،هو عمل صعب و واجب لا يستطيعه إلا عالم بالتاريخ التركي العام و تاريخ الجزائر في العهد التركي ...و إنه من حظ الجزائر العظيم أن تقوموا بهذا العمل الكبير و سنُسجله لكم إن شاء الله"، [1] فكانت رسالته هاته واضحة بسيطة جلية المعاني فلا سجع فيها و لا تكلفة .

ب-أما الأسلوب الثاني المسجوع :

فهو "اتفاق الفواصل في الكلام المنثور في الحرف أو في الوزن أو في مجموعهما "[2]، و قد انتشر هذا الأسلوب بشكل لافت في المرحلة الاستعمارية في الجزائر، و بين أيدينا رسالة تضمنت العديد من السجعات فوردت فنية متميزة يقول فيها :"إنني جازم أنك

[1] محمد علي دبوز رسالة إلى أحمد توفيق المدني بتاريخ 1979/07/29.

[2] بدوي طبانة " معجم البلاغة العربية " باب السين ص":273.

لا تزداد إلا مضاءً و ثباتًا وتصميمًا و ازديادًا ..." [1]،و هنا نجد الكاتب يوازن بين فواصل الكلمات ،و في اختياره الوزن الملائم بين "(مضاءً و ثباتًا) و بين (تصميمًا و ازديادًا)،مما جعل للرسالة نغمة موسيقية متميزة .

ج-**أما الأسلوب المتوازن** : فهو أن تتوافق فيه الجمل و تتساوى من حيث ألفاظ الجملة الأولى و التي تعقبها فتخضع بذلك إلى مقياس الاعتدال .و على هذا الأسلوب أيضا وردت بعض رسائل الشيخ علي دبوز مثل قوله في نفس الرسالة :" إن الضعفاء قد جزعوا لما نزل بك، و لكنني أنا رأيتك تظفر بحظ من أعظم حظوظك، فهنأت نفسي بك، و رفعت رأسي لك ..." فقد نوع الكاتب في كلّ تلك الأساليب، و هذا التنويع هو أمر يختص به شيخنا دون غيره من الكتاب، فليس كلّ من كتب الرسائل يستطيع ذلك، بل لا يسهُل ذلك إلا لخبير متمكّن.

9)-الجناس :

هو استعمال كلمتين متفقتين لفظا مختلفتين معنى ،و هو نوعين الجناس التّام ،و هو الذي تتشابه فيه اللفظتان في أمور أربعة :الهيئة، العدد، الترتيب، النوع، أما النوع الثاني فهو الجناس الناقص، حيث تختلف فيه اللفظتان في نوع واحد من الحالات الأربعة المذكورة و

[1] محمد علي دبوز رسالة إلى أحد أصدقاءه بتاريخ 1952/03/14.

هو النوع الغالب على معظم الرسائل[1]، و في النماذج التي بين أيدينا توفر الجناس الناقص بكثرة ،و بالتحديد الجناس المضارع الذي يعرف من حرفين متقاربين في مخرجهما شفويين أو لسانيين، من ذلك قوله في رسالة مؤرخة بتاريخ 29جويلية 1979 يقول فيها " سيدي العزيز إن من جزاء الله لكم على جهادكم، و حسن نيتكم، أن ردكم إلى ميدانكم، ميدان العلم و القلم ،و نجاكم من الميدان الدبلوماسي ..." [2]، فجانس الكاتب جناسا مضارعا بين العلم والقلم لتقارب الحرفين العين و القاف في مخرجهما .

أما الجناس المزدوج فقد وجدناه في رسالة أخرى مؤرخة بتاريخ 1978/09/03 يقول فيها :" وصلتني رسالتكم الكريمة فقرأتها مرارا و أعجبت فيها بتواضعكم و عذوبة الروح الساحرة التي حباكم الله بها لصفائكم و حسن نيتكم في الأقوال و الأفعال ..." [3]، فقد جانس الشيخ دبوز و زاوج بين الأقوال والأفعال ،و الجناس المتزاوج يزاوج بين لفظتين في النطق و هو من المحسنات اللفظية ،و قد شاع هذا النوع من الجناس في الرسائل الاخوانية بشكل كبير .

10)-الطباق :

---

[1] سامية جباري "المرجع نفسه " ص: 164.

[2] محمد علي دبوز رسالة إلى الشيخ أحمد توفيق المدني مؤرخة ب1979/07/29.

[3] محمد علي دبوز رسالة مؤرخة بتاريخ 1978/09/03.

وهو الجمع بين معنيين متضادين في الجملة ،و يرد الطباق على شكلين إيجابي و سلبي ،و من صور الطباق في رسائل الشيخ علي دبوز ما جاء في رسالة بعثها لصديقه الشيخ أحمد توفيق المدني بتاريخ 1978/09/03 ،يقول فيها :" و قد ساءني حزنك بالزوبعة التي أُثيرت عليكم ثم سكنت سريعا "نجد الكاتب قد طابق بين الحركة و السكون في لفظتي (أُثيرت /سكنت) و في الرسالة نفسها وجدنا العديد من صور الطباق، مثل قوله :" ...وإن الخاصة و العامة و الصغار و الكبار في المغرب الكبير و العالم العربي كله يعرفون فضلكم و جهادكم "،[1]فطابق بين (الخاصة /العامة) و بين (الصغار /الكبار). و من النماذج أيضا ما جاء في رسالة مؤرخة بتاريخ 31جويلية 1978 يقول فيها :" ...لقد سعيتم إلى إحباط دسيسة أعداء أنصار الدين الذين يريدون إشعال نار الفتنة بين البقية من رجال جمعية العلماء المسلمين "، فطابق بين (أعداء /أنصار).

11)-الخيال و الصورة البيانية:

إن طابع رسالات الشيخ دبوز الواقعي، لم يمنعه من الميل إلى أساليب الخيال و الصور البيانية التي يعبر بها عن ذوق فني رفيع، و الشيخ دبوز لم يتقيد بالأسلوب السهل البسيط في التعبير عن المعاني الكثيرة، بل لجأ إلى الخيال و استعان به في معالجته للمعاني

[1]المصدر نفسه (دص) .

و الأغراض المتنوعة .

ونظرا لما للخيال من أدوات و وسائل متنوعة بات من الضروري أن يوظفها الكاتب في موضوعاته باختلافها ،فقد استعان بالبيان و البديع ،و ما يندرج تحتهما من أساليب بلاغية و أبرزها فن التشبيه ،الاستعارة و الكناية و غيرها .

و لقد وفق الكاتب توفيقا واضحا ملموسا في الاستعمالات المتنوعة لهذه الصور ،و في المزج بين الحس والمعنى، و من أمثلة الصور البيانية في رسالات شيخنا- رحمه الله – كقوله :" و قد ساءني حزنك بالزوبعة التي أُثيرت عليكم ثم سكنت سريعا " حيث شبه مكائد بعض الحاقدين على الشيخ توفيق المدني بالزوبعة، و في موضع آخر يقول :" ...إنّ حلاوة زيارتكم القصيرة لنا لتعمر كل نفس من التقى بكم ،لقد كانت عيدا وطأ بأفراحه الغامرة في قلوبنا ..."فقد وجد الشيخ دبوز في أسلوب الخيال طريقا يكسب به قلب الشيخ أحمد توفيق المدني ،بأسلوب فياض بليغ ،و هذا يجري على كثير من رسائله فهي لا تكاد تخلو من أساليب الخيال و صور المجاز و البيان ،فجاءت جلّ رسائله مُفعمة بالمشاعر و الأحاسيس، فضلا عن المعاني الرائعة و التعابير الواضحة .

الخـــــاتـــــمة :

تزخر الجزائر بالعديد من العلماء العظماء الذين تركوا لنا إرثا

علميا و ثقافيا كبيرين، و لعل الشيخ محمد علي دبوز أبرزهم و الاعتراف بالفضل هو خلق رفيع لا تأنسه إلا النفوس الكريمة، لذا كان اهتمامنا بأدب الشيخ دبوز اعتراف بفضله و إقرار بمكانته و مكانة أدبه في الساحة الجزائرية و العربية معا .

و أهم ما يمكن استخلاصه من هذه الدراسة ما يلي :

- وتمتاز رسائل الشيخ محمد علي دبوز بأسلوبها الأدبي الجميل ولغتها السهلة المفهومة والعبارة العذبة، وتحمل مادَّة تاريخية هامَّة مصفَّاة من الأكدار والأكاذيب، خصوصا ما له علاقة برجالات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .
- ترك الشيخ محمد علي دبوز أثرا لا بأس به من الرسائل الممنهجة الرفيعة المستوى، تستحق جلّها البحث و الدراسة و الاهتمام .
- كما تعتبر رسائله وثائق تاريخية قديمة تطلعنا على أهم جوانب الحياة السياسية و الاجتماعية في الجزائر، و تعطي صورة واضحة عن علاقة الأُخوة بين أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .
- و الشيخ محمد علي دبوز هو كاتب عليم بفن الرسالة الإخوانية ،حيث كان يُخضع كتابته لمقاييس دقيقة فهو لا يغفل عن بسملة و لا سلام و لا ألفاظ مناسبة وفق سياقها و لا غيرها من عناصر الرسالة .

و من هذه الاستنتاجات يبدو أن الرسائل الإخوانية كان لها حظ كبير لدى شيخنا الجليل ،فهي تنبئ عن مدى قدرته على الكتابة، و عن

موسوعية شيخنا الفكرية و الإبداعية ،فقد استطاع أن يصور البيئة بما تحمل من معالم ،و عبر فيها عن مشاعره و أحاسيسه اتجاه أصدقاءه خاصة صديقه المقرّب أحمد توفيق المدني ،ليبدع لنا فنا قائما بذاته تشكّل قطعا فنية زاخرة بالمعاني و الأفكار و الأحاسيس .

بعض النماذج من رسائل العلامة محمد علي دبوز :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

الجلفة 10/2/1951

عزيزي فؤادي. اسعدك الله بالعروس الجديدة، وآنسك بها، وجعلها سببا لهنائك، وعاملا لافراحك، ونورا لفؤادك فلا تغشاه ظلمة الهموم، وجمالا لدنياك فلا تطرقها وحشة الزمان، ورقة لايامك فترد عليك كورود الخدود، خالية من اشواك الدهر، ومرارة الحدثان، واسال الله ان تكون في عمرك كالفصل الذي زفت فيه: ربيعا تمرع به ايامك بكل خير، وتفيض دنياك بكل جمال، وتذهب عنك فيه وحشة الشتاء وبرودته، وتبشر اسرارك فتكون في كل نواحيك على ما يسر الاصدقاء، ويسوء الاعداء. ويجعلها حسنة دنياك تنوء فيها جزاء ربك على اخلاصك له، ومكابدتك فيه، وسببه في مضاعفة لتكون اقوى في نصرته، واطول نفسا في العمل له، واكثر جلدا في مقارعة الخطوب في انقاذ الدين واحياء الوطن.

ان المرأة الصالحة يا عزيزي هي نعمة الوجود وكنز الكنوز، انها سبب كل سعادة، واصل كل نجيب، والعامل في كل نجاح، انها عروق الرجل فعلى حسبها يكون في اعراقه، وجذوره فحسبه تكون ثماره في كل الميادين. انها كالأم في صغرها في التاثير فيه بالايحاء. غير انها اقوى خطرا من الأم لانها تملك من اساليب تجعلها في الايحاء اقوى، وفي صبغ الرجل باتربد اكثر خطرا.

ان الرجل لا تصبغه الوراثة من ابويه، والاساليب في مدرسته وحدها ولكن يصبغه الوساط ايضا: فاذا كان صالحا في نفسه الصلاح المجاهد، وعلى فنون الخير غرامه. فتهنيك يا صديقي على ظفرك بحبيبة القلب، واصل السعادة،

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله.

القرارة ولاية الأغواط ٢٢ شعبان ١٣٩٦ ١٩٧٦/٨/١٩

حضرة أستاذنا الجليل والصديق العزيز الكريم الشيخ احمد توفيق المدني حفظه الله وأدامه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

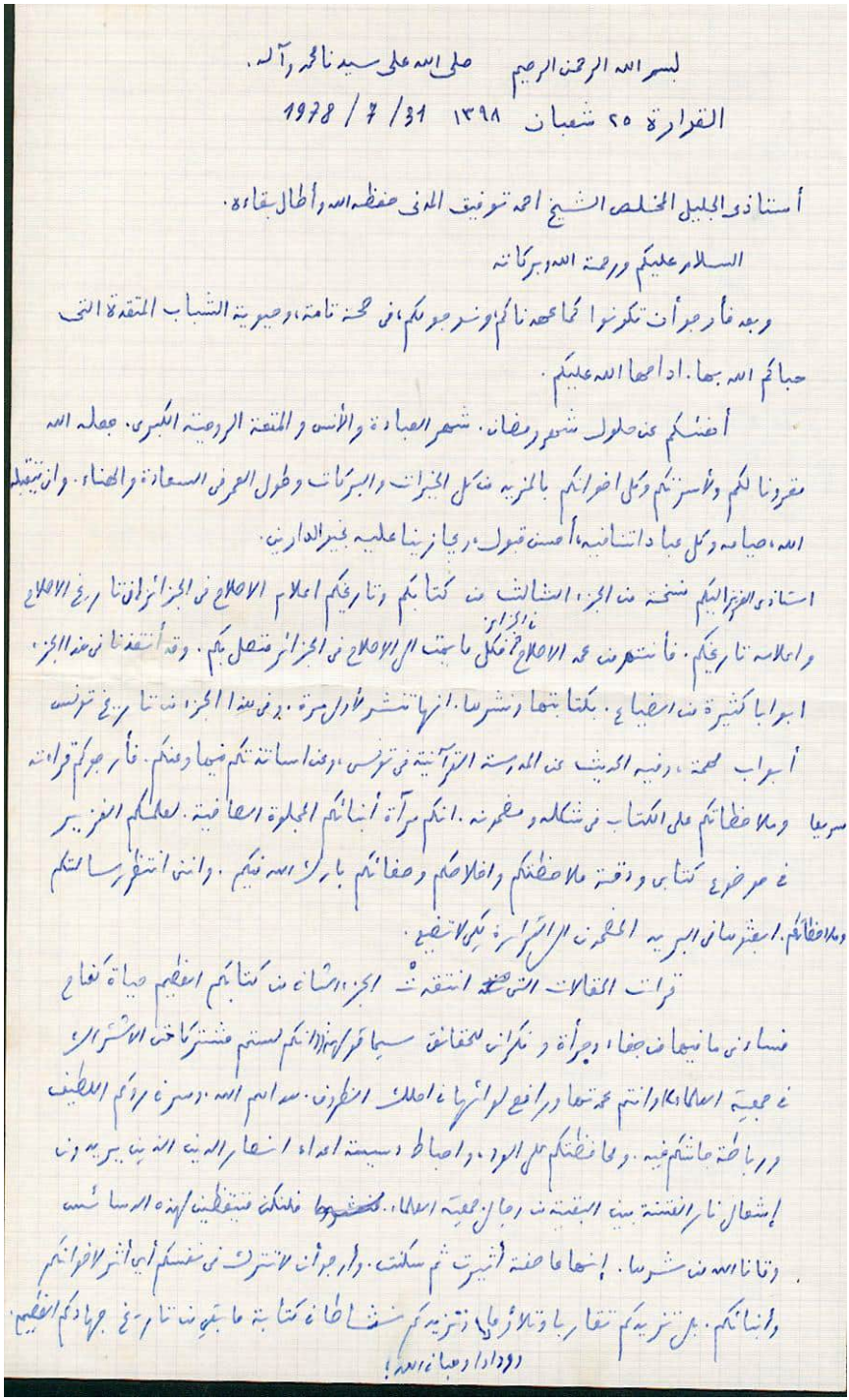
وبعد فأرجو أن تكونوا في أحسن حال كما أرجو لكم؛ تواصلون جهادكم العلمي في البحث والتأليف لتغنم الجزائر والإسلام منكم غنائم لا يستطيعها الا جيلكم الصالح المبارك الذي طلب العلم لله فأنجبه الله.

أعزيكم عن وفاة العلامة الجليل والصديق المخلص الكريم الشيخ عثمان الكعاك إنا لله وإنا إليه راجعون، إنا وفاته خسارة للعروبية وتاريخ المغرب وخسارة للمغرب الكبير بالخصوص. كان يحب الجزائر حبا عظيما ويقدرها فكتب الله له الوفاة فيها فكانت ختام حياته الحافلة المباركة. لا زلت حزينا وساظل حزينا لأسلوب وفاته. إن حسن استقباله لي كلما زرته في مكتبته في إدارة الثقافة في شارع باريس في تونس وإفادته لي بغزارة علمه وطرافة مجالسه الأنسية. يرحمه الله على قدر علمه الواسع وطيبة نفسه المبالغة. وبارك فيكم أنتم صحبته وجميله المبارك العظيم. ومتعنا بكم الله طويلا.

كان الله معي والحمد لله فتم تأليف وطبع الجزء الثاني من أعلام الإصلاح. إنه تاريخ الأمة الجزائرية كلها في فترة مهمة من تاريخها، وهو تاريخكم. فمن لبنات عزمهم وعزائمكم في الجزائر. كانت نظرتكم رائعة واحدة، وجهادا واحدا شاركتم فيه كل الأعلام. إن الموضوع كبير واسع ومهم جدا. ولا زال الطريق طويلا أمامي. أسأل الله العون والتوفيق فأنهي كتابة تاريخ الأعلام ما دمتم بعشر بقيتم بهذا الوجود. سأكتب في الجزء الثالث عن الشيخ جاب الله الجيلي. وفي الجزء الرابع سأكتب عنكم [illegible] من الأحياء، وأرجو أن يسعفني الجزء الرابع. أنتم من أشكال وأشباه أبراهيم أطفيش وأبي اليقظان والشيخ حاج بكير والشيخ محمد بن باي في نشأة الإصلاح في غرداية. وهذا الجزء يكون مسك الختام. وبعده سأجزأ الجزء الرابع إلى أجزاء في تاريخ الجزائر الكبير والجزائر الحديث بإذن الله تعالى. وعوائقكم في كل حالة: وهي حبي بالعزلة والكوفية المدة الطويلة. أرجو أن يتسع وقتكم في رمضان فتقرؤوا الجزء وتشيروا عليّ بما تعتقدون أنه يلائم طباعكم وتحبونه. وتبدون ملاحظاتكم وتصححونها. وأنا أنتظر ذلك بشوق. وأنتظر أن أسمع أخباركم الجزائرية في رمضان. وأخباركم الشخصية. وعنوان استقراركم ميزاب وولاية الأغواط.

صنائعكم الله بشهر رمضان المعظم. تقبل الله منا صيامه، وجعله ذخرا لنا وأنتم.

نزيد من العز والسعادة والهناء والحياة المديدة الطيبة وغفرانا لكل الذنوب. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. محمد علي دبوز



بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله.

القرارة ٢٥ شعبان ١٣٩٨ / ٣١ / ٧ / ١٩٧٨

أستاذي الجليل المخلص الشيخ احمد توفيق المدني حفظه الله وأطال بقاءه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فأرجو أن تكونوا أنتم وأهلكم وذويكم في صحة تامة، وعيشة الشباب المتقدة التي حباكم الله بها. أداها الله عليكم.

أهنئكم عن حلول شهر رمضان، شهر العبادة والأنس والمتعة الروحية الكبرى. جعله الله مقرونا لكم ولأسرتكم وكل اخوانكم بالمزيد من كل الخيرات والبركات وطول العمر في السعادة والهناء. وان يتقبل الله صيامه وكل عباداتنا فيه، أحسن قبول، وجازينا عليه خير الجزاء.

استاذي العزيز إليكم نسخة من الجزء الثالث من كتابكم وتاريخكم اعلام الاصلاح في الجزائر الذي تابع الاصلاح في الجزائر واعلامه تاريخكم. فأستمر في تحقيق الاصلاح في الجزائر فكل ما يمت الى الاصلاح في الجزائر متصل بكم. وقد أفدنا من هذا الجزء ابوابا كثيرة من الضياع. بكتابتها ونشرها. انها تنشر لأول مرة. ومن هذا الجزء من تاريخ تونس أبواب مهمة، وفيه الحديث عن المدرسة الزيتونية في تونس، ومن اساتذتكم فيها ومنكم. فأرجو كم قراءته سريعا وملاحظاتكم على الكتاب في شكله ومضمونه. انكم مرآة أبنائكم المجلوة المصافية. لعلكم العزيز في مرفوع كتابي ودقة ملاحظتكم واخلاصكم وصفائكم بارك الله فيكم. وانني انتظر رسالتكم وملاحظاتكم. اعتزم سفري البريه المحتوم الى الجزائر بكرة الاثنين.

قرأت المقالات التي انتقدت الجزء الثاني من كتابكم اعظم حياة كفاح فساءني ما فيها من جفاء وجرأة وتكران للحقائق سيما وأنكم لستم مشتركا في الاشراف في جمعية اعلام الاسلام وانتم محتمها ورافع لوائها، اطال الله عمركم. سمى الله وسمى رائكم اللطيف ورباطة جاشكم فيه. وحافظتكم على الود، واحاطة وسيعة اعداء انصار الدين الذين يريدون إشعال نار الفتنة بين البقية من رجال جمعية العلماء. [illegible] فاتكم فيتقلص ظل هذه المؤسسة وتنا الله من شرها. إنها عاصفة أثيرت ثم سكنت. وأرجوك لا تترك في نفسكم أي أثر لاخواتكم وأبنائكم. بل تريدكم تقاربا وتلاؤما وتزيدكم نشاطا في كتابة ما بقي من تاريخ جهادكم العظيم.

ودادا وصيانة الله!

بسم الله الرحمن الرحيم

١٤ مارس ١٩٥٧

اخي العزيز البطل الغيور،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد فانني اذا هنأتك فلما حصل لك من اجر جزيل وشرف اثيل بما حصل كنت فيه لا بالخروج.

ان الضعفاء قد جزعوا لما نزل بك ولكنني انا راني نظرت بعظم منا اعظم حظوظك في الدنيا وفي الاخرى فهنأت نفسي بك ورفعت راسي ورايت اسمنا يكتب باحرف من نور.

وقد علمت ان اخلاصك ودعواتنا ستجعلك في حصن الله فلا ينالك سوء.

واني جازم انك لا تزداد الا صفاء وثباتا وتصميما وازديادا في عمل الخير.

ان الخشب وحده ينكسر اذا اصتكت به الاحجار اما الحديد على الحر فلا يزيده الضرب الا صفاء.

ان جدك باعلي بن عبد الله مسرور بك مفتخر بما عمل بك يوم حشرت مع الاحرار فطوبى لك طوبى وهنيئا لك هنيئا.

ان الضعفاء قد جزعوا وارادوا ان يسرعوا لتهنئتك بالخروج ويعودون لك القعود اياك ان تسمع كلامهم.

اسمع الى كلام جدك البطل الذي ينادي ديك

من دمائك ان اسلك طريقي وكن مع الابطال

قائمة المصادر و المراجع :

أ-المصادر :

1.رسالة مخطوطة من الشيخ محمد علي دبوز إلى الشيخ أحمد توفيق المدني بتاريخ 1952/03/14.

2.رسالة مخطوطة من الشيخ محمد علي دبوز إلى الشيخ أحمد توفيق المدني بتاريخ 1978/07/31.

3.رسالة مخطوطة من الشبيخ محمد علي دبوز إلى الشيخ أحمد توفيق المدني بتاريخ 1978/09/03.

4.رسالة مخطوطة من الشيخ محمد علي دبوز إلى الشيخ أحمد توفيق المدني –مؤرخة ب1978/11/03.

5.رسالة مخطوطة من الشيخ محمد علي دبوز إلى الشيخ أحمد توفيق المدني بتاريخ 1979/07/29.

ب-المـراجع :

1-أبو القاسم الكلاعي "إحكام صنعة الكلام "تحقيق رضوان الدابة ،بيروت ،لبنان، 1966.

2- أبو عباس أحمد القلقشندي "صبح الأعشى في صناعة الإنشاء" (در) القاهرة ،1963، ج7.

3- بدوي طبانة "معجم البلاغة الغربية " باب القاف ،الرياض، السعودية ،1982.

4- عبد العزيز عتيق "في النقد الأدبي "دار النهضة العربية ،للطباعة والنشر ،بيروت ،لبنان ،ط2،1972.

5- سامية جباري "أدب الرسائل الديوانية في المغرب و الأندلس "(دط) .

المواقع الإلكترونية :

1.يوسف بن يحي الواهج "الشيخ محمد علي دبوز " جريدة القطب الإلكترونية، 14 فبراير 2014، من الموقع الإلكتروني : https://alkotb.wordpress.com

2-. ناصر بوصوري " فن الترسل " جريدة دنيا الوطن، عدد 2009/04/13 من الموقع الإلكتروني : :boussouri_nacer@yahoo.fr

السير والتراجم عند الشيخ محمد علي دبوز

- دراسة في المنهج والخصائص وسياق الإنتاج -

د. إبراهيم براهمي
جامعة 8 ماي 1945 - قالمة

ملخص المداخلة:

تهدف هذه المداخلة إلى بيان أهمية السّير والتراجم في إرثنا الجزائري المعاصر؛ وبوصف هذا النوع من الكتابة من أبرز العناصر المكونة للتراث اللغوي والأدبي العربي قديما وحديثا؛ الذي تسابق في مضماره الكتاب تتبعا لأثر الأعلام؛ فيعرّف بهم، ويذكر نشأتهم وأخبارهم، ويتحدث عن مؤلفاتهم، ومآثرهم العلمية، وخصائصهم النفسية، ومكانتهم الاجتماعية.

وقد كان الشيخ محمد علي دبوز أكثر نزوعا في كتاباته إلى الاشتغال بفن السير والتراجم-وبالأخص أعلام الإصلاح والتاريخ الوطني-؛ هذا الشغف إلى التأليف في أعلام الرجال وسيرهم له ما يعلله؛ إذ لم يكن أداة للتسلية والمتعة بقدر ما حمل أغراضا أخلاقية، وقيما فكرية، وإصلاحية واجتماعية وثقافية. في هذه الورقة محاولة لإعادة طرح عديد الأسئلة المستكشفة لخصائص السير والتراجم عند الشيخ محمد علي دبوز، وأسلوبه في كتابتها؛ ولعل القصد الأسمى

في ذلك هو الكشف عن الآليات المنهجية للكتابة عنده وأغراضها ووظائفها المعرفية.

كلمات مفتاحية: السير والتراجم، أعلام الجزائر، خصائص الأسلوب، الآليات المنهجية، وظائف الكتابة.

Abstract

This intervention aims at demonstrating the importance of biographies and biographies in our contemporary Algerian heritage. Scientific, psychological characteristics, and social status.

In his writings, Sheikh ***Mohammed Ali Dabouz*** was more inclined to engage in the art of biography and translation - especially the flags of reform and national history - this passion for writing in the flags of men and their biography has something to explain; it was not a tool for entertainment and pleasure as much as carrying moral purposes, intellectual values, And socio-cultural reform. In this paper, many questions explored the characteristics of biographies and biographies of Sheikh ***Mohammed Ali Debbouz*** and his style of writing. Perhaps the supreme intention is to reveal the methodological mechanisms of writing and its purposes and cognitive functions.

Keywords: biographies and biographies, flags of

Algeria, method characteristics, methodological mechanisms, writing functions.

مقدمة:

تعد التراجم والسّير من أبواب التصنيف؛ التي حظيت بعناية العرب والمسلمين مبلغا كبيرا؛ وغدت موضع التنافس بين الكتّاب حتى نافسوا فيها فيما ألف عند أمم كثيرة، وأسسوا من خلالها لنمط من المعرفة اللغوية والأدبية الكاشفة للأبعاد الثقافية، والاجتماعية والسياسية لواقع الحياة اليومية؛ التي تترجمها شخصيات الأعلام المترجم لهم أو حتى تراجم المدن والبلدان؛ فتعددت أشكال التراجم والسير في تراثنا اللغوي والأدبي؛ (والحق أن العرب والمسلمين قد عنوا أشد العناية بتراجم رجالهم، وطبقات علمائهم، وتوفروا على ذلك الفن، وافتنوا في تبويبه وترتيبه، حتى لقد بلغت بهم العناية والتحفي في ذلك أن ألفوا كتبا في تواريخ البلدان؛ يؤرخون فيها لنشوئها وعمرانها وتطورها وفتحها وأثارها؛ ثم يفيضون بعد ذلك في التراجم لأهل البلد؛ ممن ولدوا فيه أو نشأوا به أو وفدوا عليه)[1].

وفي العصر الحديث رأينا كيف أدى فن التراجم عندنا دورا مهما؛ في تجسيد مفهوم التجديد، وتحرير الأفكار، وكانت الطريقة الحديثة لكتابة تراجم الأعلام؛ هي المدخل الحقيقي الذي طبق الرواد

[1] – التراجم والسير، محمد عبد الغني حسن، دار المعارف، ط03، 1980، القاهرة، مصر، ص05

من خلاله مناهجهم؛ في الشك والمراجعة والتمحيص، ورد الروايات القديمة، وقبول بعضها والعمل على تشكيل من حياة العلم المترجم له، عوضا عن تناثر كثير من شرائح هذه الحياة في المصادر القديمة – على أهميتها دون ترتيب أو تمحيص؛ وتاريخنا الفكري والأدبي مدين للجهد الطيب في فن التراجم الحديثة لما بذله الرواد... الذين جعلوا من فن التراجم مدخلا لاستيعاب التاريخ الفكري والأدبي والديني والسياسي وقراءته ونقده وتمحيصه، وجعلوه في الوقت ذاته معبرا للاتصال بالنماذج البشرية في الحضارات الأخرى ومحاولة تمثلها واستيعابها والإفادة منها[1].

ولقد كان لعلماء الجزائر وأدباءها منذ القديم إسهامهم المميز في فن التراجم والسير؛ ويكفي أن نشير إلى العمل الشهير في القرن السابع الهجري " عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، لأبي العباس الغبريني(644هـ – 714هـ)"[2] الذي ضم بين ثناياه عشرات الأعلام الذين حفل بهم تاريخ الجزائر في ذلك الوقت. وتجدد عهد التأليف في هذا الباب من التصنيف في العصر الحديث؛

---

[1] – ينظر: فن التراجم والسير الذاتية، اندريه موروا، تر: أحمد درويش، المجلس الأعلى للثقافة، ط01، 1999، القاهرة، مصر، ص12

[2] – ينظر: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، لأبي العباس الغبريني، تح: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط02، 1979، بيروت، لبنان، ص07

وكان الهدف البارز لذلك؛ هو إثراء الحياة العلمية والثقافية داخل المجتمع الجزائري؛ بتعريف الخلف برجال السلف، وتخليد مآثر علماء الأمة ورجالها الصالحين بعلمهم وحياتهم التي أفنوها في خدمة هذا الوطن وهويته؛ عقيدة ولغة. والحق إن النهوض لكتابة التراجم لأعلام الأمة ومصلحيها عمل جليل وشاق أشبه بالتكليف الوطني والشرعي الذي لا ينهض إليه إلا كل مخلص لهذا الوطن. ومن هؤلاء الرواد الذين نهضوا للتأليف في هذا الفن في درسنا اللغوي والأدبي الجزائري المعاصر "**الشيخ محمد علي دبوز**" -رحمه الله - الذي نهض لهذا الفن تأليفا ودرسا وتحليلا لشخصيات أعلام الجزائر في الفكر واللغة والأدب والإصلاح في المجتمع الجزائري المعاصر بيانا لعمل العاملين وبذل المخلصين في هذا الوطن. ولذلك فإن ما ترمي إليه هذه الورقة هو التعريف بجهود "الشيخ محمد علي دبوز" في الترجمة لأعلام الحركة الوطنية والإصلاحية في الجزائر؛ وبيان المنهج الذي سلكه في ترجمته لهم، ثم الكشف عن الخصائص الفكرية واللغوية لهذه التراجم والسير.

ومن أجل استكشاف هذه الجوانب جاءت هذه الورقة في مقدمة وخمسة مباحث؛ أوضحت في المبحث الأول؛ التراجم والسير عند الشيخ محمد علي دبوز وسياق إنتاجها، وفي المبحث الثاني عرضت لمنهج الشيخ محمد علي دبوز في التراجم والسير، وفي المبحث الثالث كشفت عن جانب من خصائص التراجم والسير عند محمد

علي دبوز، ثم خاتمة متضمنة لأهم النتائج المتوصّل إليها.

أولا: التراجم والسير عند محمد علي دبوز وسياقات إنتاجها:

عرف أدب التراجم في تجلياته الأولى منذ أقدم العصور؛ وذلك حينما أراد الإنسان أن يعبر عن مداركه ومعارفه ويخلد مآثره؛ ولذلك فإن التراجم والسير؛ تتجاوز في مدلولها معنى الأدبية والإنشائية الجمالية، التي تبدو في صورتها البسيطة بكونها مجرد تتبع لمسار حياة علم من الأعلام؛ وما قدمه من عطاء في حياته؛ والتي تؤطرها بعض التحديدات اللغوية والاصطلاحية له[1]، إلى معان عميقة ترتبط بسياق إنتاج المعرفة بشكل عام؛ كالموقف الحضاري والرغبة الجامحة الكامنة في نفس الإنسان في رسم الأنموذج الإنساني؛ الذي تتعلق به النفس، ويظل النبراس الذي يمكن أن تهتدي به عندما تدلهم بها الخطوب؛ وقد يكون سوى هذا المعنى؛ ولكنه في المحصلة يتجاوز حد ترف الكتابة والإبداع.

وإن الحديث عن أدب التراجم عند محمد علي دبوز وسياق إنتاجه

[1] - جاء في أشهر تعاريفها: التراجم؛ هي ذلك النوع من الأنواع الأدبية الذي يتناول التعريف بحياة رجل أو أكثر؛ تعريفا يطول أو يقصر. ويتعمق أو يبدو على السطح تبعا لحالة العصر الذي كتبت فيه الترجمة. وتبعا لثقافة المترجم-أي كاتب الترجمة-ومدى قدرته على رسم صورة كاملة واضحة دقيقة عن مجموع المعارف والمعلومات التي تجمعت لديه عن المترجم له. للتوسع ينظر: التراجم والسير، محمد عبد الغني حسن، مرجع سابق، ص09

لها؛ ليصدُق عليها ما قاله محمد عبد الغني حسن في وصف كُتب أحمد تيمور وتراجمه: **فرسائله غنية عن التقديم لها، والتعريف بها**؛ فإن اسم هذا **العالم الكبير ضمان للجودة في التصنيف والدقة في التأليف**[1].

1. تراجم محمد علي دبوز وسياقها التاريخي:

ترتبط السير والتراجم عند محمد علي دبوز بالتاريخ وأحداثه ارتباطا وثيقا؛ من حيث نظرته لها؛ بوصفها مجال للاعتبار بسير الأعلام في تفاعلهم مع صروف الدهر وتقلباته؛ فهؤلاء الأعلام الذين يترجم لهم؛ هم جزء من سيرورة الحركة التاريخية للمجتمع الجزائري المعاصر في نضالهم وكفاحهم؛ وحري بمن يقرأ سيرهم وتراجمهم: التذكر والاعتبار؛ والحق أن هذا التصور للوظيفية التاريخية للتراجم والسّير قد شاعت في التراث العربي. ومن أبلغ من وصف ذلك -في الكتابة العربية القديمة- ما ورد عن ابن الجوزي (ت597هـ)؛ في قوله: (وللسّير والتواريخ فوائد كثيرة أهمها:

إحداهما: أنه إن ذكرت سيرة حازم ووصفت عاقبة حاله، أفادت حسن التدبير واستعمال الحرم، أو سيرة مفرط ووصفت عاقبته أفادت الخوف من التفريط، فيتأدب المتسلط، ويعتبر المتذكر، ويتضمن ذلك شحذ صوارم العقول، ويكون روضة للمتنزه في

[1] - ينظر: أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، أحمد تيمور، دار الآفاق العربية، د.ط 2003 ، القاهرة، ص03

المنقول.

والثانية: أن يطلع بذلك على عجائب الأمور وتقلبات الزمن وتصاريف القدر، وسماع الأخبار، وقد قال أبو عمرو بن العلاء (ت154هـ) لرجل من بكر بن وائل؛ قد كبر حتى ذهب منه لذة المأكل والمشرب والنكاح: أتحب أن تموت؟ قال: لا، قيل: فما بقي من لذتك في الدنيا، قال: أسمع بالعجائب)[1].

إن من يدرس التراجم والسير عند محمد علي دبوز سيكتشف لا محالة؛ أنها كانت لديه جزء من عملية تشكيل الوعي التاريخي وإعادة الإحساس بتاريخ الجزائر الحديثة في نهضتها المباركة مع الحركة الوطنية والإصلاحية التي أثمرت تلك اليقظة العلمية المتميزة، وتوجتها بالفعل الثوري التحرري المبارك؛ وذلك ما عبر عنه بقوله؛ (من تاريخ الجزائر حلقة لا تجدها في كتاب، وهي تاريخ نهضة الجزائر الحديثة التي أسفرت عن ثورتها المباركة، وجهادها للاستعمار الفرنسي الصليبي الغشوم؛ في الميادين الاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية، والسياسية. تلك المعارك الكبرى التي سقط فيها شهداء كثيرون، وقدمت فيها الجزائر تضحيات كبرى، واستمرت قرنا كاملا من الزمان. وكان النصر فيها حليف الجزائر، فاستطاعت أن تثور فتتحرر. ولولا انتصارها

[1] – المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لأبي الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد ابن الجوزي، تح: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط02، 1995، بيروت، لبنان، ص117

في جهادها الأول، سيما في الميدانين الاجتماعي والثقافي؛ ما استطاعت أن تزحزح أقدام المستعمرين التي كنت تطأ على رقابها لتزهق أنفاسها، وما تكونت فيها تلك الطاقة الجبارة التي صارعت بها المستعمرين الأقوياء في ثورتها فصرعتهم)[1]. فالمنطلق الأساس للكتابة عنده لتراجم الأعلام؛ هو الكشف عن سياق الأحداث التاريخية الكبرى التي عاصروها في حياتهم غير منفصلة عن مسار نضالهم الوطني العام.

ولا شك في أن من درس أدب محمد علي دبوز وترجم له؛ يدرك أن المقاصد التاريخية لكتابة التراجم والسير عنده كانت في المقام الأول؛ ولا غرو في ذلك ففي شخصه نجد شخصية المؤرخ؛ وذلك ما يبرز بالأخص من عمله الضخم "**تاريخ المغرب الكبير**"؛ الذي صدر في طبعته الأولى بعد الاستقلال مباشرة -صدرت الطبعة الأولى سنة 1964م -. وهذا ما عبر عنه بعض - كما قلنا - من ترجم له كالأديب والمفكر "أنور الجندي"(1917م– 2002م) - رحمه الله - وذلك في قوله؛ (وقد كان استقلال الجزائر إيذانا ببدء مرحلة جديدة في المغرب العربي تتصل باللغة العربية والتاريخ ومختلف شؤون الثقافة والأدب والفكر. وكانت كتابة تاريخ المغرب العربي أملا كبيرا يملأ نفوس المثقفين، ويتطلعون إليه بعد أن حاول الاستعمار خلال أكثر من مائة وثلاثين عاما تحريف هذا التاريخ، واستغلال نصوصه وأحداثه للقضاء

[1] - نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، محمد علي دبوز، طبع وزارة الثقافة، ط01، 2007، الجزائر، ص04

على الوحدة المغربية... في حين أن الحقيقة تثبت وحدة هذه المنطقة وتلاقيها تلاقيا كاملا أمام ملامح واحدة، لا تختلف كثيرًا وكذلك كانت محاولات الاستعمار في محاولة تمزيق الروابط بين المشرق العربي والمغرب العربي، للحيلولة دون التقاء الأجزاء العربية كلها من المحيط إلى الخليج وحدة كبرى)[1].

وقد سعت المدرسة الاستعمارية من خلال سياساتها الثقافية والتعليمية القضاء على هوية المغرب العربي؛ في لغته وعقيدته وتاريخه؛ وبذلت ما في وسعها في القضاء على انتمائه الحضاري العربي الإسلامي؛ وإلحاقه بها تكريسا للمقاربة الاستعمارية الهادفة إلى بتر تاريخ الأمة الجزائرية وتشويهه؛ لقد تبصر محمد علي دبوز بهذه الحقيقة المؤلمة؛ وهو ما عبر عنه بقوله؛ (لقد كان المستعمرون الفرنسيون يحاربون تاريخ المغرب عامة، القديم منه والحديث، ويمنعون أبناءه عن كتابة تاريخهم، فيكتبونه هم كما يريدون. فيصورون لنا ماضينا كما تسوّل لهم أحقادهم الصليبية، وعداوتهم الموروثة للمغرب، وكما تريد أغراضهم الاستعمارية. وكانت كتبهم في تاريخ المغرب القديم والحديث مملوءة بالأكاذيب والأغلاط والسموم، فأضرت بأبنائنا في مدارسهم الاستعمارية)[2].

---

[1] – مفكرون وأدباء من خلال أثارهم، أنور الجندي، دار الإرشاد، ط01، 1967، بيروت، لبنان، ص247

[2] – نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، محمد علي دبوز، مرجع سابق، ص04

ومع هذه العبارات الصريحة القصد والغاية؛ لا نتردد في القول إلى أن كتابة التراجم عند محمد علي دبوز؛ هي جزء من نشاطه مؤرخاً للحركة الوطنية والإصلاحية الجزائرية؛ فالتأليف في مجال التراجم نوع من التأليف التاريخي؛ وتلك حقيقة وعاها القدماء من علماء المسلمين، وما زال صداها يتردد في أسماع المعاصرين. وهي حقيقة تصدُق أيضا على الثقافات الأخرى التي لها تراث تاريخي؛ وإن كانت كتب التراجم في التراث الإسلامي وخاصة تلك التي ألفت في شكل معجمي، قد بلغت درجة من الشهرة لا نظير لها وذلك لأسباب تاريخية[1].

2 . تراجم محمد علي دبوز وسياقها الحضاري:

استفاق الأديب واللغوي العربي في النصف الثاني من القرن الماضي على وقع عهد جديد؛ عهد الاستقلال والتحرر من قيود الاستعمار، وكان الإحساس بأن ليل الاستعمار أخذ من فكره ووجدانه وأحاسيسه أكثر مما أخذ من الممتلكات المادية من أوطانه؛ فبعد ذلك المجد التليد والحضارة الزاهية الممتدة من أطراف الدنيا إلى أقصاها التي عمرت لقرون طويلة؛ يستفيق على واقع أمة مصابة بالضعف والهزال، ومنكسرة الوجدان، ومحطمة الكيان؛ إذا ما نظر إلى مكانتها بدت له مرتبة في أواخر الأمم؛ ولا يجد في وصف حال الأمة أبلغ

[1] - الكتاب في العالم الإسلامي، جورج عطية، تر: عبد الستار الحلوجي، عالم المعرفة، أكتوبر 2003م، الكويت، ص84

من قول أحمد أمين (وعلى الجملة فقد كان العالم الإسلامي - إذ ذاك- شيخاً هرماً؛ حطمته الحوادث، ونهكه ما أصابه من كوارث؛ فساد نظام، واستبداد حكام، وفوضى أحكام، وخمود عام، واستسلام للقضاء والقدر؛ ترديدا لقول الشاعر:

دَع المقاديرَ تَجري في أَعِنَّتِها •• ولا تَبيتنَّ إلا خالِيَ البالِ

فَقدَ الدِّينُ روحه؛ وصار شعائر ظاهرية لا تمس القلب، ولا تحيي الروح؛ سادت الخرافات، وانتشرت الأوهام، وأصبح التصوف ألعابا بهلوانية، والدين مظاهر شكلية)[1].

لقد كان عمل الاستعمار الفرنسي البارز هو الإبقاء على هذا الواقع؛ بل ومحاربة حركة النهضة الوطنية والإصلاحية التي بدأت تدب مع نضال الأمير خالد في مطلع القرن العشرين بالمشرق، وغدا صوتها يعلو في أركان الزوايا والكتاتيب والمساجد بالجزائر؛ يقول محمد علي دبوز(وكان يرى في تلك النهضة حربا عنيفة تشهر عليهم في كل الميادين، وزعماؤها وأنصارها أعداؤهم الألدّاء الذين يعملون للإجهاز عليهم؛ فبالغوا في حرب النهضة وزعمائها، واتخذوا كل وسيلة لقتلها في النفوس؛ فمنعوا الحديث عنها وعن رجالها والتأليف فيها، وكان التأليف في تاريخ الجزائر الحديث على النحو الذي توجبه

[1] - زعماء الإصلاح في العصر الحديث، أحمد أمين، دار الكتاب العربي، د.ط، 1979، بيروت، لبنان، ص 08

الأمانة العلمية، والوفاء للوطن أكبر جريمة يرتكبها المرء في نظر الاستعمار؛ يصادر الكتاب ويحاكم المؤلف، وتنزل عليه أقسى العقوبات، فتحامى كتابنا التأليف في موضوع تاريخ الجزائر الحديث سيما في النهضة وزعمائها، ومجاهدتهم للاستعمار وشروره)[1]. فأي إحساس يتولد في نفس كل أبيٍّ يرى أمته بهذه الصورة؟، وأي موقف يمكن أن يقفه كل حر إزاء هذا الواقع الحضاري؟

إن تدوين التراجم والسير لزعماء الحركة والوطنية والإصلاحية بالنسبة للشيخ محمد علي دبوز هو نوع من المقاومة والحفاظ على الهوية والذات الحضارية للمجتمع الجزائري؛ بالحفاظ على تاريخ الجزائر وأبنائها البررة الذين رفعوا راية المقاومة والإصلاح في أحلك الظروف وأشدها قسوة؛ ولذلك فإن تراجمه تحمل في طياتها عديد التساؤلات عن سر النهضة الجزائرية في القرن العشرين المتوجة بالثورة التحريرية المباركة من نحو؛ (ما هي جذور الثورة الجزائرية؟ ما الذي جعل هذه الأمة - بعد خمولها بفعل الاستعمار - أن تنهض، وتصارع، وتأتي بالمعجزات، وتنتصر على أعدائها الأقوياء؟، وما الذي أنهضها؟ وما هو الجهاد الثقافي والاجتماعي والسياسي الذي يسبق دائما حروب التحرير؟ فيشفي الأمة من أمراضها ويدججها بالطاقة

[1] - نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، محمد علي دبوز، مرجع سابق، ص04

الكبرى التي تثيرها على العدو المستعمر فتكسر أغلاله وتحرره؟)[1].

هذه الأسئلة تكشف عن معطى السياق الحضاري الذي وجه الشيخ محمد علي دبوز ودفعه إلى كتابة التراجم والسير لأعلام النهضة والإصلاح في الجزائر في القرن العشرين؛ فالشيخ كان يدرك أن سنن الحضارات وناموسها إنما يمتلكه علماؤها ومصلحوها؛ فهم ضمير الأمة الذي لا يغفل عن الحق وسيرورة حركة التاريخ؛ وكان من طبيعة ذلك (أن يتقدم للصفوف زعماء الإصلاح يشعرون بآلام شعوبهم أكثر مما تشعر، ويدركون الأخطار المحيطة بها أكثر مما تدرك، ويفكرون التفكير العميق في أسباب الداء ووصف الدواء، وكل مصلح ينظر إلى المرض من زاويته، ويدعو إلى مداواته على حسب خطته. وكلٌّ قد أبلى بلاء حسنا، ولاقى من العناء ما لا يتحمله إلا أولو العزم؛ فمنهم من شرّد، ومنهم من قُتل،،،)[2].

3. تراجم محمد علي دبوز وسياقها المعرفي:

تكتسي التراجم والسير كنمط من الأنماط المتجذرة في فعل الكتابة، وسلوك في المعرفة الإنسانية؛ مكانة متميزة في التراث العربي؛ وذلك مرتبط بكثرة أعلام الأمة في كل العصور الإسلامية؛ (فحين اتسع نطاق المعرفة، وكثر عدد الأعيان الذين لعبوا أدوارا مهمة في

1 – نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، محمد علي دبوز، مرجع سابق، ص04

2 – زعماء الإصلاح في العصر الحديث، أحمد أمين، مرجع سابق، ص 09

تاريخ الحياة العربية، والمعرفة الإسلامية والفنون الأدبية، كان من الطبيعي أن تتجه مناهج التأليف إلى الكتابة عن هؤلاء جميعا بشكل يشفي الغلة، ويروي الظمأ في نطاق دراسة عَلم بعينه، أو عالم بذاته أو شاعر بتفرده أو في نطاق كل ذلك مجتمعا، فكان أن نشأت أنماط من الكتب التي تولي الترجمة لأعيان العلماء وعظماء الشخصيات، وكان من أهم تلك جميعا كتب الطبقات وكتب التراجم)[1].

إن ما نروم استكشافه هنا المضمار هو تحليل السياق المعرفي الذي صاحب ميلاد الأعمال الترجمية للشيخ محمد علي دبوز؛ ولعل التساؤل البارز هو: ما هي الرهانات المعرفية التي حفزت الشيخ محمد علي دبوز إلى الاشتغال بهذا النمط من الكتابة تحديدا؟، هل كان الاشتغال بهذا النمط من الكتابة – مثلا- نهجا للتنافس والتباري بين كتّاب عصره؟.

وللإجابة عن هذه التساؤلات؛ لا بد من التأكيد أن الشيخ محمد علي دبوز امتلك في مسار حياته، ومن قراءاته وتجاربه تعلما وتعليما؛ رؤى فكرية صبغت بضوابط التنشئة الاجتماعية؛ وهو لا يتردد في الكشف في كثير من الفقرات من مؤلفاته؛ عن فلسفته في قراءة التاريخ، وسير المتقدمين؛ ولنمعن النظر في قوله:(إن اللهَ قد خَلق في

3 –منهج التأليف عند العلماء العرب –قسم الأدب، مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، ط01، 1973، بيروت، لبنان، ص533

الإنسان غرائز وميولا فطرية هي أساس أخلاقه، وسبب تغيره وترقيه. وعامل تطوره وتقدمه، وبلوغه أرفع الدرجات؛ وهي التي كانت بها البيئة الاجتماعية التي يختلط بها الإنسان، والناس الذين يعاشرهم، والشخصيات التي يعجب بها سبب اصطباغه بصبغة خاصة، واتجاهه إلى هدف معين. إن هذه الغرائز والميول الفطرية؛ هي غريزة حب الظهور وهي التي تجعلنا نحرص على الاحترام والتفوق والغريزة الاجتماعية وغريزة الخوف، وهي التي تجعلنا نخشى الفشل والرسوب، وفطرة التقليد والإيحاء، والمشاركة الوجدانية؛ إن هذه وغيرها من الغرائز، والميول الفطرية العامة هي أساس أخلاقنا، وسبب ما فينا من عقائد تشكل سلوكنا، وترسم طريقنا في الحياة)[1].

تظهر هذه الكلمات مبلغ التفكير العميق الذي قاد الشيخ محمد علي دبوز في رسم مسلك إنتاجه المعرفي؛ فهناك أنماط من الغرائز الفطرية من نحو؛ غريزة الخوف، وهي التي تجعلنا نخشى الفشل والرسوب، وفطرة التقليد والإيحاء، والمشاركة الوجدانية. وهناك دافع البيئة الاجتماعية التي كثير ما تولد في نفس الفرد - بقسوتها وجبروتها وضغطها على الفرد، أو بما تحتضنه به من أحاسيس ومشاعر نبيلة - أن يكون المرء كفؤا لها. فيسعى إلى إثبات ذاته احتراما وتقديرا، ولا يكون سبيل تحقق هذا الأمر إلا باستبصار

1 - تاريخ المغرب الكبير، محمد علي دبوز، مؤسسة تالوت الثقافية، د.ط، 2010، ليبيا، ج02، ص07

قلبه وعقله بنور العلم؛ وكذلك فعل الشيخ محمد علي دبوز.

وقد تأسست تراجمه في سياقها المعرفي على الرهان التربوي الأخلاقي، فقامت على أسس تربوية متينة؛ إذ التراجم والسير والتاريخ بمكانتهما الواضحة؛ تعد مصدر لبناء الفرد وتربيته التربية الصحيحة؛ وهو في ذلك لا يفارق نهج القدامى؛ وقد نقل لنا الحافظ السخاوي (ت902هـ) في هذه المكانة قول المسعودي (ت346هـ) (إنّهُ عِلمٌ يستمتع بِهِ العَالِمُ والجَاهِلُ، ويَستعذبُ مَوقعهُ الأَحمَقُ والعَاقلُ، فكُلُ غَريبةٍ مِنهُ تُعرفُ، وَكلُ أُعجُوبةٍ مِنهُ تستطرف، ومكارم الأخلاق ومعاليها منه تقتبس، وآداب سياسة الملوك وغيرها منه تلتمس، يجمع لك الأول والآخر، والناقص والوافر، والبادي والحاضر، والموجود والغابر، وعليه مدار كثير من الأحكام، وبه يتزين في كل محفل ومقام[1].

إن الاشتغال بهذا النمط من الكتابة عند الشيخ محمد علي دبوز بقدر ما أنه ربما يعني مقارعة الأنداد في نهج التأليف، وأساليب الكتابة العصرية في زمانه؛ وقد رأينا في ذلك العصر ظهور أروع الأعمال الترجمية العربية من نحو؛ العبقريات الإسلامية لعباس محمود العقاد (ت1964م)، وموسوعات أحمد أمين الإسلامية وغيرها كثيرٌ. يعبر عن توجه معرفي عام في ذلك العصر إلى تخليد مآثر زعماء

1 - الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، للحافظ السخاوي، تح: فرانز روزنثال، تر: صالح أحمد عبد العلي، مؤسسة الرسالة، ط01، 1986، بيروت، لبنان، ص38

الأمة العربية والإسلامية الخالدين. فكانت مسوغا نبيلا للشيخ محمد علي دبوز للكتابة عن أعلام الإصلاح الوطني والديني بالجزائر؛ وربما كانت القراءة عنهم سببا (في أن نتأثر بأخلاقهم، ونتطبع بطباعهم، ونحس بوجدانهم في خطبهم ورسائلهم ووصاياهم وأحاديثهم؛ فيكوّن وجدانا لنا يذكي فينا الحماس لمُثلِهم العليا فنعمل لتحقيقها. والرغبة في طريقتهم المثلى. وفي نهجهم القويم فتمسك به، ونندفع فيه، فنصل الدرجة الراقية التي كان عليها الأجداد. ونكون مثلهم في العزة والإباء، وفي الطموح والمحاولة، وفي العمل والكد وفي الإخلاص والإتقان، وفي العمل لله. وتلك هي أسباب النجاح والتفوق)[1].

ثانيا. منهج محمد علي دبوز في التراجم والسير:

يتبادر إلينا بداية عن منهج الشيخ محمد علي دبوز في التراجم والسير السؤال: هل سلك في كتابته للتراجم والسير أسس منهجية محددة؟. وما يستتبع ذلك من طرح عديد التساؤلات عن طبيعة منهجيته، ومن ذلك: لمن ترجم من الأعلام، وكيف ترجم لهم؟، هل اقتصر على أعلام فئة بعينها أو مذهب معين؟، وهل كانت تراجمه مقتصرة على حيز زمني أو جغرافي محدد ببلادنا؟؛ ما هي الخطوات المنهجية التي يتبعها في تراجم الأعلام؟، وهل يلتزم طريقة واحدة في كل تراجمه؟. لذلك فإني سأسعى من خلال هذا المبحث إلى

1 - تاريخ المغرب الكبير، محمد علي دبوز، مرجع سابق، ج02، ص07

استعراض بعض الجوانب المنهجية التي التزمها الشيخ محمد علي دبوز مسلكا علميا وعمليا في تراجمه لأعلام الإصلاح والنهضة الوطنية في الجزائر.

أ . لمن ترجم؟

كتب الشيخ محمد علي دبوز السير والتراجم؛ كجزء من عملية التاريخ لحركة النهضة الجزائرية المعاصرة؛ فكان الاشتغال بالترجمة لأعلام الإصلاح في العصر الحديث لا ينفصل عن إحساسه برسالته ككاتب ومؤرخ لتاريخ بلاده. يقول (إن تاريخ أعلام الإصلاح في الجزائر تاريخ للأمة الجزائرية كلها. سيما الصفوة التي أيدتهم وكنت معهم في أنواع جهادهم؛ التربوي والإصلاحي والعلمي وغيرها. فهم أجنحة أولئك الأعلام وأعضادهم لولاهم ما استطاعوا الطيران إلى الأجواء العالية التي وصلوها)[1]. وقد اقتصر محمد علي دبوز في تراجمه على أعلام بلاده ولم يخص منطقة محددة دون أخرى؛ بل إنه ترجم لأعلام الإصلاح من مختلف أرجاء المناطق، ولم يحكمه في ذلك تحيز لمذهب أو فئة؛ أو تقدم أو تأخر في الزمن بل كان مبدؤه أن يترجم لكل أعلام النهضة والإصلاح؛ بدءا من أعلام الإصلاح الأولين من نحو؛ الأمير خالد، والشيخ عمر راسم، والشيخ عمر بن قدور،

1 -أعلام الإصلاح في الجزائر (من عام 1340هـ- 1921م إلى عام 1395هـ - 1975)، محمد علي دبوز، منشورات السهل، ط01، 2009، الجزائر، ص10

والدكتور ابن العربي، والدكتور محمد بن شنب، والشيخ محمد بن رحال[1]. وصولا إلى من أدركهم وعاصرهم وحاورهم.

ب . بواعث تأليف التراجم والسير:

يعبر الشيخ محمد علي دبوز عن الإحساس الذي تملكه؛ وهو حدث لم يتجاوز من العاشرة من العمر؛ عن أحاديث والده عن أعلام الإصلاح الذين يعرفهم؛ كالشيخ ابن باديس، والشيخ الطيب العقبي، والشيخ البشير الإبراهيمي، والشيخ بيوض، والشيخ أبي اليقظان، والشيخ سليمان بن الحاج داود وغيرهم. وحبه الشديد لهم وإعجابه بصلاحهم وعلمهم وجهادهم. فكان كلامه له مثار غبطة له؛ وغرس في نفسه كل واحد منهم مثلا أعلى في الدين والعلم والعمل؛ فنشأ شديد الحب لأعلام الإصلاح، عظيم الإعجاب بهم، كثير الاهتمام بتاريخهم، حتى علم شيئا كثيرا من أخبارهم وأحوالهم، ويطلعنا أنه منذ سنة 1952م بدأ البحث بشكل منظم وجدي في سيرهم، وكتابة تراجمهم[2].

ج. المكونات الأساسة للترجمة:

لا تختلف عناصر الترجمة عند الشيخ محمد علي دبوز في مجملها عن ما هو مألوف في التراجم والسير لا سيما المعاصرة؛ من حيث

1 -ينظر: أعلام الإصلاح في الجزائر، محمد علي دبوز، مرجع سابق، ص07

2 -نفسه، ص12

إتباعه لطريقة؛ تبتدئ في الغالب بذكر أول الترجمة اسم المترجم له، وغالبا ما يسبق الاسم بالصفة الغالبة على المترجم له- ألقاب التبجيل والعلم؛ من نحو: العلامة، والشيخ، والجليل، ثم ذكر نسبه الكريم ووراثته وبيئته، وأسرته وأجداده، وأمه الفاضلة، وميلاده، وركز على طابع الفلاحة وأثرها الحسن في المترجم ذلك أن الأعلام الذين ترجم لهم قد انحدروا من بيئات فلاحية خالصة، ثم دراسته العالية، وأسفاره، ورحلة العلم وانقطاعه عن الأهل، ثم الرجوع إلى الجزائر، ومشوار العمل الإصلاحي، والوفاة. ومن الجوانب التي تسترعي النظر أنه في أغلب تراجمه يخصص حيزًا معتبرا لأم المترجم؛ وهذا للتأثير النفسي البالغ الذي تتركه الأم في أبنائها؛ وهو ما قال به علماء النفس في العصر الحديث؛ ذلك ما نجده مثلا في ترجمته للشيخ العربي التبسي[1]، وترجمة الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض[2]، وترجمة الحاج يوسف أطفيش[3]، غير أن التساؤل الذي يطرح هنا: هل التزم الشيخ محمد علي دبوز بهذا المسلك التزاما صارما، وفي تراجمه كلها؟

يلحظ الدارس أن الشيخ محمد علي دبوز لم يلتزم بطريقة واحدة في كامل تراجم الأعلام الذين ترجم لهم؛ وترك لنفسه الفسحة في تناول ترجمة كل علم، ويبدو إن الذي قاده إلى هذا المسلك؛ هو

1 -نفسه، من الصفحة 33 إلى الصفحة 72.

2 -نفسه، من الصفحة 77إلى الصفحة 117.

3 -ينظر: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، محمد علي دبوز، مرجع سابق، ص295

التباين الحاصل بين كل علم وآخر، فلكل علم من أعلام الإصلاح مساره الحياتي الخاص؛ وبيئته المميزة التي نشأ بها، وهذا ما انعكس على عناصر الترجمة التي تتراوح بين القلة والكثرة؛ وتمثيلا لذلك يمكن المقارنة بين ترجمة العالم الجليل الشيخ المولود بن الموهوب[1]؛ حيث عرض لنسبه الكريم ووراثته الحسنة، وملازمته للشيخ المجاوي، ونبوغه، وجهاده في الإصلاح والتعليم، وشخصيته، ووظائفه الدينية والعلمية، ومؤلفاته، وشعره الجميل. في حين نجده في ترجمة العلامة الجليل الشيخ المكي بن عزوز يكتفي بذكر نسبه، ونشأته، وجهاده، ووفاته[2]، وأحسب أن ذلك يخضع لأمرين؛ أما الأمر الأول فمكانة المترجم له ومنزلته، وأما الأمر الثاني فيتعلق بمعطى توفر أخبار المترجم له وأحواله.

كما يلاحظ الدارس لتراجمه أنه ركز على العوامل التربوية التي كونت عبقرية أعلام الإصلاح وخلقهم العظيم؛ لأن التاريخ للقدوة الحسنة والموعظة والمعرفة، فإذا خلا من هذه فهو قشور لا نفع فيه، وكلام غث لا فائدة منه، ثم إن بيان العوامل التربوية التي كونت أعلامنا هو الذي يجعلنا نأخذ بها فيكون لأمتنا دائما مثلهم؛ وهو هنا يعبر عن خلاصة بالغة استنتجها؛ وهو إن زماننا أكثر علما وغنى ولكن

1 -نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، محمد علي دبوز، مرجع سابق، من الصفحة 134 إلى الصفحة 141

2 -نفسه، من الصفحة 144 إلى الصفحة 147

أجدادنا على ضعفهم في هذه أحسن منا في الأخذ بالتربية الإسلامية في أولادهم؛ فاستطاعوا أن يحققوا للأمة ما لم نستطع؛ كما عبر عن ذلك كله هو نفسه[1].

د. طريقة البحث في تراجم الأعلام ومصادره:

يصور لنا الكاتب طريقة بحثه في تراجم الأعلام؛ القائمة على مبدإ توثيق معلوماته عن الثقات وتحري الحقيقة؛ وذلك أنه كان يجتمع في مجالس طويلة بمن يجد من هؤلاء الأعلام؛ فيروي عنهم تاريخ الإصلاح وتاريخهم، وزمانهم الذي نشأوا فيه، والسؤال في هذا الموضوع الثقات العارفين، وأنصار وتلاميذ الأعلام الذين يترجم لهم من الثقات الحافظين؛ ويعبر عن التوفيق الذي أحرزه من الله سبحانه وتعالى فسخر له كل من قصدته للرواية. وقد بدأ في تراجمه بمن هم أحياء من أعلام الإصلاح؛ لأن تاريخهم تاريخ الأمة الجزائرية، وهم أعلم به من سواهم، وهم أغني موارده؛ فإذا ذهبوا ذهب معهم ذلك التاريخ. سيما في نشأتهم، والعوامل التي كونتهم في صباهم.. ويروي أن الشيخ أبا اليقظان حدثه بترجمته بكل ما ظن أنه يكفيه لكتابة ترجمته، ولما بدأ التأليف بعد وفاته تبدت له جوانب غامضة لا بد من معرفتها، وتسجيلها للقراء؛ فكان أن فزع إلى الشيوخ والعجائز،

1 -ينظر: أعلام الإصلاح في الجزائر، محمد علي دبوز، مرجع سابق، ص10

والعالمين الثقات من أسرته وأصدقائه[1].

ونلحظ من خلال تعابير الشيخ محمد علي دبوز أنه يؤكد على صحة مصادره وذلك ما عبر عنه في موضع آخر بقوله:(إن ما تجده من المادة التاريخية؛ رويته عن أعلام الإصلاح أنفسهم، أو عن أقربائهم الثقات العارفين، وأنصارهم وأصدقائهم الذين لابسوهم في مختلف أدوارهم وعرفوا جهادهم، ومن تلاميذهم العلماء المقربين الذين كانوا لهم أعضادا وبطانة)[2].

بالتأكيد هذا تعبير صريح من المؤلف؛ يؤكد من خلاله على صحة مصادره؛ المعتمدة بالأساس على الثقات والعارفين؛ وذلك نوع من التحقيق ومعارضة الروايات بعضها ببعض، وتحري للحقيقة التي هي من شروط المترجمين وكتاب السير[3].

هـ. صلة المؤلف بالمترجم له وذكرياته معه:

عرفنا من منهج الشيخ محمد علي دبوز في تراجمه أنه بدأ بالأحياء منهم؛ خشية أن يغيبهم الموت دون أن يحفظ سيرهم؛ التي هي في حقيقتها تاريخ الأمة؛ التي تفاعلوا مع قضاياها المصيرية، فكانت الترجمة لهم هي جزء من الترجمة لنهضة هذا الوطن. ولذلك

1 -نفسه، ص11،12

2 -نفسه، ص13

3 -ينظر: التراجم والسير، محمد عبد الغني حسن، مرجع سابق، ص86

فقد ربطته صلات حميمة مع كثير من الأعلام الذين ترجم لهم؛ وقد أدرك عددا غير قليل منهم؛ زمن الإصلاح والجهاد ضد الاستعمار الفرنسي، أو بعد الاستقلال.

وكانت صلته حميمة مع من جلس إليهم، وتقرب إليهم؛ ومن ذلك الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض؛ وكان أول من روى عنه كثيرا في ترجمته؛ وعن تاريخ النهضة الحديثة في الشمال والجنوب؛ فأثنى عليه في علمه وأخلاقه، وقد جالسه أكثر من عشرين سنة (من سنة 1952م إلى سنة 1965م) على نهج القدامى في صحبة أهل العلم؛ لأوقات تطول عن ثلاث ساعات في اليوم الواحد ينقل عنه حديثه بالحرف، وجلس إلى الشيخ أبي اليقظان ستة أسابيع كاملة، وتوطدت به علاقته ففتح له بيته، ومكتبته الخاصة به، فأخذ منها كثيرًا من الوثائق والصور، وجلس إلى البشير الإبراهيمي في بيته بالقاهرة صيف 1962م؛ فحاوره عن نشأته، وأطوار دراسته، ومشائخه الذين تتلمذ عليهم[1]. وربما لم يتحقق له إن التقى المترجم له؛ فيسافر إلى موطنه لجمع مادته من أقربائه وأهله وعشيرته؛ فيؤسس لصِلات طيبة تجمعه بأهل من يترجم لهم، وكذلك فعل عندما زار منطقة "السطح" وطن الشيخ العربي التبسي في 17شعبان 1394هـ الموافق 04 سبتمبر 1974م بصحبة الشيخ العيد بن أحمد مطروح وهو من كبار تلاميذ الشيخ العربي التبسي، وبصحبة السيد أحمد بن سليمان بن الناصر؛ وهو من "القرارة" بميزاب

1 -ينظر: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، محمد علي دبوز، مرجع سابق، ص08

تاجر في تبسة؛ ومن أصدقاء الشيخ العربي المخلصين. ويصف كيف قضى بصحبتهم أوقاتًا جميلة ومفيدة. ويروي لنا عن الحفاوة والأخوة التي لقيها من أهل تلك المنطقة. وما سعد به من لحظات طيبة بينهم[1].

و. الترجمة بين القصر والطول:

تتفاوت التراجم عند الشيخ محمد علي دبوز طولا وقصرا، إذ نجده يترجم لبعض الأعلام في صفحتين أو ثلاث صفحات في حين نجده في بعض الأعلام يتجاوز الخمسين صفحة. ومن ذلك أننا وجدناه قد ترجم وترجم للشيخ حمدان بن عثمان خوجة، والشيخ عمر راسم، وعمر بن قدور، والدكتور ابن العربي والشيخ ابن رحال فكل هؤلاء ترجم لهم في صفحة واحدة[2]. وترجم للعالم المصلح محمد بن مصطفى المضربة ثلاث صفحات[3]. وترجم للعلامة الجليل مكي بن عزوز في ثلاث صفحات[4]. وترجم للعالم الجليل الشيخ المولود الموهوب في سبع صفحات[5].

في مقابل ذلك نجده يترجم لبعض أعلامه بعشرات الصفحات؛

1 - ينظر: أعلام الإصلاح في الجزائر، محمد علي دبوز، مرجع سابق، ص44

2 - ينظر: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، محمد علي دبوز، مرجع سابق، ص133

3 - نفسه، من الصفحة 128 إلى الصفحة 130

4 - نفسه، من الصفحة 144 إلى الصفحة 147

5 - نفسه، من الصفحة 134 إلى الصفحة 141

ومن ذلك العلامة الجليل الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي في أربع وعشرين صفحة[1]، والعلامة عبد القادر المجاوي في اثنين وعشرين صفحة[2]، غير أن بعض تراجمه بدت أكثر حجما ومن ذلك ترجمته للشيخ إبراهيم عمر بيوض التي تجاوزت الستين صفحة[3]؛ فهذه الترجمة يمكنها أن تتحول إلى كتاب مستقل حول هذه الشخصية الإصلاحية. ومن ذلك أيضا ترجمته للأستاذ الإمام الشيخ الحاج أمحمد بن يوسف أطفيش التي تجاوزت المائة صفحة[4]؛ والتي نستطيع أن نقول أنها بحق ترجمة متكاملة، وقد استفاض المؤلف في التطرق إلى مختلف جوانب حياة المترجم له؛ واعتقد أنه لو طال العمر بمؤلفها لحولها إلى دراسة مستقلة. أن قصر الترجمة أو طولها ربما حمل معنى قربه من بعض الأعلام وبعده عن آخرين. وربما كانت الترجمة من جانب آخر دالة على مدى ذيوع صاحبها وشهرته، أو ضعف ذكره وخفوت صيته بين أبناء زمانه.

ح . الاستعانة بالآلات المعاصرة في الترجمة (أجهزة التسجيل):

1 – نفسه، من الصفحة 56 إلى الصفحة 81

2 – نفسه، من الصفحة 56 إلى الصفحة 81

3 – ينظر: أعلام الإصلاح في الجزائر، محمد علي دبوز، مرجع سابق، من الصفحة 77 إلى الصفحة 133

4 – ينظر: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، محمد علي دبوز، مرجع سابق، من الصفحة 289 إلى الصفحة 387

استعان محمد علي دبوز في تراجمه ببعض الآلات العصرية في زمنه؛ التي تيسر عملية الترجمة؛ مثل أجهزة التسجيل المتوفرة في ذلك الوقت. وقد حدثنا كيف أنه كان في أول أمره يكتب ما يسمع في مجلس الرواية، ثم آثر التسجيل بالآلة الماسكة للصوت؛ ليربح الوقت معهم، ولينقل كلامهم بعد ذلك كله حرفيا فلا تفوته التفاصيل الكثيرة التي يجب على المترجم أن يعرفها، وبعد الرواية الطويلة من الأعلام والعارفين الثقات، وتسجيل حديثهم المستفيض. ينقله حرفيا من الأشرطة، وقد يكون حديثهم بالبربرية، أو الدارجة فيضطر إلى كتابته بالفصحى، فيمضي أياما وليالي في هذا العمل الصعب الذي يرهق السمع والبصر والفكر، الذي يبدو أنه أشق من التأليف في الموضوعات الصعبة، فنقل من الأشرطة كل ما أرد[1].

ط. الاستعانة بصور توضيحية في الترجمة:

من منهج محمد علي دبوز أنه يثبت صورًا للمترجم لهم المعاصرين؛ ممن أدركهم فن التصوير الفوتوغرافي إذا توفرت لديه؛ وعند إحصاء عدد الصور التي أرفقها لتراجمه؛ نجد أنها تجاوزت سبعًا وثلاثين (37) صورة للذين ترجم لهم في كتابه "نهضة الجزائر الحديثة"[2]، ونجدها قد تجاوزت ثمان وستين (68) صورة في كتابه "

1 - ينظر: أعلام الإصلاح في الجزائر، محمد علي دبوز، مرجع سابق، ص12

2 - ينظر: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، محمد علي دبوز، مرجع سابق، ص398

أعلام الإصلاح". وهو لا يقتصر بصور الأعلام الذين يترجم لهم فرادى بل ربما رفد بصوره مع أعلام آخرين، أو مع أقاربهم وذويهم. أو أردف بصور له شخصيا مع الذين ترجم لهم من نحو صوره مع إبراهيم عمر بيوض[1]. وربما أردف الترجمة بمن اجتمع إليهم من أقارب المترجم لهم؛ مثلما أردف ترجمة الشيخ العربي التبسي بصور التقائه بإخوته وطلبته في مكتبة الشيخ العربي بتبسة في 23 يونيو 1966م[2]. وربما رفد الترجمة ببعض الصور التي تصور جانب من حياة المترجم؛ من نحو رفده لترجمة الشيخ الحاج امحمد بن يوسف أطفيش بصورة لمكتبه ومكتبته، ولجانب من مراجعه في رفوف خشبية[3]. وهو لا يكتفي بذلك بل يورد بعض صور بيئة المترجم له مثل رفده لترجمة إبراهيم عمر بيوض بجانب من صور بيئته الصحراوية.

ي . موارد التراجم ومصادرها:

عرفنا من طريقة محمد علي دبوز في الترجمة من أعلام الإصلاح للإحياء الأخذ المباشر عنهم؛ فجلس إليهم وحاورهم، وسجل تراجمهم من أفواههم فكان ذلك تعبيرا عن منهج علمي قويم. إلا أن كثير ممن ترجم لهم كانوا قد فارقوا الحياة أو لم يدركهم؛

1 - ينظر: أعلام الإصلاح في الجزائر، محمد علي دبوز، مرجع سابق، ص109

2- نفسه، ص37

3- ينظر: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، محمد علي دبوز، مرجع سابق، ص211

فتنوعت مصادره حولهم؛ فأخذ بمؤلفاتهم وآثارهم، كما اعتمد على ما سبقه من كتّاب التاريخ وتراجم[1].

ثالثا. خصائص التراجم والسير:

استقامت كتابة التراجم والسير عند محمد علي دبوز على مبدإ؛ الكتابة عن طائفة من الرجال جمعت بينهم صفة واحدة؛ هي العمل على نهوض المجتمع الجزائري، وتخليصه من قيد الاستعمار، فكانت الحركة الوطنية والإصلاحية؛ برجالاتها المخلصين الأوفياء؛ مثالا خالدا يحتذى. فلم لا يخلد مآثرهم وأعمالهم النبيلة، والتي هي في المحصلة جزء من تاريخ الأمة ونضالاتها ؟. فكانت تراجمه تعبيرا صادقا عن هذه الرؤية. إلا أن هذه القصدية الهادفة والنبيلة لا تنفي سعيه إليها بذائقة جمالية ذات حس إبداعي جمالي غذته تجربته في القراءة والتعليم، وقد كشف لنا أنه خلال مساره التعليمي اكتسب مع تجربته الدربة والمران على النصوص الإبداعية، فامتلك رؤية فنية تنم عن حس أدبي؛ كان ذلك حينما كان يدرس في معهد الحياة؛ وكان من الفنون التي يتولى تدريسها في معهد الحياة في سنته النهائية؛ الأدب العربي، فيدرس قصائد الرافعي في "رسائل الأحزان"، ويقارنها بقصائد البحتري، معبرا عن انتشائه بالجمال الشعري؛ فكان محمد علي دبوز

1 – ينظر مصادر تراجمه وموارده: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، محمد علي دبوز، مرجع سابق، ص399

مغرما بأدب الرافعي، ويراه سيد الأدباء في العصر الحديث[1].

ولا شك أن هذا الحس الإبداعي قد مارس تأثيره في كتابته للتراجم والسير؛ لينعكس على التزامه بخصائص هذا النمط من الكتابة في جانبيها الموضوعي والأسلوبي؛ ولعل من أبرز الجوانب التي أمكننا رصدها في تراجمه :

1 . **السردية**:

هذه ميزة النصوص الحكائية؛ وتعتمد على نمط معين الآليات اللغوية في البناء والتركيب؛ من نحو؛ سيرورة البناء السردي التي تنطلق من حدث معين وتتوالى فيما بعد أحداث أخرى في تسلسل تام. وبالاعتماد على أفعال الحكي والسرد من نحو؛ (حدثني، أخبر، روى، قال، حكى، سرد،،،)، وأحسب أن هذه الخاصية تبدو في صورة الحوارات الذي دارت بين المترجم والمترجم الذين أدركهم من الإحياء؛ من نحو؛ ما سرد من حوارات مع أستاذه إبراهيم عمر بيوض[2]؛ أو في معرض سرد أخبارهم ومواقفهم الحياتية من قبل الثقات الذين روى عنهم، ثم لا ننسى أمرًا مهما؛ وهو أن الحدث التاريخي بمروياته، يتطلب هذه السمة في كتابة التراجم والسير.

1 - تاريخ المغرب الكبير، محمد علي دبوز، مرجع سابق، ج02، ص05

2 - ينظر: أعلام الإصلاح في الجزائر، محمد علي دبوز، مرجع سابق، ص81

2 . اللغة الأدبية البسيطة:

تميل لغة محمد علي دبوز في جانب كبير منها إلى استعمالات لغوية بسيطة تتساوق مع وظيفتها التاريخية؛ إذا كان هدفه هو التاريخ لهؤلاء الأعلام؛ وكثيرا ما نقل عنهم باللهجة العامية، أو من اللغة الأمازيغية. وهذا لا يعني بأي حال من الأحوال؛ أنها تخلو من مسحة جمالية في التعبير وهذا شأن أغلب التراجم التي تجعل من التاريخ مادتها وقصدها في التأليف، كما أن لغة الكاتب تبدو مباشرة لا يمل فيها صاحبها إلى عمق التفكير؛ إذ يفهم القارئ مراد لفظه دون عنت أو إجهاد.

3 . الأسلوب التمثيلي:

يلجأ محمد علي دبوز في كثير من تعابيره إلى استعمال الأساليب البيانية؛ بالتمثيل عن حياة المترجم له بالشواهد المختلفة؛ والتي غالبا ما يرتكز فيها على التمثيل بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والشواهد الشعرية والنثرية، ومن مواقف التاريخ المختلفة؛ لا سيما تلك المرتبطة بالسيرة النبوية وسير الأنبياء والصالحين.

4. التصوير الفني:

تعتمد هذه الخاصية الإبداعية على تحويل الحدث التاريخي إلى مشهد حركي؛ يمتلئ بالحركة والتصوير كأن مشهد حي ماثل أمام

القارئ؛ فتتحول بعض جوانب المترجم له إلى حياة مفعمة بالحركة والحياة؛ وقد وقفت على هذه الميزة في رسم مشهد حياة الصحراء بجمالها من جانب بمنظر نخيلها وزرعها، ومن جانب آخر في صعوبة الحصول فيها على موارد الماء، والعمل الشاق الذي يضني الفلاح حتى يحصل على قوته في الزمن الماضي؛ وهو يتحدث عن سيرة أبي اليقظان، أو إبراهيم عمر بيوض، أو الشيخ الحاج امحمد بن يوسف أطفيش؛ وربما استعان بمشهد حي بصورة فوتوغرافية؛ يلتقطها لهذا الموقف والمشهد أو ذاك.

5 . الحس التخيلي المبدع:

يرتكز محمد علي دبوز في تراجمه على حس جمالي تخيلي في رسم المشاهد اليومية للمترجم لهم؛ وهو لا يسعى بهذا الحس القفز بالخيال عن الحقيقة، بل يهدف إلى تثبيت الصور الرائعة ونقل أحاسيسه وهو ما يصادفه من أخبار أو مشاهد واقعية؛ وسأكتفي هنا بهذه العبارات في وصف أحاسيسه حينما زار المرابع التي نشأ بها الشيخ العربي التبسي رحمه الله (وكنت وأنا أتجول في منازل أسرة فرحات ((عشيرة المترجم له)) أتخيل العربي يمرح في تلك الربى، ويرعى الغنم، في تلك البقاع، ويعمل في الحقل)[1]. ويتكرر هذا الجانب في مواضع كثيرة من تراجمه.

1 - ينظر: أعلام الإصلاح في الجزائر، محمد علي دبوز، مرجع سابق، ص45

خاتمة:

نَخلص في ختام هذه المداخلة إلى؛ أن السّير والتراجم عند الشيخ محمد علي دبوز؛ تُعد لونا من الكتابة عكست مطمحا نبيلا، لجيل من الكتاب، والمبدعين الجزائريين في القرن العشرين؛ في كتابة تاريخ الأمة الجزائرية، وحفظ سير وتراجم أبنائها من بناة الحركة الوطنية والإصلاحية في العصر؛ ولقد شكل هؤلاء الرواد من المصلحين، وهذا الجيل في نظر الشيخ محمد علي دبوز إشراقة النور في تاريخ الجزائر الحديثة؛ ولذلك رأى فيهم سراج الأمة الذين يجب أن تقتديَ بهم الأجيال القادمة، وتهتدي بهداهم. فقضى شطرا من حياته في رسم آثارهم، وتتبع خطاهم. ومن أهم ما توصلت إليه هذه المداخلة:

- دأب علماء الجزائر وأدباؤها منذ القديم إلى العصر الحديث بإسهامهم المميز في فن التراجم والسير؛ وهدفهم السامي؛ هو تعريف الخلف برجال السلف، وتخليد مآثر علماء الأمة ورجالها الصالحين بعلمهم وحياتهم التي أفنوها في خدمة هذا الوطن وهويته؛ عقيدة ولغة.

- الشيخ محمد علي دبوز نهض لفن التراجم والسير تأليفا ودرسا وتحليلا لأعلام الفكر واللغة والأدب والإصلاح في المجتمع الجزائري الحديث تأريخا لهم وبيانا، لعمل العاملين المخلصين في هذا الوطن.

- التراجم والسير عند الشيخ محمد علي دبوز؛ في إنتاجها وليدة سياقات متعددة؛ ما تكشف واضحا جليا لدينا في كتابتها هو؛ السياق التاريخي، والسياق الحضاري، والسياق المعرفي؛ هذه السياقات في واقع الحال هي الدوافع التي قادته للاشتغال بهذا اللون الأدبي الإبداعي.

- من منهج الكاتب في التراجم والسير؛ أنه ترجم لفئة محددة؛ هي أعلام الإصلاح في الجزائر دون النظر إلى مذهبهم، أو أنهم من منطقة الشمال أو منطقة الجنوب؛ وهذا يعكس حسه الوطني وسعة أفقه.

- من منهج الكاتب أنه في تراجمه لأعلام الإصلاح في الجزائر يقوم على عوامل نفسية اجتماعية وثقافية؛ فهو يحاول حصر مختلف الأبعاد التي شكلت شخصية المترجم له. وقد أسس بذلك كتابته للتراجم على عديد الأسس المنهجية العلمية التي تتبع بها مسار الشخصيات المترجم لها.

- نهضت التراجم والسير عند الشيخ محمد علي دبوز على عديد السمات الفنية والأدبية؛ كالسردية الحكائية، والأسلوب التمثيلي، والتصوير الفني، والحس التخيلي؛ وقد كشف ذلك كله عن براعته الأدبية.

- **قائمة المصادر والمراجع:**

- أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب العربي، د.ط، 1979، بيروت، لبنان.

- أحمد تيمور، أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، دار الآفاق العربية، د.ط 2003، القاهرة، مصر.

- أنور الجندي، مفكرون وأدباء من خلال أثارهم، دار الإرشاد، ط01، 1967، بيروت، لبنان.

- اندريه موروا، فن التراجم والسير الذاتية، تر: أحمد درويش، المجلس الأعلى للثقافة، ط01، 1999، القاهرة، مصر.

- جورج عطية، الكتاب في العالم الإسلامي، تر: عبد الستار الحلوجي، عالم المعرفة، أكتوبر 2003م، الكويت.

- الحافظ السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تح: فرانز روزنثال، تر: صالح أحمد عبد العلي، مؤسسة الرسالة، ط01، 1986، بيروت، لبنان

- أبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط02، 1995، بيروت، لبنان.

- أبو العباس الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط02، 1979، بيروت، لبنان.

- محمد عبد الغني حسن، التراجم والسير، دار المعارف، ط03، 1980، القاهرة، مصر.

- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، طبع وزارة الثقافة، ط01، 2007، الجزائر.

- محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر (من عام 1340هـ-1921م إلى عام 1395هـ - 1975)، منشورات السهل، ط01، 2009، الجزائر.

- محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تالوت الثقافية، د.ط، 2010، ليبيا.

- مصطفى الشكعة، منهج التأليف عند العلماء العرب - قسم الأدب، دار العلم للملايين، ط01، 1973، بيروت، لبنان.

خصائص فن السيرة عند الكاتب محمد علي دبون (سيرة الرافعي أنموذجاً)

أ.د عبد العليم بوفاتح
أ. سهير طعابة
جامعة عمار ثليجي - الأغواط

ـ توطئــة:

إن للجنس البشري بأجمعه تراثه الإنساني، وهو مجمل ما أنتجه الإنسان - أينما وجد وفي كل العصور - من فكر وعمل، ماديًا كان أم روحيًا. كما أنّ لكل أمة تراثه الخاص به، وهو يتصف بالتميز وليس ـ ضروريًا بالامتياز.[1] وإن في أدبنا الجزائري الكثير من الكنوز التي تستحق العناية والدراسة، فالأدب الجزائري يمثل صفحة مهمة من صفحات الأدب العربي الزاخر بالنفائس والدرر.

ولئن حالت الظروف دون نشر هذه الصفحة أو إلقاء الضوء عليها فإن ذلك لا يقلل من أهميتها القومية ـ بل ربما حفز الباحثين على بذل الجهود لنشرها ووضعها في مكانها من تراث الأمة العربية الأدبي.[2]

من هنا جاءت هذه الالتفاتة العلمية الرائدة ليكون موضوع الملتقى فرصة للتعريف بجهود العلماء والأدباء والكتّاب الجزائريين على مر العصور؛ ومنها جاءت فكرة ورقة هذا الملتقى التي تتناول

1 - حسين محمد فهيم ، أدب الرحلات ، دار عالم المعرفة ، 1989 ، ص 75 .

2 - أبو القاسم سعد الله ، دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، دار الرائد للكتاب ، الجزائر ، ط 5، 2007 ، ص 21 .

جانباً يسيراً من جهود كبيرة لأحد علماء الجنوب الجزائري الغيورين على الوطن في دينه ولغته وهويته، وهو من أولئك الذين لم يدخروا جهدًا في الدفاع عن هذا الوطن والمنافحة عن قيمه ومكتسباته، والعمل على تحقيق ازدهاره وإصلاح شبابه وتنويره وتوجيهه الوجهة الصحيحة ليسير الأحفاد على درب الأجداد، بأن يكونوا حصناً منيعاً ثابتاً أمام التحديات والمتغيرات. إنه الكاتب والمفكّر والأديب الجزائري (الشيخ محمد علي دبوز). وقد تناول موضوعنا" فنّ السيرة " عنده، من خلال ما كتبه عن الرافعي؛ وذلك ضمن مجموعة مقالات، تحت عنوان " **وقفة في دار الرافعي و قبره** ".

القسـم النظـري

فنّ السير والتراجم في الأدب العربي أنواعه وخصائصه .

ـ معنـى السيرة لغـــة واصطلاحـًا:

أ ـ معنى السيرة لغـةً:

جاء في لسان العرب أنّ " السير، الذهاب ، سار يسير سيرًا وسيارًا ومسيرة وسيرورة. والتسيار: تفعال من السير وسايره، أي جاراه فتسايرا. والسيرة: الضرب من السير؛ والسُيـرة: الكثير السير.

والسيرة : السنة والطريقة، يُقال سار به سيرة حسنة، والسيرة: الهيئة ، وفي التنزيل العزيز: (سنعيدها سيرتها الأولى) وسير سيرة: حدث أحاديث الأوائل." [1]

1- ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط 03 ، 1994 مادة س ي ر .

وجاء في القاموس المحيط للفيروز أدبادي أنّ "السيـــر: الذهاب كالمسير والتسيار والمسيرة والسيرورة، والسيرة: الضرب من السير، والسيرة بالكسر السنة والطريقة و الهيئة.." [1]

ب ـ معنى السيرة اصطلاحـــًا:

المفهوم العـــام للسيرة: هي بحث يستعرض فيه الكاتب حياته أو حياة أحد المشاهير، مبرزًا من خلاله المنجزات التي تحققت في مسيرة حياته أو حياة المتحدث عنه.

المفهوم الأدبـي لفنّ السيرة: فن السيرة هو نوع من الأدب يجمع بين التحري التاريخي و الإمتاع القصصي، ويراد به درس حياة فرد من الأفراد ورسم صورة دقيقة لشخصيته. [2]

- أنـــــواع السيـــرة:

أ ـ السيـــرة الذاتيـــة:

هي أن يترجم الكاتب عن نفسه، وهي تفسير لحياة الكاتب بكل ما يكتنفها من ظروف و ملابسات مستعينًا برسم الحركات الداخلية والتركيز عليها أكثر من الحركات الخارجية. [3]

ب ـ السيـرة الغيريـــة :

2- الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ط 02 ، 1987 ، مادة (س ي ر)

2- عبد النور جبور ، المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين ، لبنان ط 02 .1984 ، ص 143 .

3- داوود غطاشة الشوابكة مصطفى محمد الغار ، دراسات أدبية نقدية في الفنون النثرية ، دار الفكر ، ط01 ، 2009 .

هي بحث يعرض فيه الكاتب حياة أحد المشاهير، فيسرد في صفحاته حياة صاحب السيرة أو الترجمة، ويفصل المنجزات التي حققها و أدت إلى ذيوع شهرته وأهلته لأن يكون موضوع دراسة. [1]

ـ وقفــة تاريخية مع فـــنّ السيرة:

يرقى فن التراجم والسير في الآداب العالمية إلى مرحلة مبكرة من تاريخ البشرية لعل من أقدمها ما دونه قدماء المصريين على أحجار المعابد والمقابر والأهرامات من تراجم لعظماء الحكام والقادة، وكذلك فعل الآشوريون والبابليون في التاريخ القديم .. ثم جاءت الكتب المقدسة فكانت تراجم الصالحين هي المدخل الأمثل لتجسيد معنى الصلاح في نفوس من توجه إليهم دعوة الإيمان ، ومن هنا شاعت وسائل التراجم أكثر من غيرها على ألسنة الأنبياء والدعاة، وأصبح ممكنا من الناحية الفنية المطلقة اعتبار الكتب الدينية الكبرى في تاريخ البشرية مصادر رئيسية للتراجم الغيرية ، وأصبحت قصص الأنبياء السابقين وحكايات الصالحين وبطولات الشهداء وكرامات الأولياء والحواريين تمثل جميعها روافد غنية لفن التراجم الغيرية. [2]

وإذا كان تراث الحضارة القديمة المكتوبة في الغرب يشير إلى بعض رواد التراجم من أمثال " سقراط " "بلوتارك"، فإن التراث العربي الإسلامي مر من خلال الدوافع الدينية والعلمية بتجارب دقيقة

1- عبد اللطيف الحديدي، فن السيرة الذاتية و الغيرية في ضوء النقد الحديث ، دار السعادة للطباعة ، القاهرة ط01 ، 1996،ص 67

2 - أندريه موروا ، فن التراجم و السيرة الذاتية ، ترجمة و تقديم و تعليق د.أحمد درويش ، المجلس الأعلى للثقافة (د ط) (د ت) ص05

في فن التراجم وتدوين سير الرجال، ولعل تجربة علماء الحديث النبوي في علم الجرح و التعديل تكون من التجارب العلمية الرائدة في الصبر على تمحيص تاريخ حياة رجل ما. [1]

وقد استخدم العرب كلمة سيرة وكلمة ترجمة بمعنى واحد، فكانت كلمة " سيرة "هي الأسبق في الاستخدام[2]. أما كلمة ترجمة فقد دخلت العربية عن اللغة الآرامية.

وامتدت بعض جوانب هذا المنهج إلى فروع التراجم الأخرى في التراث العربي الإسلامي، فيما عرف بفن الطبقات الذي حوت بعض مؤلفاته الأولى إشارات دقيقة في مناهج تمحيص أخبار الرجال مثل ما ورد في طبقات فحول الشعراء لابن سلام. كما كان شأنه مع أبي اسحاق صاحب كتاب السيرة. وفتح المجال واسعًا بعد ذلك في التراجم والسير العامة والخاصة.[3] مما يصعب عده أوحصره، فليس من السهل أن نحصر التأليف في السيرة أثناء العصور الإسلامية، فبعد سيرة أبي اسحاق طغى سبيل التأليف في هذه الناحية وكثرت السير كثرة واضحة.

- فن التراجم والسير في الجزائـــر:

1- المرجع نفسه ، ص 06 .

2- شعبان عبد الحكيم محمد ، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، كفر الشيخ . دار العلم و الإيمان للنشر و التوزيع ، ط1 ، 2008 ، ص 25 .

3- المرجع نفسه ، ص 06 .

عرف فن التراجم والسير في الأدب الجزائري سيرًا عامة وأخرى خاصة، كغيره من الآداب العالمية العربية، وسنكتفي بعرض نماذج منها عرضا سريعًا بما يقدّم فكرة عن هذا الفن في الأدب الجزائري.

1 ـ السير العامـــــة:

سنتكلم عن أنموذجيْن هنا: الأنموذج الأول: هو كتاب " البستان" لابن مريم المديوني الذي اعتبره أبو القاسم سعد الله من أهم المعاجم في تراجم الرجال، فقد كتبه في بداية القرن الحادي عشر و المفروض أن الكتاب خاص بالتراجم التلمسانية ولكن قارئه يجد فيه تراجم لمصريين وشاميين وفاسيين واندلسيين أصلا.[1] وهو مازال مرجعًا رئيسًا لتراجم الجزائريين وخصوصًا التلمسانيين خصوصًا في العهد العثماني والذي قبله. [2]

والأنموذج الثاني: لعبد الكريم الفكون، معنون بـ "منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم و الولاية " وترجم فيه لأكثر من سبعين شخصا من العلماء والصالحين، وعمى فيه تراجم القرن العاشر وبداية القرن الحادي عشر. ولعل أبرز ما في "منشور الهداية " حديث مؤلفه عن العلاقات العامة في عصره، كما نجد فيه وصفًا لبعض الثورات ضد الحكام، بالإضافة إلى وصف هام للأحوال الاجتماعية والاقتصادية في الريف والمدينة.[3]

1- أبو القاسم أبو سعد الله ، التاريخ الثقافي للجزائر 2 /355

2- المرجع نفسه، 2 /356

3- المرجع نفسه، 2 /357.

2 ـ السير الخاصة:

ألف الجزائريون عدة أعمال في السيرة النبوية ونظموا فيها الأشعار والأراجيز، ويمكن أن نعد كل ما قيل في شعر المدائح النبوية جزءًا من تاريخ سيرة الرسول صلى الله عليه و سلم.[1] ومن أقدم الأعمال في العهد العثماني شرح أحمد بن محمد البجائي التلمساني على (السقراطسية)؛ وهي القصيدة التي نظمها محمد بن علي بن شباط التوزري في السيرة.[2]

أما مؤلفات التراجم لغير الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم فنذكر منها: ترجمة أحمد العبادي التلمساني لمحمد بن يوسف السنوسي ومحمد الصباغ القليعي وترجمته لشيخ والده أحمد بن يوسف التلمساني.[3]

ويعدّ أحمد المقري من أبرز الذين أجادوا الكتابة في فنّ الترجمة الخاصة، وقد ترجم المقري لعلَمين بارزين، هما: القاضي عياض، ولسان الدين بن الخطيب.. وهناك أيضا من عالج موضوع السيرة الغيرية، وهو "محمد بن احمد الشريف الجزائري " إذْ ترجم للصحابي الجليل أبي أبو راس الأنصاري الذي يعد من أهم من ألّف في فنّ الترجمة في العهد العثماني.[4]

1- أبو القاسم أبو سعد الله ، التاريخ الثقافي للجزائر 327 ، وينظر، ج 7 . ص 312 ، 313 .

2- المرجع نفسه، ص358 .

3- المرجع نفسه، ص 359 .

4- المرجع نفسه، ص380

ـ فن السيرة في النقــد الأدبي الحديث :

تناول الكثير من الأدباء والنقاد موضوع " فن السيرة" انطلاقا من تعريفها وصولا إلى خصائصها وطرائقها وأساليبها وسنقف عند علمين وقفة موجزة لنأخذ ما نحتاجه من عناصر تلبية لمتطلبات بحثنا هذا، والناقدان هما الدكتور عزالدين اسماعيل والدكتور إحسان عباس، وسنستخلص بعض المفاهيم الإجرائية حول هذا الفن .

1 ـ طبيعــة عمل كاتب السيرة والترجمة :

* **الترجمة عملية فنية وتحليلية في آن واحد:** يرى بعض الباحثين في هذا الفنّ أن ترجمة الحياة عملية فنية تجمع بين عمل المؤرخ من جهة ارتباطها بسيرة إنسان عاش في بيئة بعينها وزمن بعينه؛ وبين عمل المصور الفنان الذي يتخصص في رسم الصور النصفية للأشخاص.

وأمّا التحليل في فـن التراجم والسير فهو عملية ضرورية يقوم بها المترجم لإبراز الجوانب التي يريد أن يجليها للمتلقي، يقول:" فالترجمة في الواقع عملية تحليلية لكل مركز من عناصر كثيرة مختلفة هو الشخصية، ومن خلال هذا التحليل تبرز القيم الإنسانية التي تنطوي عليها الشخصية والتي يهم الأخرين الاطلاع عليها ".[1]

*** مرجعيـات الترجمة والسيرة :**

مرجعيات الترجمة التي تعود إليها تكون مستمدة من الواقع لا من الخيال؛ وتختلف السيرة عن الترجمة في أن السيرة تتجاوز حدود

1- المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

الواقـع، فهي " فن لا بمقدار صلتها بالخيال، وإنما هي أدب تفسيري." [1] وبهذا يمكن القول إنّ كاتب السيرة هو أديب وفنان كالشاعر والقصصي، إلا أنه لا يصور الشخصيات من الخيال، ولا يعتمد الشخصية الأسطورية، لأن شخصياته تتصل بالمكان والزمان ولا توجد إلا بوجودهما.[2]

*** الذوق الفنـــي والحس الأدبـــي :**

هما مزيتان يرى البعض ضرورة توفرهما في المترجم وينعكسان على السيرة التي يقوم بتدوينها ذلك " أن الحقائق التي يوردها كاتب السيرة قد تكون معروفة مشهورة، فميزته الفارقة تتضح في طريقة ـ قولها أي أسلوبه الأدبي وهذا عنصر هام لا بد منه في السيرة الأدبية " إذ لا بد من يقظة ذهنية مستمرة مشفوعة بإرهاف .. فـما كـل شيء يستحق التسجيل.. فلا بد له من غدراك ذوقي دقيق.."[3]

الحجم : ما نقصده هنا هو السيرة من حيث الطول والقصر، ويؤكد بعضهم على حرية الكاتب في هذا الجانب أنّه " لا قيد على الكاتب من هـذه الناحية ، فـذلك جـزء من حريته التي لا ينازع فيها وللكاتب أيـضًا أن يرسم للسيرة طولا يسمح باكتمالها، ولكن الطول

1- احسان عباس ، فن السيرة ، ص 84 .

2- احسان عباس ، فن السيرة ، ص 79 .

3- المرجع نفسه، فن السيرة ، ص88

في السيرة ليس شيئا صارمًا كما هي الحال في المسرحية والقصة على أن تقدير الطول أمر هام أيضا.) [1]

. خطوات فنّ السيرة الغيرية وأهدافه :

1 . اختيار الموضوع أو الشخصية :

هذا الأمر في غاية الأهمية، فهناك شخصيات قادرة على امتلاك القلوب و خطف الانظار لما لها من مميزات فكرية أو أخلاقية او فنية ... إلخ. فالمتعة التي تبعثها القصة في نفوس القراء لا تحققها السيرة لا تحققها السيرة إلا إن كانت قائمة على شخصية لها مميزاتها الفارقة، سواء أكانت تلك المميزات مستمدة من الاحداث الدائرة حولها أو من طبيعة السلوك الخلقي و النفسي. [2]

فقد قدر لبعض الشخصيات ذات أهمية أن تظفر بعناية الكتاب سواء في حياتهم أو بعد وفاتهم، ولكن مثل هذه الكتابات لا يمكن أن تكون نهائية، فهناك أكثر من مبرر لإعادة الكتابة عنها مثل ظهور وثائق أو أدلة جديدة ، وحتى عندما لا تظهر وثائق الجديدة فإن المبرر يظل قائمًا في أن الشخصية الواحدة قد تعني بالنسبة لعصر خلاف ما تعنيه لآخر، ومن ثم ينكن أن ينظر كل جيل إلى الشخصية الواحدة من منظوره الخاص به. [3]

2 - جمع المصادر الأساسية :

---

1 - المرجع نفسه، ص89 .

2 - المرجع نفسه، ص 76

3 - عز الدين اسماعيل ، الأدب وفنونه ، ص 154/153.

يتحتم على كاتب السيرة أن يعود إلى مصادر معينة لكتابة ترجمة حياة لأحدهم، أو ما توفر منها، وهي:

أ ـ الكتب التي سبق تأليفها في الموضوع، أو موضوع متصل به.

ب ـ الوثائق الأصلية: كالخطابات أو اليوميات أوالسجلات الرسمية.

ج ـ ذكريات المعاصرين:

د ـ مقتنيات شهود الأحياء .

هـ ذكريات المؤلف نفسه إذا كانت له معرفة شخصية ببطله.

و ـ ينبغي على الكاتب قدر المستطاع أن يزور الأماكن التي يجد نفسه مضطرًا لوصفها.[1]

3 - الموضوعية والصدق التاريخي:

على المترجم أن يدير الأحداث حول الشخص المترجم له، ولا يسمح لحيثيات الأشخاص الآخرين التحكم في منحى السيرة، كما عليه أن لا يُسَخّر الأحداث والملابسات لعاطفته، بل لا بد أن يبني ما يكتبه على أساس متين من الصدق التاريخي.[2]

ـ أهــداف فنّ السير والتراجم وغاياته وفوائــده:

إن لكل كاتب سيرة هدفاً وغايةً في ذهنه، وهذه الغاية إما تاريخية أو تعليمية، أو أنه يكتب السيرة تقديرًا لأحد العلماء أو الشخصيات، أو غير ذلك، مما يندرج ضمن هذا المنحى. فالعقاد،

1 – عز الدين اسماعيل ، الأدب وفنونه ، ص154 .

2 ـ احسان عباس ، فن السيرة ، ص 69 .

مثلاً، وهو كاتب "العبقريات" الشهيرة يصرح بغايته من اختياره هذا اللون الأدبي، فيقول: "نكتب تراجم العظماء لإنصافهم وتقديرهم وإعطائهم حقهم من الجزاء والتبجيل، والإعجاب ثم نكتبها من جهة غير هذه، لنستحث المقتدين بهم على ترسم خطواتهم والتطلع إلى مراتبهم."[1]

ونخلص من هذا إلى أن العقاد يؤكد على أهمية تخليد العظماء اعترافا بفضلهم من جهة، وحثاً على الاقتداء بهم من جهة أخرى. وفي هذا المعنى يقول ابن الجوزي رحمه الله: " إن التواريخ وذكر السير راحة للقلب وجلاء للهم وتنبيه للعقل فإنه إن شرحت سيرة حازم علمت حسن التدبير، وإن قصت قصة مفرط خوفت من إهمال . "[2]

فالغايات التعليمية والأخلاقية إذاً حاضرة في أدب السيرة لأخذ العبر، كما أن أدب السيرة يصور حياة المترجم له وعصره، فيكون بمنزلة الوثيقة الحضارية النابضة، والشاهدة على عصرها.

القسم التطبيقي

فنّ السرة الأدبية عند الكاتب محمد علي دبوز

*** إضاءة :**

لقد برع الشيخ محمد علي دبوز في فنون كثيرة، ولا سيما الكتابات التاريخية التي تعنى بالتأريخ للأحداث والشخصيات، وتقف

1 ـ عباس محمود العقاد ، الأدب و النقد ، دار الكتاب اللبناني للنشر و التوزيع ، ط1 ،1984 ، ص 604

2 ـ احسان عباس ، فن السيرة ، ص 13 .

على أبعادها وآثارها. ونجد ذلك على الخصوص في كتابيه: كتاب " أعلام الإصلاح في الجزائر" وكتاب" تاريخ المغرب العربي". لكن الذي يعنينا ههنا هو ما كتبه في مجال السيرة الأدبية، وهي التي اخترنا منها في هذه الدراسة " سيرة الرافعي"؛ وهي عبارة عن مقالات **نشرها في جريدة البصائر وعنونها بـ " وقفة في دار الرافعي وقبره** ".

والطريف في الموضوع أن هذه المدونة تتقاطع فيها عدة أجناس أدبية، فهي من فن مقال، وهي من فن سيرة، وهي من فن الرحلة كذلك، إذْ إنها تجمع في ثناياها عدة فنون متكاملة يخدم بعضها بعضاً. ولذلك فإننا سنجد أنفسنا ملزمين بتناول هذه المدونة من هاته الجوانب الثلاثة كلّها .

إن البحث في هذه المقالات التي تتناول فن السيرة والترجمة عند الكاتب محمد علي دبوز يقتضي من الباحث التعريج على فن الرحلة لأن الحديث، كما أسلفنا، سيكون عن هذه الفنون مجتمعة (الرحلة والسيرة والترجمة) على اعتبار أنّ ما قام به المؤلف في هذا الشأن **هو عبارة عن رحلة مدونة حول سيرة الرافعي**.

وقبل الحديث عن كتابات المؤلف في هذا الموضوع، يَحْسُن بنا أن نقدّم فكرة عن فنّ الرحلة في الأدب العربي والأدب الجزائري، لنحدد موقع هذه السيرة من أدب الرحلة، وذلك قبل الكلام عن مضامينها وخصائصها وأهدافها.

* **أدب الرحلة في الأدب العربي** :

تشغل الرحلة مكانًا مهما في الثقافة العربية، فاهتم بها العرب منذ القديم فتنوعت أسبابها ومقاصدها العلمية والدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية[1] والرحلة تشبه فناء بيت تنفتح فيه غرف متعددة، الجغرافيا، التاريخ، التصوف، الأدب، السيرة الذاتية والتراجم والحكايات والرسائل والكرامات والشعر هذا كله يؤدي إلى صعوبة القبض على تعريف يجمع في حده زخم الخصوصيات والتنويعات في النصوص الرحلية العربية. [2]

وقد عرف العرب منذ القديم حب الرحلات والأسفار فتواترت الأخبار عن رحلات فردية وجماعية لأسباب مختلفة، وكان هؤلاء الرحالون يقصّون مشاهداتهم على الناس عند عودتهم ويدونون بعضها في ملاحظاتهم، ولم تأخذ هذه الملاحظات شكل الرحلة إلى في بدايات العصر العباسي.[3]

ومن ذلك رحلة سلام الترجمان، سنة 227 هـ ـ 742م؛ ورحلة ابن فضلان، المدونة التي قام بها إلى بلاد البلغار في سنة 309.[4] وغير هذه الرحلات كثير.

*** أدب الرحلـة في الأدب الجزائري :**

1 ـ علي ابراهيم الكردي ، أدب الرحل في المغرب و الأندلس، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، 2013 ، دمشق ًـ05 .

2 شعيب خليفي ، الرحلة في الأدب العربي ، ص 43 .

3 ـ ابراهيم الكردي ، أدب الرحل في المغرب و الأندلس ، ص 09 .

4- المرجع نفسه، ص 09

أولى الرحلات التي أشار إليها إبراهيم الكردي في الأدب المغاربي، ومنه الجزائري، هي رحلة ابن رشيد (721هـ/1321م) المسماة (ملء الغيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة)؛ ثم كانت رحلة العبدري؛ ورحلة ابن بطوطة؛ ومستفاد الرحلة للتجيبي؛ وتاج المفرق للبلوي. وغيرها كثير[1].

ويمكننا الإشارة إلى بعض الرحلات، وذكْر بعض من ألفوا من الكُتّاب الجزائريين في هذا الفن قديمًا وحديثـًا؛ فمن ذلك في القديم، مثلاً، الرحلة الحجازية، وهي أول رحلة نثرية حجازية مذكورة في المصادر ـ حسبما يرى الدكتور أبو القاسم سعدالله ـ وهي رحلة أحمد بن قاسم بن محمد ساسي البوني ، المسماة برحلة (الروضة الشهية في الرحلة الحجازية). وهناك رحلة ابن عمار، ورحلة الوارتلاني، وغيرهما.[2]

ومن هذه الرحلات التي كانت لغايات علمية وتجارية، رحلة عبد الرزاق حمادوش الذي عاش في القرن الثاني عشر، وهي رحلة قام بها لطلب العلم والتجارة من الجزائر إلى تطوان ومكناس وفاس؛ ثم الرحلة الثانية وهي رحلة الحاج ابن الدين الأغواطي إلى الصحراء.[3] كما توجد رحلات اخرى غير، إلاّ أننا سنكتفي بهذه الأمثلة .

1- ابراهيم الكردي ، أدب الرحل في المغرب و الأندلس ، ص 12 .

2 ـ د. أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، دار الغرب الإسلامي 1998 ج 02 ، ص 366 .

3 ـ المرجع نفسه، ص 391 .

وتتلخص رحلات العصر الحديث فيما ألفه المنصوري الغسيري وبعزيز بن عمر عن رحلتيهما إلى المشرق العربي، وما ذكره الكاتب عثمان سعدي، ومحمد الصالح رمضان الذي سافر إلى ليبيا وأوربا.[1] وسنتطرق في دراستنا التطبيقية ضمن هذه الورقة إلى رحلة الشيخ محمد علي دبوز إلى القاهرة، وقد **تمحورت حول سيرة الرافعي** .

*** خصائص فن السيرة عند الكاتب محمد علي دبوز :**

*** نوع السيرة التي كتبها :**

تصنف هذه االسيرة ضمن السيرة الغيرية الخاصة ، ونعني بها ما وضع ليترجم لشخص بعينه.[2] على عكس السيرة الغيرية العامة التي تشتمل على أكثر من ترجمة، سواء أكانت تتناول ترجمة مدينة معينة أو عصر[3]. أما من حيث الغاية فهي سيرة تعليمية، إذْ جمعت مجموعة من الأخبار التي تدور حول شخص واحد ليتأدب بها المتأدبون، فركزت على المآثر والمناقب التي تميّزتْ بها حياة الرافعي، ولم يلتزم فيها المؤلف بالتدرج من الميلاد إلى الوفاة، بل ركز على جوانب بعينها من حياة الرافعي لأسباب وغايات معينة، سنتطرق إليها لاحقا .

*** أسلـوب الكتابـة:**

1 ـ د. سميرة أتسعت ، مضامين الهوية و تجليات الأنا و الآخر في خطاب الرحلة الجزائرية المعاصرة ، دراسة تطبيقية على رحلات حمد لمنور إلى أوربا (مقال إلكتروني)

2 ـ د. أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج2 ص 359 .

3- المرجع نفسه، ص 350 .

مزج الشيخ محمد علي دبوز في هاته المقالات التي خصصها للرافعي بين أسلوب الوصف والسرد والحوار والتحليل والتفسير، وذلك لتحقيق الغايات التي أرادها.

- **تقنية الوصف:**

حرص الكاتب محمد علي دبوز على توظيف تقنيات الوصف التي أبدى فيها معارة كبيرة وبراعة فائقة، وكان ذلك ممّا أضفى على عمله صبغة أدبية وأعطاه لمسة واقعية، بحيث قام بتقريب القارئ من بيئة الكاتب وعائلته ووطنه . وقد وظف الوصف في المواطن التالية :

- وصف الطبيعة :

تمثل وصف الطبيعة في الحيّز الأكبر من المكان، وهو وصف المدينة والمواقع المحيطة بها، كأنما تعمّد أن يقدّم صورة حقيقية للقارئ عن البيئة العامة الكبرى التي وجد فيها المترجم له (الرافعي)، حتى تتكوّن لديه فكرة عن المؤثرات الناجمة من المحيط الطبيعي الذي عاش فيه الرافعي فكان له انعكاس على حياته وكتاباته.. ومن هذا المنطلق بدأ الكاتب بوصف مدينة طنطا، وبعض المناطق الطبيعية الأخرى في محيط المدينة ..

- وصف المكان:

الحديث هنا عن الحيز المكاني الأقرب إلى الكاتب الُمترجَم له (الرافعي). وهنا ينتقل الكاتب محمد علي دبوز من الحيز المكاني الأكبر إلى الحيّز المكاني الأصغر، وفي هذا الانتقال تدرج مقصود من

الكاتب لغايات معينة تتمثل في تعريف القارئ ببيئة الكاتب ومحيطه ومؤثراته، ليقترن ذلك بالحديث عن مآثره ومناقبه. وتتمثل الأماكن القريبة في دار الرافعي، وبيت ابن الرافعي، والمقهى، والمقبرة. وهي أماكن كان الكاتب يتردد عليها باستمرار، حتى إنها شكّلت جزءاً من حياته وانعكستْ آثارها على كتاباته.

- **وصف الشخصيات:**

تتمثل الشخصيات التي عرّج عليها الكاتب محمد علي دبوز في ابن الرافعي، وحفيده . ولكل منهما دوره في حياة الرافعي، تارة بصورة مباشرة وتارة أخرى بصورة غير مباشرة.. وهاتان الشخصيتان باعتبارهما من عائلة الكاتب وأسرته المصغرة، فإن لهما أدواراً بارزة في حياته، وفي سائر أعماله..

- **أسلـوب الســـرد:**

كنّا قد أشرنا آنفاً إلى أن الكاتب محمد علي دبوز كتب ما كتب حول الرافعي من خلال رحلته إلى مصر، ولذلك نجده يعمد إلى سرد الأحداث بالترتيب من بداية الرحلة إلى نهايتها. وهذا الترتيب جاء لغايات متعددة، منها حرص الكاتب على توثيق رحلته بانتظام، وتوثيق سيرة الرافعي بالتسلسل ليقدّم فكرة كافية للقارئ من دون أن يجد عناء في فهمها والاستفادة منها، وأمّا الغاية الأخرى التي تُعدّ من أبرز الغايات فهي غاية تربوية تتمثل في حرص الكاتب على إفادة القارئ وتوعية الأجيال بسيَر العلماء والفضلاء من الذين تركوا آثاراً طيبة

تشهد لهم، وتجعل منهم قدوة لمن يأتي بعدهم.. وهناك غايات أخرى من هذا الترتيب. تدل على أن الكاتب كان يدرك المنهج الذي سلكه في هذه السيرة، بأبعاده وغاياته العلمية والأدبية والتربوية. وأمّا ترتيب الأحداث فجاء على النحو الآتي:

1 ـ إقامته في مصر ورغبته في مشاهدة موطن الرافعي الذي يقصد به "مدينة طنطا" وعدم تحقق الرغبة أثناء المدة التي كان مقيما بها في مصر .

2 ـ عودته إلى مصر والشروع في تحقيق رغبته .

3 ـ إبلاغه لأحد أبناء الرافعي بقدومه ، ثم ركوب القطار السريع إلى طنطا .

4 ـ زيارته لمحمد مصطفى أحد أنجال الرافعي .

5 ـ حديث نجل الرافعي عن منافسي والده .

6 ـ زيارته للمقهى الذي كان يتردد عليه الرافعي باستمرار.

7 ـ زيارته للحارة التي كان يسكنها الرافعي ومشاهدته للبيت من الخارج فقط لأنه بيع لغير أبنائه .

8 ـ التقاؤه ببعض أقارب الرافعي.

9 ـ زيارة المقبرة التي ووري فيها الثرى .

10 ـ عودته إلى القاهرة عبر القطار .

- **تقنية الحوار:**

وظف الرافعي تقنيـة الحوار في كشف بعض الجوانب التي أراد توضيحها، مثل سؤاله لابن الرافعي عن مكتبة أبيه وعن علاقته بمنافسيه، وعن حبه القديم، وعن اشياء أخرى تتصل بحياته . وقد كان لهذا الحوار دور بارز في استقاء المعلومات من منابعها ومصادرها التي تضمن صحتها، لقربها من الكاتب ومحيطه وبيئته التي عاش فيها..

*** مضاميــن فن السيرة وأبعاده عند الكاتب محمد علي دبوز:**

يتعلق الأمر ههنا بعدة جوانب حول شخصية الكاتب المترجم له (الرافعي) ، بدءاً من التعريف به وببيئته التي عاش فيها، ومحيطه الطبيعي والأُسري، مروراً بصفاته ومناقبه، وانتهاءً بعلْمه وأعماله وآثاره النفيسة التي خلّفها من بعده.. ويمكن أن نتناول ذلك كله فيما يأتي:

1. الإشادة بعلمه ومقارنته بفطاحلة الأدب العربي ، يقول الشيخ محمد علي دبوز: " ومن يبتـغ الأدب الرفيـع الذي يشبـع جوانب عقله كلها لا يجده إلاّ في كتب الرافعي ...وكان الرافعي كالجاحظ وأبي العلاء المعري في سعة المعرفة وحدّة الذكاء والتوفر لفنه والغرام به. لقد كان عالمـًا واسـع المعرفة بكل ما يستلزمه الأدب العبقري من العلوم اللغوية والاجتماعية والفلسفية.. وكان أدبه مظهر العقل جبار بالوراثة و بالمعرفة." [1]

1 ـ محمد علي دبوز ، وقفة في دار الرافعي وقبره ، البصائر ، مج 02 ـ 08 ، ص 131 .

2. إبراز تميزه عن أبناء جيله ومعاصريه: يقول الكاتب محمد علي دبوز: "وكنت قد عرفت الرافعي من أدبه فأحببته وأغرمت به، وإنه عندي سيد الأدباء في هذا العصر لا يضاهيه أديب في أدباء هذا الزمان في خصائصه." [1]

وهو يزدري الأدب الهزيل في عصر الرافعي فيقول: "...وسواه من الأدب الصحفي الهزيل الذي يغرم به أبناء هذا الزمن كاللبان الذي يمضغه الإنسان لا يحصل منه إلا على تعب الفكين." [2]

3. بيانه للأبعاد الاجتماعية والدينية والقومية والفنية في أدب الرافعي، إذْ ركز الكاتب محمد علي دبوز على جملة من الأبعاد التي استخلصها من أدب الرافعي، وهي التي شكلت محور الجذب الذي أثر في الشيخ دبوز، فكانت دافعًا قويًا من دوافع اختياره لهذه السيرة؛ وسرًا فريداً لإعجابه الشديد به وإجلاله له واحترامه وتقديره لما يكتبه .

ويمكن أن نقف على عدة أبعاد أخرى بارزة تميّز بها فن السيرة عند الكاتب الشيخ محمد علي دبوز، ومجمل هذه الأبعاد فيما يأتي :

* **البعد الاجتماعي والديني:**

يقول الشيخ محمد علي دبوز: "... والرافعي مع عبقريته التي لا تضاهَى في الأدب، مصلح اجتماعي من أكبر مصلحي هذا الزمان،

1- المرجع نفسه، ص 131 .

2 . المرجع نفسه، ص 132..

فأدبه أداة لإيمانه وغيرته، ينير به الطريق لقومه، ويهزهم لليقظة ويوجههم للمثل العليا الكريمة ولعزة الإسلام وقوته، وليس أدب الغرائز المنحطة. والرافعي ممن أضرم الثورة على الفساد واللادينية والميوعة في الشرق، ودعا إلى الأخذ بأسباب القوة المعنوية والمادية." [1]

ويقول أيضا: "كان عينـًا يقظة على الدين والعربية يحرصهما ويردّ عنهما سموم المبشرين والمستعمرين التي كانوا ينفثونها بكل الأساليب."[2]

فغيرة الرافعي إذاً على دينه، وحرصه على إصلاح نفوس الشباب المسلمين، كانت من أبرز المزايا التي أثرت في الشيخ دبوز، فكانت بذلك من أهمّ ما أصر عليه في هذه السيرة، ونالتْ حظاً كبيرا لديه من التركيز عليها .

*** البعد القومـي :**

يرى الشيخ دبوز أنّ أدب الرافعي كان أدبا وطنيا قوميا، إذْ يقول: "...كان واسـع الأفق حتى في وطنيته فرأى العالم الإسلامي كله وطنه، وقد كتب في محنة فلسطين ولو عاش لكتب في محنة الجزائر." [3]وهذه النزعة القومية والإصلاحية كانت من أبرز النزعات التي تميزت بها كتابات المحدثين، ولا سيما كُتّاب المشرق الذين لا

1 ـ محمد علي دبوز ، وقفة في دار الرافعي وقبره ، البصائر ، مج 02 ـ 08 ، ص 131 .

2 ـ البصائر ، س 02 ، ع 337 ، ج 08 ، ص 149 .

3 - المرجع نفسه، 218 ـ 8.5 .

تكاد تخلو كتاباتهم منها، على اعتبار أنهم يشعرون بواجب الدفاع عن الأمّة، وأنّهم يحملون على عواتقهم مسؤوليتها على كل المستويات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية وغيرها.

*** البعـــد الفنـي :**

حينما يقوم الشيخ محمد علي دبوز بتحليل شخصية الرافعي، يقف على أسرارها، ويركّز على عبقرية الرافعي التي يرجعها إلى العوامل الآتية:

1. سعة المعرفة وحدة الذكاء: وهذا ممّا تميّز به الرافعي، فقد تنوعتْ معارفه وثقافته، وهذا ما يظهر جليا من مؤلفاته التي شملت موضوعات متنوعة، وتميزت بفوائد جمّة لا تتوفر في كل المؤلفات..

2 ـ التفرغ للأدب والفن والصبر والجلَد : ذلك أن المطّلـع على حياة الرافعي يستخلص منها أن الرجل عرف في حياته عدة ظروف قاسية أسهمت في صقل عبقريته، إذْ أكسبته خبرة في الحياة، وكانت دافعاً له على الاستمرار والتصدي للكثير من الاتجاهات الأدبية في عصره، وليس أدل على ذلك من مخالفته لرواد هذه الفنون في عصره.

3. قوة الشخصية وحدة روح النقد لديه: كان تمكّن الرافعي في الفنون الأدبية وسعة اطلاعه على مذاهب النقاد وآرائهم في عصره والعصور التي سبقته، كان ذلك الزاد كله معيناً له على مقارعة الكتّاب والأدباء ونقد أفكارهم نقدا الواثق المطلـع الذي يدافـع عن أفكاره ولو كان منفردا بها.

4. تسخير تجربته مع الحب لفائدة أدبه وفنه : في هذا يقول الشيخ دبوز عن الرافعي: " ... وقد أحب الرافعي فأنتج لنا في فلسفة الحب والجمال ما لم يتركه لنا أديب في العربية." [1]. وهذه شهادة قيّمة من كاتب خبير مطلع أحسن الاطلاع على أدب الرافعي وكتاباته، لكاتب من أبرز كتّاب العصر الحديث ونقّادهم وناثريهم ..

5. عمق المعاني وبراعة صوره: ممّا لا شك فيه أن كتابات الرافعي متميزة تميّز تكوينه المتنوع في ثقافته التي جمعت بين العلوم الدينية والفنون الأدبية، فضلاً عن القريحة الإبداعية والملكة النقدية التي تميّز بها بين كتّاب عصره.. وإنّ المتتبع لكتاباته ليقف على الكثير من أسرار أسلوبه القويّ في تراكيبه العميق في دلالاته البديع في صوره وأخيلته.

6. إتقانه للمطالعة مع الاستيعاب الجيد المتأني: يكتشف القارئ لكتب الرافعي، من بين ما يكتشف، دقة المعلومات وسعة المعارف لديه، ويشعر القارئ بأنه يقرأ لكاتب واثق فيما يكتب، خبير بما يقوله، فلا يجد بدّاً من التأثر والإعجاب بكتاباته فيزيده ذلك إقبالاً عليها.

كانت هاته أبرز الجوانب التي عرّف الشيخ محمد علي دبوز الرافعي من خلالها؛ وهي جوانب مضيئة أجاد الكاتب في اختبارها، كما أجاد في اختيار الشخصية المترجم لها، إذْ قدّمها أحسن تقديم بأسلوب جذّاب ميسّر يحثّ القارئ ويأخذه بالنصيحة والتوجيه إلى

1 - البصائر، 187. 5. 8

سبل الفضيلة وبلوغ أرقى المراتب، عن طريق الاقتداء بمآثر العظماء ومناقبهم.

*** أهـداف السيرة وغـايـاتها وأبعـادها :**

بقي لنا أن نتطرق إلى أهداف الكاتب محمد علي دبوز وغاياته التي يسعى إليها من وراء اختياره لهذه الشخصية بالذات وتركيزه على جوانب من حياتها دون أخرى، مـع العلم أن الكاتب محمد علي دبـوز كان ينشر مقالاته في جريدة البصائر ذات المكانة المرمـوقة في نفوس الجزائريين وغيرهم.

بلغت جريدة البصائر هذه المكانة بكثرة إقبال الكُتّاب وتوافد القرّاء عليها، إذْ أثراها أشهر الكتّاب والمصلحين بمقالاتهم، فكانت منبرا حقيقيا لهم لإيصال رسالتهم إلى عموم الناس ولا سيما الشباب منهم، قصد الحث على مقاومة الاستعمار والتحلي بالفضائل والقيم السامية التي تحصّن المجتمـع من الانحراف.. فكانت كتاباتهم في مجملها تصبّ في هذا الاتجاه..

وذاع صيت هذه الجريدة في الجزائر والعالَم أجمـع، إذ استطاعتْ الوصول إلى مختلف أنحاء الوطن، والاستحواذ على اهتمام كبير من القرّاء والمتتبعين، وكان للوضـع القائم آنذاك دور فيما بلغته هذه الجريدة، ذلك أن " كُتّاب المقالة فيها كانوا متأثرين مهتمين بالأدب السياسي والمقالة الدينية الإصلاحية والمقالة السياسية الصريحة أو المباشرة، فهم نقاد لأوضاع كانوا يرونها غير طبيعية

وكانوا يطمحون إلى التغيير غير قابلين بالوضع القائم إلا على مضض." [1]فكانت مقالات الكاتب محمد علي دبوز ناقدة حارة العبارة وشاملة للوضع بالجزائر والمغرب العربي والمشرق العربي

ولأجل ذلك استغل الكاتب محمد علي دبوز اختيار سيرة هذا الرجل لبث بعض القيم في شبابنا من جهة وللتأكيد على عروبة الجزائر وإسلامها وقوميتها من جهة أخرى .

لقد كانت هذه السيرة تحمل في ثناياها رسالة متعددة المضامين، ذات أهداف تربوية وإصلاحية لا تخفى على أعل النظر؛ ومن أبرز أهدافها حث الجزائريين ولا سيما الشباب منهم، وكل الشباب العربي من ورائهم، على الحفاظ على دينهم والعمل بمبادئه السمحة، والمنافحة عن عروبتهم، والذود عن وطنهم؛ والحفاظ على وحدة الشعب والوطن، في ظل التحلي بالقيم السامية التي تبوئهم أعلى المراتب، وتمكّنهم من حمل راية الحرية والحق والعدل، كما حملها أجدادهم الذين ضحوا بالنفس والنفيس من أجل أوطانهم.. وعلى هذا يمكن القول إنّ لهذه السيرة أبعاداً عربية فيما يتعلق بالقضايا القومية، وأبعاداً وطنية جزائرية موجهة إلى الجزائريين بدافع الانتماء والوطنية الصادقة، على اعتبار أن الكاتب واحد منهم، وهو أدرى بشؤونهم ..

1 - أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1 ص 447.

*** أبعـاد السـيرة على المستوى الوطنـي :**

- دعوة الشباب إلى التطهر ببلاغة القرآن، وغرس معانيه في النفوس والتمسك باللغة العربية التي يصر الاستعمار على قتلها في الجزائر.

- بث روح النضال بالفكر والوسائل المتاحة، وعدم الاستسلام لمكائد الاستعمار وخططه لإفشال المساعي التي تحفظ كرامة الجزائريين في وطنهم، ومقارعة الأعداء والخصوم بالحجة القوية لأنهم أصحاب حق.

- الصبر في مجال العلم وتحمل المشاق في سبيل ذلك، فالأمجاد لا تتحقق إلاّ بالمواظبة والمثابرة والاجتهاد، وطريق العلْم يقتض من صاحبه الاستعداد لتحمّل الأعباء والتضحيات، وهذا دأب السابقين ممن بلغوا أعلى المراتب في العلم.. وفي هذا يقول الشيخ دبوز: " ليت شبابنا يعرف أن الفن عرق ودموع بالجهاد المستمر وتجرع المرائر بالحرمان، فيسلك طريق الرافعي في الكد وإعطاء النفس كلها للعلم والأدب." [1]

- لفت الانتباه إلى الاهتمام بالآداب والفنون والعلوم الإنسانية، لما لها من أهمية في تهذيب السلوك وتربية النشء على القيم الفاضلة؛ ومن ذلك الاطلاع على أخبار السابقين وسيَرهم للاستفادة من خبراتهم وتجاربهم في الحياة.. ومن أهم السبل إلى ذلك الإقبال على

1 - البصائر، 218 . 5 / 8

المطالعة وإتقانها واستيعابها - كما فعل الرافعي- لأنّ ذلك من أقوى الأسباب في تكوين الأديب الفـذ الذي يكون له الأثر الإيجابيّ البارز والمكانة السامية ..

*** أبعـاد السـيرة على المستوى العربي :**

- التأكيد على هوية الجزائر العربية الإسلامية، فإذا كان الاستعمار قد أفاد بعض البلاد العربية حيث نقل إليها المطبعة والصحف والمجالس العلمية ونحو ذلك فإنه في الجزائر قد كان على العكس تماما ، إذ لم يأت لنشر حضارة وإنما جاء ليسلب أفكار الشعب ويزور تاريخه، ويحطم كيانه ، ويستغل ثروته..[1] ولكن الجزائري الأبي ظل صامدا يقاوم محاولة طمس هويته..

- الاعتزاز بالذات والانتماء إلى القومية العربية، وهذا أمرٌ يتضح في كلام الشيخ محمد علي دبوز، إذْ يؤكد على ذلك في حواره مع ابن الرافعي حين قال له : " وقد أطلعت الدكتور على ما لم يعلمه من شخصية الجزائر والمغرب، وأعلمته بتشبث الجزائري بشخصيته العربية الاسلامية، وتمسكه بالتقاليد الدينية والحضارة العربية في حياته، واعتزازه بدينه وعربيته ونظرته إليهما نظرة تقديس لا تزيدها مكائد الاستعمار ونوائب الأيام إلا قوة وتمكنا." [2]

1- أبو القاسم سعد الله ، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب .الجزائر ط5، 2007 .ص22 .

2 - البصائر، 149/02/08

- التنبيه إلى ضرورة التطلع إلى الشرق وعلمائه بدل الغرب ؛ وذلك رغم الأسوار العالية والقضبان الفولاذية، إذْ لم تكن هناك سوى " نافذة صغيرة تتطلع منها الجزائر إلى الخارج، خارج السجن الفرنسي، ولم يكن التطلع إلى الخارج بلا هدف، بل كان تطلعا نحو جهة واحدة معينة هي وجهة الشرق العربي. [1] لأنّ الجزائر قطعة من الجسد العربي المسلم، وجزء مهمّ لا يتجزأ منها، على الرغم ممّا يريده لها خصومها من فصلها بقصد الانفراد بها، وسلب بخيراتها والاستيلاء على ثرواتها. فانتماؤها العربي يشكّل حصنا منيعاً أمام مساعي المسخ والتغريب. وتلك هي حال الكثير من الكتاب والأدباء الجزائريين في حثهم الشباب على التوجه إلى الشرق، لينهل من علمه ويقتدي بعلمائه ويحفظ تراثه. وكانوا يقصدون الشرق في مفهومه العربي او القومي وذلك في مقابل اتجاه آخر حاول الاستعمار أن يغري به طبقة من شباب الجزائر المثقفين.[2]

- ترسيخ روح الأُلْفة والأخوة والمحبة بين الجزائريين وبينهم وبين غيرهم، وكسر الحواجز؛ وهذا من أبرز أبعاد هذه السيرة من خلال تناول الكاتب لسيرة الرافعي، وإجلاله لعلمه وإعجابه بشخصيته.

- إزالة المظاهر التنافسية الجارية بين المشارقة والمغاربة عبر العصور، بادّعاء كل جانب للفضل لنفسه على الآخر وسعيه لإثبات

1- أبو القاسم سعد الله ، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص107.

2- ينظر المرجع نفسه، ص108

التفوق عليه.. وهذا ما لا ينبغي أن يكون، لأنّ الأمّة بحاجة إلى كل أفرادها ليكونوا يدا واحدة؛ فلا ينبغي تصيد العثرات واتباع الهفوات؛ بل يجب الترفع عن مثل هذه الصفات، والتحلي برقيّ الفكْر واستقامة السلوك وعلوّ الهمّة فيما يقدّم الخير والنفع للجميع، وهذا من أبرز أبعاد هذه السيرة التي أراد الكاتب من خلالها إبراز ما كان عليه الرافعي من قمة في الرقي والذوق الأدبي الرفيع.

*** خـاتـمة :**

يمكن أن نخلص إلى جملة من النتائج من كل ما سبق، وتتلخص فيما يأتي:

لقد كانت رحلة الكاتب محمد علي دبوز إلى مصر رحلة علمية مثمرة اتصل فيها أدب المشرق بأدب المغرب، إذْ كان المؤلف سفيرا للأدب الجزائري، كما نقل من الأدب المشرقي ما استخلصه من مجالساته ومحاوراته للمشارقة هناك.. وهذا الاتصال بين الأدبيْن مثّله عدة كتّاب في فنون مختلفة، ممن عنوا بهذه الرحلات، ومن أبرزهم المؤلف.

إنّ ما كتبه الشيخ محمد علي دبوز عن سيرة الرافعي، لذو قيمة علمية وأدبية وفنية كبيرة، فضلاً عن القيم الدينية والاجتماعية الأخرى كالقيمة التربوية والقيمة الإصلاحية.

إنّ كتابة هذه السيرة عن أحد عمالقة الأدب العربي في العصر الحديث يُعَدّ إضافة أدبية مهمة من شأنها إثراء الأدب الجزائري وتطويره، وتحقيق نوع من التكامل بينه وبين أدب المشرق.

لقد تميز أسلوب الكاتب محمد علي دبوز بدقة عالية في اختيار الموضوعات الهادفة والجوانب الجوهرية من سيرة الرافعي، مع تجاوز الجوانب العَرضية ليتمكن من إيصال أهم الرسائل بأدل الألفاظ وأوجز العبارات.

استطاع المؤلّف أن يبدع في سرد سيرة الرافعي بطريقة شائقة ممتعة، وأسلوب تربوي ميسر هادف، إذ ينتقل من موضوع إلى آخر بكل سلاسة، بما لا يُشعِر القارئ بالملل.

حرص الكاتب على تنويع الكتابة قصد تنويع الفائدة وتحقيق الإمتاع في هذه السيرة بأسلوب يتّسم بالحيوية، فمن نقل بعض المشاهد الزاهية المبهجة عن سيرة الرافعي، نراه ينتقل إلى حواره مع نجل الرافعي؛ ولا يفوته توجيه بعض النصائح والتوجيهات والرسائل التربوية من حين لآخر.

جعل الكاتب من سيرة الرافعي أنموذجا للباحث الجاد والكاتب المجتهد ذي الهمة العالية، والأديب المتميز المقبل باستمرار على طلب العلم والاستزادة منه. وذلك قصد استثمار هذه الصفات لغرسها في نفوس الشباب العربي عموماً والشباب الجزائري على الخصوص.

أبدى الكاتب محمد علي دبوز إعجابا كبيرا بسيرة الرافعي، من خلال الثناء على شخصيته وما تميز به بين الأدباء والكتّاب في عصره؛ ودعا الكاتب مرارا إلى ضرورة وجود أدباء كالرافعي في المغرب العربي الكبير يتبعون منهجه الإصلاحي الإسلامي في المجتمع، ويتصفون بمثل ما اتصف به أو يزيدون.

دعا الشيخ محمد علي دبوز إلى تكريم هذا الرجل (الرافعي) وتخليد ذكراه، والاعتراف بفضله داخل بلده وخارجه، لما رأى فيه من صفات الكاتب المعتدل الذي نذر نفسه للدين والعلْم والتربية والإصلاح.

أكد الشيخ محمد علي دبوز على التمسّك بطلب العلْم الصحيح، والاهتمام بحقل الآداب والفنون، لأن ذلك يُعَدّ ضرورة لتعذيب سلوك المجتمع وتحقيق التطور والازدهار، وبيّن أن ذلك من شأنه تغيير حال البلاد والعباد إلى الأفضل، وحث على غرس مثل هذه المبادئ في نفوس الناشئة الذين سيحملون مسؤولية في المستقبل.

ختاماً:

لا يفوتنا أن ننوّه بهذا العمل الأدبي المتميز الذي قدّمه الكاتب محمد علي دبوز، كما ننوّه بسائر أعماله العلمية والأدبية، لما لها من قيم متعددة، علمية وتاريخية وحضارية وتربوية وأدبية وفنية. ونحث على الالتفات إلى مثل هذه الأعمال الرائدة للكتّاب الجزائريين، ولاسيما من كان مغموراً منهم بمناطق الجنوب الجزائري، فما

أكثر النوابـغ فيه، وما أكثر النفائس من أعمالهم وآثارهم. ونشيد بما يقدّمه بعض الباحثين من جهود فردية، أو جماعية كهذا الملتقى المبارك الذي يعدّ مبادرة طيبة رائدة تستحق التثمين والتشجيـع.

والله الموفق..

الخصائص الفكرية والأدبية والفنية في أدب الشيخ محمد علي دبوز

- المقالة نموذجا -

أ. ميهوبي خديجة
جامعة عمار ثليجي – الأغواط

الكلمات المفتاحية: محمد علي دبوز، المقال، الخصائص، الفكرية ، الفنية، الأدبية.

يعد محمد علي دبوز من بين الشخصيات الجزائرية الإسلامية التي تركت بصمة بارزة على الصعيد الجزائري والعربي الإسلامي، ليس فقط من خلال كتاباته التاريخية التي أسهمت بالتعريف بتاريخ الجزائر العميقة وشخصياتها الإصلاحية الكثيرة، ولا من خلال مقالاته التي كانت تؤثر في عقول متلقيها بما كانت تتميز به من فصاحة لسان وقوة بيان وجزالة عبارات – ليس هذا فقط - بل من حيث المواضيع التي كان يعالجها الشيخ ويطرقها في هذه المقالات، بغض النظر عن نوع المقال ما إن كان تاريخيا أو أدبيا، حمل على عاتقه فيها هم الجزائر والجزائريين .

فالمتلقي لمقالات محمد علي دبوز يجد ذلك جليا، ومن هنا تبرز لنا الإشكالية الرئيسية لهذه المداخلة المتمثلة في: ماهي خصائص

الفكرية التي كانت تحملها مقالات محمد علي دبوز؟ وماهي الخصائص الفنية والأدبية التي تميزت بها؟

الشيخ محمد علي دبوز يعتبر من القلة القليلة التي تركت الأثر الكبير على رغم من الصعوبات التي واجهته والتي لم تحد من مثابرته، فكان حب العلم والتعلم هو سلاحه الأخاذ في التغلب على الصعاب، خاصة وأن الجزائر في الفترة التي عاشها كانت تحت هيمنة الاستدمار الفرنسي، الذي بذل جهده لتجهيل المجتمع الجزائري فمن هو محمد علي دبوز؟

1/ التعريف بالشيخ محمد علي دبوز:

محمد علي دبوز هو من خيرة أبناء الجزائر عامة ،و ولاية غرادية خاصة، من مواليد 1337هـ/ 1919م ببريان، تلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه، فقد عين له والده «السيد الحاج إسماعيل فخار، أحد عزابة المسجد ليدرسه في دار خاصة وتلقى منه المبادئ الأولى في الكتابة والقراءة، ولقنه خواتم القرآن الكريم وحفظها»[1]، في سنة 1928 التحق بالمدرسة القرآنية الفتح .

[1] إبراهيم بيوض بن محمد دبوز: محمد علي دبوز- تاريخه – شخصيته- جهاده- أثاره، مكتبة الصفاء، غرداية، ب ط ، 1998 ، ص17

في سنة 1934 دخل حلقة معهد الحياة وأصبح أحد تلاميذه، فتتلمذ على يد الشيخ بيوض، والشيخ عدون وابن الناصر الحاج محمد بن حمو وكانت الدروس التي يتلقونها: في التفسير والحديث وشرحه وأصول الفقه وأصول الدين والأدب العربي والنحو والبلاغة والأخلاق1.

شدّ الرحال بعدها إلى تونس الخضراء، بدون جواز سفر، متحديا بذلك كل الصعوبات والمخاطر - لا لشيء- فقط حبا في العلم سنة 1942م، ونهل من جامعة الزيتونة ومعهد ابن خلدون لمختلف العلوم.

في سنة 1944 - و الحرب في أشدها- قام بمغامرة السير إلى القاهرة عبر حدود ليبيا و اضطر إلى قطعها مشيا على قدميه فرارا من الإنجليز، فتحت القاهرة له آفاقا علمية واسعة وتخصص في دراسة علم النفس، والتربية، والتاريخ، والأدب، وتعرف على أدباء مصرين وصادقهم، مثل محمد عطية الأبراشي، وأنور الجندي، والدكتورة عائشة عبد الرحمن2.

[1] ينظر: المرجع نفسه، ص 19

[2] ينظر: محمد صالح ناصر: مشايخ كما عرفتهم، دار الريام، ب ط، 2008، ص 5

عاد الشيخ دبوز إلى أرض الوطن – الجزائر- سنة 1948، و درس في معهد الحياة بالقرارة لغاية سنة 1981، فكان مدرسا لمادة الأدب العربي، و التاريخ الإسلامي و الإباضي، و الفلسفة و علم النفس و مناهج التعليم.

2/ آثار الشيخ محمد علي دبوز:

ترك رصيدا فكريا ومعرفيا زخم حملته مؤلفاته، رصيدا متنوع المجالات فنجد التاريخية، والأدبية، والدينية، والتعليمية نذكر منها على سبيل المثال – لا الحصر- فلقد دخل الشيخ ميدان التأليف« سنة 1950، إذ بدأ كتابة فصوله في تاريخ المغرب العربي الكبير .فأخرج لنا ثلاثة عشر عاما من العمل المتواصل موسوعة تاريخية رائعة تحمل تاريخ المغرب العربي الكبير مفصلا منذ ما قبل التاريخ حتى نهاية القرن الثالث هجري»[1] وهو في (ثلاثة أجزاء)، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة (ثلاثة أجزاء)، أعلام الإصلاح في الجزائر(خمسة أجزاء).

يقول الشيخ أنور الجندي عن الشيخ وآثاره «والحق أن الأستاذ محمد علي دبوز عالم مجاهد، يشق طريقا وعرا، وينشئ عملا غير مسبوق. ومن أجل هذا كانت المشقة البالغة التي يلقاها في سبيل

[1] يوسف الواهج ، الشيخ محمد علي دبوز، بريان ، ب ط، 1981، ص05

جمع معلوماته. ثم هجرته من الجزائر إلى مصر أو دمشق لكتابة فصول كتابه وطبعه، وقد ألف مجلدات تاريخه الثلاثة تاريخ المغرب الكبير" في القاهرة، ثم اختار هذه المرة دمشق حيث ألف وطبع كتابه عن نهضة الجزائر الحديثة. فجاء كتابه شاهدا بالجهد الضخم الذي بذله في سبيل الكشف عن هذا الدور .الذي قام به المفكرون في الجزائر من أجل المحافظة على اللغة العربية والإسلام والقرآن ونشرها جميعا وحمايتها من مؤامرات الاستعمار التي كانت تستهدف القضاء عليها جميعا...» 1

أما محمد عطية الأبراشي في مقال مفصل حول كتاب " تاريخ المغرب الكبير" يقول «..:والحق أن الكتاب بأجزائه الثلاثة ليس في حاجة إلى من يقدمه، فمادته غنية كل الغنى،تدل على سعة الاطلاع، وتعمق في البحث وراء الحقيقة، للوصول إلى الحق، والحق وحده، كما تدل على المجهود الكبير الذي بذله في تأليفه، وتخليصه من الأكاذيب التي دسها الكتاب من المستعمرين، وهو أول كتاب عربي جزائري يطبع بعد الاستقلال في أكثر من 1520صفحة، وهذا جهد يذكر بالشكر والتقدير... والأستاذ الأديب المؤرخ محمد علي دبوز

[1] إبراهيم بيوض بن محمد دبوز: محمد علي دبوز- تاريخه – شخصيته- جهاده- أثاره، مرجع سابق، ص 57

بكل تشجيع وإعجاب وتقدير من العالم الإسلامي، والأمة العربية كلها لما قام به من مجهود مشكور سيتذكره له التاريخ»[1]

أما عن آثاره التربوية فتمثلت في المنهج التربوي للتدريس، المبادئ العامة في منهج التعليم، معهد الحياة للتربية والتعليم، توجيهات عامة للمعلمين في مدارسنا وإداراتنا، نظام تدريس الأدب في معهد الحياة، منهج المواد وتوجيهات، النظافة والنظام في معهد الحياة[2].

ومن آثاره الأدبية مجموعة من المسرحيات منها الجهاد الأكبر، الشيخ الحاج عمر بن عيسى، الأبناء الثلاثة وهي مسرحية اجتماعية.

أما بخصوص المقالات الأدبية تنوعت عند الشيخ محمد علي دوز منها الحسد ودوره في المجتمع، انتصار الحق على الباطل، الأخلاق الفاضلة، الشهيد[3]، علة الانصداع وسبب الاجتماع، وقفة في دار الرافعي وعلى قبره، من أسباب ضعفنا في الأدب.

---

[1] المرجع نفسه، ص 58

[2] إبراهيم بيوض بن محمد دبوز: محمد علي دبوز- تاريخه – شخصيته- جهاده- أثاره، المرجع نفسه، ص ص 36،37

[3] إبراهيم بيوض بن محمد دبوز: محمد علي دبوز- تاريخه – شخصيته- جهاده- أثاره، مرجع سابق، ص 39

ودعت الجزائر عالم جليل من علمائها في يوم الجمعة 13 نوفمبر 1981م، في بريان وعمره 63 سنة، بعد مرض عضال أقعده الفراش فكان فقده انطفاء شمعة عطاء دامت لسنوات طوال، وفاجعة ألمت بواد مزاب خاصة والجزائر عامة، ليوارى في مثواه الأخير يوم السبت بحضور جمع غفير، فعن هذه الفاجعة يقول حاج داود نجار «ودعت الجزائر يوم الجمعة الماضي 13 نوفمبر1981، أحد مؤرخيها المجتهدين و روادها البارزين، الذين سعوا بكل عزم وحزم وعصارة فكرهم كتابة حقائق وتاريخ الوطن الجزائري والمغرب العربي الكبير تاركينها في متناول الأجيال الصاعدة لمعرفة حقائق أجدادها الماضية» 1.

تمكن محمد علي دبوز من احتلال مكانة مرموقة على الصعيد الفكري والأدبي الجزائري، فكان أول من طبع كتابا باللغة العربية بعد الاستقلال، من العلماء الأكفاء الذين تخرجوا على أيديهم مشايخ وأساتذة، من المساهمين في التنمية الثقافية والعلمية الجزائرية، كان له قلم سيال كتب به العديد من المقالات التي عالج فيه قضايا مختلفة وهذا ما نحاول إبرازه في هذه الورقة البحثية، لكن قبل ذلك لا ضير في التعرف عن المقالة أولا فما هو مفهوم المقالة ؟ وماهي أنواعها؟ وبماذا تمتاز؟

[1] ينظر: محمد صالح ناصر، مشايخ كما عرفتهم، دار الريام، ب ط، 2008 ، ص 5

3/ مفهوم المقالة :

المقالة هي صورة من صور الأدب النثري، لم تكن معروفة في القدم تطورت مع تطور الاجتماعي، يختلف مفهومها اللغوي عن الاصطلاحي.

3-1/ المقال لغة: هو مشتق من قول «قيل القول في الخير والشر والقال والقيل في الشر خاصة، فالمقال والمقالة والقول كما جاء في المعاجم القديمة مصدر قال، والقول والكلام هو كل لفظ ينطق به اللسان تاما أو ناقصا كما يقول: سمعت مقالة ومقالته وأقاويلهم وكثر القيل وانتشرت له في الناس مقالة»[1] ، كما جاز« أن يسمى الرأي والاعتقاد قولا»[2] ، بالمقال في معناها اللغوي يرتبط بكل ما هو منطوق من الكلام والحديث، وإبداء الرأي.

3-2/ المقالة اصطلاحا: تنوعت تعاريفها و اختلفت من أديب إلى آخر فأحمد أمين في كتابه النقد الأدبي يعرف المقالة بقوله «من أهم صور النثر الأدبي وأمتعها وهي إنشاء نص نثري قصير كامل، يتناول

[1] إسماعيل إبراهيم، فن المقال الصحفي، الأسس النظرية والتطبيقات العلمية، دار الفجر للنشر والتوزيع، ب ط، ب ت، ص 19

[2] الحاج داود النجار: المؤرخ محمد علي دبوز في ذمة الله، جريدة الشعب، ع 5616، يوم الأربعاء 18 نوفمبر 1981م

موضوعا واحدا غالبا، تكتب بطريقة لا تخضع لنظام معين وتكتب حسب هوى الكاتب، ولذلك تسمح لشخصيته بالظهور. والمقالة النموذجية تكون قصيرة، لكن القصر ليس صفة ضرورية أو صورة محدودة في كتاباتها، تنبع من نفس الكاتب وذوقه، فالمقالة إذا ليست إلا تعبيرا عن النفس تنفيسا عنها، فهي في النثر تشبه النوع الغنائي من الشعر ولذلك كان كاتب المقالة واسع التفكير أكثر من أي كاتب آخر، فله حرية واسعة غير محدودة في أسلوبه ومن الصعب أن نجد موضوعا ليس صالحا لأن يتناوله كاتب المقالة، وكثيرا ما يطلق اسم المقالة على نوع من الكتابات التي توفرت فيها ميزات المقالة نفسها»[1]، فأحمد أمين يرى أن المقالة تعالج موضوعا واحدا، ومن خلالها يستطيع كاتبها التعبير عن ما يريد بكل حرية فهي متنفس له، وجميع المواضيع تصلح لتتناولها المقالة.

وهناك من يعرف المقالة بقوله «المقال يعبر قبل كل شيء عن تجربة معينة مست نفس الأديب، فأراد أن ينقل الأثر إلى نفوس قرائه، ومن هنا قيل أن المقال قريب جدا من القصيدة الغنائية، لأن كليهما يغوص القارئ إلى أعماق نفس **الكاتب** أو الشاعر ويتغلغل في ثنايا روحه، والفرق بين القصيدة الغنائية وبين المقال الأدبي هو في درجة حرارة العاطفة لدى الكاتب - كما يقول زكي نجيب محمود-فعندما

[1] أحمد أمين: النقد الأدبي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج1، ط4، ب ت، ص116

تعلو درجة الحرارة وتتناغم تكون القصيدة أو تهبط وتتناثر فتكون مقالا أدبيا» 1 ، فالهدف من المقال هو إيصال ما يجول بخاطر الكاتب.

3-3/ أنواع المقال:

للمقال أنواع عدة على حسب الموضوع المتناول، ويختلف كل نوع على الآخر ومن أنواع المقال نجد:

3-3-1/ المقال الأدبي: وهو المقال الذي « أن المقال الأدبي يمتاز بآثار الصيغة البادية فيه، والمسيطرة عليها، فبقدر ما يحتوي المقال الأدبي على آثار الصيغة وجودة التشبيه وحسن الاستعارة وابتكار الصورة بقدر ما يتميز صاحبه عن غيره من الأدباء» 2 .

كما «تمتاز المقالة الأدبية أيضا بعلو درجة العاطفة، أضف إلى ذلك عنصر الذاتية وتكون متوسطة الطول ومنثورة في الأسلوب؛ أي يمتاز بالسهولة، وتعالج موضوعا من الموضوعات. فالمقالة الأدبية

[1] إبراهيم إمام: دراسة في الفن الصحفي، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة، ب ط، 1997، ص 71

[2] عبد العزيز شرف، أدب المقالة من المعاصرة إلى الأصالة، دراسة ونماذج، دار الجيل، بيروت، ب ط، د ت، ص15

شيء يوضحه الكاتب بنفسه»1، ويشترط في كاتب المقالة كما يقول يوسف نجم « نريد من كاتب المقالة الأدبية أن يكون لقرائه محدثا لا معلما بحيث يجد القارئ نفسه إلى جانب صديق يسامره لا أمام معلم يعنفه، نريد من كاتب المقالة الأدبية أن يكون لقرائه زميلاً مخلصا يحدثه عن تجاربه، ووجهة نظره، لا من يقف منه موقف الواعظ فوق منبره»2، فالمقال يجب أن تكون مشوقة وليست تلقينيه، فيفر منها القارئ.

ويندرج تحت المقال الأدبي مقال النقد الاجتماعي، والمقال الوصفي، والمقال الرحلي(مقال وصف الرحلات)، مقال السيرة، والمقال التأملي.

3-**3-2/ المقال الموضوعي:** تعتمد على الفكر والعقل والمنطق في التحليل، مست جميع العلوم والمجالات خاصة مع تطور البحث العلمي، يلتزم فيها كاتبها بالموضوعية والحياد، وتبنى على جمع

[1] عبد العزيز شرف، أدب المقالة من المعاصرة إلى الأصالة، دراسة ونماذج ، مرجع سابق ، ص28

[2] محمد يوسف نجم، الفنون الأدبية، فن المقال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ب ط، ب ت، ص 103

الأدلة والشواهد والبراهين، ويتنوع المقال الموضوعي إلى المقال الفلسفي، المقال التاريخي، المقال العلمي...إلخ

3-**3-3/ المقال الصحفي**: وهي المقالات التي تنشر في الصحف والمجلات، وفي أيامنا هذه في المجلات الإلكترونية، تهتم بالقضايا السائدة على الساحة الاجتماعية أو الثقافية أو السياسية...إلخ، تعرفه دائرة المعارف البريطانية بأنه: «إنشاء متوسط الطول يكتب للنشر في الصحف ويعالج موضوعا معينا بطريقة مبسطة وموجزة على أن يلتزم الكاتب حدود الموضوع»[1]، يجب أن يتوفر في هذا النوع من المقالات «عنصر الإحالة، وكذلك أن تكون كتابته وعرضه في متناول عقل القارئ العام...، وأن يكون أيضا في مستوى اهتمام قارئ الصحيفة المتخصص، وكذلك أن يتصف بالحيوية سواء كان من ناحية طريقة الكاتب في متناول الموضوع، أم من ناحية طريقة الصحيفة في تنسيق هذا الموضوع، كما يمتاز أيضا بميله إلى البساطة واستخدام المألوف والشائع من الألفاظ في عبارات سهلة وبسيطة، وكما يتناول موضوعاته تناولا سريعا ولكنه لا يخلو من الدقة وذلك يتوقف على نوع المقال»[2].

[1] محسن الإفرنجي، فن المقال الصحفي ، الجامعة الإسلامية –غزة- كلية الآداب قسم الصحافة، 2014، ص 2

[2] إسماعيل إبراهيم، فن المقال الصحفي، مرجع سابق، ص26

4-3/ خصائص المقالة:

تتميز المقالة بخصائص عامة نذكر منها أن المقال يعبر عن وجهة نظر كاتب المقال نحوى الموضوع المعالج، وتكون عبارة عن قطعة نثرية، تتميز بالقصر، فالمقالة قطعة أدبية قصيرة لا تتجاوز بضع صفحات، فإذا طالت غدت بحثا أو فنا آخر من الفنون الأدبية، ويعزي ذلك إلى قصر نفس الأديب، أو ضيق وقته، أو نظرته الجزئية إلى الأمور، أو إلى طبيعة الموضوع الذي يعالجه أو إلى وسائل النشر ومقتضياتها، كل أديب يتأثر بهذه العوامل مجتمعة أو بعضها فقط 1، فالمقالة تتميز بالإيجاز، والتركيز على الفكرة وبنائها .

كما أن المقالة تكون فيها حرية أكثر مما يوجد في الأجناس الأدبية الأخرى، لكن دائما مع توفير الإمتاع للمتلقي والعمل على شد انتباهه، وجذب اهتمامه، وهذا بمعالجته للفكرة بأسلوب واضح مع التدرج في طرحها، تكون هذه الفكرة تهم القارئ وترتبط به فنجدها تمس الجانب الاجتماعي أو السياسي، أو الاقتصادي ، أو الثقافي...إلخ من جوانب الحياة.

[1] ينظر:علي بوملحم: في الأدب وفنونه، المطبعة العصرية للطباعة والنشر ، لبنان، ب ط، ب ت، ص 167

أما عن مميزات الجانب الشكلي فالمقال في هيكلها تتكون من مقدمة وعرض وخاتمة «يشترط في المقدمة أن تكون مطابقة للفكرة أو المشكلة التي يراد عرضها، أما في الخاتمة فتتضمن الحل المقترح غالبا ويجب أن يتوفر الشرط المهم والمعتمد دائما وهو أن تكون المقدمة والخاتمة أقصر من العرض لأن مدار المقالة هو طرح الفكرة ومناقشتها، وهنا يكمن لب الموضوع»[1]، فالمقدمة والخاتمة يتميزان بالإيجاز مقارنة بالعرض.

4/ خصائص المقال عند محمد علي دبوز:

المقال ذات طابع مرن من خلالها يمكن معالجة العديد من القضايا، ولذلك يلجأ إليها العديد من الأدباء والمفكرين والنقاد والمؤرخين، والذين من بينهم محمد علي دبوز، طرق من خلالها موضوعات جمة ، فنجدها تميزت بمجموعة من الخصائص الفكرية والأدبية والفنية والتي سنحاول إبرازها في هذه الورقة البحثية.

4-1/ الخصائص الفكرية: من الملاحظ على مقالات الشيخ محمد علي دبوز أنها تدعو إلى إصلاح المجتمع وأحواله وهذا لا يكون إلا بالعودة للدين فالشيخ محمد علي دبوز يدعو إليه مرارا وتكرارا، لأنه المخرج الوحيد لنجاح الأمة، فمن بين الخصائص الفكرية نذكر:

[1] سوسن رجب: فن المقال، المسائية، العدد 1663

4-1-1/التمسك بالدين الإسلامي: وهي من أهم الخصائص الفكرية التي تتميز بها مقالات الشيخ محمد علي دبوز، بالإسلام تتطهر النفوس وتتوحد الشعوب وتقوى «فالدين هو الذي وحد العرب وقد كانت قبائلهم أكثر من أحزابنا تمزقا فصاروا أمه متحدة كالبنيان المرصوص" ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها"»[1]، العودة للدين الإسلامي والعمل بتعاليمه هو السبيل الوحيد للنجاة من التصدع.

4-1-2/ الاتحاد ونبذ الفرقة: كما أننا نجد الشيخ دائم الدعوة للاتحاد ، خاصة وأن المجتمع الجزائري توفرت به جميع الأسباب ليتوحد «فليس في الجزائر والحمد لله طبقات متباعدة بعضها في عنان السماء ينعم بكل خير، والآخر في قعر البئر يشقى في بحيات الجهل وعقارب الفقر كما هو موجود في بعض البلاد الشرقية، ولا في الأمة الجزائرية مع الإسلام دين آخر يجعل النفوس على طابع يغاير طابع الإسلام فيستحيل اتحادها اتحادا تاما. ولا فيها فئات من أجناس شتى لم تستطع البيئة الطبيعية والاجتماعية أن تجعلها متشاكلة فدامت الوراثة تصرفها وتعدد غاياتها فلا تتحد. بل هي أمة دينها واحد وجنسها واحد، وبيئتها الطبيعية متقاربة وجل ما يكتنفها يدعوها إلى

[1] محمد علي دبوز: علة الانصداع وسبب الاجتماع، المنار جريدة سياسية ، ثقافية ، دينية ، حرة، السنة الثالثة العدد 41، بتاريخ 24 أفريل 1954

الاتحاد ويبعثها على التكتل»[1]، عوامل الاتحاد متعددة ومتنوعة فلا وجود إلى طبقية وهذا أهم سبب اجتماعي، بالإضافة إلا أن الدين الوحيد في الجزائر هو الدين الإسلامي وهذا أهم عامل من عوامل الاتحاد قديما وحديثا.

هناك اختلافات حقيقية بين جهات الوطن فالجهة الشرقية كما يقول الشيخ محمد علي دبوز ليست مثل الجهة الغربية، ولا الجنوبية، وهذا التباين في العقول راجع لأسباب تاريخية، لا غير فلقد تأثرت الجهة الشرقية بالنهضة بتونس وجامع الزيتونة، لكن النفوس تبقى متحدة «أما النفوس فواحدة لأن النفس يؤثر فيها الدين والبيئة الطبيعية وهما شيء واحد في الناحيتين. والتشاكل في النفوس هو سبب الاتحاد لا العقول»[2]، فهو لا يعرض فكرة بدون دليل فكان دائما يدعمها بالحجج والبراهين خاصة التاريخية .

4-1-3/ الحفاظ على الأخلاق: تقوم الأمم وتنهض بالأخلاق وهذا ما تعمل به منطقة واد مزاب بغرداية «فقد حفظ عليه أخلاق الدين البيئة

[1] محمد علي دبوز: الاستفتاء العام في الاتحاد ، المنار جريدة سياسية، ثقافية، دينية ، حرة، السنة الثالثة العدد 41، بتاريخ 24 أفريل 1953

[2] محمد علي دبوز: علة الانصداع وسبب الاجتماع، المنار جريدة سياسية ، ثقافية، دينية، حرة، السنة الثالثة العدد 41، بتاريخ 24 أفريل 1954

الصحراوية الصافية، وبقاء المساجد في أيدي أبنائه فظلت تتوهج في كل صباح ومساء بدروس الوعظ التي يشرق بها علماء ذو ورع و تقوى وغيرة على الدين فينيرون العقول بالعلم، ويغسلون النفوس بالصفاء، و يشحنون القلوب بالدين»[1]، أسامدت هذه الأخلاق من الدين الإسلامي الحنيف.

4-1-4/ العقاب عند المعصية: لديه دور فعال في القضاء على الآفات الاجتماعية، ولا يشترط في هذا العقاب أن يكون عقابا ماديا فالعقاب المعنوي أشد أثرا منه، وخير مثال على نجاحه أنه «إذا أعلنت البراءة من عاص قاطعته المدينة كلها، ونظر إليه شزرا كل واحد، وتحاماه حتى أهله وذوه. والإنسان فيه غريزة الاجتماع التي تدعوه إلى الاتصال بالناس، وغريزة السيطرة التي يحرص بها على الرفعة والاحترام في مجتمعه، فإذا حرم هذين يوما كان أقسى عليه من السجن المؤبد، والجوع الدائم، والجلد الشديد، وقد كان السلف ينصرون هذا العقاب فنصرهم»[2]، فالعقاب النفسي أشد من العقاب الجسدي ، ولو عدنا لهذا العقاب لتقلص مستوى الفساد الحاصل في مجتمعنا الحالي.

---

[1] المرجع نفسه

[2] محمد علي دبوز: علة الانصداع وسبب الاجتماع، المنار جريدة سياسية ، ثقافية، دينية، حرة، السنة الثالثة العدد 41، بتاريخ 24 أفريل 1954

4-1-5/ تشجيع التعلم: عالج الشيخ التعلم ودور المساجد في العملية التعليمية « وكانت فاطمة تعتد بالمسجد وتدرك خطره في المجتمع، وتعتقد أن آخر هده الأمة لا يصلح إلا بما صلح به أولها، وأن الأمة التي أنارت العالم الإسلامي في عهد المصطفى نبعت من المسجد الذي كان كلية عظيمة تولاها فيها بالتربية رسولنا الأعظم عليه السلام» 1، فهو مبعث الحياة «إن منبر الدرس في المسجد حبل الوريد للأمة هو وحده يربطها بالحياة فلذلك يعمد إليه المستعمر المغير فيهده كما يعمد النصل إلى وريد الشاة في عنقها فيقطع إذا أريد ذبحها »2، والعلماء هم قوام الأمة «إن العلماء غيث الأمة فهم سبب حياتها ما اتحدوا وتعاونوا و كانوا جدولا صافيا من صفاء نفوسهم من أدناسها، وإشراقها من تحابهم في الله وتوادهم في الجهاد» 3.

4-1-6/ المرأة ودورها في المجتمع: يعالج قضية المرأة ودورها الفعال في بناء المجتمع من خلال فاطمة المحور الأساسي لمقالته المعنونة بـ الشهيدة « كانت ككل نساء مزاب قد صير المسجد عقيدة

---

[1] محمد صالح ناصر: محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ، دار البعث قسنطينة، الجزائر ، ب ت ، ب ط، ص 51، نقلا عن البصائر العدد 20، 1948

[2] المرجع نفسه، ص 56، نقلا عن البصائر العدد 20، 1948

[3] المرجع نفسه، ص 52، نقلا عن البصائر العدد 20، 1948

راسخة فيهن: إن اختفاءهن في البيوت إخفاء عروق الشجر في الثرى، فهن للمجتمع مصدر حياته وسبب ازدهاره، فتراهن في إسعاد الأسرة يتحملن كل شقاء ويستعذبن كل مرارة كما تستعذب عروق الشجرة الحمأة التي تنغمس فيها لأنها تعيش منها في جمال الربيع الذي يكسو فروعها»[1]، فالمرأة هي أساس المجتمع وعماده «إن عروق الأمة التي تكون على حسبها دائما هي المرأة والمرأة كما تورث أبناءها قسمات وجهها تورثهم أخلاقا من نفسها كتلك القسمات لا تزول، والطفل وإن نقحته المدرسة فنزل منها ماء الغمام من صفائه أنزاه إذا كانت أمه زجاجا كدرا يبدو إلا في لونها؟؟ والرجل لا يديره في الحياة إلا العقائد التي انسكبت في أعماقه مع الأغاني من المرأة وهي أم تهدهد في المهد، والتي تستقر فيه مع العطر وهي زوجة تسامره على الوساد»[2].

يؤكد محمد علي دبوز كل ما سبق وأكثر حين التقى بابن الرافعي في طنطا «وقد أطلعت الدكتور على مالم يعلمه من شخصية الجزائر والمغرب، وأعلمته بتشبث الجزائري بشخصيته العربية الإسلامية

[1] محمد صالح ناصر: محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ، مرجع سابق، ص 53، نقلا عن البصائر العدد 20، 1948

[2] محمد صالح ناصر: محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ، المرجع نفسه، ص 57، نقلا عن البصائر العدد 20، 1948

وتمسكه بالتقاليد الدينية والحضارة العربية في حياته، وباعتداده بدينه وعربيته ونظرته إليهما نظرة تقديس لا يزيدها مكائد الاستعمار ونوائب الأيام إلا قوة وتمكنا»[1]، تعتبر هذه من الأفكار المهمة التي تناولها الشيخ محمد دبوز في مقالاته .

4-**2/ الخصائص الأدبية:** تمتاز مقالات الشيخ محمد علي دبوز بمجموعة من الخصائص الأدبية منها ما يتعلق بالشكل ومنها ما يتعلق بالموضوع، فالتي تتعلق بالشكل تتمثل في :

4-2-1/- فصاحة اللغة وإيحاء العبارة: مقالات الشيخ محمد علي دبوز مكتوبة بلغة عربية فصيحة رزينة، لم يخالف فيها قواعد النحو العربي، كانت العبارات والألفاظ موحية خالية من التعقيد مؤدية للمعنى المطلوب، خادمة للمواضيع والأفكار المطروحة، كما أنه يحدث تأثرا قويا في متلقيه من خلال فصاحة اللسان وقوة بيان وجزالة عبارات.

4-2-2/ جمال الأسلوب: امتاز أسلوب محمد علي دبوز بغض النظر عن نوع المقال أو الموضوع الذي يعالجه المقال إن كان سياسيا أو اجتماعيا أو تاريخيا فإننا نجد أسلوبه في عرض الفكرة المراد دراستها

[1] محمد علي دبوز: وقفة في دار الرافعي وعلى قبره، البصائر، السنة الثامنة من السلسلة الثانية، 6 من العدد 336 ، بتاريخ 07 أكتوبر 1955

يتميز بجمال وبهاء ورونق، حتى في المقالات التاريخية فلقد استطاع أن يخرج التاريخ من كونه تلقيني ليقدمه بأسلوب جميل جذاب يجذب المتلقي .

4-2-3/ الوصف والصور البيانية: اعتمد عليه محمد علي دبوز لرسم الصورة ونقلها للمتلقي مثل وصفه لطريق طنطا «وكان الطريق من القاهرة إلى طنطا جميلا فتانا تحفه مزارع بعراجينه الحمراء والصفراء. وكان القطار يطير بين مناظر الريف الجميلة»[1]، من خلاله رسم لنا كذلك صورة لقبر الرافعي «كانت مقبرة الرافعي كمقابر مصر الخاصة، فناء محوط بأسوار عالية في مدخله سقيفة مدارة بالكراسي العريضة من الخشب أو الإسمنت لجلوس الزوار أو لانتظار المشيعين للجنازة وقت الدفن ... وكانت شجرة كبيرة في وسط المقبرة تظلل قبر الرافعي وتكسو ظاهره بنضارة كالتي يجدها في قبره كنعيم ربه، وكانت القبور لا ترى متميزة كما في مقابرنا»[2]

كما أن هذه المقالات لا تخلو من الصور البيانية كالتشبيه فلقد شبه مدينة طنطا بمدينة البليدة بالجزائر وهذا لتقريب صورتها

---

[1] المرجع نفسه

[2] محمد علي دبوز: وقفة في دار الرافعي وعلى قبره، البصائر، السنة الثامنة من السلسلة الثانية، 3 من العدد 346 ، بتاريخ 25 نوفمبر 1955

للمتلقي «كانت مدينة تحتوي على جمال الريف وسحر الريف، وكانت في مقدارها وموقعها الخصيب " كالبليدة"»1.

4-3/ الخصائص الموضوعية: أما عن الخصائص الموضوعية والتي نعني بها الموضوعات، أو الآراء النقدية التي طرحها فضيلة الشيخ من خلال مقالاته التي تتمثل في:

4-3-1/ تأثير البيئة في الأديب: الأديب هو شخص حساس يتأثر بما حوله من جمال طبيعي، فالرافعي تأثر بمدينة طنطا «أما ضواحها فبارعة الجمال بالحدائق الحالية بالزهور والياسمين وبالمزارع الواسعة التي تكتنف المدينة في كل النواحي، وشوارعها فسيحة نظيفة ليس فيها زحام القاهرة وضجيجها. إنها أحسن ما يؤثر الأديب خلية له ينتج فيها فنه وتلهمه روائعه. والريف الذي هو مصدر الأمة في غذائها وخيراتها هو وحده ينجب العقول العبقرية التي تنتج للعقول غذاءها ويلهم تلك العقول»2، فالبيئة الجغرافية لها الأثر البالغ على نفسية الأديب خاصة الريف لما يتميز به من جمال أخاذ.

---

[1] محمد علي دبوز: وقفة في دار الرافعي وعلى قبره، البصائر، السنة الثامنة من السلسلة الثانية، 6 من العدد 336 ، بتاريخ 07 أكتوبر 1955

[2] المرجع نفسه

4-3-2/ دور الأديب نحو مجتمعه: تكلم عن الدور الحقيقي الذي وجب أن يلعبه أي أديب وهو الدفاع عن الدين الإسلامي واللغة العربية، وخير من قام بذلك مصطفى صادق الرافعي فقد «كان مصطفى صادق الرافعي قوي الشخصية جبارا في كل الميادين سيما في ميدان النقد الأدبي إذا دافع فكرة تمس الدين وهدم رأيا يسوء إلى العربية. وكان طول حياته عينا يقظة على الدين والعربية يحرسهما ويرد عنهما سموم المنصرين والمستعمرين التي كانوا ينفثونها بكل الأسباب» [1]، لذلك وجب الاقتداء به فهو واجب على كل أديب.

4-3-3/ أسباب ضعف الأدب: عالج أسباب ضعف الأدب في مقال كاملة تتحدث عن هذا الموضوع، فالواقع الذي تعيشه البلدان العربية من تفشي لظاهرة الجهل وضعف الأدب له أسباب عدة منها تراجع قيمة الكتاب «ماتت فيكم الرغبة في الكتاب لكثرته في أيديكم وسهولة اقتنائه ورخص أثمانه والشيء إذا ابتذل قلت قيمته في العيون وأهدر نفسه لو كثر لفضل عليه الحصى إذا انعدم .إنه لا يوجد متعلم في عصركم وإن عرقه الفقر يعز عليه كل ما يشاء من الكتب بالشراء أو الاستعارة ولكنكم لستم على غرامنا بالقراءة وشغفنا بالعلم أيام كانت

[1] محمد علي دبوز: وقفة في دار الرافعي وعلى قبره، البصائر، السنة الثامنة من السلسلة الثانية، العدد 337 ، بتاريخ 14 أكتوبر 1955

الكتب أعز من الحرية»1، فلقد كان الكتاب ذا قيمة عالية ، لكن في الوقت الراهن تهاوت مكانته فتهاوى الأدب معه.

من أسباب ضعف الأدب هجر الكتب والتوجه إلى المقاهي والسينما وحب المادة، والتعامل بالشهادة فلا يوجد طلب للعلم من أجل العلم في حد ذاته بل من أجل الحصول على شهادة فقط، أو لنجاح في امتحان ما «إن زهدكم في القراءة وعزوفكم عنها هو الذي جعلكم على هذه الغثاثة في الأدب وعلى الهزال في المعرفة وعلى الضعف في التفكير»2.

4-4- الخصائص الفنية: وظف محمد علي دبوز مجموعة من الوسائط الفنية منها:

4-4-1- السرد والحكاية: ففي مقالته وقفه في دار الرافعي وعلى قبره يقوم بسرد رحلته إلى طنطا، و التقائه بابن الرافعي ...إلخ معتمدا على السرد في قص أحداث رحلته.

4-4--2- الرمز: وظف الرمز خاصة في الشخصية التاريخية، ففي مقال من أسباب ضعف الأدب يوظف شخصية الجاحظ وهي رمز للأديب

[1] محمد علي دبوز: من أسباب ضعفنا في الأدب ، البصائر، ، العدد 248 .

[2] محمد علي دبوز: من أسباب ضعفنا في الأدب ، البصائر، ، العدد 248 .

العصامي، الذي استطاع أن يكون بمجهوده الخاص عالما من علماء الأدب العربي.

3-4-4- مخاطبته للعقل والقلب: من بين الخصائص الفنية لمقالات الشيخ محمد علي دبوز أنها تخاطب العقل والقلب في الآن ذاته، فهو يحمل حبا للإنسانية وينبذ الفرقة، كما أنه يستعمل البرهان والحجج ويوظف التاريخ للتدليل على أرائه لذلك «فليس في الجزائر والحمد لله طبقات متباعدة بعضها في عنان السماء ينعم بكل خير، والآخر في قعر البئر يشقى في بحيات الجهل وعقارب الفقر كما هو موجود في بعض البلاد الشرقية، ولا في الأمة الجزائرية مع الإسلام دين آخر يجعل النفوس على طابع يغاير طابع الإسلام فيستحيل اتحادها اتحادا تاما. ولا فيها فئات من أجناس شتى لم تستطع البيئة الطبيعية و الاجتماعية أن تجعلها متشاكلة فدامت الوراثة تصرفها وتعدد غاياتها فلا تتحد .بل هي أمة دينها واحد وجنسها واحد، وبيئتها الطبيعية متقاربة وظل ما يكتنفها يدعوها إلى الاتحاد ويبعثها على التكتل»[1].

في الختام نجد أن الشيخ محمد علي دبوز أبدع في فن المقالة والتي عالج من خلالها العديد من القضايا الفكرية الشائكة، باحثا عن حلول للمشكلات التي تعاني منها الأمة الجزائرية خاصة والعربية عامة

[1] محمد علي دبوز: الاستفتاء العام في الاتحاد ، المنار جريدة سياسية، ثقافية، دينية ، حرة، السنة الثالثة العدد 41، بتاريخ 24 أفريل 1953

، فلا يكون الخلاص منها إلا إذا تمسكنا بتعاليم ديننا الإسلامي الحنيف، والعمل بالقرآن الكريم، ونبذ الفرقة والعمل بالأخلاق الفاضلة والابتعاد عن الرذائل، كل هذا يتم بالعلم والمعرفة .

كما عالجت مقالاته دور المرأة في المجتمع، فإن كانت تمثل نصف المجتمع فهي من تربي النصف الثاني، أي المجتمع ككل، فإذا صلحت المرأة في المجتمع صلح المجتمع كله، وإن فسدت فسد المجتمع هو كذلك.

أما من ناحية الأفكار فنجد مقالاته تمتاز بالدقة في معالجة الفكرة، واضحة ومنظمة ومترابطة فيما بينها، مع الاهتمام بالجانب الأدبي، فكانت بلغة عربية فصيحة رزينة وبأسلوب جذاب، زادها تشويقا توظيفه السرد والرمز فكانت مقالاته تخاطب الروح والعقل.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر :

1- محمد علي دبوز: الاستفتاء العام في الاتحاد، المنار جريدة سياسية، ثقافية، دينية ، حرة، السنة الثالثة العدد 41، بتاريخ 24 أفريل 1953

2- محمد علي دبوز: علة الانصداع وسبب الاجتماع، المنار جريدة سياسية ، ثقافية، دينية، حرة، السنة الثالثة العدد 41، بتاريخ 24 أفريل 1954

3- محمد علي دبوز: من أسباب ضعفنا في الأدب ، البصائر، ، العدد 248 .

4- محمد علي دبوز: وقفة في دار الرافعي وعلى قبره، البصائر، السنة الثامنة من السلسلة الثانية، 6 من العدد 336 ، بتاريخ 07 أكتوبر 1955

5- محمد علي دبوز: وقفة في دار الرافعي وعلى قبره، البصائر، السنة الثامنة من السلسلة الثانية، 3 من العدد 346 ، بتاريخ 25 نوفمبر 1955

6- محمد علي دبوز: وقفة في دار الرافعي وعلى قبره، البصائر، السنة الثامنة من السلسلة الثانية، العدد 337 ، بتاريخ 14 أكتوبر 1955

المراجع:

7- إبراهيم إمام: دراسة في الفن الصحفي، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة، ب ط، 1997

8- إبراهيم بيوض بن محمد دبوز: محمد علي دبوز- تاريخه – شخصيته- جهاده- أثاره، مكتبة الصفاء، غرداية، ب ط ، 1998

9- أحمد أمين: النقد الأدبي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج1، ط4، ب ت

10- إسماعيل إبراهيم، فن المقال الصحفي، الأسس النظرية والتطبيقات العلمية، دار الفجر للنشر والتوزيع، ب ط، ب ت

11- عبد العزيز شرف، أدب المقالة من المعاصرة إلى الأصالة، دراسة ونماذج، دار الجيل، بيروت، ب ط، د ت

12- علي بوملحم: في الأدب وفنونه، المطبعة العصرية للطباعة والنشر ، لبنان، ب ط، ب ت

13- محمد صالح ناصر: محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ، دار البعث قسنطينة، الجزائر، ب ت ، ب ط

14- محمد صالح ناصر، مشايخ كما عرفتهم، دار الريام، ب ط، 2008

15- محمد يوسف نجم، الفنون الأدبية، فن المقال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ب ط، ب ت

16- يوسف الواهج ، الشيخ محمد علي دبوز، بريان ، ب ط، 1981

المجلات والجرائد و الرسائل:

17- الحاج داود النجار: المؤرخ محمد علي دبوز في ذمة الله، جريدة الشعب، ع 5616، يوم الأربعاء 18 نوفمبر 1981م

18- سوسن رجب: فن المقال، المسائية، العدد 1663

19- محسن الإفرنجي، فن المقال الصحفي، الجامعة الإسلامية –غزة- كلية الآداب قسم الصحافة، 2014

بنية السّرد في رحلة محمد علي دبوز "وقفة في دار الرّافعي وقبره"

د. الحاج جغدم
جامعة حسيبة بن بوعلي - الشلف

الملخص:

كانت الرحلة ولازالت مرآة لعصرها، وكثيرًا ما كانت وسيلة يصفون فيها البلدان والسكان والغطاء ممن عايشوهم أو قرأوا عنهم في عديدي المصادر، ويضمنوها كثيرًا من الأحداث التي شاركوا فيها برّا وبحرًا، ويسجلون انطباعاتهم الشخصية، ويصدرون أحكاما تتوافق ورؤاهم الفكرية، فهي تتميز بالوصف الدقيق لليوميات مع مشاق الطريق وأحوال الصفر.

وعليه، فقد بات واضحاً أنّ الخطاب الرّحلي فعاليّة متميزة تمتلك الآليات الشروط التي توفر لها النّصيّة، ما يجعلها تأخذ أبعادًا مختلقة تضمن لها الانسجام وشروط التواصل ضمن الفعل المعرفي لعملية القراءة ومعايير الاتصال والتفرد في تشكليه إنّما يتجلى لدى الراغبين النقاد والمفكرين في البنية اللّغوية والسرّدية.

من هنا، تروم هذه الورقة البحثية الموسومة بـ"بنية السرّد في رحلة محمد علي دبوز"، مبرزين مكونات السّرد من مثل: الحدث، الشخصيات...إلخ.

أولًا: مفهوم الرحلة ودوافع الرحال.

1) تعريف الرحلة لغة واصطلاحا:

أ- تعريف الرحلة لغة: جاء في لسان العرب أن مادة «رحل» تعني ما يلي:

1. « الرحيل والارحالُ بمعنى الأشخاص والإزعاج، يُقالُ: رحل الرجل إذا سار وأرحلته أنا، ورجل رحول، وقوم رحَّلَ: أي يرتحلون كثيرًا، ورجل رحّال: عالم بذلك مجيد له... والراحلة من الإبل: البعير القويّ على الأسفار والأحمال.. وناقة رحيلة أي شديدة قويّة على السّير ... وارتحل البعير رحلة: سار فمضى، ثم جرى ذلك في المنطق، حتى قيل: ارتحل القوم عن المكان ارتحالاً، ورحل عن المكان يرحل، وهو راحل من ثوم رحّلَ.

- « والترحُّل والارتحالُ، الانتقال، وهو: الرّحلة والرحلة اسم للارتحال للمسير.
- « والمرحلة: المنزلة يرتحل منها، وما بين المنزليتين مرحلة، وعليه، فإنّ مشتقات المادة-سالفة الذكر- تلخصها في التّالي:

- تدور هذه المادة حول محور واحد هو الحركة، والرحلة في جوهرها حركة وانتقال.

- أنّ التقلبات المختلفة للمادة مثل: حرل، لرح، لحر غير مستعملة في العربيّة، ولعل هذا يعود إلى استئثار تلك المادة بهذا الترتيب- بالنصيب الأوفر من حيث الاستخدام، مما أدىّ إلى الجور على التقلبات الأخرى.

- اسم الفاعل من رحل: راحل، وصيغة المبالغة: رحّال. وهذه الصيغة كانت اسمًا أو لقبًا لبعض الجاهلين «كعروة الرحال»، وكذا أورد «ياقوت الحموي» في معجمه هذا الاسم «رحال بن عنقرة».

ب- تعريف الرحلة اصطلاحًا:

جاء في تعريف الإمام الغزالي أنّ الرحلة «نوع حركة ومخالطة»[1]، أو «نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشقة»[2]، وأوضح أنّ «الفوائد الباعثة على السفر لا تخلو من هرب أو طلب، وأنّ الإنسان لا يسافر في غرض، والغرض هو المحرّك»[3].

أمّا صلاح الدين الشّامي فقد اعتبرها «إنجازا أو فعلاً فرديا أو جماعيا لما يعنيه اختراق حاجز المسافة، وإسقاط الفاصل المعيّن بين

---

[1] - أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج2، مكتبة الدعوة، القاهرة، (د.ت)، ص 245.

[2] - م.س، ص 250.

[3] - م.س، ص 260.

المكان والمكان الآخر، ويتأتى هذا الانجاز من أجل هدف معيّن ويجاوب هذا الهدف إدارة الإنسان وحركة الحياة على الأرض بشكل مباشر أو غير مباشر، وقد تكون الرحلة هواية تشبع حاجة الإنسان وترضيه، وقد تكون احترافًا يخدم حاجة الإنسان ويشبعه، ولكنها تكون – في الحالتين- استجابة مباشرة لحوافز ودوافع محدّدة تدعو بكل إلحاح للحركة والتنقل»[1].

ويُطلعنا صاحب معجم المصطلحات بتعريف مكمل لما ورد - في التعريفين السابقين- قائلًا: مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، وتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة، أو يجمع بين كل هذا في آن واحد»[2].

نستنتج مما سبق، أنّ: «الرحلة في جوهرها حركة، وهذه الحركة ذات هدف – وإلاّ كانت سفهًا - قد يتحقق وقد لا يتحقق ناجمة عن المخالطة، وبذلك يتم التقابل بين المرحلة في اللغة والاصطلاح حيث يجمعهما أنهما حركة»[3].

---

[1] - صلاح الدين الشّامي، في مجلة عالم الفكر، الكويت، يناير 1983، ص 12.

[2] - مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدبية، مكتبة لبنان، بيروت، 1974، ص 577.

[3] - ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي، ص 25.

2) دوافع الرحلة وأسبابها:

يرى عديد النقاد[1] أن دوافع الترحال تتلخص فيما يلي:

- الكشف عمّا يجمع ولا يفرق، عمّا هو أصيل غير عارض عن حقيقة الكون.

- الرغبة في العزلة والتأمل لأنهما من الحاجات الضرورية اللازمة.

- البحث عن الجمال المفقود، والسّلام المنشود.

- الوحي والإلهام من أجل الإبداع، وقد كان بعض الشعراء العرب يرحلون إلى الباديّة إذ تعذّر عليهم قول الشعر.

- وقد يكون الملل الناجم عن الحياة الرتيبة التي يحياها الإنسان دافعًا للرحلة.

- وقد يخرج الرّحال إرضاءً لفضوله وحبّ استطلاعه.

- وقد تكون الغيرة الشخصية، أو طلب الشهرة من دوافع الرحلة.

- وبإعتبار الرحلة مصدرًا حيّاً من مصادر زيادة الخبرات فإن كثيرين يلجأون إليها من أجل تنميّة قدراتهم الذاتية.

---

[1] - م.س، ص 28.

ثانيًا: شعرية الرحلة وضوابط النّص الرّحلي:

يعّد مصطلح الشعرية "poétique" من المصطلحات النقدية الأكثر غموضًا على مستوى الجهاز المفاهيمي: حيث يأخذ أبعادًا اصطلاحية مقابلة له من مثل: الجماليّة والأدبية، فالشعرية «تسمح بتمييز كل نص أدبي بالنسبة للنصوص غير الأدبية وتضعف من مبدأ السببية المباشرة بين ظروف الكاتب وإنتاجه الأدبي، ممّا يسمح بتفسير دوافع الإنتاج، لا للإنتاج ذاته، وهي طابع ما هو خالص من الأدب أي ما هو شاعري منذ البداية»[1].

وعليه، فإنّ ما قاله "هوراس" في هذا الشأن على أنّ "الشعر ممتع ومفيد "لو قيس على الرحلة" لكانت أكثر دلالة منها على الشعر ذلك أنّ جانب الإمتاع في الرحلة يُحيُ على أدبيتها، أمَا جانب الإفادة فيها فيحيلُ على الفائدة المضمونيّة المتمثلة أساسًا في تنوع المادة في الخطاب الرّحلي، فأدب الرحلات على هذا الصّعيد ثروة معرفية كبيرة، ومخزونًا للقصص والظواهر والأفكار، فضلاً عن كونه مادة سردّية تحتوي على الطريف والغريب والمدهش مما التقطته عيون تتجول وأنفس تنفعل»[2].

---

[1] – سعيد علوش، المصطلحات الأدبية المعاصر، منشورات المكتبة الجامعية، الدار البيضاء، (د.ط)، 1984، ص 19.

[2] – الخامسة علاوي، العجائبية في أدب الرحلات، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، 2006، ص 15.

وفي هذا السّياق، وضع النقاد والدارسون جملة من الضوابط التي تحكم النص الرحلي، ويمكن تلخيص فيما يلي[1]:

1- تعد هيمنة بنية السّفر على النصّ أهم محددات الأدبيّة في المتن الرحلي، وإن كان السّفر حاضًرا في كل النصوص حضورًا ماديًا ومجازيًا، غير أنه يكون بنيّة ثانوية بالقياس إلى بنية مركزية، فمثلا الرحلة في الشعر يكون السّفر فيها بنيّة ثانوية أمام مركزية بنية الشعر ولأجل ذلك يصبح النّص قصيدة دون أن يكون رحلة.

2- أن يكون السّفر قصديًا؛ ذلك أنّ القصدّية فيه تجعل النّص الرحلي حاملًا لخصائصه النوعيّة سواء على مستوى المسار العام للرحلة "l'étinéraire" أو على مستوى علاقة النّص الرحلي بالنصوص الأخرى.

3- لا يقتصر السّفر على فعل الارتحال فحسب، بل إنّ السّفر يُعاد إنتاجه على مستوى الكتابة، فيتيح لنا السّار الجّوال " le narrateur ambulant" الذي يتجول بسرده في الأمكنة ومؤاده في ذلك الوصف الذي يعد أحد أهم اللبنات التي أسهمت في إدخال أدب الرّحلات ضمن فنون الأدب العربي.

[1] - ينظر: م.س، ص 17.

من هذا المنطلق، نرى أنّ النصوص الرحليّة عامة ولدى محمد بن علي دبوز تستميز بحصيلة لغويّة متميزة، أضحت منطلقًا لأبعاد جماليّة، حيث تشكّل مدوّنة معرفية تجسد الواقع وما وراءه من تصورات فكرية وظيفية يتمظهر خلاله وعي الذات المبدعة وهي تؤطر الفعل المعرفي للفكر العربي الإسلامي ردحًا من الزمن، وحسبانا في ذلك شاهدًا ما أورده محمد علي دبوز في رحلته المشهورة إلى طنطا، ضمن هذا المنظور، تحضرنا جملة من التساؤلات: ما هي الحقيقة التي ينبني عليها النص الرحلي عند محمد علي دبوز؟ وماهي الأبعاد التي يجسدها، وفي أي مستوى في هذا الخطاب أو بعبارة أخرى ما هي موضوعة الرحلة؟

ثالثا: الرحلة والرحالة:

1)- التعريف بالرّحالة:

ولد محمد علي دبوز سنة 1913 من القرن الماضي، قضى حياته كلّها في بناء النفوس وإرشاد الناس، وتصويب الأفكار، وكشف خبايا التاريخ، فترك للأجيال تراثا ثمينًا في عديد الميادين، حيث تميّز بلقم سيّال، وأسلوب أدبيّ فيّاض، وفكر وقاد، وجرأة في النّقد لا تحابي ولا تداهن، فكانت كتاباته مجالًا خصيبًا لعددي القضايا الفكريّة، والتاريخية والتربوية والسياسية، فهو رجل آمن بالرسالة

الملقاة على عاتقه، فضحّى لتحقيقيها بكل ما يملك من قوّة، انتقل إلى جوار ربه سنة 1981 بعد أن أوفى على ستة عقود من الزمن»[1].

2)- مضمون الرحلة:

تعالج الرحلة "محمد علي دبوز" الموسومة بـ" وقفة في دار الواقعي وقبره"، سيرة أديب، عُرف بعلمه الواسع في علوم اللّغة والاجتماع والفلسفة حتّى شبهه صاحب المقام بأبي عثمان الجاحظ وأبي العلاء المعري، لقدرته الفائقة على التأثير في المتلقين، حيث أنعش الأدب العربي، بعبقريته وفنائه فيه حتّى أضحى صاحب الرحلة مولعًا بأدبه، وأَرم الثورة على الفساد واللادينيّة والميوعة في الشرف داعيًا إلى أسباب القوة المعنويّة والماديّة، واقعًا عنه أسلوب التكلف، وقويّ الشخصية في كل الميادين سيما ميدان النقد الأدبي[2].

لايزال صاحب المقام يسترسل في ذكر محاسن من حلّ وارتحل لأجله رُغم مشاق السّفر، حيث واجه خصومه في ميدان الأدب، بالردّ على أباطيلهم وآرائهم التي كانت صدى لثقافاتهم الغربيّة التي أوحت إليهم بما يُنَابِذُ الدين ويصادم التقاليد الإسلامية الكريمة،

---

[1] - ينظر: ديباجة المتلقي الدّولي الموسوم بـ "الشيخ محمد علي دبوز مؤرخًا وأديبًا ومربيّا، مخبر الجنوب الجزائري، جامعة غرداية، ص 1،

[2] - ينظر: محمد علي دبوز، وقفة في دار الرّافعي وقبره، البصائر، ع 337، ج08، ص 142/131.

حتى ترى فيه الغيرة التي تؤجج صدره على دينه فينقض على الفكرة بحجّة دامغة، فتراه يتهكم ويسخر من خصومه خصوصًا أولئك الذين تتلمذوا بالديار الغربية، ونجد ذلك جليّا في كتابيه "تحت راية القرآن" و" على السفود"، فهو يستميز بحدّته في النقد وصرامته في الدفاع، حتّى ترى الكثير من منافسيه لم يقاربوه لا ثخانه لهم بالجروح.

3)- مسار الرحلة ونظامها السّردي:

إنّ القارئ لرحلة محمد علي دبوز الموسومة بـ "وقفة في دار الرّافعي وقبره"، يجد أنّ مسارها العام يبدأ من الجزائر فالقاهرة ثم طنطا، أمّا المسار الخاص الذي يخص "وصف الهدف" فإنّه سفر إلى "دار" الرّافعي يقول "وكان يسكن في ضاحيّة طنطا ف يبيت تحوطه المزارع ومناظر الريف السّاحرة، وكان الهواء الممتلئ بأنفاس الحدائق يتدفق من النافذة الكبيرة فينعش النفوس، وكانت صورة الرافعي التي نشرت في وحي القلم تتصدر حجرة الاستقبال[1].

يواصل السّارد بيان سفارة الأديب، حيث "المقهى" الذي كان يعتاده الرافعي، فقول:" في شارع الجيش وهو من أكبر الشوارع في طنطا وقف الدكتور محمد أمام مقهى "ليمنوس" فأشار إليه فقال هذا هو مقهى الرافعي، إنّه النادي الذي يقضي فيه أوقات الفراغ»[2].

---

[1] - محمد علي دبوز، وقفة في دار الرّافعي وقبره، ص149.

[2] - م.س، ع337، ج08، ص 149.

إلى أن يصل إلى "المقبرة " التي دُفنَ فيها الأديب يقول:" وكانت مقبرة الرّافعي كمقابر مصر الخاصّة، فناء محوط بأسوار عالية في مدخله سفينة مدارة بالكراسي العريضة من الخشب." [1].

ويمكن تحديد سفارة هذه الرحلة وفق المخطط التالي:

- الانطلاق←الجزائر: الاستعداد للسفر، الإعلان عن أغراضه ووسيلته ومكان وزمان الانطلاق، ووجهة الرحلة.

- طريق الذهاب← القاهرة: يتضمن سرد المشاهد والأحداث الواقعة ضمن الفضاء الزّمني والمكاني للذهاب، وما تثيره من استطرادات.

-الوصول← طنطا: تحديد زمنه ومكانه، وسرد مشاهد ومغامرات الرحالة في الفضاء المرتحل فيه.

- العودة← القاهرة: وتحوي المراحل السّابقة في الاتجاه المعاكس.

- الانطلاق← طنطا: الاستعداد للمغادرة وطقوس العودة كالوداع ووسيلة العودة، وتحديد زمن ومكان الانطلاق.

- طريق الإياب← طنطا← القاهرة: رصد مشاهد ومغامرات طريق العودة.

- الوصول← القاهرة: تحديد مكان وزمان الوصول.

[1] - م.س، ع337، ج08، ص 149.

وعليه، فإنّ محمد علي دبوز في رحلته هاته استخدم في سردها أسلوب الوصف الهادف مع عدم التركيز على دقائق الأحداث، والإيجاز في العرض لكثير من المواقف التي تعبّر عن شخصية مصطفى صادق الرّافعي الاجتماعية والأدبية، حيث سيطرت على الرحالة مشاعر إزاء الشخص الموصوف بمجرد قراءة إنتاجه الأدبي والنقدي، وزيارة عائلته وهو إلى جوار ربه.

رابعًا: بنية السّرد في رحلة محمد دبوز.

1) بنية الإطار واللّغة السّردية:

يمكن لمستقرئ رحلة محمد علي دبوز المعنونة ب"وقفة في دار الرّافعي وقبره" أن يحدّد بنيتها في مستويات[1].

أ-البنية النمطية:

وفيها يسلك الرحالة نمطًا معتادًا يكون فيه السّرد أقرب إلى الرحلة الواقعية (*)، تناسقية وتراتبية بنيتي الزمان والمكان، وهذا المستوى يكون محددًا بأربع وحدات: المقدمة فرحلة الذهاب

(*) وهي"رحلات فعلية ذات علاقة مباشرة تقوم على الانتقال من مألوف المكان إلى مكان غريب، يقتضي فيه الرحالة المسالك والممالك وأخلاق الناس وطباعهم بل حتى مأكلهم ومشاربهم، وقد شاع هذا النوع من الرحلات قديما وحديثًا حيث أقبل الرحالون على تدوين زياراتهم للبلاد التي طوقوا بها، وتسجيل انطباعاتهم على الشعوب" مكي احمد الطاهر، الأدب المقارن، ص322.

[1] - ينظر: عبد الرزاق المواني، الرحلة في الأدب العربي، ص71.

ووصف هدف الرحلة ثم رحلة العودة فالخاتمة، وهذا ما دأب عليه الرّحالة الجزائري محمد علي دبوز.

من هذا المنظور نود الوقوف لدى نماذج من رحلته للاستدلال والبرهنة على الوحدات المكونة للمقول السّردي، فالمسافر بدأ رحلته بمقدمة استهلالية وصف من خلالها مدينة "طنطنا" موطن مصطفى صادق الرّافعي، مستظهرا جمالها بين المدن المصرية، ومؤكدا على أنها المدينة التي قضى فيها حياته وفيها دفن، يقول الرحالة: "طنطا.. كان لهذه المدينة عندي جمال الصدفة وجلالها(...) وكنت أراها بين المدن المصرية كلها كالزهرة بين الأوراق(...) إنها المدينة التي قضى فيها مصطفى صادق الرّافعي حياته أنجب أدبه الرفيع، وهي التي تضمّ رفاته وتشتمل على أسرته(...) وكان الرافعي كالجاحظ وأبي العلاء المعري في سعة المعرفة وحدّة الذكاء (...) لقد كان عالمًا واسع لمعرفة بكل ما يستلزمه الأدب العبقري من العلوم اللّغوية والاجتماعية والفلسفية"[1].

أما رحلة الّذهاب فمنطلقها الإعداد لها بعد التفكير فيها ثم التحرك إلى أن يصل الرحالة إلى المنطقة هدف الرحلة تمهيدًا للوحدة الأساس. "ودائمًا تتصف هّذه الوحدة بكثرة تفاصيلها وسذاجة تجاربها، لأنّ الرحال يكون في حالة تشبه حالة انعدام الوزن كما أنّ

[1] – محمد علي دبوز، وقفة في دار الرافعي، البصائر، ع336، ص131.

نطاق معلوماته واكتشافاته يكون محدودًا ، كما قد تكتنفها بعض الأخطار التي تجعل مصير الرّحال مهدّدًا وبذلك يكون القارئ قد-اندمج مع أحداث الرحلة"[1].

ويتجلى مضمونها بقوله: "وكنت منذ عشر سنين في الأعوام التي قضيتها في الكتابة قد تعرفت بأفراد عائلة الرّافعي ممن يقيمون في القاهرة، وكنت أمني النفس بزيارة طنطا وزيارة دار الرّافعي والاطلاع على خزائن كتبه(...) فرجعت إلى الجزائر قبل أن أقوم بزيارتي فكانت في نفسي حسرة تتجدد كلما قرأت للرّافعي، ولما زرت مصر في الصيف الماضي كان من مهماتي زيارة طنطا ومشاهدة آثار الرّافعي(...) فركبت القطار السّريع إلى طنطا في صبيحة من أصباح الخريف الباسمة." [2]

إلى أن يصل إلى الوحدة الأساس بوصفها وحدة من وحدات البنية النمطية، حيث هي "وصف هدف الرحلة-أيّا كان هذا الهدف-مع الإجابة على الأسئلة المثارة، وبيان كيفية تغلب الرحال على المصاعب والأخطار التي صادفته، من ثم تكون جميعا معلومات وخبرات عملية واكتشافات تفيد القارئ إن كان معاصرًا، وتزيده معرفة ودراية إذا كان الفارق الزمني بينه وبين عصر الرحلة متسعًا".[3]

---

[1] - عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي، ص72.

[2] محمد علي دبوز، وقفة في دار الرّافعي وقبره، البصائر، ع336، ص131.

[3] عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي، ص72.

ومن مشاهدها قول الرحالة: "في شارع الجيش وهو من أكبر الشوارع في طنطا وقف الدكتور محمد أمام مقهى" ليمنوس" فأشار إليه فقال هذا هو مقهى الرّافعي (...) وتقريبًا من المقهى يتفرغ شارع طه الحكيم.

وفي هّا الشارع الدّار التي نشأ فيها الرّافعي وقضى فيها حياته (...) وفي طريقنا إلى مقبرة الرّافعي التقينا بالأستاذ سعيد الرافعي ومريديه الذين لازموه وعرفوا أبناءه وسيرته في حياته الخاصة..." [1].

وقد استكمل الرحالة محمد علي دبوز بالعودة إلى نقطة الانطلاق بعد أن وصف مشاعره نحو أديب أحبه فأخذه الفضول إلى تحوطه المزارع الخضراء ومناظر الريف السّاحرة(...) وكانت صورة الرافعي التي نشرت في وحي القلم تتصدر حجرة الاستقبال"[2]. إلى أن يقول: "ووصلنا عيادة الدكتور محمد في شارع كبير في طنطا فنولنا لنستريح فيها ساعة ريثما يحين موعد القطار الذي أرجع فيه إلى القاهرة."[3].

ب-البنيّة المحورّية:

[1] محمد علي دبوز، وقفة في دار الرّافعي وقبره، البصائر، ع337، ص149.
[2] م، س، ع336، ص142.
[3] عبد الرزاق الوافي، الرحلة الأدب العربي، ص73.

إنّ المتأمل في الخطاب السّردي لدى محمد علي دبوز في رحلته الموسومة ب"وقفة في دار الرّافعي وقبره"، يجد البنيّة المحورّية بارزة في خطابه، حيث تنبني -بالدرجة الأولى- على رحلة واحدة "هناك من يهتم بعلماء كل بلد يحله أو أدبائه، وهناك من تجد به المناظر الطبيعية أو المذاهب الفكرّية أو الثروات الطبيعية وهناك من يبحث عن كل غريب وعجيب، أو يهتم بوضع المرأة، أو أثر البيئة، أو الفنون." [1]

ومن شواهدها في رحلته قوله:"...والرّافعي مع عبقريته التي لا تضاهي في الأدب، مصلح اجتماعي من أكبر مصلحي هذا الزمان فأدبه أداة لا يمانه وغيرته ينير به الطريق لقومه(...)

هذا عن الإطار، أما عن بنيّة اللّغة السّردية، فإنّنا نألف الرحالة يصطنع لغة سردّية فصحى، تتميز بسحر البيان وقوة البديع، ونحن نقرأ لمحمد علي دبوز، وكأننا نقرأ لمصطفى صادق الرّافعي، فرأينا كيف كانت العربية تمشي أمام قلم الرحالة ويتجلى ذلك في مشاهد كثيرة نبرزها في التالي، يقول:" وكان القطار يطير بين مناظر الريف الجميلة" "وكان الهواء الممتلئ بأنفاس الحدائق" " فثار ثورة البحر" "كان منبع النور والنار ومطلع أدب لا زال شمسيًا في كبد السماء" "ونفور كثير من منافسيه فلم يقاربوه لا ثخانه لهم بالجروح".

[1] محمد علي دبوز، وقفة في دار الرّافعي وقبره، البصائر، ع336، ص131.

وتلك لعمري، لوحات فنية أبدع الرحالة في رسمها فتراه يصطنع اللّغة الانزياحية في هذا الخطاب الذي ينهض على مشروع نهضة ورسالة حضارية راقية، وحركة إصلاح حمل لواءها أديب غيور على أمته، ولولا أن هذه الدّراسة لا تتعدى الصفحات بعينها، لتوقفنا أطول لدى أفكار هذه الرحلة التي تلخص أفكار الرّافعي في الإصلاح والحياة والوطنية، وتكشف عن تأليف في النقد البناء، ومقاومة الأعداء بالكلمة النافعة.

في مواطن كثيرة من هذا الخطاب السّردي يصطنع بعض الألفاظ المشرقية كقوله: "وتقع من الشارع في حارة صغيرة تُسمى حارة عبد الرحيم، والدّار في مدخل الحارة على اليمين وهي عالية في أربع طبقات بناها عبد الرزاق والد الرّافعي."[1].

فإن لفظ "الحارة" على الحيّ ليس من اللّغة الجزائرية.

على حين أننا ألفنا الكاتب يصطنع كلمات غير موجود في الاستعمال العربي من مثل:" ليمنوس" وهي اسم مقهى كان يقصده الرافعي لقضاء أوقات الفراغ ويجتمع بأصدقائه وتلاميذه، وأخرى من لغتنا القديمة، مثل:" لعمري"، ويبدو أن الناص لم يُتابع نصّه فلم يصححه قبل أن ينشر من اجل ذلك نجد فيه، هنّات إملائية ونحويّة، من مثل:" كلما دنى" "السواح" الغوية".

[1] محمد علي دبوز، وقفة في دار الرّافعي وقبره، البصائر، ع337، ص149.

2- بنيّة الحدث:

ولعل الذي يُمكن أن يُلاحظ، أنّ خطاب محمد علي دبوز مُوغل في الوصف، الأمر الذي منح هذه المقطوعات السّردية طابعًا مشهديًا، إذ لم يكن السّارد مهتمًا بالفعل بوصفه فعلاً تحويليًا له أهمية الخاصّة في إطار حلقة من الأفعال التي تُسهم في نمو الحدث، بل كاتب هذه الأفعال بالنسبة إلى الوضع السّردي أفعال صفات، لأنها لا تدل على التحوّل بقدر ما تدل على حالة مشهدية.

يقول الرّحالة:" كان لهذه المدينة عند جمال الصدفة وجلالها لاشتمالها على الدّرة الكريمة(...) وكان الرّافعي كالجاحظ وأبي العلاء في سعة المعرفة وحدّة الذكاء(...) وكنت منذ عشر سنين في الأعوام التي قضيتها في الكنانة قد تعرفت بأفراد من عائلة الرّافعي (...) وكان القطار كلما وقف من طنطا ذاهبًا إلى النزول لمشاهدة وطن الرّافعي".[1]

وعليه، فإنّنا ندرك تمام الإدراك أن المكون الجوهر لهذا الخطاب الرحلي هو "رسالة"، ومنه تسقط عنه آنية الأحداث، أنّ الرحالة كان وراء برنامج سردي حقيقي وقد أفلح في تحقيق التوازن بين عناصره البنائية، فلم يعد السّرد لدى محمد علي دبوز مجرد تقنيّة ينقل بها

[1] عبد المالك مرتاض، القضية الجزائرية القصيرة، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، (د، ط)، 2004، ص142.

الأحداث، بل تحوّل إلى غاية ينشدها لتحقيق الهدف، بمعنى أنّ السّرد هو موضوع الرحلة.

وأمّا من الوجهة التقنيّة، فإنّ الرحلة قد اصطنعت طريقة السرد التقليدية باستعمال ضمير الغائب، " وهذه الطريقة بمقدار ما تسمح بعرض الحدث بيسر وبساطة، فإنها تحرمه من الحيوية والانتقال الزمني، إنّ المتلقي يشعر بأن الحدث قد وقع وانتهى أمره، وأن المؤلف، أو الراوي، وهو صاحب السلطان والأمر فيه، إنّ اصطناع ضمير الغائب في رأينا يُغلق على الشخصية أبوابًا كان يجب أن لا تُغلق."[1].

ومن هنا، تزداد رتابة هذا النص، في منحاه المنصرف إلى سلوك شخصية "الرّافعي" بوصفها شخصية مركزية في هذه الرحلة، استعمال المن الماضي، "ذلك بأنّ "الماضي في مألوف العادة، زمن ميّت، يفضي في الغالب، إلى إفقاد الحدث وحضوره وثبوته واستمراره".[2]

يقول السّارد: "كان مصطفى صادق الرّافعي قويّ الشخصية ... في كل الميادين سيما في ميدان النقد الأدبي إذا دافع فكرة تمس الدين وهدم رأيًا يمس العربية(...) وكان أغلب منافسيه ممن تعلموا في

[1] م، س، ص، 143.

[2] محمد علي دبوز، وقفة في دار الرّافعي وقبره، البصائر، ع337، ص149

أوربا، ولعلهم قد نظروا إلى الرّافعي نظرة كالتي نرى بعض ناشئتنا الذين تعلموا في الخارج".

2- بنية الشخصية في رحله محمد علي دبوز:

اختلفت آراء النقاد والمنظرين حول مفهوم الشخصية، وهذا الاختلاف في الرؤى والمناهج والزوايا في دراستهم، وعلى الرغم من ذلك كانت وما تزال " الشخصية: هذا العالم الذي تتمحور حوله كل الوظائف (السردية)ن وكل الهواجس والعواطف والميول، فهي بهذا المفهوم، فعل أو حدث، ثم إنها هي التي تسرد لغيرها، أو يقع عليها سرد غيرها وهي بهذا المفهوم أيضا، أداة وصفن أي أداة للسرد والعرض، وببعض ذلك تتشكل ثلاثة مستويات حول الشخصية: المتحدث عنه، والمتحدث، والمتحدث له".[1]

وأردف قائلا:" وإذا شخصا تاريخيا أو موجودا في عالم الواقع، شخصا من لحم ودم وعواطف وعقل يفكر به، فإن الشخصية أداة فنية يستحدثها الكاتب المشتغل بالسرد لوظيفة هو متطلع إلى رسمها، فهي إذن شخصية لغوية قبل كل شيء، بحيث لا توجد خارج الألفاظ

[1] عبد الملك مرتاض: القصة الجزائرية المعاصرة، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2004، ص 120.

بأي وجه، إذ لا تعد وكأننا من ورق فيما يزعم طودورف وصاحبه ديكرو"[1].

ولعل هذا الاختلاف في المفاهيم حول الشخصية منذ الفكر اليوناني ورائده أرسطو وصولا إلى النقد الغربي المعاصر فالعربي، مؤداه المنظور الثقافي والأخلاقي" ذلك أنه إذا كان غريماس قد نجح في نظرية العامل بعد تطويره للوظائف عند بروب، فإن تود وروف وباقي السردين نظروا إليها باعتبارها صوتا سرديا أكثر منها صوتا حكائيا، وهب رولان بارت إلى أن مسألة تصنيف الشخصيات لم يتم حسمه بعد وهو من الصعوبة بمكان"[2]

إن المتأمل في رحلة محمد علي دبور" وقفة في دار الرافعي وقبره" تتراءى أمامه عديد الشخصيات: محمد مصطفى، وعبد الرحمان الرافعي، وسعيد الرافعي، وزكي مبارك...غير أن كل هذه الشخصيات لم تك مقصودة لذاتها في النص، ولكنها وردت لضرورة فنية لرسم، ملامح الشخصية المركزية، وهي شخصية مصطفى صادق الرافعي، فهي شخصية قوية، وثائرة على واقعها بوجهه الإجتماعي والأدبي ولعل صفة الثورية فيها، هي أهم صفاتها.

---

[1] م.س.

[2] الخامسة علاوي، العجائية في أدب الرحلات، ص 104.

يقول الرحالة:" والرافعي ممن أضرم الثورة على الفساد واللادينية والميوعة في الشرق ودعا إلى الأخذ بأسباب القوة المعنوية والمادية وإذ قرأت مقالته: يا شباب العرب... أيها المسلمون، الأخلاق المحاربة، ثبات الأخلاق، وغيرها كثير قد تنشره في آخر الجزء الثاني من وحي العلم(...) رأيت أي ثورة أضرمها في نفوس هذا الجيل، إنه من طبقة عبد الحميد سعيد وحسن البنا"[1] وعليه، فإن هذه الشخصية قررت أن تثور على واقعها المزري فعمدت إلى مجابهة سموم المبشرين والمستدمرين، وهذا التغيير يجعلها شخصية نامية متحركة، تتمتع بإرادة قوية ، ومبادرة حرة في السلوك، وكأن الرحالة هنا ترك حرية التصرف الشخصية المركزية لتعبر عن سخطها، فكان ذلك مجسما في السلوك المفاجئ : " كان طول حياته عينا يقظة على الدين والعربية يحرسها ويرد عنها سموم المبشرين والمستعمرين التي كانوا يتقنونها بكل الأساليب، وكان إلى غيرته معتدا بنفسه اعتدادا هو سببه عبقريته ونبوغه..."[2]

وعلى هذا الأساس، ألفينا الرحالة يصطنع الطريقة التقليدية في تقديم الشخصية إلى المتلقي بطريقة جاهزة، حيث يعمد إلى توظيف ضمير الغائب، فكل شيء يمضي إلى غايته بنظام معلوم، والرحالة هو المتحكم في مسيرة الأحداث، ولولا ذلك الحوار الذي كان يطالعنا

[1] محمد علي دبوز ، وقفة في دار الرافعي وقبره، البصائر، ص 131.
[2] م س ، ع 337، ص 149.

من حين إلى آخر فيجعلنا نعرف الشخصية وأهواءها،..الأحداث وشَحُبَتْ، فالرحالة بحكم اصطناع هذه الطريقة في الحكي هو الذي يعرف كل شيء عن الشخصية.

3- بنية الحيز في رحلة "وقفة في دار الرافعي وقبره":

لقد اختلف النقاد في ترجمة لفظة "espace"، فترى فريقا يلبسها معنى " الفضاء"، وآخر معنى "المكان"، ومنه شاع مفهوم " جماليات المكان" في النقد العربي المعاصر، ماجعل الناقد عبد الملك مرتاض يثور في وجه هؤلاء، قائلا:" ترجمة غير سليمة ولا دقيقة التمثيل للمعنى الأصلي الأجنبي"[1]، معطيا مقابلا له " الفضاء" لأنها اللفظة الأكثر شيوعا في الكتابات النقدية العربية المعاصرة"[2].

أما سعيد يقطين ، فحاول أن يقدم تصوره حول هذا المصطلح فقال :" اختلف الدارسون في معالجتهم للفضاء، اختلافهم في تحليل ودراسة الزمان، وإذا كانت الدراسات اللسانية قد حققت أرضية لتطور دراسة زمن الحكي، فإن الفضاء ظل مجالا مفتوحا للاجتهاد والتصورات المتعددة لم تصل إلى حد بلورة نظرية عامة للفضاء"[3]

---

[1] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، عالم المعرفة ، الكويت، 1988، ص 142.

[2] م،س.

[3] سعيد يقطين، قال الراوي- البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافي ....، الدار البيضاء، ط1، 1997، ص 237.

من هنا نؤكد على أن "الحيز" في أي عمل سردي لا يقل أهمية عن المكونات السردية الأخرى[1]، ذلك أننا نألفه في رحلة "وقفة" في دار الرافعي وقبره" جغرافيا، من مثل: طنطا، القاهرة، الدار، المقهى ، المقبرة، فهو من منه الوجهة يأخذ مسحة حضارية ويتحلى في طنطا المدينة التي قضى فيها مصطفى صادق الرافعي حياته، وأنجب أدبه الرفيع، وهي التي تضم رفاته وتشتمل عل أسرته، والقاهرة التي تعرف فيها على أفراد عائلته ممن يقيمون بها، ودار الرافعي التي لم نلمح منها إلا المؤشر لعدم وصف الكاتب لهذا الحيز الذي أصبح لسكينة من غير عائلة الرافعي، فلا أبعاد ولا خطوط ولا أحجام تمثل أمام القارئ من أجل ذلك، نلحظ" طنطا" تتسم بالجمال والجلال طورا، ووفرة الثمرة طورا آخر، ذلك بأن الراوي لا يرعوي في وضعنا أمام "حيز" كالدرة الكريمة قلما نجد ماثلا لها من بين مدن مصر، فالرحلة تجسيد لواقع الرافعي اليومي الإجتماعي منه والأدبي، فالنص يعج بالجمال، وتسم بالفلسفة والعمق والتحليق في أفضية بعيدة من الخيال الشارد.

[1] عبد الملك مرتاض، أدب المقاومة، ص 116.

الخلاصة:

نستنتج مما سبق، أن محمد علي دبوز في رحلة" وقفة في دار الرافعي وقبره " عرج بنا في عوالم أديب ومصطلح عرف بصولاته وجولاته في عالم النقد ، فجازت ...بنص نحسبه من صميم جنس الرحلة لتميزه، فأمتعنا إمتاعا بلغة سردية حيث جلال بنائها الفني، ووصف الدقيق لشخصياتها وأحداثها وأخبارها.

النّتائج:

1- الشّيخ محمّد علي دبوز رجل من رجال أدب الرّحلة الجزائرية الحديثة.

2- تتميّز رحلة محمد علي دبوز الموسومة بـ: "وقفة في دار الرافعي" بعديد البُنى، نذكر منها: االبنية النمطية، البنية المحورية.

3- يُلاحَظ على خطاب هذا الرّحّالة أسلوب الوصف، ما أضفى على المقطوعات التّراثية طابَعًا مشهديًّا.

4- ألفينا الرّحّالة يصطنع الطّريقة التقليديّة في تقديم الشّخصيّة إلى المتلقّي بطريقة جاهزة؛ حيث يعمد غلى توظيف ضمير الغائب.

قائمة المراجع:

1. أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج2، مكتبة الدعوة، القاهرة، (د.ت)
2. الخامسة علاوي، العجائبية في أدب الرحلات، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، 2006
3. سعيد علوش، المصطلحات الأدبية المعاصر، منشورات المكتبة الجامعية، الدار البيضاء، (د.ط)، 1984
4. سعيد يقطين، قال الراوي- البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافي ....، الدار البيضاء، ط1، 1997
5. صلاح الدين الشّامي، في مجلة عالم الفكر، الكويت، يناير 1983 صلاح الدين الشّامي، في مجلة عالم الفكر، الكويت، يناير 1983
6. عبد المالك مرتاض، القضية الجزائرية القصيرة، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، (د، ط)، 2004
7. عبد الملك مرتاض: القصة الجزائرية المعاصرة، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2004
8. مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدبية، مكتبة لبنان، بيروت، 1974
9. محمد علي دبوز، وقفة في دار الرّافعي وقبره، البصائر، ع 337، ج08

الرؤية الأدبية والنقدية في مؤلفات محمد علي دبوز: تنظيرا وممارسة ومرجعية

أ. آمنة أومايا
جامعة قاصدي مرباح – ورقلة

مقدمة:

يعّد الشيخ محمد علي دبوز أديبا ومؤرخا وناقدا فذا، بما قدمه من مؤلفات تاريخية وأدبية ونقدية أثرت الساحة العلمية في ميادين شتى، حيث أرخ لتاريخ المغرب العربي والجزائري بصفة خاصة، وساهم في ميداني الأدب والنقد بآرائه الفكرية وتجربته النقدية المستوحاة من مرجعياته المختلفة، والتي تهدف في غالبيتها إلى الحفاظ على التراث والتأصيل له ،خدمة للوطن و الإسلام والعروبة .

وتتناول هذه الورقة البحثية قراءة في الرؤية الأدبية والنقدية عنده، من خلال استقراء بعض أعماله القيّمة ،التي تعكس جانبا من تجربته الغنية وتبرز منهجه النقدي، وذلك على مستوى التنظير والتطبيق والمرجعية .

1- على مستوى التنظير والممارسة:

1/1- الرؤية الأدبية والنقدية في كتبه:

إن المطلع على كتب الشيخ محمد علي دبوز يلحظ تلك النزعة التأصيلية التاريخية والإسلامية في التأليف حيث اعتمد على المنهج التاريخي فيما وقع بين يدي من مؤلفاته وهي :تاريخ المغرب الكبير، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، أعلام الإصلاح في الجزائر، هذا المنهج النقدي الذي يرمي إلى الاهتمام بالفكر الإنساني ومراحل تطوره من خلال " جمع الحقائق والمعلومات وتصنيفها وتنظيرها وربطها بموضوع الدراسة الذي يراد بحثه والتخصص به"[1]

حيث يعتبر الشيخ دبوز أن " التاريخ هو الفن الذي يجعل ناشئتنا وكل الطبقات تعيش في أزهى عصورنا الإسلامية وتعاشر أجدادنا العظماء الصالحين، فتتأثر بهم وتفيض عليهم روح الأجداد ودينهم فتزدهر فينا شخصيتنا الإسلامية العربية التي هي أقدس وأعظم ما نملك في الوجود "[2]

إن التاريخ فن يمكن أن يكون سببا في الازدهار والرقي الحضاري والإسلامي، ورباطا وثيقا بالأجداد لذا لا يمكن الاستغناء عنه لأنه في نظره يمثل "... البلسم الذي يشفي أولئك الأبناء والنور الوهاج الذي يريهم حقيقة الدين الإسلامي العظيم

[1]- إحسان محمد الحسن : مناهج البحث الاجتماعي، دار وائل للنشر ،عمان الأردن، ط1 ،سنة 2005،ص75.

[2]- محمد علي دبوز : تاريخ المغرب الكبير، دار إحياء الكتب العربية المجلد ،118ه-1936م نقلا عن موقع :http://www.cheikhdabouz.com/

فيتحمسون له، وعظمة شخصيتنا العربية فيتمسكون بها فيكونون نفعا خالصا لنا..." [1] إنه يمثل في نظره الترياق الذي يشفي أبناء الوطن ويجعلهم يبصرون الحقيقة فيكونون نافعين ومخلصين لدينهم ودنياهم .

فالمنهج التاريخي ليس مجرد أداة لنقل الحقائق فقط بل هو وسيلة للتحليل والتعليل الدقيق الذي يعتمد على أسلوب أدبي مشوق ،يجعل القارئ يرى في حضارته وشخصياتها وأجداده كل ما هو جميل، فالشيخ دبوز لن يقدم إلينا "... التاريخ الجاف الذي يقتصر على سرد الحوادث الغامضة والمبهمة كما يفعل المؤرخون الذين لا يعرفون عظمة التاريخ، والمقاصد السامية التربوية والاجتماعية التي يحققها، بل يقدم لك الحوادث مقرونة بعللها، ويحلل لك الشخصيات، ويريك أسباب عظمتها وفشلها ...و يلذّك ويُؤنسك بالأسلوب الأدبي الذي يحبب إليك دراسة التاريخ المصفى من أكاذيب الملوك وترهات الاستعمار، فترى وجه أجدادك الجميل الأغر كما خلقه الله "[2]

إن الكاتب حين يحدثنا عن هذا المنهج يبعث في متلقيه روح التشويق لقراءة كتبه وتدارسها، وإدراك أهميتها في الحفاظ على الحضارة

---

[1]- المصدر السابق :ص2 .

[2]- المصدر نفسه الصفحة نفسها

ومقومات الدين الإسلامي، التي تمثل هوية الشعب الجزائري وأحد مقوماته الوطنية .

ثم يواصل الشيخ محمد تشويقه للمتلقي، مبينا مكانة هذا المنهج الذي اتبعه في الدراسة قائلا :" سوف لا يدركك الملل في هذا الكتاب يا صديقي، فالأسلوب الأدبي، والتحليل الفلسفي، والبحث العلمي النزيه، هذه الخصائص الحسنة للكتاب ستجعلك تختصر فيه الزمان الطويل وتختمه منتشيا إذا بدأته ؟ سأنقلك إلى أحد أجدادك وأجعلك فيه على أنس وفرحة وسعادة الحيّ الذي دعا إليه ميت حبيب فجالسه وأنِس به، ورآه على هيأته المشرقة ووجهه الجميل ؟"[1]

إن جميع هذه الأقوال تعكس آراءه الفكرية و مرجعيته الدينية التي تنبع من رغبته في الحفاظ على مقومات الدين الإسلامي، والنزعة العقائدية المقرونة بحب السلف وتقديسهم ،وتؤكد تصوره البنّاء الذي يجب أن يؤسس عليه المؤرخ مبادئه في التأريخ ،لأن التاريخ ليس جمادا يُنقل بل هو فن يُعقل ويُصوّر ويبث النشوة في المتلقي والشفاء لمن يبتغيه.

هذه هي الرؤية الأدبية والنقدية التي يجب أن ينطلق منها الأديب المؤرخ، حيث صور لنا الكاتب في مؤَلّفه بأجزائه الثلاثة " **تاريخ المغرب العربي الكبير**"

[1]- المصدر نفسه الصفحة نفسها

ذلك بداية من التعريف بأصول شعبه بيان هويته ولغته، إلى طريقة عيشه وأدبه وكيفية حكمه وأهم المذاهب التي ظهرت في المغرب العربي، رغبة منه في الحفاظ على الهوية التي حاول المستعمر أن يطمسها ويغير معالمها ،وهذا ما جعله يكون مؤرخا مصلحا بالدرجة الأولى .

وكذا جاء كتابه: "**نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**" تعبيرا عن هذه المفاهيم التي تمثل اللغة والدين حيث لا يمكن الحفاظ عليها إلا بالتأريخ لأعلام هذا الوطن المفدى وذكر أسباب نهضته.

وعلى الرغم من المشاكل التي واجهته في طباعة هذا الكتاب في الجزائر، إلا أنه دعا المؤلفين والقراء إلى التضحية وتحمل تبعات الطباعة، حتى يكون الكتاب سفيرا للجزائريين في الداخل و الخارج قائلا :" إن الكتاب الجزائري ككل بضاعتنا الناشئة غالي الثمن ولكن الواجب الوطني يفرض علينا تحمل ذلك الغلاء لننعم قريبا بالرخاء والازدهار، إن أحدنا ليشتري النعل الذي يخوض به الوحل ويفنى بخمسين دينارا أو أكثر، ويستكثر نصف هذا الثمن أو أقل في الكتاب الجزائري المفيد، الذي هو غذاء ضروري وأكبر عدة في الداخل،

وأحسن سفير للجزائر في الخارج "[1]

في حين اعتبر بأن كتابه :" **أعلام الإصلاح في الجزائر** " يمثل تاريخ الأمة الجزائرية بأكملها بكل أجزائه التي أرخ فيها لعلماء جزائريين من مختلف مناطق الوطن شمالها وجنوبها شرقها وغربها، بل تجاوز حدود الوطن إلى بلد شقيق، ذلك أن "...جُل ما ورد في هذا الجزء وغيره من أجزاء الكتاب أبواب مهمة من تاريخ الجزائر الحديث وتونس الخضراء أيضا في عهد من أهم عهود تاريخها الحديث، لم تنشر قبل في كتاب"[2]

فالكاتب يبين جدة الموضوعات التي تطرق إليها في كتابه، وأهميتها الكبيرة للأمة الجزائرية بصفة عامة ،حيث كان الفضل في جمع مادتها لرواد الحركة الإصلاحية في عصره العلماء الأجلاء الشيخ بيوض والشيخ أبو اليقظان وغيرهم حيث يقول :"إنه ليس لي في مادة هذا الكتاب التاريخية إلا ما شاهدته أنا لملازمتي لأستاذي الشيخ بيوض عشرات السنين، وصلتي الوثيقة بالشيخ أبي اليقظان مدة طويلة، فعرفت الكثير من تاريخها وتاريخ الإصلاح بالمشاهدة والمشاركة، وإلا

[1]-محمد على دبوز:نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة ،المطبعة العربية، الجزائر ،ط1،سنة1969نقلا عن:http://www.cheikhdabouz.com /

[2]- المصدر السابق، الصفحة نفسها

الاستنباط الصحيح من نصوص التاريخ الصحيحة وهو ما يجب في تأليف التاريخ المجدي البناء"[1]

فالمؤرخ الحقيقي هو من يستقي مادته من مصادرها الصحيحة ،عن طريق ملازمة الشيوخ العارفين بالتاريخ وأعلامه، والاحتكاك بهم وكذا استنباط الأخبار من منابعها الحقيقة، وهذا ما يجب أن يعتمد في التأليف والتأريخ والدراسة، ويبرز الشيخ دبوز منهجه في الكتاب بقوله "إن ما تجده في هذا الكتاب من تاريخ استقيته من هذه المراجع الحيّة الصحيحة، وكنت إذا تعدّدت الأقوال في شيء أمحّصها وأحقّق التحقيق الدقيق المتأني ،ثم أرجّح واحدا منها وأختار في الغالب أقوال الثّقاة الحافظين الذين شاهدوا ورأوا ما يتحدثون به من وقائع التاريخ، فإنها أصح من أقوال الذين سمعوا ...أما مذاكرة من يشاهد فهي أقوى وعلمه أتم وأصح "[2]

إنه منهج دقيق يقوم على رؤية نقدية واعية بظروف التأليف وكيفيته وأسسه التي يقوم عليها في جميع جوانبه، وهذا ما يجعل المعلومات الواردة في تصانيفه صحيحة لا تشوبها شائبة.

---

[1]- محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر، مطبعة البعث قسنطينة الجزائر، ط1،ج3، سنة 1978، ص2نقلا عن http://www.cheikhdabouz.com/

[2]-المصدر نفسه، الصفحة نفسها

ثم يبين الكاتب الهدف الرئيس من تأليفه لهذا الكتاب بأنه يريد الحفاظ على تاريخ أمة بأكملها حيث "إن تاريخ أعلام الإصلاح الذين نكتب عنهم الأحياء منهم والأموات تاريخ الأمة الجزائرية كلها وتاريخ الزمان الذي أنشأهم ...وتاريخ الجماهير الكثيرة التي تأثر بهم، فاستجابت لهم فقادوها في طريق الصلاح والفلاح ..."[1] وهذا يمثل منهج رواد الإصلاح دوما في الحفاظ على التاريخ وأعلامه، ومبادئ الدين الإسلامي ومقومات الهوية الوطنية .

2/1- خلاصة:

إن الدارس لهذه الكتب الثلاث يلاحظ قيمتها الفكرية والعلمية والتاريخية، التي سعى الشيخ جاهدا للحفاظ عليها، من أجل ترسيخ القيم الإسلامية لأمة بأكملها، بأسلوب مشوق يستهوي القارئ، وبمنهج بعيد عن الرتابة والملل في الطرح، أراده الكاتب أن يكون ماتعا ينمي حس القراءة والنقد، ويبعث على الفائدة من خلال المنهج الذي اتبعه .

ذلك أن المنهج التاريخي يمثل الطريقة العلمية الصحيحة في تحليل وتفسير الحوادث التاريخية ومعيارا لفهم الواقع ،وتجسيد الرؤى المستقبلية ،فالشيخ دبوز مصلح ديني وأديب مؤرخ يبغي

[1]- المصدر السابق، الصفحة نفسها،ج2

الإصلاح الذي لا يتم إلا من خلال استقراء التاريخ الذي بفضله تستنهض الأمجاد الوطنية ،و به نحافظ على القيم الدينية، لذا لا يمكن فصل التاريخ عن الأدب حيث يستحيل "... تقصي الأدب كفن منعزل نسبيا عن تاريخه الاجتماعي، أو سِير الكتّاب أو تقدير كل عمل على حده، كون العمل الأدبي يسهل تناوله من خلال تسلسل زمني ،ويصعب إن تناولناه ككل متماسك "[1]

من خلال تتبع العناوين الثلاثة لكتبه، نلاحظ أن الكاتب نظّر لتاريخ المغرب العربي ،وأصّل لأدبه وأعلامه، فجاءت رؤيته النقدية نابعة من الأدب الإصلاحي الذي يدعو إلى إحياء القديم وتقديس اللغة العربية، والحفاظ على التراث الذي يجسد تاريخ الأمم وهويتها ويكون سبب في رقي الشعوب وازدهارها.

وهذا ما دعا إليه رواد الحركة الإصلاحية بقيادة ابن باديس الذي يرى أن التاريخ روح الحياة التي لا تنبني إلا بإقامة أصولها الثابتة على الإسلام حيث يقول "... استوح الإسلام ثم استوحك تاريخك ثم استوح قلبك ،اعتمد على الله ثم على نفسك ..."[2]

---

[1]- رينيه ويليك وأوستن وارين: نظرية الأدب، ترجمة محيي الدين صبيح، المؤسسة العربية للنشر، بيروت لبنان ،سنة 1987،ص269.

[2]- آثار الإمام بن باديس : من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية ،الجزائر ،ط1،ج5،سنة 1994م ،ص338.

1/2- الرؤية الادبية والنقدية في مقالاته:

لم يكتف الشيخ دبوز بالتأريخ لرواد الحركة الإصلاحية، والاهتمام بعلمائها، وكتابة تاريخ المغرب العربي، بل نجده قد برع في فن المقال الصحفي كذلك، حيث كانت له عدة مقالات نقدية مهمة وإن كانت تندرج في أغلبها تحت لواء الإصلاح، فهي تصور أسلوبه ومنهجه النقدي في الأدب وتعكس مرجعيته الفكرية والفلسفية خصوصا، وتصور اهتمامه بالأدب الجزائري.

هذا الأدب الذي ثار على واقعه خلال الحقبة الاستعمارية، ومهد لظهور هذا الفن النثري الذي انتشر في الصحف آنذاك، كردة فعل على فكرة الهدم الثقافي والديني للهوية الجزائرية، حيث اتخذه الإصلاحيون سلاحا للدفاع عن قضايا الوطن، فجاء معبرا عن ثورتهم ضد المستعمر الغاشم واحتجاجهم على الأوضاع المتردية آنذاك.

لقد كان للصحافة الجزائرية أهمية بالغة في إخراج الشعب الجزائري من غفلته، فكانت صوته الناطق، ولسانه المعبر عن آلامه وآماله، فانتعشت بفضلها الحياة الفكرية والثقافية، متصدية بذلك لكل أنواع الظلم والاضطهاد، ومؤكدة على الجرائم الشنيعة التي ارتكبها المستعمر في حق الشعب، فظهرت عدة جرائد كالبصائر التي كانت تنبع من رحم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

كما كانت هذه الجريدة منبرا ساعد الأدباء والنقاد على كتابة المقال الصحفي بموضوعات مختلفة، فطفقت طائفة من هؤلاء المثقفين تنشر مقالاتها القصصية بأسلوب ساخر، معبرة عن الأوضاع السائدة آنذاك، والشيخ دبوز واحد من هؤلاء الذين سخروا أقلامهم للدفاع عن الوطن وتاريخه الإسلامي، متأثرا برواد الحركة الإصلاحية، متخذا من أفكارهم مرجعية له، وهذا ما تجلى في مقالاته النقدية التي سأحاول إلقاء الضوء على بعضها.

لقد اتبع الشيخ دبوز في مقالاته طابع السخرية والتهكم، رغبة منه في المحافظة على الموروث الديني ومعالم اللغة العربية، التي ما فتئ الاستعمار يحاربها كلما سنحت له الفرصة " وإذا كان الاستعمار قد أفاد بعض البلاد العربية ،حيث نقل إليها المطبعة والصحف والمجالس العلمية ...فإنه في الجزائر كان عكس ذلك تماما إذ لم يأت لينشر حضارة وإنما جاء ليسلب أفكار الشعب، ويزور تاريخه ويحطم كيانه ويستغل ثروته..."[1]

وهذا ما مهد لظهور هذا النوع من المقالات، التي كان هدفها

[1]- أبو القاسم سعد الله : دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب ،ط5،سنة 2007،ص22

خدمة الحركة الإصلاحية، فجاء معظمها بأسلوب ساخر لأن "السخرية تعبير يظهرتناقضا متعمدا بين المعنى الواقعي والمقصود، وهي أسلوب أدبي يستعمل لإحداث أثر بلاغي وهزلي"[1]

1/2- أ مقال "حمار الحكيم":

يطالعنا الشيخ دبوز في مقاله القصصي المشوق والمعنون :ب "**حمار الحكيم** " على حمار هزيل أصابه الهزال بسبب تجويع صاحبه له ،حيث كان يقسو عليه ولم يكن يعيره اهتماما، حيث وصفه قائلا في بداية المقال : " كان حمارا هزيلا أعجف، هَجَرتْه الرّياض ففعل به الهجر ما يفعل بالعاشق الذي يراعي النجوم ،لا يعرف النوم ليله ونهاره لشدة بلواه، وانقطع عنه العلف فلا يراه إلا في المنام، إذا حلم به فعاد صورة حمار لم يبق فيه كاملا إلا حوافره..."[2]

ثم يواصل وصف حالته المأساوية ليدور بينهما حوار عمن تسبب له في ذلك قائلا :"...إنك يا مسكين موجود في الأرض ولست موجودا، فأنت من الهزال كهمزة الوصل لا تبين في النطق وهي

---

[1]- نواف نصار : المعجم الأدبي، دار ورد ،ط1، سنة 2007،ص 100،99

[2]- محمد ناصر: محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي في كتابة التاريخ، منشورات مكتبة محمد علي دبوز ،بريان غرداية ،دت، دط ،ص74

موجودة في الكلام ! فمن الذي حذف منك النضرة والفراهة بالنفي ،فتسوّلت وصرت كالفعل المنفي، قد حذف منه ما يرتفع به ؟! قل من أهملك مادامت هيئة الأمم معقودة لأرفع أمرك إليها فتنصفك، فإنها نصيرة الضعيف وخليفة المسيح في الأرض .. فرفع الحمار رأسه وقد شعر بالشبع القلبي من الرحمة فاسترجع قوته فقال :إن صاحبي هو الأستاذ (حوحو) وقد هجرني وأمسك عني علفه ،لأنني عنده كحمار الأرض السّبخة.."[1]

إن هذا الحوار الذي دار بين الكاتب وحمار الحكيم، ما هو في الحقيقة إلا نقد لأسلوب أحمد رضا حوحو رائد القصة القصيرة في الجزائر ،حيث لقبه بالأستاذ(حوحو) بغرض التهكم، ليسخر منه حين ترك أسلوب الإصلاحيين الذين يدعون إلى بعث كل ما هو قديم والحفاظ على الموروث الثقافي ،بينما صار حوحو من أنصار التجديد في الأدب الجزائري آنذاك بعد أن كان إصلاحيّا.

ذلك أنه حين عاصر الفترة التي بدأ فيها الأدب العربي يواكب التطور في المناهج الأدبية والنقدية في الغرب، سيطرت عليه هذه الأفكار من منطلق مرجعيته المزدوجة العربية والفرنكوفونية، فكان من أنصار الحداثة

[1]- الصدر نفسه ،ص 75

حيث بدا جليا تأثره بالمذهب الرومانسي، ورواده " كموليير" و " فكتورهيجو" ويظهر ذلك جليا من خلال ما ذكره عن قصة البؤساء قائلا :" قرأت الفقراء لهيجو وكانت نفسه البائسة تطالعني من بين السطور، تقطر حيرة وألما وما هي إلا فترة حتى اختلطت حيرتي بحيرته وآلامه بآلامي، فأسرعت إلى يراعي أكتب عن الفقراء بالعربية كما كتب عنهم هيجو بالفرنسية ..."[1]

في حين كان أدباء الحركة الإصلاحية في الجزائر يدعون إلى التشبث بالقديم، فركزوا على الشعر والمقالة الإصلاحية ، لأنهما مصدر للحفاظ على اللغة ومقومات الهوية الوطنية، مبتعدين عن كل وافد غربي، بينما حوحو خالف هذه القاعدة حين جدد في الشكل والأساليب والمعاني متأثرا بالثقافة الغربية .

وهذا ما تجلى في قول الشيخ دبوز عنه في حواره مع الحمار :"...فقد تهكّم على الجزائر بأنها أمة جامدة لا تتأثر بالأدب، بعد بضع مقالات كتبها في وقت قصير، لأنه يريد أن تكون القلوب في التأثر به فتلد أعمالها كأوراق البريد في البلاد النائية، التي يوجِّه إليها إشاراته التي ترتسم عليها سريعا فتلد معانيه، إن صاحبك هذا لو كان

[1]- أحمد رضا حوحو: صاحبة الوحي وقصص أخرى ،تقديم أحمد مندور، المؤسسة الوطنية للكتاب ،دط ،دت ،ص 89

فلاحا لرخّص الحطب في السوق."[1]

لقد سيطرت النزعة الحداثية على أدب أحمد رضا حوحو سيطرة سريعة - رغم أنه أحد رجال الإصلاح وهذا ما يبرر سخرية الشيخ دبوز منه ونقده اللاذع له، لدرجة اتهامه بالخيانة حين ألبس الحمار البرنوس الأحمر الذي يرتديه خونة الوطن في وقت الاستعمار، ليتحول إلى أب جحش بدل حمار زيادة في التهكم والسخرية، ويعبر عن ذلك بقوله على لسان أبي جحش :"... ولكن لماذا يحتفل بي صاحبي إذا لبست البرنوس الأحمر؟ قلت :لأنه يراك إنسانا عظيما فهو رجل ينخدع بالمظاهر لقد أيس من الجزائر وتشاءم بها وأطفأ عنها مصباحه وهي غريقة في الثلوج لمّا تتأثر بحرارته، فتزهر كالشجرة التي تضطرم عليها الشمس في الجزيرة ..."[2]

فالبرنوس الأحمر رمز الخيانة لأولئك الذين كانوا يقفون ضد إخوانهم الجزائريين مع المستعمر، فهم خونة الدين والوطن، وكذلك حوحو حين تأثر سريعا بفكرهم ودعا إلى التجديد في الأدب، بينما بقي الأدب الإصلاحي ثابتا على قيمه، و لم يتأثر بما جاء به الغرب

[1]- محمد ناصر: محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي في كتابة التاريخ، ص75-76

[2]- المصدر نفسه ،ص 78-79

من أفكار لأنه في نظره قوي المبادئ صلب العقيدة.

كما انتقد الشيخ دبوز رأي أحمد رضا حوحو حين رفض محافظة الإصلاحيين على أسلوبهم في الأدب وعدم اكتراثهم للتجديد في المضامين بقوله: "فهو رجل يناقض نفسه في الكلام الواحد فالجزائر عنده أمة تعتني بالأساليب فتشتغل بها ولا تعتني بالمعنى فتتأثر به ؟! وهل يعتني بالأسلوب إلا أمة راقية قد تكوّن ذوقها الأدبي، فصارت تفقه الجمال في الشيء فوق إدراكها لحقيقته..."[1]

لقد كان الشيخ حريصا على مبادئ الحركة الإصلاحية ،فتبناها قلبا وقالبا لذلك رفض كل ما دعا إليه أحمد رضا حوحو، وهو في معركته بين القديم والجديد مع حوحو لا يلغي حتمية التطور، وإنما يصرّ على أن يكون نابعا من قوميته وتراثه، ويتجلى ذلك من خلال الحفاظ على سلامة اللغة وسلامة الهوية والانتماء العقائدي.

وهذا ما جعله ينتقد الأستاذ حوحو وصديقه عبد الرحمان شيبان الذي كان معجبا بأدبه ومؤيدا له حين قال: "يمتاز أدب أحمد رضا حوحو بطابع الخفة والصدق والانتقاء فإنك لا تكاد تقرأ له فصلا من فصوله أو قصة من قصصه أو تشاهد له مسرحية من مسرحياته حتى

[1]- المصدر السابق: ص79

يفاجئك بهذا الثالوث الجميل...فإن رضا حوحو في أدبه هو نفس رضا حوحو في حياته من غير ما تعديل أو رتوش ؟! "[1]

لذا طلب الشيخ دبوز من الحمار أن يزوره ليوقظه من غفلته هو أيضا بقوله "...وأرى أن تذهب إليه مصطحبا أم جحش فتقفا تحت نافذة نومه فتنهقا بأشد أصواتكما نهيقا يدوي به الحي، ويراه الأستاذ صفارة الإنذار في وقت الحروب ..."

وانتهى المقال بتقديم المواعظ للحمار وأم جحش للحصول على الشعير، هذا الشعير الرمز الذي يمثل الغذاء الروحي لرواد الحركة الإصلاحية، وهو الحفاظ على مبادئ ومقومات الهوية الوطنية والدين الإسلامي ،لتتجلى مرجعيته النقدية في المحافظة على الأصالة، وعلى كل موروث قديم تركه الأجداد لأنه في سبب الازدهار والحضارة، وهذا ما لمسته في ممارسته الفكرية والأدبية، وتنظيره لتاريخ الأدب في المغرب العربي، متأثرا برواد الفكر الإصلاحي الشيخ ابن باديس والشيخ الإبراهيمي والعربي التبسي والشيخ بيوض لأن هؤلاء "...الأربعة كانوا لثباتهم كالدّيمة تنهمر على الأرض مستمرة لا تنكف

[1]- أحمد رضا حوحو، مع حمار الحكيم ،ص8

حتى تغسل الأرض من جدبها وترتوي "[1] فمن يخرج عن منهج هؤلاء فقد ضلّ طريقه، وحُرِم لذة الكتابة والتأليف .

1/2- ب- مقاله: حديث الجاحظ، من أسباب ضعفنا في الأدب:

أما في مقاله الثاني المعنون ب: **حديث الجاحظ، من أسباب ضعفنا في الأدب**، هي بداية لمقالة قصصية مشوقة، حيث ينزل فيها الجاحظ ضيفا عليه في بيته دون سابق إنذار، معبرا عن غيظه مما فعله أحمد رضا حوحو بالأدب، ومعجبا فيها بآراء الأستاذ عبد الوهاب بن منصور الذي انتقد أدباء الجزائر في عصره، ولم يصمت عن أخطاء غيره، حين قام بمعركة نقدية هاجم فيها كل من أساء للغة العربية والأدب الجزائري، في الوقت الذي سكت فيه أدباء كثيرون عن ذلك، لكن الشيخ دبوز رفض هذا الصمت، مشيا على خطى الأستاذ عبد الوهاب الذي اعتبره مناصرا لفكرته، فتحدث عن هفوات الأستاذ حوحو من خلال الحديث الذي دار بينه وبين شخصية الجاحظ.

لقد جعل الشيخ دبوز من شخصية الجاحظ رمزا للدّفاع عن الأدب، فهو ناقد حكيم لا يجامل أحدا، ينتقد الواقع ولا يستكين للضعف، ويثور على المواقف والآراء المغرضة التي تمس بالأدب العربي والعقيدة الإسلامية، لقد

[1]- محمد ناصر: محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي في كتابة التاريخ، ص80

هاجم آراء أحمد رضا حوحو الداعية إلى الثورة على القديم لأنه سبب في ضعف أدبنا العربي والتحرر من قيوده، ولا سبيل لذلك إلا بالتجديد على مستوى الأسلوب والمضامين وذلك بالسير على نهج الأساليب الأروبية.

في حين كان الشيخ دبوز يراها مظهرا من مظاهر الرقي والأصالة، وذلك بالحفاظ على التراث دون إلغاء حتمية التطور في الأدب .وهنا يبرز تأثر الشيخ دبوز بالمواقف الأدبية و النقدية التي تدعو لمناصرة الإسلام والعروبة، وقد جسد ذلك من خلال هذا المقال الذي جعل فيه الجاحظ ناطقا رسميا عن الأسباب الحقيقية الكامنة في ضعف أدبنا العربي في حوار مطول دار بينهما.

حيث لم يستطع الجاحظ أن يكتم غيظه مما رآه من هؤلاء الأدباء، ولكن لما هدأت ثورته برزت معالم الفكاهة عنده ،حين كان ينتظر صدور جريدة البصائر بشغف كبير لأنه "...يراها مظهرا للعربية في هذه الربوع وعنوانا للجزائر في أعين الدنيا وإذا رأى فيها لحنا في العربية أو فسادا في الأسلوب أو خطلا في الرأي أحس به كالقذى في عينيه..."[1]

ثم أخذ يحاور الجاحظ عن أسباب ضعف أدبنا العربي في هذا

[1]- المصدرالسابق، ص84-85

العصر، معتبرا أن عزوف الناس عن القراءة وإقبالهم على الطعام رغم غلاء سعره سبب في ما آل إليه حال الأدب اليوم فحين "...رأى أثمانها الموسومة عليها، زفر زفرة الخانق الملتاع فقال: عجبا للبطون الجائعة على الموائد الحافلة والعقول الهزيلة وهي محفوفة بأسباب الكمال والأقلام الضعيفة ..."[1]

ورغم أن كل الفائدة في الكتب إلا أن القراء أهملوا القراءة، وانكبوا على موائد الطعام ونسوا بأن الخير كل الخير في القراءة، فبها نعيش ونحيا، ولكن حين تنعدم الرغبة فيها، يموت الإنسان بسبب السرعة التي يشهدها هذا العصر، حيث تظهر مظاهر السيطرة على معاصريه فقد "...وسمكم بطابعه وعداكم بعجلته، فخفّت أقلامكم في الكلام كما خفت عقولكم في التفكير، وخطواتكم في المطالعة، رحم الله عصرنا لقد أورثنا الرزانة ببطئه، والقوة بخشونته والإنسان ابن بيئته وسليل عصره ..."[2]

1- الأسباب المؤدية إلى تطور أدب عن آخر:

يتحدث الكاتب على لسان الجاحظ عن الفرو قات الجوهرية بين العصرين و التي ساهمت في تطور أدب وضعف آخر، في مقارنة بين القراءة

[1]- المصدرنفسه ص86

[2]- المصدر السابق الصفحة نفسها

بين الأمس واليوم ، و يمكن حصرها في النقاط التالية :

- تحمل مشاق السفر من أجل الدراسة
- عصره عصر علم رغم ندرة الكتب
- أهمية الكتاب في عصره لأنه بمنزلة العيون لأن الكتب لا تعار لذلك عليهم تكبد عناء السفر والنسخ والتمحيص الذي يستدعي منهم التدقيق في القراءة
- امتلاكهم للملكة المعرفية الصحيحة والسليمة

بينما قراء اليوم مطالعاتهم سريعة متعجلة تشبه "...من ينظر إلى الجديد المركّب ومن يعيد ويمر على الطريق الذي يجهله، مرّ القطار بالراكب على شجرة فيْنَانة لا يراها إلا شبحا غامضا ..."[1] وهذا ما يجعل القراء اليوم لا يحصلون على أي فائدة، إلا المعلومات الآنية التي يستقونها من أجل بحث أو فكرة تعترضهم .

ولكن لا يمكن للإنسان أن يقرأ إلا إذا اتبع أسلوب التأني في القراءة ،لأنه السبيل الأوحد لنيل المعارف و نماء العقول وقدرتها على اتخاذ القرارات السليمة في الحياة "...لأن الأناة في القراءة هي سبب النبوغ والنفاذ إلى القرار هو ما يقلدك بالدر، والعقل كالسائمة لا تسمن إلا

[1]- المصدر نفسه ،ص 87

إذا أمسكت نفسها عن الروض النضير..."[1] فالمتحمسون للقراءة والمثابرون عليها، والصابرون على الوقت الذي يقضونه في قراءة الكتب ..." هم الذين أنجزوا إنجازات عظيمة في التاريخ، وكانوا يتحلون دوما بصبر لا يعرف النفاذ، وعزيمة على المضي حتى آخر الطريق ،لا تعرف الانثناء..."[2]

ولم يتوقف الأمر عند ذلك فحسب، بل رأى بأن أدب هذا الزمان لا جدة فيه لكثرته وسهولة اقتنائه ورخص ثمنه "...والشيء إذا ابتذل قلّت قيمته في العيون، والدّرُ نفسه لو كثر لفضل عليه الحصى إذا انعدم أنه لا يوجد متعلم في عصركم، وإن عرفه الفقرُ يعزّ عليه كل ما يشاء من الكتب بالشراء أو بالاستعارة ،ولكنكم لستم على غرامنا بالقراءة وشغفنا بالعلم ..."[3] وهذه العوامل التي ظهرت في عصرنا اليوم كانت سببا في ضعف الأدب.

2- من أسباب ضعف أدبنا العربي اليوم:

ويرى الشيخ أن أسباب الضعف في أدبنا اليوم، تكمن في كون القارئ

---

[1]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها

[2]- عبد الكريم بكار :القراءة المثمرة مفاهيم وآليات، دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت ،ط6،سنة2008،ص 53

[3]- محمد ناصر : محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي في كتابة التاريخ، ص 88

في السابق كان شغوفا بالعلم رغم قلة الكتب وندرتها و الصعوبات التي يواجهها لأن "...الكتب أعز من الحرية مع الاستعمار اللاتيني، وأندر من إنصاف المستعمرين للشعوب لأن الحرمان كان يذكي فينا الرغبة والعقبات الكثيرة دون الكتب كانت تؤجج فينا لهفة المنقطع في السباسب فنظفر بهذه الرغبة من الأسفار على قلتها في أيامنا بما لا تظفرون به على كثرتها في عصركم ..."[1]

فهي تمثل له الحرية رغم وجود المستعمر، والدافع لتخطي العقبات والرغبة في التعلم رغم قلة المصادر، لأن في القراءة "...عبادة من أعظم العبادات ينبغي أن تدفعه بقوة إلى امتلاك روح الدأب وأن يفجر في نفسه ولعا بالقراءة و الاطلاع..."[2]

كما أن هجران المكتبات إلى المقاهي والسينما والتسكع في الشوارع، مع حب المادة وتقديم التعلم من أجل الشهادة على طلب العلم، مع الرغبة في التتويج بالألقاب والزهد في القراءة والعزوف عنها في كثير من الأحيان كانت سببا في تراجع الأدب.

3- الحلول المساعدة على رقي الأدب العربي:

---

[1]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها

[2]- - عبد الكريم بكار: القراءة المثمرة مفاهيم وآليات، ص 53-54

لقد اقترح الشيخ محمد دبوز مجموعة من الحلول التي قد تساعد في إخراج الأدب من ضعفه نجملها في العناصر التالية :

- تقديم العقل على المادة لأن العقل أساس التطور والنماء.
- الانكباب على القراءة لفترات طويلة دون ملل .
- الإحساس بالحسرة على ما فات من وقت دون قراءة
- عدم تضييع أوقات الشباب فيما لا يفيد والانشغال بالقراءة
- طلب العلم لشرفه والسعي نحو المعرفة سبب في الرقي والازدهار.
- القيام بالمناظرات والتحلي بآداب الجدال المبني على الحجج والبراهين.

ويختم الشيخ مقالته بأمنيته في أن يتأثر شباب اليوم برواد حركة الإصلاح، ويجعلوهم قدوة لهم في شبابهم خصوصا وأن ينشغلوا بكل ما هو مفيد من علم و معرفة قائلا : "...وإني أتمنى أن يفيء شبابنا إلى حكمة باديس و بيوض والإبراهيمي وأبي اليقظان في شبابهم ويتركوا سنة العاصفة التي لم تستطع أن تجرد الأعرابي من شملته..."[1]

إن تتبع منهج هؤلاء الشيوخ هو وحده الكفيل بتخليص الشباب اليوم من الفتن المحدقة بهم، والسير على نهجهم يمكنهم من الوصول إلى طرق

[1]- محمد ناصر : محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي في كتابة التاريخ، ص91

المعرفة الصحيحة، و اغترافهم العلم من منابعه الحقيقية، لأن سنة الآخرين المجددين لن تكتب إلا فناءهم، وتمنعهم من مسايرة الركب الحضاري.

1/2- جـ - مقاله: وقفة في دار الرافعي وعلى قبره:

أما في مقاله الثالث والموسوم ب: "**وقفة في دار الرافعي وعلى قبره** "يختلف عن سابقيه لأنه لم يوظف شخصية يحادثها فهو ليس في موقف السخرية أو النقد أو التهكم وإنما في موقف إعجاب بأدب ومواقف الرافعي النقدية ومرجعيته الدينية وبيئته التي أثرت على أسلوبه فجعلت منه أديبا عالميا .

حيث يقول "وإذا كان القاموس يجلي لك الغريب من لغة الأديب فإن البيئة الاجتماعية والطبيعية التي نشأ فيها هي المعجم الذي لا يجلي لك معاني الأديب غيره ومن لم يعرفها كانت معرفته لأدبه ناقصة .وكنت قد عرفت الرافعي من أدبه فأحببته وأغرمت به وأنه عندي سيد الأدباء في هذا العصر لا يضاهيه أديب من أدباء هذا الزمان في خصائصه ."[1]

وأخذ يعدد أسباب إعجابه به : كونه ذكي وواسع المعرفة وهو مصلح اجتماعي وأدبه أدب صحيح ليس مثل أدب الصحافة اليوم قائلا "...وذلك لعمري هو الأدب الذي يبني الملكة ويمد بالغذاء

[1]- المصدر نفسه،ص92.

ويرهف مواهب العقل كلها وسواه من الأدب الصحفي الهزيل الذي يغرم به أبناء هذا الوطن كاللُّبان الذي يمضغه الإنسان لا يحصل منه إلا على تعب الفكين !"[1]

كما أن إعجابه بأدبه وبثقافته جعله يعجب حتى بموطن ولادته فأخذ يصف رحلته إلى طنطا بلد الرافعي وجمالها الذي يشبه مدينة البليدة عندنا ويبين كيف أن جمال البيئة ينعكس إيجابا على جمال أدب صاحبه "...إنها أحسن ما يؤثر الأديب خَلِيّة له ينتج فيها فنه وتلهمه روائعه والريف الذي هو مصدر الأمة في غذائها وخيراتها هو وحده ينجب العقول العبقرية التي تنتج للعقول غذاءها ويلهم تلك العقول..."[2]

ولم يتوقف عند ذلك بل بين إعجابه بأبنائه وأصدقائه وأخلاقهم وتأثر شيخه بيوض بأعماله كما زار مكتبته وبيته القديم والمقهى الذي كان يجلس فيه ووقف على قبره وتمنى لقاءه

وختم مقالته معبرا عن أهمية كتبه النقدية وأثرها في الأدب ومعاركه مع خصومه، ليعدد بعدها أسباب نبوغ الرافعي عن غيره من أدباء عصره نجملها فيما يلي :

---

[1]-المصدر نفسه ،93

[2]- المصدر نفسه،ص95

- قوة شخصيته مكنته من البراعة في النقد الأدبي
- غيرته على الدين وتصديه لكل من يحاول الثورة على التقاليد الإسلامية
- ثورته على الأدباء الذين تأثروا بالغرب
- انكبابه على دراسة العلم وترفعه عن المادة
- اعتزازه بالوطنية وانتمائه العربي الإسلامي .

ويختم الكاتب مقالته برفع مكانة الرافعي إلى مصاف العباقرة الذين لهم مكانة عظيمة حيث قال عنه بأنه"...الأديب الجبار العالمي ! ! كان واسع الأفق حتى في وطنيته فرأى العالم الإسلامي كله وطنه .وقد كتب في محنة فلسطين ولو عاش لكتب في محن المغرب ومآسي الجزائر..."[1]

وقد خلدته بعض الأقطار العربية بأن سمت أحد شوارعها باسمه معتزة بذكراه ومفتخرة بوطنيته الفذة.

وهذا ما تجسد كذلك في أعمال الشيخ محمد علي دبوز حيث غلب عليها حب الوطن والدفاع عنه كما رأى في العروبة والإسلام وحدة لا تنفصم يجب الحفاظ عليها وهي المبادئ التي دعا إليها الرافعي وكذا رواد الأدب الإصلاحي في الجزائر، فتبنى أفكارهم

[1]-المصدر السابق ،ص106

وسار على نهجهم في كتاباته .

2/2- خلاصة :

إن المتتبع لمقالات الشيخ دبوز يتعرف على أسلوبه المشوق المفعم بالسخرية، ويدرك تأثره الشديد بثقافتنا العربية، فهو حين استخدم السخرية في مقالاته كان يهدف لمعالجة أسباب الضعف في الأدب الجزائري، وكيفية انتقاء الأدب الصحيح من خلال محاورته لشخصيات بارزة في تاريخ الأدب العربي كشخصية الجاحظ، الذي يعد رائد فن السخرية والمؤسس له في العصر العباسي، وكذا شخصية حمار الحكيم التي ابتدعها توفيق الحكيم ليعالج قضية النفاق في مجتمعه ،ولعل اختياره لهاتين الشخصيتين دون غيرهما، سببه الأثر البالغ الذي تركاه في أدبنا العربي من خلال نقد الواقع، ومحاولة إصلاح عيوبه.

وإن كان الشيخ ساخرا متهكما في المقال الأول والثاني، فإنه معجب منبهر في المقال الثالث وفي كل ذلك يبرز أسلوبه الممتع في السرد وقدرته الفائقة على طرح المواضيع وانتقائها ومعالجتها، مشخصا العلل التي وقع فيها أدباء اليوم ونقادهم، ومقترحا للحلول الفعالة التي من شأنها أن تساهم في تطور الأدب بشتى أنواعه،

وتعالج القضايا الاجتماعية بصورة واعية .

كما عمد إلى تقديم نماذج راقية، استطاعت أن تحفظ للنقد والأدب مكانته، وهذا من خلال عرضه لحياة الأديب مصطفى صادق الرافعي ،مبرزا أدبه ومواطن نبوغه على أقرانه وأراء المعاصرين فيه، رغبة منه في الإصلاح ،انطلاقا من مرجعية فكرية تدعو للحفاظ على التراث والدين واللغة، والسير على خطى من سبقوه من علماء أجلاء.

2- على مستوى المرجعية :

لقد غلب على مؤلفات الشيخ محمد علي دبوز الأدبية والنقدية الطابع التربوي التوجيهي الذي نادى به رواد الحركة الإصلاحية في الجزائر، بقيادة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذين سخروا أقلامهم وجهودهم لخدمة قضايا الأمة الإسلامية، والدفاع عن مبادئها ضد كل من يحاول طمس معالمها، فجاء بذلك نتاجه سهلا بسيطا لا تكلف فيه.

كما نلحظ كذلك أن مرجعية الشيخ دبوز في مقالاته، لا تختلف عن كتبه التي نظّر فيها لتاريخ المغرب العربي وأعلامه ،أو تحدث فيها عن الجزائر وثورتها المباركة، وكذلك جاءت رؤيته الأدبية والنقدية، فكلها تصب في قالب إصلاحي ديني بأسلوب مشوق يستهوي القارئ، و يهتم بكل ما هو أصيل متبنيا آراء رواد الإصلاح،

وداعيا إلى الاقتداء بهم فجاء أدبه خالصا لهم فكرا وممارسة ومرجعية على مستوى التنظير والتطبيق.

وإن كانت مرجعياته الفكرية والأدبية والنقدية متعددة إلا أنها لم تخرج عن الإطار العربي، حيث يمكن تقسيمها إلى ما يلي :

-أ- نجده متأثرا بفكر الأدباء العابسيين الذين ذاع صيتهم في مجال الأدب والنقد آنذاك أمثال : أبي العلاء المعري والمتنبي وأبي تمام والجاحظ .

-ب- تأثره في العصر الحديث بفكر كل من توفيق الحكيم والرافعي خصوصا الذي ينزل عنده منزلة العالم الجبار والعبقري في فكره وأدبه.

-جـ- تأثره بروافد الحركة الإصلاحية والمؤسسين لها وهم: ابن باديس والشيخ العربي التبسي ومبارك الميلي والشيخ الإبراهيمي وأبو اليقظان وشيخه الذي أخذ منهجه عنه العلم، واقتدى به في كل شيء الشيخ بيوض رحمه الله، حيث حافظ الشيخ محمد علي دبوز على رسالتهم السامية التي ترى في الأديب رسولا يجب عليه الهداية والدعوة للحفاظ على الثالوث :الدين واللغة والوطن حتى يبلغ بالأمة إلى مصاف الدول المتقدمة والمزدهرة، ولن يكون ذلك إلا إن عكس الأديب صورة واقعه بكل صدق ،وضمّنها قيم الخير والجمال وجسدها في أدبه .

-د- ولأن الشيخ كان يهدف إلى إيصال رسالة سامية مفعمة بالقيم

والمثل العليا، كان حريصا على الأسلوب المشوق البعيد عن الرتابة والملل، كي يشد انتباه طلبته ومتلقيه إلى دراسة نصوصه وفهمها الفهم الصحيح، فهو لم يكتف بسرد المعلومات بأسلوب مباشر، وإنما سعى إلى إيصالها بطريقة إبداعية تستهوي القارئ وتنير له طريق الخير، عن طريق الوعظ والتعليم والإرشاد الديني .

- هـ- أما في مقالاته فنلمس تلك النزعة الثائرة على كل من يحاول المساس بمقومات الدين أو الوطنية أو باللغة العربية، فكان مناضلا سعى جاهدا إلى تثبيت هذه المعاني بكل ما يحمله من تراث وقيم أصيلة و بكل ما يتضمنه من أصول دينية ولغوية، وكذا كان شيوخه قبله من أنصار القديم، ودعاة الانتصار للأسلوب والثقافة العربية الإسلامية .

وكذاك كان رواد الفكر العباسي الذين تأثر بأفكارهم وأدبهم، فجعل من شخصياتهم سفراء للنقد العربي والجزائري خصوصا، فكان منبرا للدفاع عن الحق، مواجها بحده وصرامة الأدباء المستغربين الذين ارتموا في أحضان الفكر الغربي، فاغترفوا منه تحت لواء التجديد، فضاعت هويتهم وفقدوا بعضا من لغتهم باسم التقدم والمدنية .

خـاتمة:

إن الشيخ دبوز معْلم بارز في تاريخ الأدب الجزائري والمغربي ،وناقد و مفكر بارع، سار على درب شيوخه المصلحين، فكان مصلحا بحق على جميع الأصعدة، حيث جاء أدبه خادما للقيم الإنسانية التي تجسد فكره الحضاري، ومدى وعيه بقضايا أمته و ثقافته الدينية، ومؤصلا لتاريخ وطنه ومحافظا على تعاليم دينه الحنيف ،فكانت رؤيته الأبية والنقدية نابعة من ذلك، سواء تعلق الأمر بمستوى التنظير و التطبيق ،أو المرجعية .

لذا فإنه ينبغي التعريف بمؤلفاته وأعماله المختلفة، وأن تُدرس نصوصه الأدبية والنقدية في الجامعات، فهو بحق يعد من رواد الفكر الإصلاحي البارزين في الجزائر، بما قدمه من مؤلفات يجب أن تطفو على السطح، وترى النور في مثل هذه الملتقيات وغيرها، لأن من يحافظ على دينه وتاريخه يحفظ حضارته ويساهم في رقي وازدهار وطنه .

المصادر والمراجع:

-1- محمد علي دبوز : نقلا عن موقع
http://www.cheikhdabouz.com

-أ- تاريخ المغرب الكبير، دار إحياء الكتب العربية المجلد، 1936م

-ب-نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المطبعة العربية، الجزائر ،ط1،سنة1969

-ج- أعلام الإصلاح في الجزائر، مطبعة البعث قسنطينة الجزائر، ط1،ج3، سنة 1978

-2- محمد ناصر: محمد علي دبوز والمنهج الإسلامي في كتابة التاريخ، منشورات مكتبة محمد علي دبوز ،بريان غرداية ،دت، دط .

-3- إحسان محمد الحسن : مناهج البحث الاجتماعي، دار وائل للنشر، عمان الأردن، ط1 ،سنة 2005،.

-4-أحمد رضا حوحو صاحبة الوحي وقصص أخرى ،تقديم أحمد مندور، المؤسسة الوطنية للكتاب ،دط ،دت.

-5- آثار الإمام بن باديس : من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية ،الجزائر ،ط1،ج5،سنة 1994م .

-6- أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، ط 5، سنة 2007.

-7- عبد الكريم بكار: القراءة المثمرة مفاهيم وآليات، دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت ،ط6،سنة2008.

-8- رينيه ويليك وأوستن وارين: نظرية الأدب، ترجمة محيي الدين صبيح، المؤسسة العربية للنشر، بيروت لبنان ،سنة 1987،ص269.

-9- نواف نصار: المعجم الأدبي، دار ورد،ط1، سنة 2007.

دراسة حفرية في أسلوب الشيخ الدبوز
" كتاب تاريخ المغرب الكبير نموذجا "

أ. خروب سارة
جامعة عبد الرحمن بن خلدون -تيارت

الملخص:

تهدف هذه المداخلة إلى التعريف بأحد قامات الجزائر التي غيّبت عن الساحة العلمية شأنها شأن الكثير من القامات التي تستحق العناية بها والاغتراف من بحر علومها، وهذه الشخصية هي الشيخ المزابي "محمد بن علي بن عيسى الدبوز، وذلك من خلال التعرض لدراسة أحد مؤلفاته وهي كتاب "تاريخ المغرب الكبير "الذي أتقن فيه دور القاص والمؤرخ والكاتب والأديب، الأمر الذي يفتقر إليه الكثير من الكتاب والمؤلفين، ولعل هذا ماحفز فينا شعور الدهشة والحيرة والفضول لممارسة فعل "الحفر" ذلك المصطلح الذي استدعيناه من الحقل الأركيولوجي للبحث في طبقات الوعي واستنطاق المسكوت عنه، والأهم الخروج بمعطيات تحليلية تدرس أسلوب الشيخ الدبوز الذي تأرجح بين الأسلوب التاريخي تارة والأسلوب الشاعري الجمالي تارة أخرى، هذا الأمر كان كافيا لتناول هذا الموضوع مغتنمين فرصة الإشادة بجهود العلامة والتعريف به على نطاق أكبر

يشمل ولايات الوطن.

فكيف تناول الشيخ الدبوز الحديث عن تاريخ المغرب الكبير من الناحية الأسلوبية؟ وهل كان أسلوب الشيخ علميا أم أدبيا في طرحه أم أنه اعتمد الأسلوبين معا فكان أسلوبه ما يسمى بالعلمي المتأدب؟ وإلى أي مدى حققت الوظيفة اللغوية الغاية منها في تحقيق التشكيل الكلامي وإنجاح عملية التواصل بين المرسل الشيخ والمستقبل القارئ؟

الكلمات المفتاحية: الأسلوب

– الأسلوبية

-الأسلوب العلمي

– الأسلوب الأدبي

– التاريخ

- أدب السيرة

-.الأسلوب العلمي المتأدب.

المداخلة كاملة :

يُعد الشيخ **محمد بن علي بن عيسى الدبوز** أحد القامات التي أنجبتها الجزائر والتي ساهمت بعلمها ومعرفتها في تقديم إضافة

للمكتبة العربية عامة والمكتبة المغاربية خاصة، من خلال مؤلفه الذي ارتأينا أن يكون محور هذه المداخلة وموضوعها، ذلك أن الشيخ قدم فيه الكثير من الحوادث التاريخية التي تخص المغرب الكبير في قالب أسلوبي جذاب يفرض علينا الوقوف عليه وقفة إمعان وتمحيص كيف لا وقد قضى زمنا ليس بقصيرمتنقلا بين المكتبات الجزائرية والتونسية والمصرية باحثا غائرا بين مخطوطاتها ومؤلفاتها وكتبها، يتصفح هذا ويقارنه بذاك، فكانت باكورة هذا الاجتهاد والبحث المعمق إخراجه لكتابه "المغرب الكبير"، الذي وجد مسوغًا وانتشارا كبيرا على مستوى الوطن العربي، إذ تناولته المجلات وتحدثت عنه الصحف وأشارت إلى أهميته في دراسة المغرب العربي الكبير والكشف عن الكثير من الحقائق التي وقعت فيه. ولم يقف صيته عند هذا الحد بل تجاوز إلى اعتماده مرجعا وموسوعة شاملة وملمة تستوجب الرجوع واللجوء إليها في الاطلاع على مكامن المغرب على ضخامته وكبره.

ولعل من دوافع تأليف الشيخ الدبوز لهذا الكتاب هو الكشف عن المستور والمخفي والمزيف و المحجوب والمشوه، لاسيما وأن أغلب من كتب عن المغرب الكبير من المستعمرين والمستشرقين الحاملين الحاقدين على الإسلام والمسلمين والعرب بشكل عام، وفي هذا الشأن يقول الشيخ الدبوز "...عزمت أن أكتب شيئًا في تاريخ المغرب الكبير بأسلوب أدبي وتحليل فلسفي، وببحث علمي

نزيه، يليق لمطالعة مثقّفينا، ويكون مرجعًا ومصدرًا لجامعاتنا ومدارسنا، ويصفّي أبواب تاريخ المغرب التي كدّرتها ودنّستها أكاذيب السّياسة القديمة، ودعايات المستعمرين وسمومهم، فصارت خطرًا على المغرب، ومنبعًا للسّموم، التي تكدّر صفاءَه، وتفرّق جماعته، وتُمكِّن الحسّاد والدّسّاسين من بثِّ الفرقة والشّقاق في مغربنا الحبيب، فكتبت في سنة (1370 – 1372هـ) (1951 – 1953م) مسوّدة الأجزاء الثّلاثة الأولى من " تاريخ المغرب الكبير"، فصرت أفكّر في طبعها، ولكنّني أبيتُ أن أفرغها في القالب النّهائي وأعدّها للطّبع قبل أن أقوم بجولة واسعة ...لأطّلع على كلّ ما أستطيع الاطّلاعَ عليه من كتب تاريخ المغرب، سيّما المخطوطات القديمة، فزرت في عطلة الرّبيع سنة (1373هـ/ 1954م)خزائن كثيرة من المخطوطات، لازالت محفوظة في جنوب الجزائر، لم تمتدّ إليها أيدي الاستعمار، التي جردّت المغرب من كتبه القديمة، ومن مؤلّفات أجدادنا في التّاريخ، فوجدت فيها كتبًا من الكتب المخطوطة، ومن الوثائق التّاريخية شيئًا كثيرًا ممّا أريد، ثمّ عزمت على زيارة مكاتب تونس الخضراء ودار الكتب المصرية في القاهرة، وكان الاستعمار الفرنسي قد ضرب الأسوار الحديدية بين الجزائر والقاهرة والأقطار العربية... وبعد مساعٍ ووقتٍ طويل، وقلق كبير حصّلت على تأشيرة الدّخول إلى مصر، على أنّي مارٌّ إلى الحجاز...فسافرت في أوّل العطلة إلى تونس، فمكثت شهرًا في مكتبتها الوطنيّة، وفي المكتبة العبدليّة واطّلعت

فيهما على كثير من مصادر تاريخنا، ثمّ وصلت دار الكتب المصريّة في القاهرة...فوجدت كلّ ترحيب وإجلال ومساعدة، فكنت أطلب أحيانًا عشرين مجلّدًا، فيسرعون بها إليّ...فوجدت الكثير ممّا أريد، فاطّلعت على المهمّ منه، سيّما المخطوطات والكتب المطبوعة النّادرة الوجود..."[1].

يذكر الشيخ الدبوز في حديثه عن كتابه مجمل رحلاته المتكررة و سفراته المختلفة بغية جمع أكبر عدد ممكن من المعلومات والحقائق التي تخدمه، ولعله عانى وتحمل مشقة كبيرة في ذلك خاصة وأن الاحتلال الفرنسي كان يبسط نفوذه على جميع الحدود بين الجزائرية الفاصلة بينها وبين معظم المناطق العربية مما يجعل إمكانية التنقل إليها شبه مستحيل في ظل سياسة الاستعمار القمعية المشككة، ما شكل خطرا على حياة الشيخ في جمعه مادة التأليف لكتابه يقول في هذا :" وكنت أنا في الأسلاك الشائكة أسائل الصديق الذي وضعت عنده مسودة الكتاب و يسألني: ترى هل يفتشون الصندوق الذي أخفاها فيه؟ وهل تستدعي انتباههم خرائط الكتاب التي ألفت على خشبة طويلة فعلقت في الحائط فصارت كالعلم

[1]-محمد علي دبّوز، تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة توالت الثقافية، 2010، ج2، ص18/19.

الملفوف، وكنت قد قاسيت جهدا كبيرا في صنه خرائط الجزء الأول والثالث الهجري وقبل الإسلام فصارت وثيقة تاريخية نفيسة "[1]

ويشير الشيخ الدبوز في كلامه السابق إلى أن الاستعمار الفرنسي حاول بشتى الطرق طمس الهوية العربية في المغرب، فخرب مكاتبه وكتاتيبه ومساجدهوجرده من كل إرث عربي ورثناه عن أجدادنا كي لا يبقى للخلف شيء مما ترك السلف يتبع أو سنة تحيا.

وبالتالي فإن محاولات الشيخ في تأليفه لكتاب المغرب العربي لم تكن سهلة البته، بل فيها من الجد والكد والتعب ما يعكس عظمة هذا الكتاب، ولم يكن إخراجه على الوجه الذي هو عليه الآن بالأمر اليسير أيضا ذلك أن تكاليف طبعه مكلفة جدا لا سيما أن الشيخ كان حريصا على إتقانه إتقانا يشمل الشكل والمضمون معاً.

ولقد ذكر في الجزء الثاني من كتابه أنه سعى إلى انتقاء المطبعة المناسبة وتخير أجود الورق ليخط عليه حصيلة سنوات بذلها وكرسها في البحث وجمع المعلومات والحقائق التي أغشوها وألُبسوها لباس التضليل والتكذيب، ثم بعد ذلك تدوينها لتكون في خدمة العلم وخدمة أبناء الوطن العربي فقال : " لقد اخترت لطبع هذا الجزء

[1]- محمد علي الدبوز، المغرب الكبير، ص20.

والذي يليه مطبعة من أكبر المطابع في القاهرة. واخترت له أحسن ورق وجدته. وتحملت وحدي التكاليف المادية الباهظة. ورضيت بنفقات الطبع الغالية ليكون الكتاب في مظهره لائقا بصفحات تاريخ المغرب الغراء وعنوانا لبرنا بأجدادنا، فإذا وجد إقبالا من القراء وسدا مسدا في المكتبة العربية، وأصبح مصدرا لمعاهدنا العلمية في المغرب، فإن هذا سيكافئ الجزء الكبير الذي بذلته فيه. ويكون لي أحسن جزاء مع ما أرجوه من الجزء الكبير عند الله"[1]

ثم يواصل حديثه شاكرا وداعيا و مثنيا في خاتمة مقدمة كتابه على والده الحاج علي بن عيسى دبوز فيذكر فضله وإسهامه في إخراج هذا الكتاب وتحمله لنفقات طبعه فقال: "...وفي الختام أشكر والدي السيد الحاج علي بن عيسى دبوز فهو الذي مدني بنفقات طبع هذين الجزأين. وكان لي أكبر حافز على إخراجه أسأل الله أن يمد في عمره إلى أن يمد في عمره إلى أن يرى حلقات الكتاب كلها يتم طبعها. ويجعل هذا العمل كنزا ثقيلا في ميزان حسناته "[2]

إن كل هذه الظروف والمحيطات التي أحاطت بهذا الكتاب كان لها من الدوافع ما يكفي للاستطلاع عليه وتناوله بدراسة مستفيضة تشمل جميع جوانبه، ناهيك عن كونه نتاج جزائري خالص من

[1]-محمد علي الدبوز، نفس المصدر،ص 25

[2]-نفس المرجع، نفس المصدر، ص 26.

واجبنا أن نولي له عناية خاصة، وقد اخترنا في محاولة منا لدراسته الجزء الثاني من أصل ثلاثة أجزاء ليتسنى لنا التركيز أكثر على أسلوب الشيخ الذي هو محور هذه المداخلة، وقبل هذا علينا تقديم قراءة عامة وشاملة للكتاب ليتسنى لنا الدخول في صلب موضوعنا.

قراءة حول الكتاب:

الاسم الكامل للمؤلف: محمد بن علي بن عيسى الدبوز
عنوان الكتاب: تاريخ المغرب الكبير
طباعة وتصفيف: مؤسسة تاوالت الثقافية.
عدد الأجزاء: 3 تم دمجهم لتسلسل الترقيم.
عدد الصفحات: 1499.
تاريخ الإصدار: 2010.
حالة النسخة: منسقة ومفهرسة.

التعريف بالمؤلف:

الشّيخ محمّد علي الدّبوز من مواليد مدينة بريّان، ولاية غرداية، الجزائر سنة 1337هـ/ 1919م، زاول دراسته الابتدائيّة في مسقط رأسه على يد الأستاذ صالح بن يوسف ابسيس، وفي أواسط الثّلاثينيّات انتقل إلى مدينة القرارة، لينضمّ إلى معهد الشّباب (معهد الحياة). تلقّى دروسه فيه على الأستاذ الشّيخ إبراهيم بن عمر بيّوض

(ت1401هـ/ 1981م) والأستاذ الشّيخ عدّون سعيد بن بالحاج شريفي (ت 1425هـ/ 2004م) وغيرهما.

وفي أوائل الأربعينيّات غادر القرارة، متوجّهًا إلى تونس للاستزادة من المعرفة. ومنها إلى القاهرة حوالي سنة 1944م، وذلك في مغامرة كبيرة، والحرب العالمية الثّانية قائمة، والصّراع مستحكم بين الحلفاء ودول المحور، وقد قطع الحدود بين تونس وليبيا إلى القاهرة؛ مشيًا على قدميه..

في سنة 1948م انضمّ إلى أسرة التّعليم بمعهد الحياة، ليشتغل مدرّسًا لمادتي التّاريخ والأدب. وبقي في هذا الميدان إلى شهر جوان 1981م، حيث أقعده المرض الفراش، اشتدّ عليه ، حتّى توفّاه الله يوم الجمعة 01 من محرّم1402هالموافقلِ13 من نوفمبر1981م.عرف عنه أساتذته وأصدقاؤه الرّغبة في التّلقّي، والحرص على التّحصيل؛ منذ عرفوه طالبًا، وعرفوا عنه الإخلاص في العمل؛ منذ عرفوه أستاذًا مربّيًا[1].

آثاره :

[1]-محمد بن قاسم ناصر بوحجام، مقال بعنوان: محرر تاريخ المغرب الكبير...الشيخ محمد علي الدبوز، نشر في الجريدة الإلكترونية الرؤية العمانية، الرابط https://alroya.om/post/207448 .

كتاب أعلام الإصلاح في الجزائر من 1921 إلى1974م، أصدر في خمسة أجزاء.

- كتاب نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة أصدر في ثلاثة أجزاء ضخمة
- والكتاب الذي نحن بصدد دراسته "تاريخ المغرب الكبير" ، في ثلاثة أجزاء كبيرة ، من العصر الحجري إلى الدول الإسلامية المستقلة في المغرب الكبير ، وصف فيه تاريخ المغرب نظيفا من الأكاذيب السياسية التي ألصقت به.

إضافة إلى عدة مؤلفات ، مخطوطات تاريخية وأدبية و نقدية وتربوية منها : تاريخ الدولة العثمانية، وعدة مسرحيات تاريخية واجتماعية ، و له مقالات عديدة .

بعد هذا التقديم الموجز للشيخ الدبوز والذي كان لابد منه كتمهيد قبل الولوج في دراستنا هذه، وقد اجتهدنا في البحث عن آثار هذا العلامة وتحصيل إحدى مؤلفاته والتي لأجلها نعتب كثيرا على المكتبة الجزائرية الفقيرة كثيرا كي لا نقول القاصرة كثيرا عن احتوائها حتى لكتب ومؤلفات من نتاج أبنائها، ونظرا لحصولنا على نسخة من كتاب المغرب الكبير فقد قررنا أن يكون هو موضوع المداخلة من خلال البحث في أسلوب الشيخ منتقين الجزء الثاني من بين ثلاثة أجزاء ليكون محور الدراسة، وبما أن ما يهمنا من هذه

الدراسة هو أسلوب الشيخ كان لابد من التعريج على قضية الأسلوب ومفاهيمه و تعاريفه الاصطلاحية.

الأسلوب :

ورد استعمال كلمة الأسلوب في المدونة العربية القديمة عند الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن الكريم ليدل على الاتساق والانسجام الحاصل في الشكل الأدبي، وأن هذا الأخير هو ما يجعل لكل كاتب أو شاعر أسلوبا خاصا به يميزه عن غيره، وعلى هذا الأساس" تصبح اللغة في جوهرها مجموعة من الوقائع الأسلوبية ينبغي الاعتداد بها من وجهة نظر الأسلوب، وإن كان من البين أن كلمة أسلوب التي تستخدم هنا تتجاوز حدودها التقليدية لتشمل كل عنصر خلاق في اللغة ينتمي إلى الفرد ويعكس أصالته "[1]، ويكون سمة له دون غيره، كذلك تنسب البدايات الأولى للحديث عن الأسلوب عند العرب إلى ابن خلدون وعبد القاهر الجرجاني إذ أننا وفي كثير من الأحيان ونحن نتصفح كتب التراث وأمهات الكتب نجد أن "من النظريات النقدية الحديثة نلقى لها جذورا أو أصولا أو على الأقل ـ إشارات وإرهاصات في الفكر النقدي العربي القديم، ولكن لاحق لأحد أن يقزم هذا الفكر النقدي "[2]، لكن هذا لا يعني

[1]- صلاح فضل، علم الأسلوب(مبادئه وإجراءاته)، دار الشروق، ط.1، 1998م،ص13.

[2]- عبد الملك مرتاض، دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين بلادي، د.م.ج، الجزائر،

أننا نتجاهل أو نتناسى آراء العلماء الغربيين القدامى لاسيما أرسطو الذي استخدم كلمة lexis بمعنى لغة أو كلمة مقابل كلمة taxis أي قول أو أسلوب، غير أن بعض الباحثين يرجحون أن كلمة الأسلوب اشتقت من" الأصل اللاتيني stilus وهو يعني "ريشة" ثم انتقل عن طريق المجاز إلى مفهومات تتعلق كلها بطريقة الكتابة، فارتبط أولا بطريقة الكتابة اليدوية، دالا على المخطوطات، ثم أخذ يطلق على التعبيرات اللغوية الأدبية " [1]

ومع تطور العلوم والدراسات التي اهتمت باللغة أصبح من الواجب العناية بالأسلوب وإقامة أسسه كعلم قائم بحد ذاته، ولعل هذا ما جعل بعض العلماء المعاصرين يعتبرون الأسلوب هو الأسلوبية باعتبارها مصطلح ينحدر من كلمة أسلوب، ثم أضيفت له اللاحقة (ية) للدلالة على حقل معرفي ولإضفاء صبغة علمية عليه فأصبح بذلك علم يدرس النص و طرائق الصياغة والتعبير.

ويتعين علينا لمعرفة هذا العلم ومعرفة تبلوراته والإحاطة بالتطورات الحاصلة فيه وعلاقته بالعلوم الأخرى، تحديد مفهومه أولا إذ " لا يمكن الحديث عن علم الأسلوب دون التعرض لمفهوم

1992،ص10.

[1]- صلاح فضل، علم الأسلوب، ص93

الأسلوب، مما يضعنا فجأة في قلب المشكلة الأسلوبية، ويوشك أن يشكك في مشروعية الدراسة العلمية، لان استعراض هذا المفهوم وتحليله يلخص مراحل البحث في الأدب واللغة، وتطور النظرية النقدية حتى قربها من الطابع العلمي...مما يجعل تحليل المفهوم عملية مراجعة نوعية لنمو الاتجاهات السابقة، والتقاط للخيوط المتينة منها، الصالحة للدخول في بنيته ونسيجه كعلم مكتمل " [1]

الأسلوب عند القدامى :

وردت كلمة أسلوب في كثير من المعاجم بمعاني مختلفة ومتعددة لكنها تجتمع في اعتباره نهجا أو طريقا كما يعرفه ابن منظور في معجمه لسان العرب "يقال للسطر من النخيل، وكل طريق ممتد هو أسلوب، فالأسلوب الطريق والوجه، والمذهب، يقال أنتم أسلوب سوء...ويجمع أساليب، والأسلوب الطريق تأخذ فيه، والأسلوب الفن، يقال أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين "[2]، ويعرفه ابن خلدون أيضا في كتابه المقدمة على أنه "عبارة عن المنوال الذي ينسج فيه التراكيب، أو القالب الذي يفرغ فيه، ولا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته كمال المعنى من خواص التركيب

[1]- صلاح فضل، علم الأسلوب،ص92

[2]- ابن منظور، لسان العرب، ج17، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط.3، ص 456.

الذي هو وظيفة البلاغة والبيان، ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب باعتبار فيه الذي هو وظيفة العروض، وإنما يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص...وتلك الصورة التي ينتزعها الذهن من أعيان التركيب وأشخاصها، ويعيدها في الخيال كالقالب والمنوال، ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان، فيرصها فيه رصا، كا يفعل البناء في القالب والنساج في المنوال، حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام، ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه، فإن لكل فن من الكلام أساليب تختص فيه وتوجد فيه على أنحاء مختلفة"[1].

على هذا المنحى يعرف ابن خلدون الأسلوب تعريفا يقارب التعريفات والمفاهيم اللسانية التي انطلقت منها الأسلوبية، لتصبح علما يرتكز على أساليب خاصة في فن القول تنتج عن صور ذهنية في المخيلة، بعد أن يختار لها أصح التراكيب والصّيغ المستساغة فتصفف، وترتب، في القالب المناسب لها ثم تتسع لتؤدي المقصد منها.

[1]-عبدالرحمان ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، نشر عبد الواحد وافي، ج4،1960م،ص 1290 .

ولعل تعريف ابن خلدون وتقديمه لهذا الشرح يكاد يكون مشابها إن لم نقل مقتبسا من قول ابن طباطبا في حديثه وشرحه لطريقة كتابة الشعر وكيفية ممارسته فيقول" إذا أراد الشاعر بناء قصيدة، فحضر المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثرا أو أعدّ له ما يلبسه إيّاه، من الألفاظ التي تطابقه، والقوافي، بما تقتضيه من المعاني، على غير تنسيق للشعر، وترتيب لفنون القول فيه، بل يعلق كل بيت، يتفق له نظمه، على تفاوت ما بينه وبين ما قبله فإذا أكملت له المعاني وكثرت الأبيات، وفق بيتها بأبيات تكون نظاما لها...ثم يتأمّل ما قد أدّاه إليه طبعه، و نتجته فكرته، فيستقصي انتقاده، وبرم ما وهي منه، ويبدل بكل لفظة مستكرهة، لفظه سهلة نقية..."[1].

يتضح لنا من هذا أن قول ابن خلدون عن الأسلوب يلامس في جوانب عدة قول ابن طباطبا عن الشعر باعتبار أن هذا الأخير يتناول في حديثه فنا من الكلام له أساليبه التي تميزه كما ذكر ابن خلدون في خاتمة كلامه السابق وذلك نجده ماثلا أيضا في كتابات عبد القاهر الجرجاني إذ قال: "واعلم أن الاحتذاء عند الشعراء وأهل العلم بالشعر وتقديره وتمييزه أن يبتدئ الشاعر في معنىً له وغرض أسلوبا – والأسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه- فيعمد شاعر

[1]-ابن طباطبا، عيار الشعر،شر.تح: عباس عبد الساتر،دار الكتب العلمية، بيروت، ط.2،2005م،ص 11.

آخر إلى ذلك الأسلوب فيجيء به في شعره فيشبه بمن يقطع من أديمه نعلا، على مثال قد قطعها صاحبها؛ فيقال قد احتذى على مثاله"[1]، فيقرب بذلك الجرجاني الأسلوب من مفهوم النظم الذي يمثل الخواص التعبيرية في الكلام.

الأسلوب عند المحدثين:

عني المحدثون بالأسلوب عناية خاصة منطلقين في ذلك من فهمهم لما جاء به العرب القدامى و تمحيصهم في المعاني التي قدموها في تعريفهم للأسلوب، فعرفوه على أنه "طريقة الكاتب أو الشاعر الخاصة في اختيار الألفاظ, وتأليف الكلام "[2]، وقيل في تعريف آخر هو "الصورة اللفظية التي يعبّر بها عن المعنى, أو نظم الكلام وتأليفه لأداء الأفكار, وعرض الخيال, أو هو العبارات اللفظية المنسقة لأداء المعاني" [3]،وبرغم تعدد التعريفات والمفاهيم حول الأسلوب غير أن تجتمع في اعتباره طريقة الكتابة أو الإنشاء باختيار

[1]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، شرح.وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي،1980م، ص418.

[2]-أحمد حسن الزيات، دفاع عن البلاغة، عالم الكتب، ط،.2،1967م،القاهرة،ص70.

[3]- أحمد الشايب، الأسلوب، ط.8، مكتبة النهضة المصرية، ط.8، 1991م، ص43.

الكاتب للألفاظ المناسبة وترتيبها ونظمها قصد التعبير بها في قالب يميزه عن غيره.

أما عند الغربيين فيقول فاليري في حديثه عن الأسلوب" إن الأسلوب انحراف عن قاعدة ما"[1] ولعله يقصد في تعريفه هذا الأسلوب الأدبي الشاعري، الذي يتخطى كل ثابت ويتمرد عن كل قاعدة ومعيار، بينما نجد بالمقابل رولان بارت يقدم لنا تعريفا آخر ربما لم يسبق أن قدمه سابقوه بالطريقة التي قدمها هو من خلال محاولة إثباته اكتفاء الذاتي للغة وذلك من خلال إقامة تعارض بين الأسلوب والكتابة مع الأخذ بعين الاعتبار أن الأسلوب والكتابة يتميزان عن اللغة " وهكذا يتشكل الأسلوب لغة مكتفية بذاتها، ولا تغوص إلا في الأسطورة الشخصية والخفية للكاتب، كما تغوص في المادة التحتية للكلام حيث يتشكل أول زوج من المفردات والأشياء حيث تستقر مرة وإلى الأبد، الموضوعات اللغوية الكبرى لوجود الكاتب"[2].

إن هذه التعريفات والمفاهيم سواء القديمة أو الحديثة بتنوعها واختلافها لم تكن تهدف لمجرد تقديم تعاريف للأسلوب فقط بل

[1]- صلاح فضل، علم الأسلوب، ص154.

[2]- رولان بارت، الكتابة في درجة الصفر، تر:محمد نديم خفشة، مركز الإنماء الحضري، ط.1، 2002م ،ص17.

كانت تبحث في خلجتها عن محاولة لدراسة الأسلوب تقوم على أسس ودراسات موضوعية ترقى لدرجة علمية بعيدا عن الانطباعية والأحكام الذاتية القائمة على الأذواق الفردية كما كان سائدة من القدم زمن النابغة الذبياني، هذا ما دفع الباحثين والنقاد إلى إضفاء صبغة العلمية بمحاولتهم التوصل إلى قواعد وأسس تجعل الأسلوب علما قائما بذاته له بنود ومرتكزات، غير أن تباين وجهات النظر واختلافها لدى الباحثين كانت تشكل صعوبة في تحديد تلك الأسس والاتجاهات الأسلوبية، فذهب بعضهم إلى اعتماد الأسلوبية كمنهج حديث تحدد وتوسع بشكل أكبر مع شارل بالي إذ اهتم بدراسة مفردات وقواعد اللغة و صنف الواقع اللغوي فجعل الخطاب نوعين؛ نوع حامل لذاته غير مشحون، وآخر حامل للعواطف والخلجات وكل الانفعالات ذلك أن المتكلم - بحسب رأيه – "قد يضفي على معطيات الفكر ثوبا موضوعيا وعقليا مطابقا جهد المستطاع للواقع، ولكنه – في أغلب الأحيان- يضيف إليها – بكثافات متنوعة- عناصر عاطفية قد تكشف الأنا في صفائها الكامل، وقد تغيرها ظروف اجتماعية مردها حضور أشخاص آخرين، أو استحضار خيال المتلكم لهم".[1]

[1]- بييروجيرو، الأسلوب والأسلوبية، تر:منذر عياشي، مركز الإخاء القومي، بيروت، لبنان، د.ت، ص36.

وعلى هذا المنحى نستخلص وجود نوعين من الأسلوب:

الأسلوب الأول :

الأسلوب التعبيري: وهو ذو وظيفة إبلاغية, وغايتها إثبات إرادة المتكلم بالألفاظ، ومنهجه دراسة الوسائل التعبيرية في المجال اللغوي الذي تلتقي فيه اللغة بالحياة[1]، وقد وضحه بالي في حديثه حين قال :" إن اللغة الطبيعية كالتي نتكلمها جميعا ليست في خدمة التفكير الصرف ، ولا في خدمة الفن، ولا تأخذ في
اعتبارها المنطق الأعلى، ولا المثل الأدبي الأعلى، إنما وظيفتها الأولية والثابتة ليست إقامة القياسات المنطقية واختتام الجمل، والجمل وفق التفاعيل الشعرية. إنها بكل بساطة في خدمة الحياة، لا حياة الأقلية بل حياة الكل، وبكل مظاهرها، ووظيفتها بيولوجية واجتماعية"[2]، وهذه الوظيفة كانت قد عرفت عند العرب منذ القدم إذ كثيرا ما كانوا يعبرون عن حياتهم وظروفهم وحتى مآثرهم وانتصاراتهم بطرق فنية وفي قوالب تعبيرية جميلة يتسنى بها رسوخها في الذاكرة الجماعية.

---

[1]- لطفي عبد البديع، التركيب اللغوي للأدب، مكتبة النهضة، القاهرة، ط.1، 1970م، ص101.

[2]- بييروجيرو، الأسلوب والأسلوبية، ص38.

الأسلوب الثاني :

الأسلوب الأدبي: وهو ذو وظيفة فنية تجعل للعمل الأدبي خصائص ومميزات تميزه عن غيره، ومن أبرز رواده (ليوسبتزر)، الذي قال في توضيح هذا الأسلوب: "يجب أن يبدأ في الحقيقة أي تحليل للنص، وأية دراسة في فقه اللغة بنقد الجمال مع اعتبارنا كمال العمل المدروس أمرا مفروغا منه، وبرغبة كاملة في المشاركة الوجدانية يجب أن يكون دفاعا وتبريرا موجزا "[1]

ويعد كتاب المغرب الكبير أهم إنجاز قام به الشيخ الدبوز من بين جميع أعماله التي قام بها طيلة مرحلة حياته، حيث كان يمارس فعل الكتابة ليقيد به صيد المعارف والأخبار التي قطع شوطا كبيرا في البحث عنها وتجميعها وترتيبها في مؤلفه الضخم المكون من ثلاثة فصول، وقد اخترنا الفصل الثاني لمعاينته من ناحية أسلوبه الذي يجذب انتباه قارئه من أول وهلة، ذلك الأسلوب المحير المدهش إذ يجعلك تتخبط بين الصنف العلمي والأدبي فلا تجد له سبيلا سوى نصيبا وافرا من المتعة والمعرفة تحاصر ذهنك وتطوق فكرك وتجبرك على فعل القراءة.

[1]- المرجع نفسه، 72.

ولعل هذه أول خطوة لدراسة أسلوب الشيخ الدبوز هو تمييز أسلوبه بين ما إن كان علميا أو أدبيا، إذ المتعارف عليه أن الكاتب إذا أراد الخوض في موضوع ما والكتابة فيه كان عليه أولا أن يتخير الأفكار التي يوّد الحديث عنها لأهميتها وقيمتها، ويرتبها في الذهن ترتيبا مناسبا واضحا مترابطا مفهوما في ذهنية القارئ المتلقي، بعدها يقوم الكاتب بانتقاء من ألفاظ اللغة ما يلائم التعبير عن تلك الأفكار، فإن أقحم الانفعال والعاطفة و المشاعر فيه قيل أنه أسلوب أدبي" وأما العلمي فإن المعارف العقلية هي الأساس الأول في بنائه، وقلما تجد للانفعال أثرا واضحا، لذلك كانت عناية زميله بقوة الانفعال، ولسنا نعدو الصواب إذا قلنا: إن الأسلوب العلمي لغة العقل والأدبي لغة العاطفة...فالغرض من الأسلوب العلمي أداء الحقائق قصد التعليم وخدمة المعرفة، وإنارة العقول "[1]، وبالنظر إلى أسلوب الشيخ في جزئه الثاني كان أقرب إلى الأسلوب العلمي منه إلى الأدبي.

ونستعين بجزء منه لتبيان ذلك فنختار حديثه عن غزو عمرو بن العاص لبرقه " وكان أكثر سكان برقة من "لواتة"وهي قبيلة بترية من قبائل العرب البربر الكبرى فرحبت بالمسلمين ففتحت لهم بلادها وقلوبها فلم يجد عمرو فيها مقاومة ولا مصاولة ففرض عليهم

[1]-أحمد الشايب، الأسلوب، ص59.

الخراج والجزية فسار إلى طرابلس، ففتح طرابلس: وكانت طرابلس تابعة "لجرجير" ملك افريقية، إلا أنّ سلطانه عليها ضعيف ثورات البربر على الروم، ولشيخوخة الروم بالفتن والحضارة والبربر، فبعث عمرو بن العاص قائده عقبة إلى زويلة وفزان وودان، وهي المدن الكبرى في صحراء طرابلس، ففتحها ليأمن ظهره فلا يثب عليه البربر، فسار هو الساحل حتى وصل طرابلس"[1].

يتجلى في هذا النص الكثير من الحقائق والمعلومات والمعارف المتسلسلة التي أخضعها الشيخ للترتيب التاريخي مراعيا فيها العامل الزمني بدقة، فتعرض لقبيلة برقة وذكر مكان تواجدها وسكانها القاطنين بها، ثم قدم لنا تفاصيل فتح عمرو بن العاص لها وسيره لفتح طرابلس ثم فتح عقبة بن نافع المدن الكبرى في صحراء طرابلس، واستعمل الأعداد والأرقام والمقاييس فذكر تاريخ الفتوحات والغزوات كفتح برقة في 22هـ -642م وغزوة عبد الله بن سعد 27هـ -647م، وغزوة معاوية بن حديج السكوني 45هـ -666م،وقد بدا الشيخ شديد الحرص في تقديمه لأفكاره بحسن انتقائه للألفاظ فلا الفكرة تعلو الكلمة ولا الكلمة تعلو الفكرة بل جاء بها متوازنة مناسبة لمقتضى الحال وفي سياق واضح دون تصنع أو تكرار لا طائل له "إذ أن النثر العلمي يرفض التكرار، ويمقت التكلف لما في ذلك من الغموض،

[1]- محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، ج.2، ص29-30.

وضياع المعنى، وتنفير القراء الذين ينتظرون الحقائق التاريخية منطقية واضحة " [1]،كما نلمس السداد في بناء جمله التي تنوعت بين الطول و القصر ولو أن تساوي الطول فيها بالتقريب كان هو الغالب وهذا دليل آخر على أنه قد اعتمد الأسلوب العلمي في كتابه لأن" الأسلوب العلمي يتكون من عنصرين أساسيين: الأفكار و العبارات، وأما اختيار الأفكار وتنسيقها، وإيثار الكلمات الدقيقة والجمل الواضحة، فذلك عمل أسلوبي لأنه طريقة يقوم بها الكاتب متأثرا بموضوعه من جهة وبشخصيته من جهة أخرى" [2]

غير أننا لو واصلنا البحث والتنقيب وجدنا ما يوحي إلى أن الشيخ الدبوز قد عمد إلى الأسلوب الأدبي أيضا في كثير من المواضع فاستخدم التشبيهات ووظف الصور البيانية وأنواع البديع ونذكر للتدليل على ذلك قوله " وجاء النور بعد الظلام والصلاح بعد الطلاح، ومحبة المسلمين بعد عداوة الروم المستعمرين، والحرية المنعشة بعد الاستعباد المميت، وكانت سيوف المسلمين تضيء الجو، ودين المسلمين ينير القلوب، فتزيل السيوف ما بالشجرة الإنسانية من فروع يابسة تنتشر فيها الممات، ويقتل دين المسلمين ما بالنفوس من أمراض هي التي تحفز القبور للأمم، وما في النفوس من

[1]- أحمد الشايب، الأسلوب، ص97.

[2]- نفس المرجع، ص51.

أخلاق دنيئة هي التي تقيد الشعوب للجزارين، وتهيئ الأوطان للآكلين"[1]، نلاحظ من هذه الفقرة الكثير من الصور والمنمقات البديعية والمجازية من بينها:

النور/ الظلام = طباق موجب

الصلاح/ الطلاح = طباق و جناس ناقص

محبة /عداوة = طباق

والحرية المنعشة /الاستعباد المميت = مقابلة

وكانت سيوف المسلمين تضيء الجو = استعارة مكنية...الخ

كذلك نجد جنوحه للوصف، والوصف كما هو معروف عنصر فني فعّال لابد من تضمينه في الأساليب الأدبية، إذ يقوم على اختيار أهم العناصر والنعوت التي تميز الموصوف وتكون في غالب الأحيان تدل على الجمال وهذا ما نجده عند الشيخ الدبوز في قوله" لو نزل جند جلولا إلى عبد الملك فهزموه لاستضعفناهم، أما وقد أعجزته الأبراج العالية، والأسوار العريضة الشامخة، والجند البربري

[1]-محمد علي الدبوز، تاريخ المغرب الكبير،ص29.

الشجاع المختبئ وراء الأسوار يرمون ولا يرمون، ويصيبون من شاءوا ولا يصابون "[1].

يصف هنا الشيخ الأسوار بأنها عريضة شامخة، ويصف الجنود البربر بالشجاعة إذ هم الغالبون بقوله أنهم يرمون لكن لا يرمونهم وإن رموهم لا يصيبونهم بينما هم يصيبون أعدائهم، وهذه المبالغة بالوصف هي استجابة لقوة الانفعال العاطفي لدى الكاتب وهذا الأخير هو خاصية الأسلوب الأدبي وروحه المحركة له.

إننا بعد هذا التمحيص والمعاينة والتحليل لم نصل لنتيجة سوى التخبط بين طريقتين أو أسلوبين مختلفين ومتضادين ، جمعهما الشيخ في مؤلفه وهو يدرك أن لا سبيل لاكتمال ما سعى جاهدا لإخراجه سوى الجمع بين المتناقضين لتتبين صورة هذا بذاك، لكننا بالمقابل أهملنا عنصرا مهما كان لابد من التطرق له من البداية وهو نوعية الموضوع وعن أي شيء يكتب الشيخ وفيما يكتب ؟

إن نظرة عجلى أوفاحصة لعنوان الكتاب " تاريخ المغرب العربي" توحي لنا أن متن الكتاب وموضوعه تاريخي بحت، ومقدمته خير دليل على ذلك فقد جعلها الشيخ الدبوز مقسمة لعناوين

[1]-محمد علي الدبوز، تاريخ المغرب الكبير، ص47-48.

وفقرات وإذا نحن تأملنا تلك العناوين لا تكاد تخلو من كلمة "تاريخ" فنجد :

- تشويه تاريخنا في المدارس الاستعمارية
- محاربة الاستعمار للتاريخ الصحيح
- فوائد التاريخ التورية وأثره في نهضة الأمم
- مزايا التاريخ الوطني
- مزايا التاريخ في التربية
- عناية الأوربيين بتاريخهم وانتفاعهم به
- مزايا التاريخ التربوية على دروس الأخلاق النظرية
- التاريخ للاتعاظ والاعتبار
- التاريخ للتربية العقلية
- فن تدريس التاريخ
- ماذا يشترط في مدرس التاريخ
- أسباب قوة الذاكرة في التاريخ

ولعل مرد كل هذا هو أن الشيخ محمد علي الدبوز هو في الأصل أستاذ الأدب والتاريخ معا في معهد الحياة فلا نعجب عندما نجده يجمع بين الحسنيين في كتاباته، لكن السؤال المطروح والذي ربما إجابته توصلنا إلى نتيجة حاسمة هو جنس التاريخ " فقد كثر الكلام فيه: أعلم هو أم أدب، فمن نظر إلى أنه يتناول الحقائق

الواقعية، ويعنى بتجميعها، ونقدها نقدا موضوعيا قال بأنه علم يشبه علم طبقات الأرض(الجيولوجيا)، ومن لاحظ أنه لابد للتاريخ من خيال الشاعر لنشر الحوادث وبعث الحياة فيها: ثم لابد له من براعة الكاتب البليغ لتعرض هذا الواقع بالثوب اللائق بها قال بأنه أدب، على أن من قال بعلميته يعترف بأنه ليس كالفلك علم معاينة مباشرة، ولا كالكيمياء علم تجربة واختيار، ولكنه علم نقد وتحقيق، ويمكن أن يعد التاريخ علما بالمعنى العام أو أدبا بالمعنى العام، مادام خاليا من التجارب الدقيقة التي تدخله دائرة العلوم الطبيعية، ولم تستأثر به العاطفة أدبا خالصا." [1]

ولعل هذا ما يفسر سبب ذلك المزج الموجود في كتاب تاريخ المغرب العربي إذ أن إشكالية التاريخ في حد ذاتها لم تفصل، فمن يعتبره علم نقول أنه مصيب بدليل أن التاريخ يرتكز على البحث وتجميع الحقائق والوقائع، وهو بهذا يشبه علم الجيولوجيا التي تعتمد على الحفر و البحث في طبقات الأرض بينما التاريخ يبحث في طبقات الأزمنة والعصور ويحفر للتنقيب عن الحقائق المدفونة، ونقول أيضا عن من يعتبره أدبا أنه مصيب ودليله في ذلك أن التاريخ لا يستوجب الفحص المادي المباشر ولا على التجربة والاستنباط الدقيق، لهذا جاز فيه الأمران.

[1]- أحمد الشايب، الأسلوب، ص96.

وللتاريخ طقوسه ومراسيمه الخاصة به فليس كل كاتب له قدرة على الخوض فيه ما لم يجتهد فيه اجتهادا منقطع النظير، إذ له " خطة ومادة وعبارة (أو أسلوب لفظي)، أما مادة التاريخ فهي الشؤون الماضية التي يرجع إليها في الآثار الباقية، والسجلات القديمة والتقاليد التي سلمت من عدوان الدهر وصروفه، فعليها يقيم أبحاثه، وينهض بما يجب عليه من تحقيق، وتأويل، وتعبير. حتى أشرف على ذلك وجد أن الحوادث الماضية مغمورة بكثير من الآراء و الانفعالات ، فلجأ إلى الخيال لاستحضار الماضي، وإلى العاطفة لبعثه حيا كما كان يقع سابقا، وأما خطة التاريخ وأسلوبه العقلي فتقع في ثلاث مراحل : جمع الوثائق التاريخية ، ونقدها لتعرف قيمتها، و صلاحيتها للتصديق، ثم تفسيرها تفسيرا معتدا على طبيعتها وعلى الخيال المكمل، وعلى ما قد ينفع من أصول العلوم الحديثة كعلم النفس، والاجتماع، والجغرافيا." [1].

وهذه المراحل المذكورة نستشفها عند الشيخ الدبوز، حين ذكر في مقدمته المعاناة التي تكبدها في عدة محاولات منه لجمع الوثائق التاريخية والخرائط الجغرافية في ظل الاستعمار الفرنسي الذي طوق كل المخارج والمعابر، وقد كان لزاما على الشيخ السفر

[1]- احمد الشايب، الأسلوب، ص97.

وتقصي الحقائق وتجميعها ليكون كتابه مرجعا تاما لا يعتريه لبس ولا يحويه تدليس ولا يفتقر للموضوعية في طرحه.

أما من ناحية " الأسلوب اللفظي، فيجب أن يكون واضحا وجميلا...ويجب على المؤرخ أن يحرص على استعمال المصطلحات التاريخية في مواضعها، فإنها تحدد المعاني والعصور، وتصل بين الكاتب وسواه وتريحه من عناء التفصيل والتكرار مادامت هذه المصطلحات ألفاظا مقررة تشبه الحدود وعلامات التأريق، مثل الجاهلية والعصر العباسي، وعصر النهضة والقرون الوسطى والميلاد والهجرة وعصر الأهرام "[1]،وبالبحث في كتاب الشيخ نجده قد أوفى هذا الشرط فوظف المصطلحات التاريخية كالمغرب الأوسط والأدنى، عهد الخلفاء الراشدين، زمن الرسول.

ونعود من جديد إلى ذلك المزج الذي وجدناه في أسلوب الشيخ الدبوز والذي فرضته عليه الطبيعة التي اختص بها التاريخ"ولما كان التاريخ بعث الماضي من ناحية، ونقدا فلسفيا من ناحية أخرى، كان أسلوبه وسطا بين العلمي الدقيق والأدبي الرقيق لايسلم من مظاهر القصص والروايات حتى لا يجف ولا يثقل، ولا يخلو من النقد والتقرير ليؤدي مهمته الرئيسية، لذلك لم يقصر فيه الوصف

[1]-أحمد الشايب، الأسلوب، ص97.

والحوار والاقتباس وإن ظهرت آثار العاطفة والخيال في عبارته الجامعة بين الوضوح والجمال "[1]، وفي هذا الصدد نجد العديد من القصص الواقعية التي رواها لنا الشيخ في قالب قصصي جذاب ممتع كسرده لغزوة عقبة بن نافع ونشره للإسلام في ربوع المغرب ثم قتاله ودفاعه المستميت واستشهاده مع ثلة من الأخيار ممن نذروا أنفسهم لنشر الدين وخدمته، ثم عودة زهير بن
قيس وإلى برقة وكم الحزن الذي كان يحمله بسبب مقتل عقبة بن نافع من قبل كسيلة، ولعلها أخذت هذه القصة النصيب الأكبر من الفصل الثاني من الكتاب إذ وصل حدود الصفحات التي تناولتها ما يقارب أو يزيد العشرون صفحة.

ونستطيع أيضا أن نقول من خلال ملاحظتنا للمثال الذي ذكرناه وجود جنس أدبي آخر استخدمه الشيخ يطلق عليه "أدب السيرة" وهو" نوع من الأدب يجمع بين التحري التاريخي، ويراد به مسيرة إنسان ورسم صورة دقيقة لشخصيته " [2]،يعرض الكاتب فيها حياة أحد من المشاهير أو الأعلام سواء كانوا من الزمن الماضي أو الحاضر، فيفصل فيها ويعدد إنجازاته التي حققها ويذكر الحوادث التي مر بها، ونستحضر في ذلك سيرة الصحابي عقبة بن نافع

[1]-نفس المرجع، ص97-98.

[2]- عبد النور جبور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، لبنان، ط.2، 1984م ،ص143.

الواردة في كتاب تاريخ المغرب العربي إذ عرفه فيها وذكر نسبه وآثاره فقال: "هو عقبة بن نافع عبد ألقيس بن لقيط، قرشي من فهر، ولد قبل الهجرة بسنة واحدة، وكان أبوه نافع بن ألقيس من أبطال الفتوح، فول عقبة بوراثة حربية من أبيه، ونشأ في بيئة الدين فتشربه قلبه، فكان من العباد الصالحين، ومن أولياء الله المتقين...،فنشأ عقبة وهو مغرم بالجهاد في سبيل الله، ليس له هم في الحياة إلا أن يزرع دين الله في النفوس الضالة،ويحارب الكفر والوثنية في أوكارها فيزيلها، ويستشهد في سبيل الله، وآخر ما يرن في سمعه من أصوات الدنيا حمحمة فرسه في سبيل الله، وصليل سيفه وأنين قتلاه الذين صرعهم من اجل الله، ولما كبر سار مع المسلمين إلى الشام في حروبهم مع الروم، فكان من الأبطال الصناديد، ولازم عمرو بن العاص في فتحه لفلسطين ومصر فكان من أركان حربه، ومن سواعده المتينة في فتوحاته...وكان عقبة قد حضر فتح برقة وطرابلس مع عمرو بن العاص وكان من ضباطه الكبار فأرسله إلى جنوب برقة ففتح ودان و فزان و زويلة، وحضر غزوة عبد الله ابن سعد لافريقية، ولما رجع عمرو بن العاص من طرابلس تركه في برقة يغزو وينشر الإسلام ويثقف البربر بدين الله".[1]

[1]- محمد علي الدبوز، تاريخ المغرب العربي، ص51.

هذه سيرة عقبة بن نافع كما ذكرها الشيخ الدبوز بتفاصيلها وبحروبها التي خاضها وإنجازاتها التي حققها، والتي أهلته ليكون بهذه المنزلة كما ذكرها الشيخ الدبوز وله في كتابه أمثلة كثيرة مشابهة كسيرة أبي المهاجر دينار و ذكره نسبه أيضا ومناقبه فقال:" كان أبو المهاجر دينار مولى لمسلمة بن مخلد اعتقه من العبودية فاستخلصه لنفسه فكان من اعضاده في إمارته، ومن أعوانه في مهماته...وكان أبو المهاجر دينار داهية من الدهاة، وبطلا من أبطال الإسلام، وسياسيا حكيما لا يسير إلا على خطة محكمة، و أسلوب حكيم...وكان أبو المهاجر في انطوائه على اللين في وعلى الشدة كنور الشمس، رفيق يداخل الأشياء بالحياة في سهولة ولكن فيه قوة قتل الجراثيم " [1]، ولولا الإطالة لذكرنا العديد من الأمثلة التي ذكرها الشيخ في هذا الصدد.

وبعد هذا الاستطلاع العام لأسلوب الشيخ والخروج بنتيجتين تحمل كل نتيجة منهما مبرراتها وحججها التي تضمن نفوذها، نستطيع أن نقول إن الشيخ الدبوز لم يجمع في كتابه هذين النوعين من الأساليب (العلمي والأدبي) إلا ليتمكن من إيصال رسالته الحاملة للحقائق والمعلومات التاريخية التي توصل إليها من جهة،ونقل أفكاره وخيالاته وانفعالاته العاطفية من الباث إلى المستقبل للرسالة

[1]- محمد علي الدبوز، ، ص55.

من جهة أخرى في سياق يستوجب هذا الدمج، ولعله وفق بشكل كبير في ذلك فبدا أسلوبه سلسلا دقيقا رقيقا مفهوما وواضحا في ثناياه غير غامض لدى القارئ، وكان المبتغى من وراء هذا المزج هو تحقيق وظيفة اتصالية ناجحة، وقد اجتهد الدارسون في البحث عن هذا النوع من الأساليب بمحاولة التوفيق بين الأسلوب العلمي والأدبي إذا ما توفرا معا، فأطلقوا على هذا النوع من الأساليب بالأسلوب العلمي المتأدب.فما المقصود به؟ وما هي الخصائص التي تميزه عن باقي الأساليب الأخرى؟

رغم أن الإجابة عن التساؤل موجودة في فحوى التحليل الذي قمنا به غير أنه لا ضير في تقديم تعريف بائن له برغم عدم نيله حظا وافرا من الكتابات النقدية و التنظيرية له بالمقارنة مع الأسلوب العلمي والأسلوب الأدبي، وبرغم أننا أيضا نصادفه كثيرا عند كتابنا لاسيما المؤرخين منهم، لهذا اجتهدنا في تقديم مفهوم شامل ملم به بالقدر الكافي الذي يساعدنا في معرفته وفهمه.

الأسلوب العلمي المتأدب:

يقدم هذا المصطلح تعريفه بنفسه فهو يتكون من كلمتين جوهريتين "العلمي و المتأدب" فهو بذلك يجمع أسلوبين في أسلوب واحد وهدفه عرض الحقائق العلمية بأسلوب أدبي جميل دون أن يطغى

على تلك الحقائق، وإنما يخلص المقالات العلمية من جفافها ومن رتابتها وجمودها ويجعل قراءتها أمرا ممتعا ومريحا للنفس البشرية التي تميل بطبعها إلى كل شيء جميل شاعري، ولعل أخصب ميدان له هو التاريخ فالكتابات التاريخية تتأرجح بين علميتها و أدبيتها كما سلف ذكره لاسيما وأن مسألة التاريخ في حد ذاتها لم تفصل إلا على أنه يحتمل أن يكون علما كما يمكن أن يكون أدبا، فهو يستوجب أسلوبا قصصيا تشويقيا ككتب الرحلات مثلا والتي تكون غاية مؤلفيها إمتاع القارئ ودفعه لمواصلة القراءة .

ومن أركان الأسلوب العلمي المتأدب وجود :

1 -الأفكار والمعاني

2 -الصياغة اللفظية

انطلاقا مما ذكرناه ندرج نموذجا للأسلوب العلمي المتأدب دائما من كتاب تاريخ المغرب الكبير باعتباره المعني بالدراسة والمعاينة، وكي لا نقول: ونحن نبحث عن هاذ النوع من الأسلوب لأن الأمر لا يستدعي منا البحث، إذ هو موجود ظاهر للعيان فهو الغالب ووظيفته هي المهيمنة على هذا النص التاريخي الدبوزي، وهنا يتجلى الأسلوب العلمي المتأدب في أوجه حين تحدث الشيخ عن قلعة جلولا وهو يخبرنا عنها ويصفها وصفا دقيقا وجميلا في

الآن نفسه فيقول:" وكانت جلولا بجنوب القيروان، تبعد عنها بأربعة وعشرين ميلا، وكانت مدينة حصينة، وقلعة عالية، وحصنا منيعا...وكانت متحضرة مترفة، ناعمة غنية، تربتها خصبة تجللها بالرياض، وجوها جميل يكسوها بالسحر، وهي غريقة في الزهور كالعروس، فلذلك سكنها جمهور كبير من الروم و البربر المتحضرين الذين كثروا للمسلمين، فأرسل إليها معاوية من يطهرها "[1]

يظهر لنا في هذه الفقرة دمج ذكي بين الأساليب المختلفة أفرغ في قالب اختير بعناية فائق لاحتواء كم الأفكار والمعاني والموضوعات، وقد برز هذا جليا في طيات الكتاب وبين الأسطر وفجوات الكلمات وقد أحسن الشيخ الدبوز في ذلك فلا نكاد نشعر بهذا المزج المتناقض ولكن نحس بجمالياته، وهذا إبداع يعجز عنه الكثيرون وبما أن الشيخ كان أستاذا في الأدب وفي التاريخ معا فلم يصعب عليه الأمر بل بعكس ذلك إذ وجد الميدان رحبا للممارسة الفعلية وتفجير كم المواهب التي تمتع بها إضافة للمخزون المعرفي والتاريخي الذي اجتهد في تجميعه وترتيبه ليكون موسوعة لا يستهان بها لاسيما وأنها نتاج جزائري خالص.

الهوامش:

[1]-محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، ص47.

1- محمد علي دبّوز، تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة توالت الثقافية2010، ج2، ص18/19.

2- محمد علي الدبوز، المغرب الكبير، ص.20

3- محمد علي الدبوز، نفس المصدر،ص 25

4- نفس المرجع، نفس المصدر، ص 26.

5- محمد بن قاسم ناصر بوحجام، مقال بعنوان: محرر تاريخ المغرب الكبير...الشيخ محمد علي الدبوز، نشر في الجريدة الإلكترونية الرؤية العمانية،
الرابطhttps://alroya.om/post/207448 .

6- صلاح فضل، علم الأسلوب(مبادئه وإجراءاته)، دار الشروق، ط.1، 1998م،ص13.

7- عبد الملك مرتاض، دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين بلادي، د.م.ج، الجزائر، 1992، ص.10

8- صلاح فضل، علم الأسلوب، ص93

9- المرجع نفسه، ص92

10- ابن منظور، لسان العرب، ج17، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط.3، ص .456

11- عبد الرحمان ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون،نشرعبد الواحد وافي، ج1960،4م،ص 1290 .

12- ابن طباطبا، عيار الشعر،شر.تح: عباس عبد الساتر،دار الكتب العلمية، بيروت، ط.2005،2م،ص .11.

13- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، شرح.وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي،1980م، ص.418.

14- أحمد حسن الزيات، دفاع عن البلاغة، عالم الكتب، ط،.1967،2م ،القاهرة،ص.70.

15- أحمد الشايب، الأسلوب، ط.8، مكتبة النهضة المصرية، ط.8، 1991م، ص43.

16- صلاح فضل، علم الأسلوب، ص.154.

17- رولان بارت، الكتابة في درجة الصفر، تر:محمد نديم خفشة، مركز الإنماء الحضري، ط.1، 2002م ،ص17.

18- بييروجيرو، الأسلوب والأسلوبية، تر:منذر عياشي، مركز الإخاء القومي، بيروت، لبنان، د.ت، ص36.

19- لطفي عبد البديع، التركيب اللغوي للأدب، مكتبة النهضة، القاهرة، ط.1، 1970م، ص.101.

20- بييروجيرو، الأسلوب والأسلوبية، ص.38.

21- المرجع نفسه، 72.

22- أحمد الشايب، الأسلوب، ص59.

23- محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، ج.2، ص29-.30.

24- أحمد الشايب، الأسلوب، ص97.

25- نفس المرجع، ص51.

26- محمد علي الدبوز، تاريخ المغرب الكبير،ص.29

27- محمد علي الدبوز، تاريخ المغرب الكبير، ص47-.48

28- أحمد الشايب، الأسلوب، ص96.

29- نفس المرجع، ص97.

30- احمد الشايب، الأسلوب، ص97.

31- نفس المرجع، ص97-98.

32- عبد النور جبور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، لبنان، ط.2، 1984م ،ص143.

33- محمد علي الدبوز، تاريخ المغرب العربي، ص51.

34- محمد علي الدبوز، ، ص.55

35- محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، ص47.

ترجمة أعمال محمد علي دبوز الى الانجليزية: رؤية نحو تحقيق انتشارها عالمي

د. يحي فاطيمة
جامعة غرداية

Algeria is full of many prominent scholars in various domains as literature, philosophy, politics, and religious sciences. This article highlights the career of one of the leaders of science in Ghardaia, Algeria. The works of our Algerian writers need to be translated into English, as an international language, in order to create an exchange of knowledge between the world's different intellects.

Mohamed Ali Debbouze is an Algerian scholar who was born in Berriane, Ghardaia, in the South of Algeria in 1919. His father is the leader of the charitable association in Berriane in 1927. In 1928, he started studying at Al-Fatah Quran School with his teacher Ben Youcef Saleh. He went to Guerrara

to continue his studies. In 1935, he belonged to Al-Hayat Institution where he was among the best of its students. In Youths Magazine, he published many articles and literary chapters.

After graduation in 1944, he traveled to Tunisia to join Azzaytouna Mosque and Iben Kheldoune Institute where he enriched his knowledge in arts, literature, Islamic sciences, and philosophy. Then, he left to Egypt in 1946 during the World War II. He studied, at the faculty of letters- Cairo University, literature, history, psychology, sociology, and philosophy. He stayed there till 1948.

He was chosen by the responsible of Al-Hayat Institution to teach history and literature in addition to psychology and pedagogy. He has many books in politics and history as Mohamed *Ali Debbouze and the Islamic Method for Writing History*. Also, he wrote a book about the Grand Maghreb from the Stone Age till the Islamic one, *The History of the*

Grand Maghreb, and after the independence in 1962, he started publishing them.

Among his famous works also are *The Renaissance of the Modern Algeria and Its Blessed Revolution*, *The Leaders of Reformation in Algeria Between 1921 and 1974*, and many historical and social plays. Ali Debbouze was died in 13 November, 1981.

As mentioned earlier, the works of Ali Debbouze are very important and they must be translated into English to enrich the world's library. In this regard, we have to clarify first the term of 'translation' and its role and principle according to the various domains and cultures.

Translation refers to all the processes and methods used to render and/or transfer the meaning of the source language text into the target language as closely, completely and accurately as possible.

However, the meaning of a text includes its subject, function or writer's intention, and tone. The text format, style and text type are also part of its meaning because writers express their ideas through format, style and text type[1]. To be clear, the target text should have the same subject, function, tone, format, style, and text type.

Translation of any text into L2 is recognized as inter-cultural communication. Translated literary text is produced as a result of negotiations among different languages. The word 'translation' was coined around the year 1340, and it has been known to be derived from either Old French or Latin. The Latin meaning of the word 'translation' is 'transporting' and this has been regarded as the basic meaning of the word for the purpose of

[1] Baker, M., 1992, In other words: A course book on translation, New York: Routledge, (p.25)

rendering texts into another language[1].

Translation is a process, where an originally written text, known as one language to another has been a challenging task, particularly when dealing with sensitive materials that may have strong impacts on society. The problems related to literary translation have been considered as factors involving a multi-lingual environment responsible for attracting maximum attention. The issues related to translation have been expanded to encompass various regional, national, individual identities and power concerns. Within the constraints of an extremely diverse culture, it has been deemed that the translators must also work on the economic and

[1] Gaber, J., 2005, A textbook of translation: Concept, method, practice, Al-Ain :University Book House, (p. 56)

technological unification[1].

However, the process of translating the works of Ali Debouz could be affected by the nature of his works because he wrote literary works and religious ones. The variation of his texts needs very complex and deep translation techniques that are also influenced with the social background of Algeria as comparison with the English one.

According to Haque (2012), there is a difference between the translation of a literary prose and that of a literary creative prose, because the translation of the latter relies on the existence of a work to be translated or on the object of translation. In some instances, the work might not be judged as well

[1] Trotter, E., and DeCapua, A., 200, 'The Role of the Literary Translator in the New Europe and the Literary Translator as Role Model,' Linguistics & the Human Sciences Journal, Vol. 01, No. 03, (p. 34), http://dx.doi.org/10.1558/lhs.v1i3.447 (retrieved in November 2017)

translated, but again due consideration must be given to the fact that it might not be possible to translate a work of literary creativity in absolute terms[1].

Sapiro (2016) analyzed the factors that hinder or trigger the literary work circulating beyond the cultural and geographic boundaries, which refers to the participation in the mechanism of production of literature. These factors can be further characterized into four categories, including economic, political, cultural, and social. The study concluded with the reflection on opposite propensities that categorize the transnational literary field[2].

[1] Haque, 2012, in Syed Sarwar, H., 2017,'Translating a Literary Text: Enigma or Enterprise,' International Journal of English Language & Translation Studies, Vol. 05, No. 02, (p. 76), http://www.eltsjournal.org/archive/value5%20issue2/10-5-2-17.pdf (retrieved in September 2019)

[2] Sapiro, 2016, in in Syed Sarwar, H., 2017,'Translating a Literary Text: Enigma or Enterprise,' International Journal of English

Religious texts are referred to as ‘expressive texts.’ They are peculiar in that in addition to their having a sacred nature, they address the minds together with the hearts of their audience. Translators rendering a historical religious text may encounter linguistic and cultural problems which are attributed to more than one factor. Historical religious texts are categorized as classical texts which have an artistic style and usually directed to experts or educated laymen so that the translator should have a good knowledge in the topic he/she wishes to translate. Moreover, historical and religious texts are peculiar in that they have difficult and specialized lexicons which a translator may consistently make any attempt to compare and contrast different aspects of two languages to find the equivalents. Finally, religious

---

Language & Translation Studies, Vol. 05, No. 02, (p. 78), http://www.eltsjournal.org/archive/value5%20issue2/10-5-2-17.pdf (retrieved in September 2019)

texts include Quarnic verses, old or new testaments which need credible and reliable sources to render their contextual meaning as closely, completely and accurately as possible[1].

Translation has always been the great enabler of communication between nations allowing for the transfer of meaning across daily business, cultural, and religious activities. Arabic translation has its deep roots in the ancient history of mankind. Arabic cultures have always had an intrinsic role in spreading knowledge and science across nations throughout the ages.

[1] Bader Dweik, B., and Abu Helwah, W., July 2014, 'Translating Historical and Religious Texts from Arabic into English: Problems and Solutions,'(p. 287), https://www.researchgate.net/publication/291334386_Translating_Historical_and_Religious_Texts_from_Arabic_into_English_Problems_and_Solutions/link/569ff7fa08ae21a5642727be/download (retrieved in September 2019)

Arabic translation dates back to the 2nd century, when Arabs translated Persian history into Arabic, and it went through several stages of transformation since then. It stared from mere interpretation among the Arabic traders and neighboring countries, through the era of prosperity and enlightenment during the Islamic golden age and lastly in the modern age embracing technology and globalization[1].

Arabs started to pay attention to translation with the rise of Islam, as Prophet Mohammed encouraged his followers to learn FLs and translate the Quranic verses and Islamic beliefs and teaching to other nations. Then it reached its peak during the 1st Abbasid Period and the establishment of the city of Baghdad, especially at the time of Caliph Al-Ma'moun, who built 'Bait Al Hikma'(House of

[1] Munday, J., 2008, Introducing Translation Studies: Theories and Applications, New York: Rutledge, (p. 124)

Wisdom), which was the greatest institute of translation at that time[1].

During that time, the major Islamic capital cities of Baghdad, Cairo, and Córdoba became the main intellectual centers for science, philosophy, medicine, trade, and education, and scholars from different parts of the world sought to learn and transfer knowledge to and from Arabic. They were keen on translating the knowledge of the ancient civilizations into Arabic and Persian. Later on, all of this knowledge which the Arabs developed was translated into western languages like Turkish, Hebrew and Latin. During this time we had some prominent figures like Ibn al-Muqaffa', who translated great manuscripts from Indian and Persian like 'Kalīla wa Dimna[2].

[1] Ibid

[2] Ibid (p.154)

The act of translation and translators were highly recognized at that time, to the extent that the Caliph used to reward distinguished translators with the weight of their books in gold. On the other hand, translation at that time was recognized by its accuracy, validity, and authenticity as translators exerted great effort to reference, validate and maintain the quality of the translation. They used to travel to far off countries, spending years in researching and validating and even producing several translated versions for the sake of accuracy[1].

The role of Arabic translations was not only transferring knowledge, but also it helped to preserve many subjects as part of world. During the 11th to 13th centuries, medieval Europe absorbed knowledge from Arab civilization, which was at its peak during this time. The most important act at this

[1] Nida, E., 1964, Toward a science of translating, Leiden: E.J. Brill, (p. 63)

time was the rediscovery of the ancient classic texts, especially the work of Aristotle, through re-translations from Arabic and in addition translations helped preserve and spread the advances in astronomy, algebra, chemistry, and geology made in the Islamic world during the 10th century. One famous tool, the astrolabe, dates back to 150 BC and was developed over centuries in the Middle East. These advancements were shared with Europe thanks to early Arabic translations[1].

With the downfall of the Islamic Empire, Arabic countries suffered from bad economic and political conditions and consequently the art and availability of Arabic translations suffered from years of decay. However, in the modern age starting from Mohamed Ali's rein in 1805, translation regained its importance in education, culture and commerce. Specialized translation schools opened their doors to

[1] Ibid (pp. 76-77)

produce new generations of specialized Arabic translators. In 1835 the establishment of Al Alsun (Languages) school in Egypt and some great modern translators like Helmy Morad and Tharwat Okasha emerged to carry on the great tradition and trade of Arabic translation. These translators were responsible for translating international literature like “Anna Karenina”, “Dr zhivago”, some of Bernard Shaw and Gibran Khalil’s work[1].

Nowadays, the translation of Arabic content in the world benefits from the use of computers, digital materials and the spread of databases of terminologies that offer translators a considerable wealth of linguistic resources. Now-a-days translation has become an important industry in the Arabic world. The field of translation now benefits from many university programs and cultural

[1] Opcit (p. 88)

organizations that promote the translation profession. Translation is being systemized by specialized translation institutions and translators in various fields: literature, science, technology, and medicine, etc., with the great efforts now being exerted to enhance the quantity and quality of Arabic online and offline content, by either Arabic translation or Arabic creative writing, hopefully we are at a new renaissance in the Arabic culture[1].

The Algerian literature, as other sciences, is full of important and rich fulfillments realized by the Algerian authors and scholars. Among these models are those of the son of Ghardaia, Ali Debouz. This scholar had dedicated all his life in getting upstream sciences in different fields as literature, history, philosophy, social science, and psychology.

[1] Baker, M., 1992, In other words: A course book on translation, New York: Routledge, (p.46)

Ali Debbouze had not stopped at studying in Algeria, but he travelled to Tunisia then to Egypt, on feet, to continue his scientific career where he brought new domains of study, pedagogy and psychology. For that, the Algerian elite should seek introducing the fulfillments of Ali Debbouze, books, and theories, through starting to translate his works into English, which is the language of the world nowadays, and this could realize a wide spread of his scientific and literary wealth.

The scholar Ali Debbouze was interested in the fields of history, civilization, art, criticism, and even historical theatre and all these domains gain an international interest. Moreover, many referential theories had been created about them because they structure the basis of developing the different civilizations/literary and critical theories.

The historical theatre alone includes a strong and deep message that sculpts the features of the states

with their cultures and creativities. In the light of this, and via translating the works of Ali Debbouze into English, we will be able to transmit this forgotten remain to the world in order to present the history of Algeria and to provide the international literature with his theories as that of William Shakespeare and others.

Ali Debbouze was also interested in criticism and works in this field are very complex to translate. Literary Critical Theory is a tool that helps you find meaning in stories, poems and plays. There are many different ways to interpret a novel or short story. When we read literature, we do so to learn more about: the human condition; the experience of loss and death; the structure of power in society and how it is implemented (including the issues that surround race and gender); the psychology of characters and individuals in general; the sociology

and history of cultures that produce specific pieces of literature[1].

Generalizations about the field of literary criticism could not be made. Equally, in 1985 Raman would rightly point to the end of the 1960s as the moment at which things began to change, and comment that during the past twenty years or so students of literature have been troubled by a seemingly endless series of challenges to the consensus of common sense, many of them deriving from European (and especially French and Russian) intellectual sources. To the Anglo-Saxon tradition, this was a particularly nasty shock[2].

[1] Bennett, A., and Royle, N., 2004, An Introduction to Literature: Criticism and Theory, Oxford: Oxford University Press, (p. 82)

[2] Selden, R., Widdowson, P., and Brooker, P., 2005, A Reader's Guide to Contemporary Literary Theory, Pearson Education Limited, (p. 01)

He could also still present ‘Structuralism’ as a newly shocking ‘intruder in the bed of Dr Leavis’s *alma mater*’ (Cambridge), especially a structuralism with a touch of *Marxism* about it, and note the even more *outré* fact that there was already ‘a *poststructuralist* critique of structuralism’, one of the main influences on which was the ‘*psychoanalytic* structuralism’ of the French writer, Jacques Lacan.

All of which, he could say at the time, ‘only confirmed ingrained prejudices’. No criticism of Raman, of course, that he could say this is to make the very point – but such a conjuncture within ‘English’ or Literary Studies now seems to belong irrevocably to the dim and distant past[1].

Recent technology advancement has reduced the world to be a small place. People of different

[1] Ibid (p. 02)

cultural backgrounds are involved in an inter-cultural interaction. Ideas, beliefs, and norms of a certain community constitute its ideology and differentiate it from other communities. History, traditions, language and religion are different manifestations of culture.

In the course of inter-cultural interaction, cultural differences are supposed to be tolerated, understood and accepted. Religion is the most sensitive area of culture. Religious beliefs are not negotiated because most people grow suspicious to opposing points of view. The peculiarity of religious language stems from its divine status, connotative meaning, and stability. Being associated with God, religious language is supposed to be fixed and transmitted from a generation to another without any change. Changing or introducing new terms in religion might denote different implied meanings and different ideologies.

So, religious language is considered ideologically –a bounded language. Many Islamic-related terms are coined to describe different Islamic issues by non- Muslims such as 'fundamentalists,' 'radicalism,' 'Islamists,' etc. These controversial terms are adopted by some Muslims and rejected by others which indicate the existence of different ideologies within Islam[1].

The current ideological conflict which prevails in the Islamic world internally and externally enhances the need for interfaith dialogue and intercultural communication with more understanding and acceptance and less misconception. Religious ideologies are used in the current conflict in the Islamic world. They shape the civil and political life of people.

[1] Gutt, E. A., 2014, Translation and Relevance: Cognition and Context, New York: Routledge, (p. 119)

Harahsheh (2013) investigated the effect of the translators' ideology on rendering Islamic texts written by non-Muslim and translated by Muslim students. For this purpose, three Islamic texts written by non-Muslim were selected to be translated by 49 undergraduate students (48 Muslim students and one Christian student). The students were not informed of the exact aim of the study to avoid interference in their translation.

The researcher employed Critical Discourse Analysis (CDA) to explore the investment of ideology in translating religious texts. The study revealed that ideology has a significant impact on the translation of Muslim students when rendering Islamic texts written by non-Muslims; they were predisposed to add honorific expression after the name of prophets and names of sacred places; they omitted and replaced words that imply negative connotations to lessen their impacts so as to cope the

Target Text (TT) with their religious and cultural ideology; and the study indicates that CDA is an important tool in investigating the social, cultural and ideological practices in translation[1].

To conclude, Ali Debbouze is an Algeria effective scholar whose articles and books about history, religion, education, and psychology play an important role in enriching the knowledge of the Algerian students. So, it is needed to transmit these works' information internationally via translating them into English.

[1] Harahsheh, 2013, in ibid

فهرس المحتوى

أسباب توجه الشيخ محمد علي دبوز إلى الكتابة التاريخية وعوامل نبوغه فيها: أ/ بشيري نذير 01
قراءة في كتاب تاريخ المغرب الكبير (الجزء الأول أنموذجا) للشيخ محمد علي دبوز -رحمه الله -: أ/ تشيش نبيل 33
الشيخ محمد علي الدبّوز والتأريخ للحركة الإصلاحية بالجزائر ووادي مزاب: د/ بالحاج ناصر 63
التاريخ والتربية عند الشيخ محمد علي دبوز: أ.د إبراهيم بكير بحاز، أ/ علي دبلاوي 88
الأعلام المحليون في كتابات الشيخ محمد علي دبّوز "أعلام بلدة العطف نموذجا": د/ إلياس الحاج عيسى 101
المرأة الإباضية من خلال كتاب المغرب الكبير للشيخ محمد علي دبوز (قراءات وتحليل): د/ بكير بوعروة، أ/ عوف سليمان 152
دور الأم في تربية العلماء عند الشيخ محمد علي دبوز: أ/ الحاج أحمد حمو كروم 172
الأم المزابيـــة في حيـــاة أعلام الإصلاح - دراسة وصفيـــة للمؤثرات الأسرية والبيئية حسب منظور الشيخ محمد علي على ضوء الدراسات العلمية -: أ/ دبوز آسيا 202
شخصيـــة ومكانة المرأة في المجتمـــع الأمازيغي من خـــلال كتاب

تاريخ المغرب الكبير للشيخ محمد علي دبوز: أ/ عفو عائشة 240

محاضرات المحور الثالث: الشّيخ محمد علي دبوز أديبا وناقدًا

مقالات الشيخ محمد علي دبُّوز موضوعاتها وأنواعها وخصائصها الفنية: د. يوسف باعمارة 261

فن القصة في أدبيات الشيخ محمد علي دبوز الخصائص الموضوعية والفنية: أ. موسى وعلي علي 299

التجربة الأدبية عند الشيخ محمد علي دبوز الفن القصصي أنموذجا: فائزة بن عمور 330

خصائص الحكاية الأدبيّة عند محمّد علي دبّوز إمامة الإمام عبد الوهّاب نموذجا: د. عبد الوهاب بافلح..... 354

جمالية الخطاب المسرحي في أدب الشيخ دّبوز مسرحية "الأبناء الثلاثة" أنموذجا: طرفاية أمال، أ.د يحي الحاج أمحمد..... 377

رسائل الشيخ محمد علي دبوز إلى العلامة أحمد توفيق المدني دراسة فنية لعينات من فترة (1952م 1978م): د/ بن جديد جمال.. 395

السير والتراجم عند الشيخ محمد علي دبوز – دراسة في المنهج والخصائص وسياق الإنتاج: – د. إبراهيم براهمي 425

خصائص فن السيرة عند الكاتب محمد علي دبوز (سيرة الرافعي أنموذجاً): أ.د/ عبد العليم بوفاتح 462

الخصائص الفكرية و الأدبية و الفنية في أدب الشيخ محمد علي دبوز

- المقالة نموذجا -: أ/ ميهوبي خديجة 495

بنية السّرد في رحلة محمد علي دبوز "وقفة في دار الرّافعي وقبره": د/ الحاج جغدم 524

الرؤية الأدبية والنقدية في مؤلفات محمد علي دبوز: تنظيرا وممارسة ومرجعية: أ/ آمنة أومايا 550

دراسة حفرية في أسلوب الشيخ الدبوز " كتاب تاريخ المغرب الكبير نموذجا ": أ/ خروب سارة 583

ترجمة أعمال محمد علي دبوز إلى الانجليزية: رؤية نحو تحقيق انتشارها عالمي: د/ يحي فاطيمة 621

فهرس المحتوى: 644